سلسلة التراث الروحي للإنسان 7

المعتقدات الإغريقيــة

خزعل الماجدي

شروق

المعتقدات الإغريقية

المعتقدات الإغريقية

تأليف

خزعل الماجدي



○ المعتقدات الاغريقية .

○ خزعل الماجدي.

● الطبعة العربية الأولى : الإصدار الاول ، 2004 .



الناشر:

دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس : 4610065
ص.ب : 926463 الرمز البريدي : 11110 عمان – الاردن

دار الشروق للنشر والتوزيع
رام الله : المنارة – شارع المنارة – مركز عقل التجاري هاتف 02/2961614
غزة : الرمال الجنوبي قرب جامعة الازهر هاتف 07/2847003

□ التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :
دائرة الإنتاج / دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف: 4618190/1 فاكس 4610065 / ص.ب. 926463 عمان (11110) الاردن
Email : shorokjo@nol.com.jo

المقدمة

مع كتابنا هذا نبدأ بالدخول إلى العقائد الغربية القديمة التي تشكل المعتقدات الإغريقية مع جذورها الإيجية القديمة بداية معقولة لها . فقد شهدت أوروبا أولى الحضارات المنظمة في بلاد اليونان وكانت جذورها مشرّبةً في حضارات الشرق المتوسطي القديمة .

عندما نبدأ من عصور ما قبل التاريخ نلمح التأثيرات الشرقية القديمة بوضوح وهي تتسلل إلى محيط اليونان في بحر إيجه وجزر المتوسط القريبة من اليونان وفي الساحل الآسيوي لبحر إيجه . . فتصادفنا عبادات شرقية مصدرها وادي الرافدين والشام و مصر و آسيا الصغرى .

لكن فترة المخاض الكبرى ، التي شكّلت الملامح الأولى لمعتقدات الإغريق ، بدأت مع العصر البرونزي الذي استغرق الألف الثاني قبل الميلاد تقريباً بحيث هضمت الشعوب الإغريقية الوافدة إلى بلاد اليونان تلك.الجذور الشرقية و الجذور المحلية لبلاد اليونان وأضافت إليها تراثها أو تراث الأمم التي تحدّرت منها و كوّنت من كلّ هذا الخليط عقائد دينية وأساطير وطقوساً وشرائع كان مصيرها التمزق في نهاية العصر البرونزي إثر التبدلات السكانية ، والاقتصادية التي مرت بها منطقة بحر إيجة والشرق الأدنى القديم . فقد اندفعت أمواج بشرية جديدة من جنوب أوروبا نتج منها ظهور إغريق جدد ، هم (الدوريون) ، في منطقة البلوبونيز ، وهكذا بدأ العصر الحديدي الذي أعاد تشكيل الدين الإغريقي بصيغته الجديدة .

كان لابد من ذاكرة منظّمة تجمع خيوط العقائد الدينية في العصر البرونزي التي انفرط عقدها وكان هوميروس أولاً ثم هسيود هما هذه الذاكرة التي وقفت في وجه النسيان والضياع ، فقد صاغا إرث الماضي الديني في شكل جديد كان قريباً إلى الانسجام و الإيقاع المنظم .

وما إن بدأ العصر الكلاسيكي في اليونان حتى كان هيكل المعتقدات الإغريقية في حقوله الثلاثة (العقائد والأساطير والطقوس) قد اكتمل و تماسك ، وكان الإله أبولو يمثل

عقل وروح هذا الدين في حين كانت لفحات ديونسيوس الساخنة تهبه حرارةً شرقية بحيث يتنافس الإلهان في جوقتين متكاملتين ، أحداهما تشكل البارد في (أبولو) والأخرى تمثل القطب الساخن في (ديونسيوس) . . في حين أصبحت ذكرى الإله الأب زوس متصاعدة باتجاه السماء ، وكانت أثينا تهب التجانس و الحكمة و العمق لهذه السبيكة الدينية .

هكذا تشكلت المعتقدات الإغريقية بعد ثلاثة مخاضات كبيرة ، بدأ الأول في عصور ما قبل التاريخ من جذور شرقية ، ثم شكل الثاني بذرة تلك الديانة في العصور البرونزية ، ثم ظهرت الشجرة الوارفة لهذه الديانة في العصر الحديدي وخصوصاً في الحقبة الكلاسيكية منه حيث مدينة أثينا عاصمة الحضارة الإغريقية .

وفي الحقبة الهيلنستية أعاد الإغريق عقائدهم الدينية إلى أحضان الشرق وكأنهم ردّوا قوس الدائرة الأخير إلى بدايته فاكتملت دورة المعتقدات الإغريقية من الشرق و إلى الشرق .

تناولنا في **الفصل الأول** مقدمةً تاريخيةً في التاريخ السياسي و الحضاري للإغريق لكي نعرف الأرضية الزمنية التي سنمشي عليها و التي ستكون مسرح المعتقدات الإغريقية ، وبدأنا منذ عصور ما قبل التاريخ ثم تعرفنا إلى الحضارات التي ظهرت في بلاد الإغريق خلال العصر البرونزي وتلمسناها في الساحل الآسيوي (طروادة) وفي جزر البحر الإيجي (الكليكيدس) وفي جزيرة كريت (المينوية) وفي بلاد اليونان (الهيلاّدية) وتناولنا الأحداث الكبرى لهذا العصر وحرب طروادة وهجرة الدوريين من وسط اليونان إلى شبه جزيرة البلوبونيز وتدميرهم للحضارة الموكينية الآخية . . وهجرات شعوب البحر الإيجية الطابع وتدميرهم للحضارة الحثية .

ثم يأتي العصر الحديدي فاصلاً في بدايته مزدحماً بالاضطرابات العرقية في بلاد اليونان وحولها حتى تظهر دولة المدينة بثوبها السياسي الجديد .

مع بداية الفترة الآرخية (العتيقة) وظهور الأنظمة الملكية و الأرستقراطية و الاوليغاركية و الاستبدادية ثم الديمقراطية ثم حروب الإغريق مع القرطاجيين ومع الفرس وانتصارهم عليهم ، وتبدو لنا الحقبة الكلاسيكية كعصر ذهبي للإغريق حيث تحتضن أثينا العلوم والثقافات والفلسفات و العقائد المتجاورة الضاجة بالحياة وحيث تنعم بالديمقراطية وهي تدير حضارة الإغريق . ثم تبزغ شمس مقدونيا التي تقود الإغريق إلى استعمار الشرق ويتربع الإسكندر المقدوني على العرش العالي لحضارة عالمية جديدة .

أما الفصل الثاني فقد تناول اللاهوت والمعتقدات الإغريقية ومنها تلك الجذور التي ما قبل الهيلينية ثم العقائد العامة و أنواع عبادة الآلهة ، متناولين نزعات التعدد والتفريد و التوحيد (الفلسفي) والإلحاد ثم المؤسسة الدينية الإلهية والكهنوتية والمعابد ، وقد حاولنا البحث في طبيعة الآلهة و اختلافها و تشبهها بالإنسان و الحيوان وقد أسرف الإغريق في تشبيه آلهتهم بالإنسان خصوصاً ، وكانت آلهة الإغريق تبدو كما لو أنها تعيش مع البشر وتتصرف مثلهم تماماً . ثم تفحصنا الكون الإغريقي (كوزمولوجياً) ومكوناته في المنظار الديني ، وكانت لنا وقفة مطولة مع أنماط محددة من المعتقدات الإغريقية المتصلة بعبادات من نوع معين مثل العبادة الزراعية والسحرية و الموتى والأبطال والمدن و الجمال ، وقد حاولنا كشف محركاتها وأسبابها و اتجاهاتها ومبررات شيوعها في مكان أو زمان معينين .

أما من العقائد الدينية السرية الخاصة فقد تناولنا أربع عقائد أساسية منها هي الإليوسية (عبادة ديمتر) والديونسيوسية (عبادة ديونسيوس) والساموثراكية (عبادة الآلهة الكبيرة) والأورفية (عبادة أورفيوس وديونسيوس) وهي عبادات يشكل الخلاص جوهرها وتكوّن مادة الغنوص الإغريقي الذي يأخذ مؤثراته من أصول شرقية تعتمد على عقائد زراعية تموزية تتخذ من الإله الميت (تحت الأرض) شفيعاً لها ومخلصاً لما بعد الموت .

وتشكل العقائد الدينية الفلسفية الجانب النخبوي الذكي والمثقف من معتقدات الإغريق ، قد تناولنا العقائد الفلسفية الميتافيزيقية والروحية التي لم تقطع صلتها بالدين حتى إذا ما وصلنا إلى أفلاطون أوضحنا عمقه الديني ثم أرسطو الذي أعاد تركيب هيكل أفلاطون وفككه وأعاد تركيبه .

وتناولنا كذلك عقائد ما بعد الموت الجنائزية حيث تفحصنا خارطة العالم الآخر عند الإغريق التي تؤدي إما إلى بيت هاديس (الجحيم) أو إلى الإليزون (الفردوس) وعرفنا عالم الروح عند الإغريق وخلودها وتكوينها .

وفي الفصل الثالث تناولنا المثولوجيا الإغريقية و آلهة الإغريق بشكل شامل ونظمنا شجرة كبيرة تضمّ أقدم و أبعد الآلهة حتى الآلهة الجديدة ، وفي أساطير خلق الكون (الكوزموغوينا) بحثنا في أساطير آلهة الهيولى والكون و العناصر الأربعة . . وحاولنا فرز مسمياتها و إعطاء التفاصيل الخاصة بها ثم تناولنا أساطير آلهة الأولمب الآباء وهم (زوس وإخوته ، بوزيدون ، هاديس ، هيرا ، ديمتر) .ثم أساطير آلهة الأولمب الأبناء وهم (أبولون ، أرديس ، هيفايستوس ، هرمس ، ديونسيوس ، هرقل ، أثينا ، أرتميس ، أفروديت) .

و ناقشنا مفصلاً أساطير خلق الإنسان (الانثربوغونيا) والعصور الأربعة التي مرّ بها ومثولوجيا أدوار العالم والإنسان .

وفي الفصل الرابع تناولنا الطقوس الإغريقية وركزنا بصورة أساسية على الأعياد الدورية الخاصة بالآلهة و أهم مظاهرها ، ثم طقوس الموت . أما في الفصل الخامس فقد درسنا المكونات الثانوية لعقائد الإغريق وهي الشرائع الوضعية و الأخلاق و الأعراف .

لا شك في أن الصعوبات التي واجهتنا في هذا الكتاب كانت كثيرة ومنوعة وكان أهمها كيفية القيام بعرضٍ وتحليل جديدين لمعتقدات أشبعت بحثاً كالمعتقدات الإغريقية وقد اخترنا منطلقاً جديداً في ما يخص المعتقدات و الآلهة وتبويب الأساطير الخاصة بها ، فقد فرزنا ما اختلط منها وأوجدنا قاعدة لتناسل و تسلسل الآلهة تعتمد قانوناً خفيًا يسيطر عليها وهو قانون العناصر الأربعة الذي فسّر لنا الكثير من الغموض الخاص بالآلهة وأصولها .

نتمنى أن نكون قد قدّمنا رؤية جديدة ساعية نحو الشمول في كتابنا هذا الذي يقدّم المعتقدات الإغريقية بجذورها الشرقية ، آملين أن نقدّم في كتابنا القادم حول (المعتقدات الهيلنستية) النهايات الشرقية لهذا الدين ولتحولاته التي كانت مسرحاً عالمياً ظهرت عليه ، بعدئذٍ ، عقائد التوحيد ومساجلاتها الكبرى .

ومن الله التوفيق

الدكتور خزعل الماجدي
دكتوراه تاريخ قديم
جامعة درنة/قسم التاريخ
2002/8/7

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

(دراسة في التاريخ السياسي والحضاري لبلاد الإغريق)



أثينا المحاربة

« إن الفترة الواقعة بين مولد بركليس وموت أرسطو تعد بلا شك أهم فترة في تاريخ العالم كله، سواء نظرنا إليها من حيث هي ذاتها أو من حيث أثرها في مصائر الإنسان المتحضر من بعدها »

شيلي

تمهيد

تنتمي حضارة الإغريق ، بجذورها وثمارها ، إلى حضارة البحر المتوسط وتحديداً إلى حضارة بحر إيجه ، ويمكننا القول إن هذه الحضارة الإيجية كانت بؤرة تفاعل مؤثرات حضارية تنتمي إلى القارات الثلاث : آسيا و أفريقيا و أوروبا . فمن آسيا ظهرت مؤثرات حضارات غرب آسيا الرافدينية و الشامية التي صبت جذوتها في الحضارة الحثية وما قبلها والتي كانت جسر آسيا إلى بحر إيجه وخصوصاً عبر جزر الكيكليدس وجزيرة كريت ، ومن أفريقيا ظهرت الحضارة المصرية لتؤثر بوضوح في حضارة كريت ، ومن أوروبا ظهرت ثقافة حوض الطونة (حول نهر الطونة) لتكون عاملاً وافداً مع هجرات القبائل الإغريقية إلى اليونان وجزرها إضافة للحضارات الهيلاّدية المحلية في أرض اليونان .

لقد تنوعت طرائق تقسيم تاريخ الإغريق و اليونان بحسب مناهج البحث وطريقة النظر إلى هذه الحضارة ، ويمكننا إجمالاً وضع تسلسل تاريخي شامل يأخذ في الاعتبار الكثير من طرائق مناهج البحث ، وطرائق النظر هذه نبدأ بها بعصور ما قبل التاريخ التي تكاد تشمل في غالبيتها تاريخ أوروبا بأكمله وتبدأ خصوصيتها اليونانية مع العصر الحجري الحديث ، ثم سنتناول العصور التاريخية في بلاد اليونان معتمدين ، في كل ذلك ، على علم الآثار وتفسيماته الزمنية :

عصور ما قبل التاريخ

1 • العصر الحجري القديم (الباليوليت) 12.000-500.000 ق .م .

2 • العصر الحجري المتوسط (الميزوليت) 7.000-12.000 ق .م .

3 • العصر الحجري الحديث (النيوليت) 2.700-7.000 ق .م .

4 • العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت) 2.500-2.700 ق .م .

العصور التاريخية

1. **العصر البرونزي (2500-1200)**ق.م وقد ظهر في أربع مناطق من العالم لإيجي و هي :

أ. في كريت ، يسمى العصر المينوي (2400-1400) ق.م ويقسم إلى :

1. العصر المينوي القديم (2400-2100)ق.م .
2. العصر المينوي المتوسط (2100-1600)ق.م .
3. العصر المينوي الحديث (1600-1400) ق.م .

ب. في اليونان ويسمى العصر الهيلاّدي الذي يقسم إلى ثلاثة عصور :

1. العصر الهيلاّدي القديم (2500-1900) ق.م .
2. العصر الهيلاّدي المتوسط (1900-1550) ق.م .
3. العصر الهيلاّدي الحديث (1550-1150) ق.م .

ج. في الأرخبيل الإيجي وينحصر غالباً في الجزر الكيكليدية .

د. في طروادة (على الساحل الآسيوي لبحر إيجه شمالاً) ، يقسم إلى سبعة عصور :

1. طروادة الأولى (2600-2400) ق.م .
2. طروادة الثانية (2400-2200) ق.م .
3. طروادة الثالثة .
4. طروادة الرابعة .
5. طروادة الخامسة .
6. طروادة السادسة (1800-1300) ق.م .
7. طروادة السابعة (1300-1230) ق.م حيث حصلت حرب طروادة الشهيرة حوالى عام 1230 ق.م .

2 . **العصر الحديدي** (**1200-323**) ق .م وهو عصر الإغريق في بلاد اليونان وينقسم إلى :

أ . العصر الإغريقي المبكر (1200-750) ق .م .

ب . العصر الإغريقي الآرخي (العتيق) (750-480) ق .م .

ج . العصر الإغريقي الكلاسيكي (480-350) ق .م .

د . العصر الإغريقي المتأخر (350-323) ق .م .

3 . **العصر الهيلنستي** (**323-30**) ق .م وهو عصر امتزاج حضارة الإغريق مع حضارة الشرق ويتوزع ، بعد حروب خلفاء الاسكندر ، على ثلاث ممالك متزامنة :

أ . مرحلة حروب خلفاء الاسكندر المقدوني (323-281) ق .م .

ب . البطالمة (305-30) ق .م .

ج . السلوقيون (305-64) ق .م .

د . المقدونيون (323-146) ق .م .

المبحث الأول

عصور ما قبل التاريخ

لم تكن أوروبا ما قبل التاريخ وفجر التاريخ (أي ما يقرب من مليون سنة قبل التاريخ الميلادي) تشكل منطقة سكن بدائي . لقد جاءت الهجرات البشرية من أفريقيا الشمالية بخاصة ومن الشرق الأوسط ومن منطقة أوروبا الآسيوية مستخدمةً الظروف الطبيعية المحلية خير استخدام ومستغلة طرق الاتصال العريضة التي تخترق مجمل القارة .[1] وقد اعتدنا على تقسيم عصور ما قبل التاريخ إلى أربع مراحل كبرى هي :

1. العصر الحجري القديم (الباليوليت) :

وهو العصر الذي يقسم إلى ثلاث فترات هي (الباليوليت الأسفل ، الباليوليت الأوسط ، الباليوليت الأعلى) التي ظهرت فيها أنواع مختلفة من الإنسان هي على التوالي (الإنسان المنتصب القامة ، إنسان النياندرتال ، الإنسان العاقل) .

استعمل الإنسان الأدوات الحجرية الكبيرة كالفؤوس ثم استخدم الشظايا ثم النصال وكان الإنسان يعيش في العراء أو في الكهوف .

وبظهور إنسان النياندرتال في الباليوليت الأوسط شغلت الحضارة الموستيرية المنطقة لأوروبية الخالية من الجليد و التي تشكل جنوب أوروبا ومنها اليونان وفي حدود 40.000 ق .م بسط الإنسان العاقل نفوذه على كامل أوروبا ووصلت حضارته ذروتها مع الثقافة لمجدلينية التي كان من أهم مظاهرها رسومات الكهوف في فرنسا واسبانيا .

2. العصر الحجري المتوسط (الميزوليت):

وهو العصر الذي بدأ بذوبان جليد فرم في أوروبا وابتداء الفترة غير الجليدية الرابعة ، يسمى هذا العصر بعصر الأدوات الدقيقة (المايكروليت) التي سادت هذا العصر الذي قسم إلى ست ثقافات متتالية في أوروبا هي الأزيلية و الأستورية و التاردنوسية والرّنة الماجلموسية والأرتبولية و المقبضية .[2]

وتميزت هذه الثقافات فيما بينها بنوع الأدوات الحجرية الدقيقة التي استخدمت في كلٍّ احدة منها وبطريقة العيش بحيث كان الإنسان يلتجئ إلى الكهوف في الشتاء ، أما في صيف فكان يستخدم الأكواخ المصنوعة من الأخشاب و أغصان الأشجار .

3. العصر الحجري الحديث (النيوليت):

وهي مرحلة اكتشاف الزراعة التي بدأت في الشرق الأدنى ثم ظهور المستوطنات الزراعية وقد انتقل ذلك من طريق آسيا الصغرى إلى أوروبا حيث عرفت المرحلة النيوليتية السابقة للفخار في أوروبا في منطقة تساليا في اليونان ويلاحظ في هذا العصر ظهور الأكواخ المستديرة المبنية من الطوب النيء (اللبن) والمرتكز على قاعدة من الحجر و الأواني الفخارية الملونة وظهر النيوليت واضحاً في كريت وفي بلاد اليونان (تساليا) .

كريت : ظهرت آثار النيوليت في مدينتي كنوسوس وفايستوس تحت القصور المشهورة هناك ، فقد أمدتنا الحفريات ببقايا الأواني الفخارية الملونة بالرمادي والأحمر والمزخرفة أو الخالية من الزخارف ، كذلك عثر على أدوات زراعية من الحجر الرملي أو الجيري ، و هناك تماثيل صغيرة للإلهة الأم على شكل امرأة مترهلة الجسم وغالباً في وضع الجلوس ، وكان الفلاحون يرون فيها قوة لخصب الأرض والزرع ولذلك كانت محط تقديسهم ، ولا شك في أن هذه التماثيل انتقلت من الشرق الأدنى إلى كريت .

تساليا : وتقسم إلى مرحلتين الأولى ما قبل الفخار ظهرت في بلدة سيسكلو حيث استقر الفلاحون في أكواخ متواضعة مستديرة أو بيوت مستطيلة الشكل ولهم تماثيل للإلهة الأم كبيرة ، وحين استعملوا الفخار كان بسيطاً أبيض مطلياً بالأحمر و امتدت حضارتهم إلى وسط اليونان والبلوبونيز وأثيكا .[3]

أما المرحلة الثانية فقد انتشرت غرب وشرق تساليا وظهرت تماثيل الإلهة الأم الصغيرة والبسيطة ، وسكن الفلاحون في بيوت من طراز (الميغارون) التي هي عبارة عن بناء مستطيل ذي ردهةٍ أمامية وموقد في الوسط ، ،وكان فخارهم مطلياً بطلاء لامع يسمى البرنيق وعليه زخرفةٌ متعددة الألوان ، وبعضها حلزوني أو مزينٌ بالأشرطة الفخارية .[4]

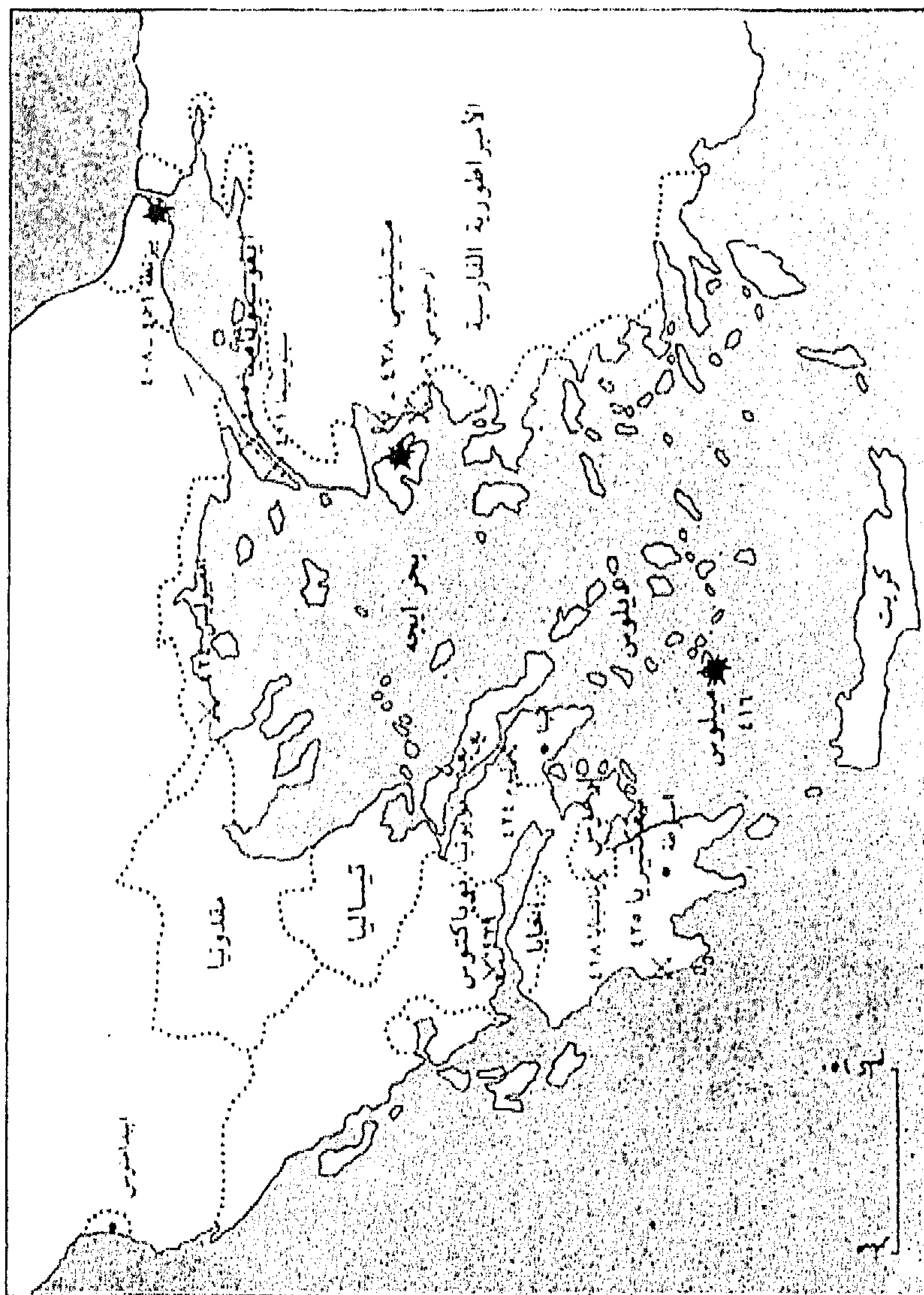
4. العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت):

اكتشف النحاس في الشرق الأدنى مبكراً و انتقلت عمليات تعدينه واستخلاصه من الخامات من بلاد الاناضول إلى أوروبا و استعارت عمليات انتشار النحاس الدروب التي

عليها الرعاة و المزارعون الأوائل . إن الطريق البحرية عبر بحر إيجه ، انطلاقاً من مدينة رواذة باتجاه جزيرة كريت و أرخبيل السيكلاد (الكيكلاد) و البلوبونيز مع محطة قبرص غنية بالمناجم المعدنية ، وقد حددت ولادة مصانع التعدين في جزيرة لسبوس ولمنوس عام 2700 ق .م .[5]

دان النحاس كسبيكة طبيعية يطرقُ و هو بارد ليكتسب صلابةً ويسبب ذلك تبلوره بكسبه حداً قاطعاً ماضياً . ومع هذا فإن النحاس كان بهذه الصورة لا يزال رخواً نسبياً ، وهو لم يساعد على تعميم استعماله ، ولذلك ظلت الأدوات الحجرية مستعملة بين الناس كانت تستعمل مع النحاس .[6]

وظهر استعمال النحاس واسعاً في جزر الكليكيدس .



خارطة (1) بلاد الإغريق في حدود 431ق.م إبان حرب البلوبونيز
(اليونان وكريت وجزر إيجه والساحل الآسيوي الغربي)

المبحث الثاني

العصر البرونزي 2500-1200 ق.م

بدأت العصور التاريخية في الشرق الأدنى ، وتحديداً في العراق القديم ، باختراع الكتابة في أوروك حوالى 32000 ق .م ، أما أوروبا فقد تأخر ظهور الكتابة فيها إلى حوالى 2000ق .م . حين ظهرت أولى أشكال الكتابة الصورية في كريت في العصر المينوي الأول ، لكنّ العصور التاريخية في أوروبا تبدأ مع اكتشاف البرونز واستعماله في جزر بحر إيجه والمتوسط وهي جزر الكليكيدس وكريت .

ومع ظهور البرونز انتقل الإنسان الأوروبي من الفلاحة إلى المدنية ، فقد بدأت المدن بالظهور و استطاع الإنسان أن يطوّر أدواته الزراعية والحياتية بسهولة .

إن الشيء الجوهري بالنسبة إلى مجتمعات عصر البرونز هو التنقيب عن المناجم (نحاس ، قصدير ، ذهب) وتصديرها على شكل سبائك غالباً جداً ، و أحيانا على صورة منتجات جاهزة ، وقد نشأت مجموعات كبيرة من البشر في أوروبا ، في هذا العصر ، تمثل الشعوب التاريخية مثل الجرمانيين والسلتيين والسلافيين(7) .

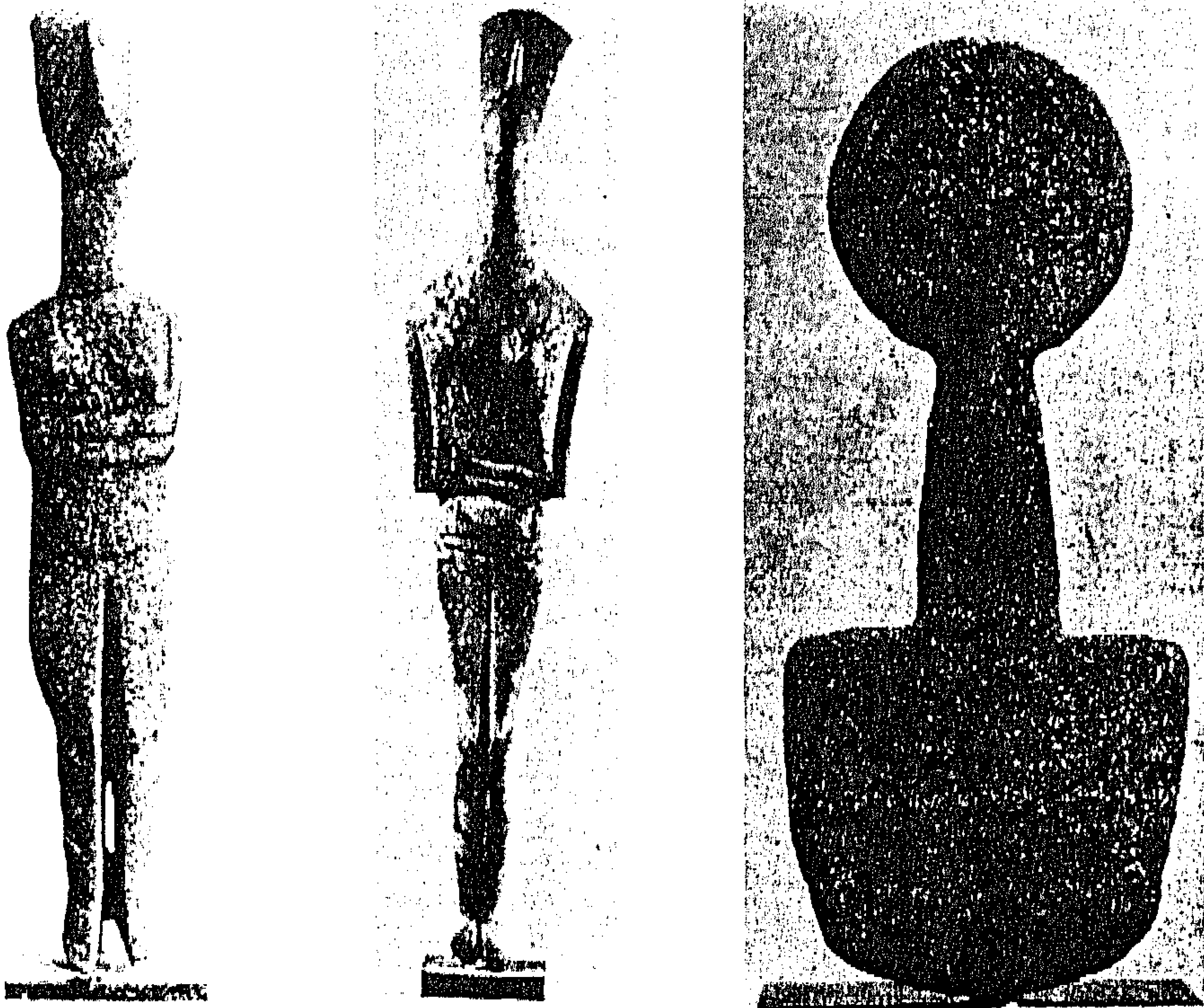
أما طلائع عصر البرونز فقد ظهر في جزر البحر الإيجي وتحديداً في جزر الكليكيدس .

أولاً: الحضارة السيكليدية (الكيكليدية):

كانت تجمعات الجزر الايجية في عصور ما قبل التاريخ تمتهن الزراعة والصيد والحرف البدائية حتى هاجرت أقوام من آسيا الصغرى باتجاه هذه الجزر في حدود 3000 ق .م وهي تحمل معها معدن النحاس . ولعلّ أهم هذه الجزر هي جزيرة كريت والجزر السيكليدية التي سُمِّيت الحضارة باسمها ، والجزر السيكليدية تنتشر في بحر إيجه على هيئة نصف دائرة حول جزيرة ديلوس الصغيرة (جزيرة الإله أبولو حيث ولد وحيث بني معبدهُ) وهذه الجزر هي :1 . ناكسوس الشهيرة بخمرها ورخامها 2 . باروس الشهيرة برخامها 3 . سيفنوس الغنية بمناجم الذهب والفضة 4 . خيوس .(8)

وفي حدود 2500 ق .م توصل بناة الحضارة الكيكليدية إلى استحداث معدن البرونز لذي كان خليطاً من النحاس والقصدير . . وبذلك بدأ العصر البرونزي الذي يسم العصور قبل الهيلينية ، ولعل أهم ما في الحضارة الكيكليدية على مستوى الدين والفن ظهور

عبادة الإلهة الأم التي ظهرت منحوتاتها الحجرية والرخامية بالأسلوب الهندسي ولذلك كانت جزر الأرخبيل الإيجي هذه ، الرحم الأول الذي انطلق منه الفن اليوناني ولعل أهم التماثيل الرخامية كانت تصوّر الإلهة الأم المعتنية بالخصوبة والتي تمثل الأرض في أغلبها ، فهناك تماثيل على شكل الكمان تصور الإلهة الأم بشكل هندسي حيث الرأس الدائري والعنق المخروطي والجذع المستطيل وهناك الرأس المثلث والعنق الاسطواني والصدر المربع والأطراف العمودية شكل (1) .



شكل (1) الإلهة الأم السيكيلدية (الكيكليدية) من العصر الحجري الحديث في جزر السيمليدس حوالى 2000ق.م : أ- على شكل الكمان ب،جـ على شكل هندسي

وفي كريت ظهرت التماثيل الصلصالية طبقاً للتقاليد الشعبية السائدة ، ولم نر القصور تسهم في إنتاج هذا النوع من التماثيل ، إذ إن الهدف الرئيسي من إنتاجها كان وضعها قرباناً في المحاريب . وما لبثت (الطرز الطبيعية) الرقيقة أن أعقبت طرز التحوير الهندسي ، غير أنها خلت من الإبداع الفني واقتصرت على صور النساء والجنود المؤمنين بربّة المحراب ،

فنرى تماثيل شبحية في غاية البساطة نحيلة الحضور لا تنطوي على قيمة تشكيلية هامة ، متغاضية عن البناء الواقعي للجسم ، مضيفةً بعض التفاصيل الطريفة مثل قبعات النساء[9] ،كما في الشكل (2) .



شكل (2) تمثال امرأة تلبسُ قبعةً

ثانياً: الحضارة المينوية (في كريت):

تسمى الحضارة المينوية نسبة إلى الملك (مينوس) ملك كنوسُّوس عاصمة كريت في حدود القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد ويقترن اسمه بأسطورة تجعلهُ ابن ، و أوروبا (انظر اسطورتهما في الفصل الثاني) .

لقد بدأت هذه الحضارة وكأنها امتداد لثقافات شرقية ترسخت قبلها في فينيقيا ومصر . وقد حفظت أسطورة ولادة مينوس ذكرى الصلات التي كانت موجودة بين العالم الكريتي وبلدان الشرق حيث تزوجت أوروبا بنت ملك صيدا وأخت قدموس ، الإله زوس بعد أن تقمص شكل الثور واختطفها وانطلق بها إلى كريت وأنجبا الملك مينوس .

إن لغة سكان كريت لم تكن من أصول هندو-أوروبية (آرية) الأمر الذي يعني أنهم لم من الشمال ، من حيث جاء ، فيما بعد ، الهيلينيون ولكنهم ينتمون إلى أرومة عرقية جداً ، ربما كانت تلك التي توزعت في جزر البحر المتوسط بكامله وفي بعض مناطق . (10)

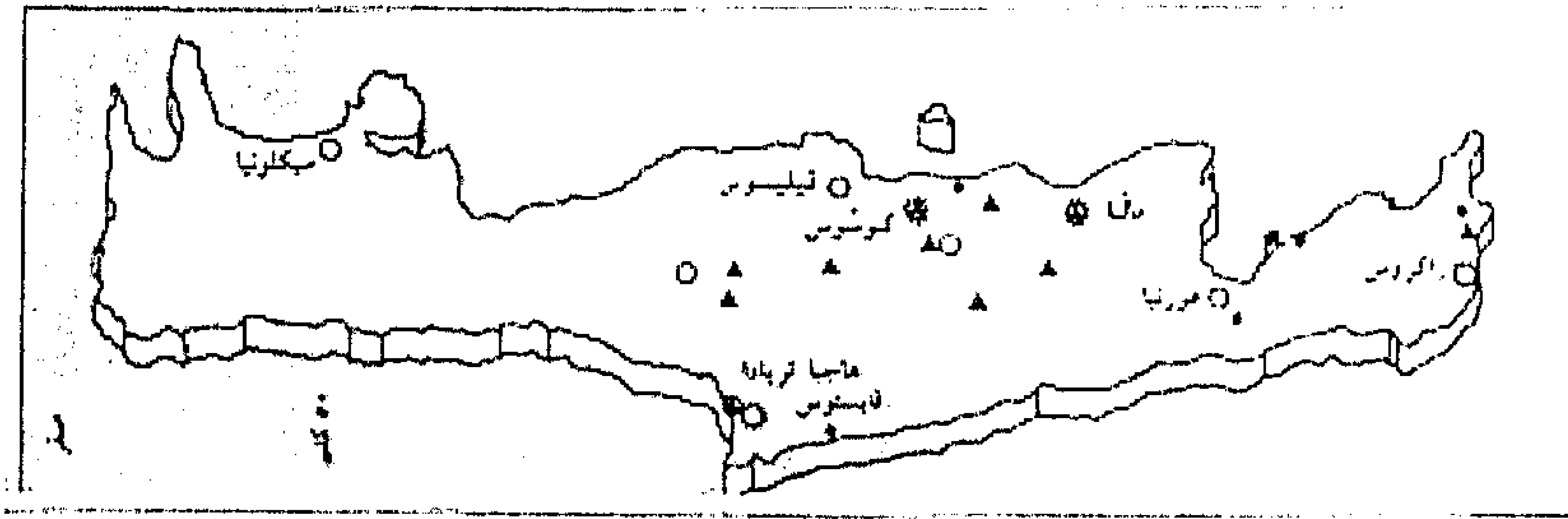
اتفق الباحثون على تقسيم الحضارة المينوية أو الكريتية إلى ثلاثة عصور يقسمُ كلٌّ منها بدوره إلى ثلاث مراحل وهي كما يلي :

1. العصر المينوي المبكر (2400-2100) ق.م .

2. العصر المينوي المتوسط (2100-1600) ق.م .

3. العصر المينوي الحديث (1600-1400) ق.م .

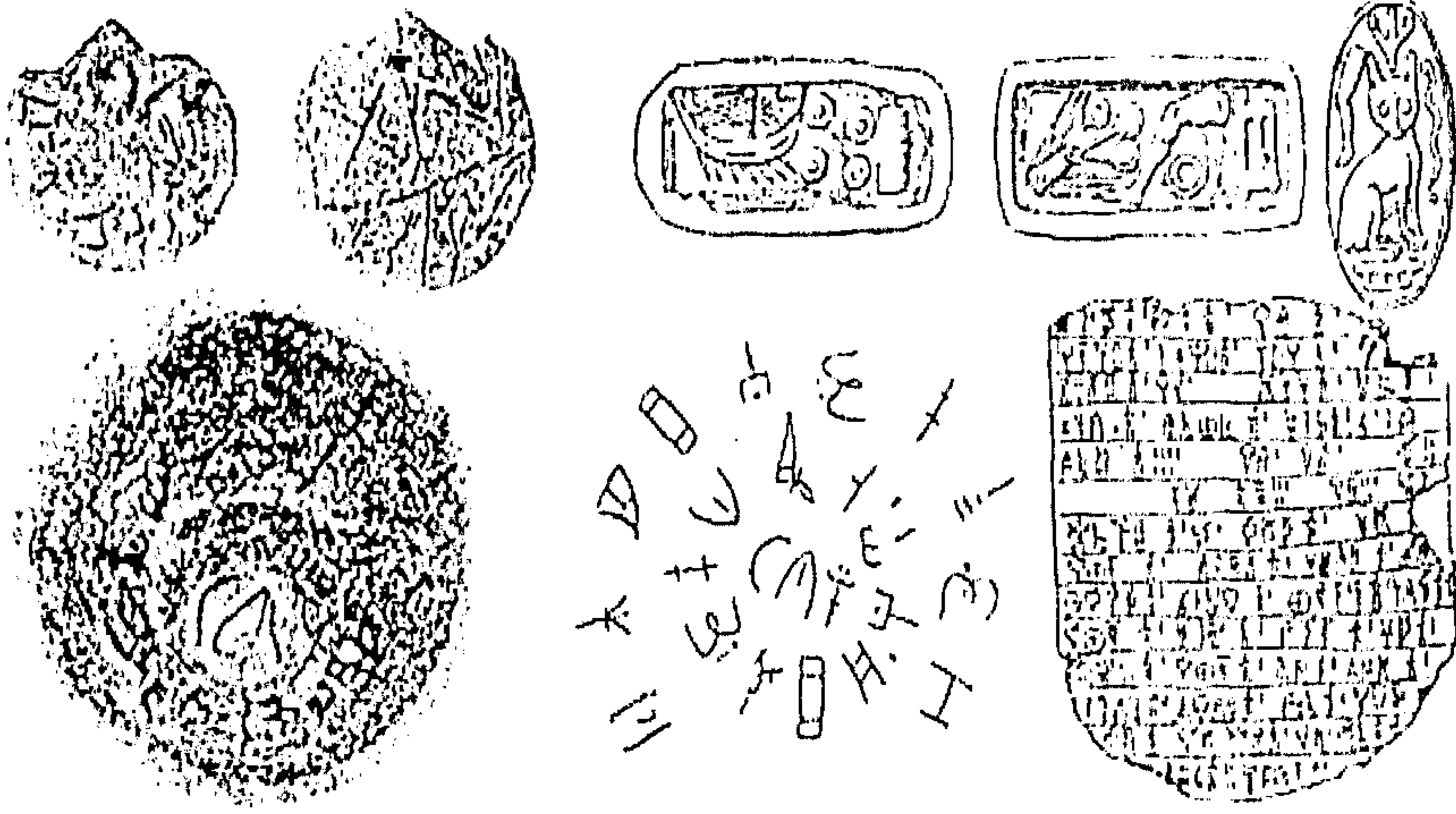
لم تكن الحضارة المينوية مقتصرة على گريت وحدها فقد وجدت في أماكن أخرى في جزر بحر إيجه أو على شواطئه وإن كانت لم تصل في هذه المناطق إلى مثل ما وصلت إليه في كريت من ازدهار . ومن بين هذه المناطق مدينة فيلاكوبي في جزيرة ميلوس (إحدى جزر مجموعة الكيكليدس) ومدن أخرى[11] .



خارطة (2) جزيرة كريت ومواقعها المينوية

أظهرت آثار القبور الدائرية التي عثر عليها في العصر المينوي المبكر أنهم كانوا على اتصال بالعالم الخارجي وقد أدى ذلك إلى قيام شبكةٍ واسعة تجارية عبر شرقي البحر المتوسط . وكان من أهم منجزات العصر المبكر تشكيلُ أسس الحضارة الأولى في فنون العمارة والتقدم الاجتماعي والاقتصادي . ولعل أبرز ما في هذه المرحلة هو ظهور الكتابة الگريتية التي بدأت بسطور قصيرة منقوشة على الأختام في گريت (شكل 3) .

كانت الكتابة الگريتية في بدايتها صورية بسيطة ثم تطورت في العهد المينوي المتوسط إلى رموز صورية كالتي تظهر على وجهي الخاتم المصنوع من حجر العقيق والخاتم المصنوع من الخرز ثم تطورت إلى نوعين من الكتابة الخطية (نوع أ) أحدهما يستعمله الگريتيون كافة وهو ممثل في الرقاع الفخارية المبينة في طرف الصورة الأيسر والآخر لا يستعمله إلاّ أهل كنوسوس وهو ممثل في جريدة النساء المبينة في طرف الصورة الأيمن من أسفل[12] .

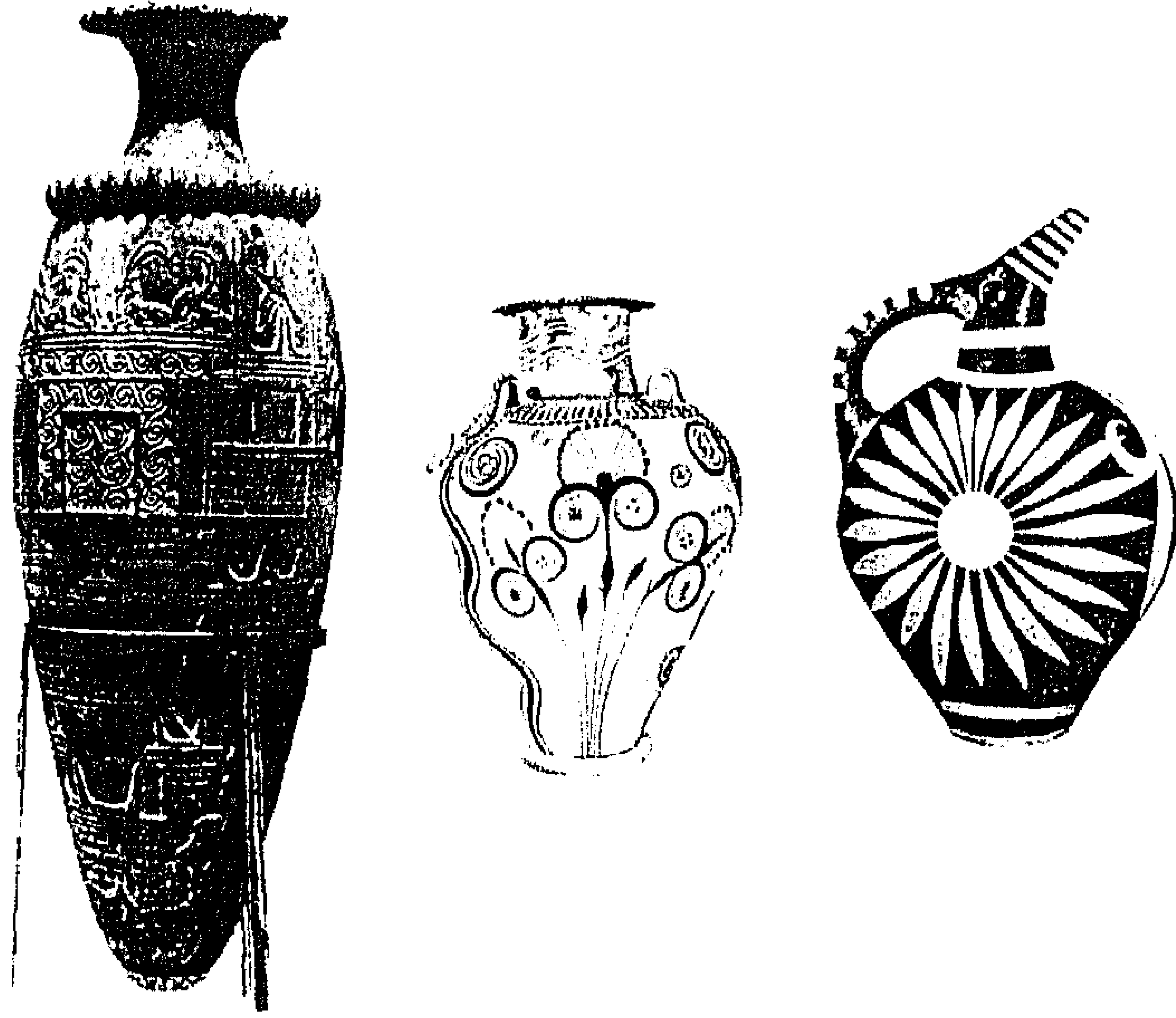


شكل (3) تطور الكتابة الكريتية : أ- اليسار والوسط: خطوط الكتابة البدائية، ب- اليمين: الكتابة الصورية المتطورة على خاتم عقيق

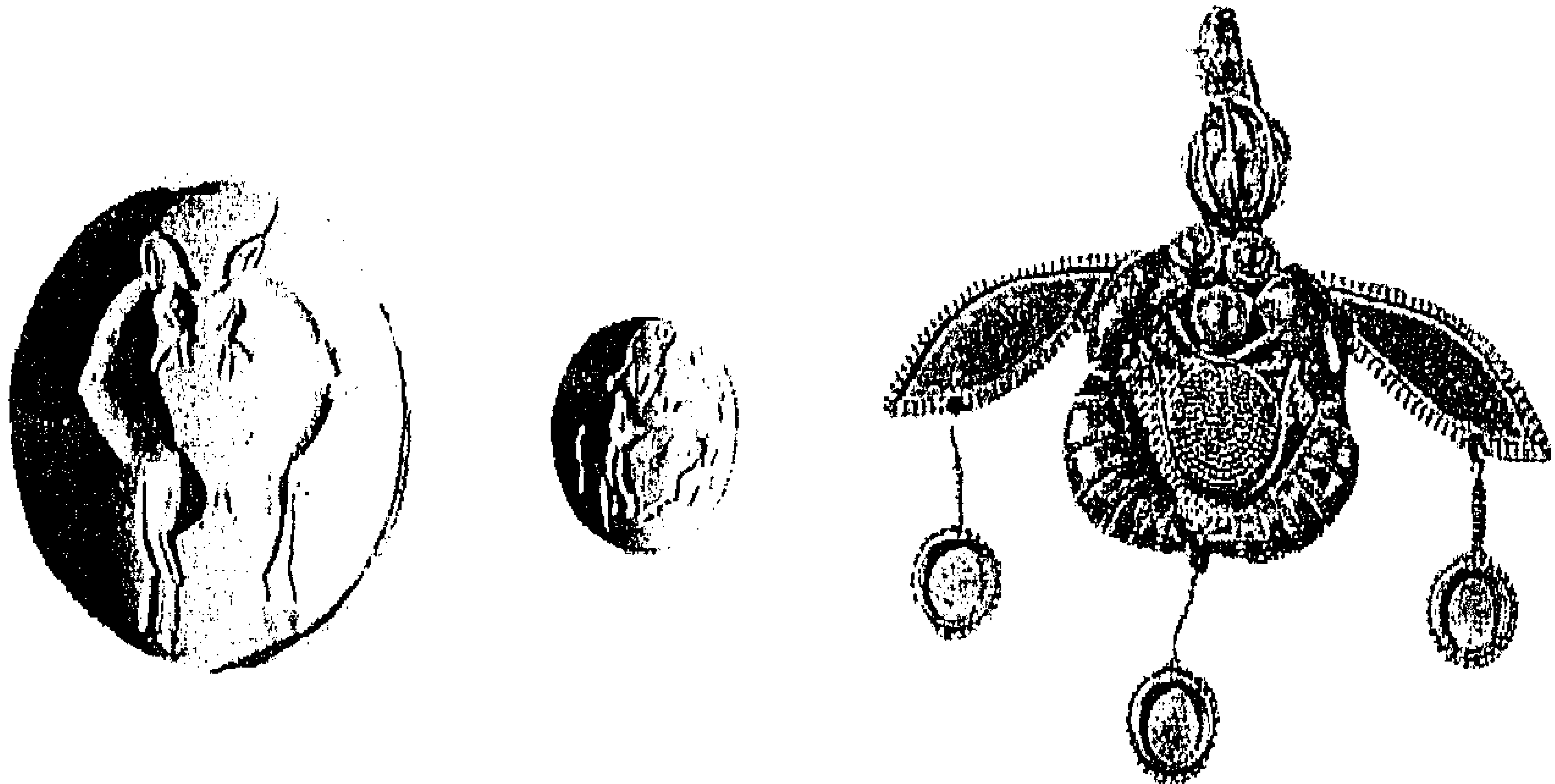
انتشرت مظاهر الحضارة المينوية في جميع أرجاء الجزيرة ولكنها اتضحت بشكل متميز في منطقتين هما : كنوسوس (knossos) التي تقع وسط الساحل الشمالي للجزيرة على التل الذي سمّيت المدينة باسمه ، ومدينة فايستوس (Faestos) التي تقع على مسافة بسيطة من وسط الساحل الجنوبي للجزيرة وفي حدود عام 2000 ق .م ظهر في كلٍّ من المدينتين قصر كبير وتطورت صناعة الخزف المزين بالألوان والمتميز تماماً (شكل 4) وكذلك تطورت صناعة الحلي وصناعة الخواتم (شكل 5) .

بلغت كريت ذروتها الحضارية في العصر المينوي المتوسط حيث ظهر الملك مينوس (الذي ربما يكون قد ظهر في العصر المبكر) ونرجّح أن كلمة (مينوس)كانت تدلّ على اسم الملك الكريتي بصورة عامة مثلما تدل كلمة (لوكال) على اسم الملك السومري وكلمة (فرعون) على اسم الملك المصري .

استطاع مينوس بفضل موقع كريت الذي يعدّ من أنسب المواقع للتجارة ، أن ينشىء امبراطورية مترامية الأطراف ، فسيطرت كريت بأسطولها القوي على منطقة بحر إيجه وقسم من أرض اليونان قبل حرب طروادة بألف عام ، وقضت على قراصنة البحر وفرضت الجزية

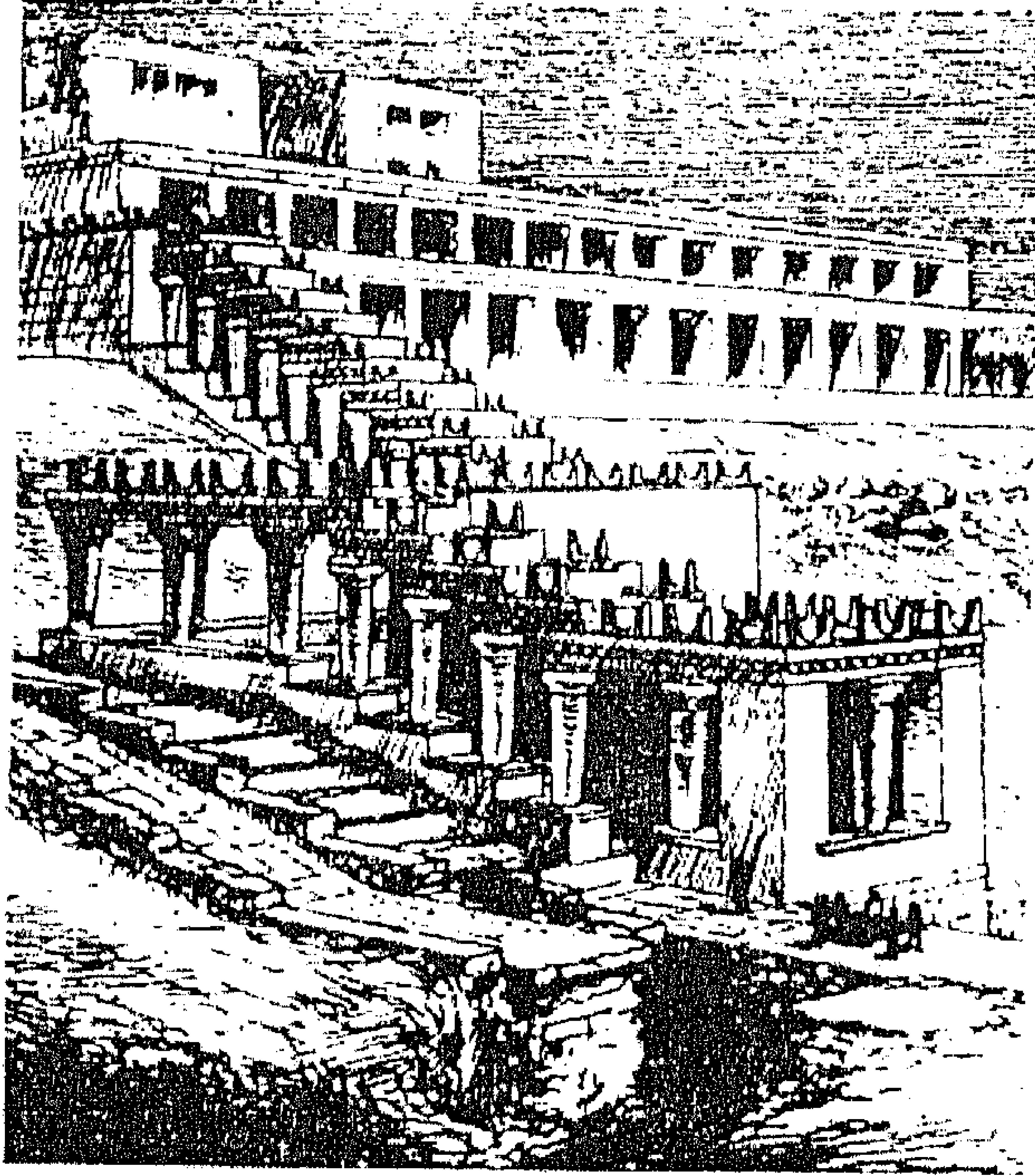


شكل (4) الأواني الكريتية : أواني كامارايس 1800ق.م، ب- آنية مطلية بالأحمر والأصفر ومزينة بزهور الزنبق، ج- جرة سكب السوائل على المذبح برسوم معبد وماعز



شكل (5) الحلي والخواتم الكريتية

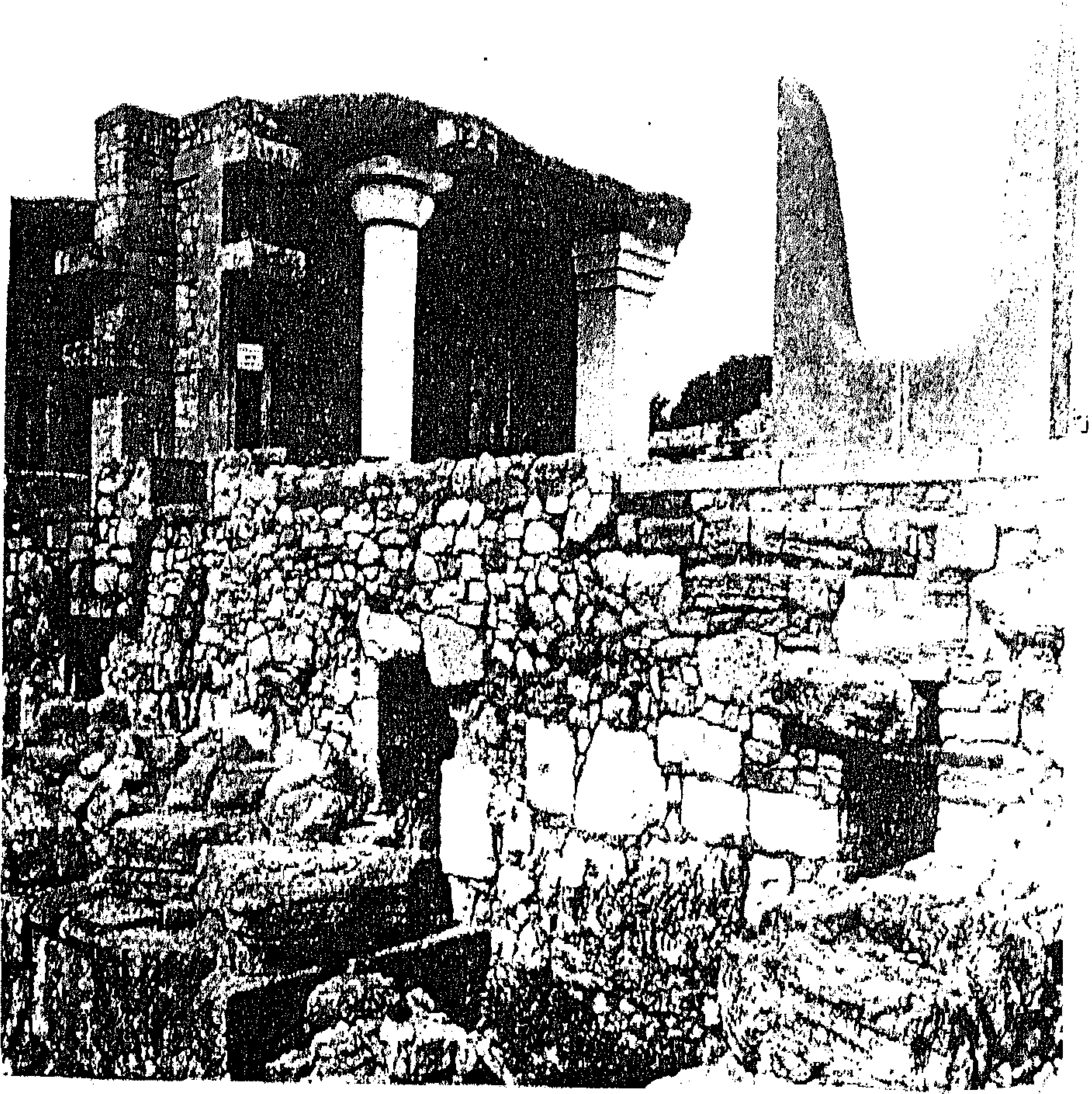
على الجزر المحيطة ، واستعان الملك في إخضاع رعاياه بما يستشعرونه من رهبة تجاه الآلهة واتخذ البلطة المزدوجة وزهرة الزنبق رمزاً لعرشه . وكان قصره الملكي مركزاً اقتصادياً هاماً بجانب وظيفته الإدارية ومكانته الدينية[13] (شكل 6) .



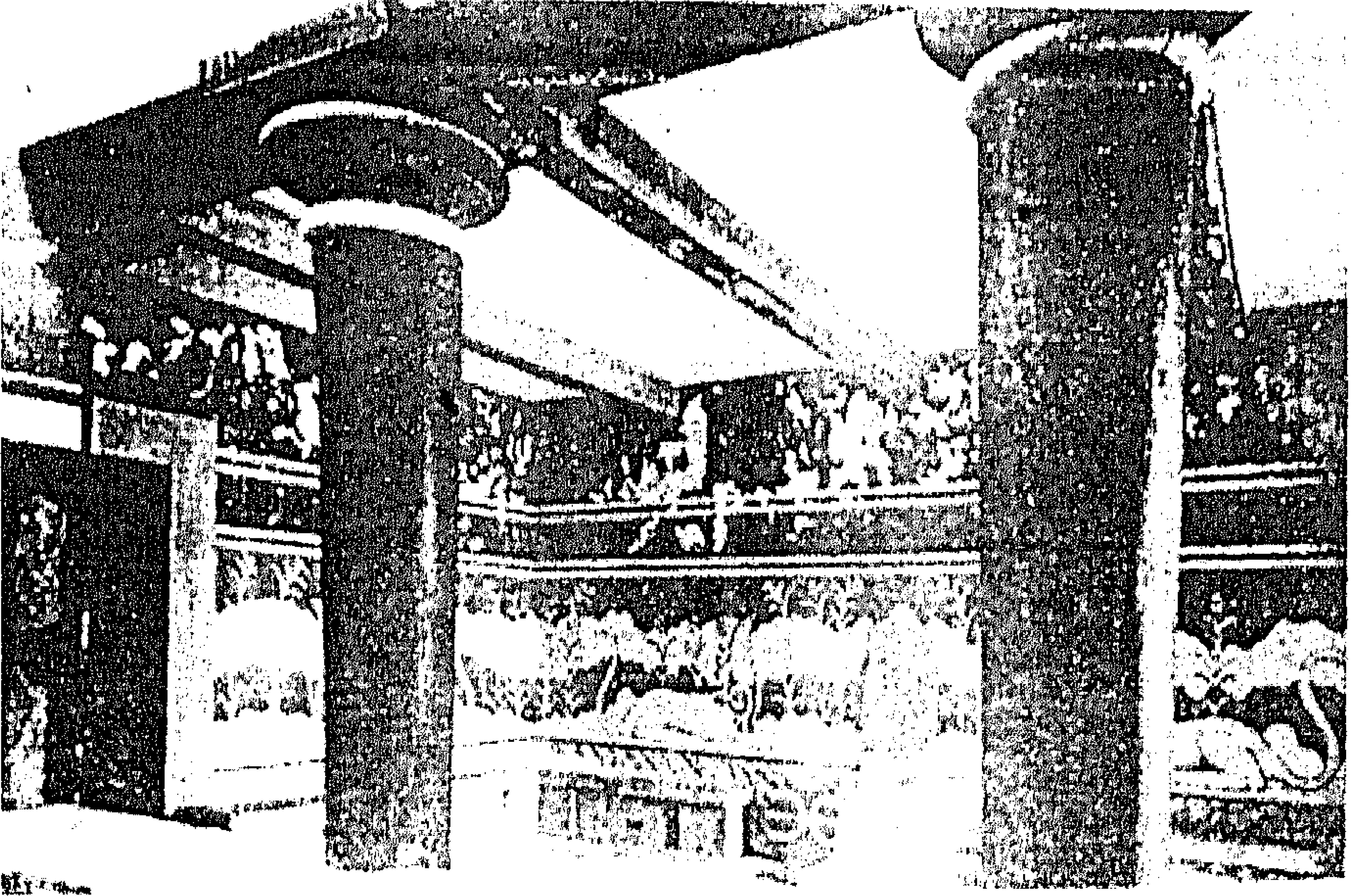
شكل (6) رسم تخيلي للمدخل الجنوبي لقصر كنوسوس

دمرت كنوسوس حوالى 1700 ق .م بزلزال عنيف عطّل حضارتها بعض الوقت لكنها عادت بزخم أكبر وازدهرت قصورها ببذخ أشد وهي القصور التي نشاهدها اليوم ، وكان قصر الملك مينوس في كنوسوس أهم المعالم العمرانية فقد تميز بطراز معماري متقدم من إنارة إلى وسائل لتصريف المياه وكان يحوي عدداً كبيراً من الغرف الصغيرة ذات السقف المنخفض وكانت الأعمدة التي ظهرت في الشرفات والدرجات من الخشب (شكل 7) ، كان المدخل الجنوبي للقصر يمتاز بالأبهة والعظمة حيث تحفّ به الأعمدة والدرجات على عدة مستويات . أما الواجهة الغربية للقصر فمطّلةٌ على الفناء الرئيسي ومكونة من طابقين ،

ويظهر على أطلاله القرنان المقدسان كناية عن الثور المقدس . وأهم ما يميز هذا القصر هو التصاوير الجدارية الباهرة التي تغطي جدرانه ،ومن أجمل جدارياته الملونة : الأمير الطاووس ومصارعة الثيران وأسماك كريت المقدسة المجنحة ومناظر النسوة المتشحات بثياب زرقاء وغيرها (شكل 8) (شكل 9) .



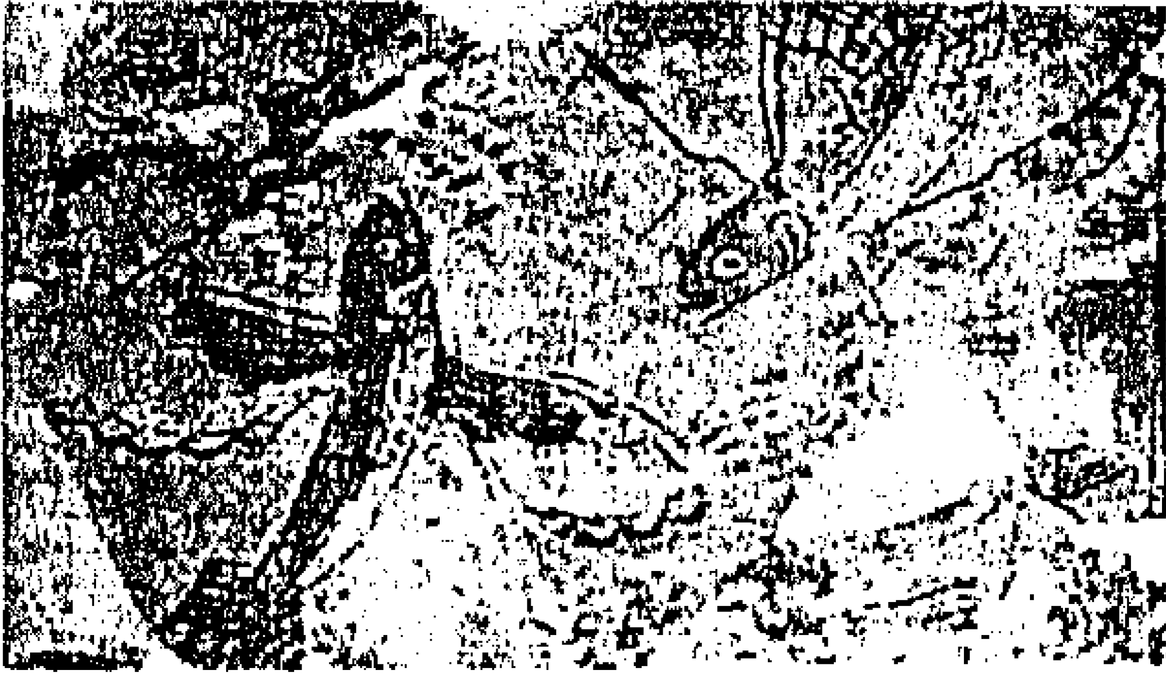
شكل (7) قصر كنوسوس: القرنان المقدسان للثور المقدس والأعمدة المينوية



شكل (8) قاعة البهو في قصر كنوسوس وتظهر فيها الأعمدة واللوحات الداخلية









شكل (9) اللوحات الجدارية الداخلية في قصر كنوسوس: 1- النسوة المتشحات بالازرق، 2- الأمير الطاووس، 3- طيور العجل المحلقة، 4- السمكة الطائرة

في العصر المينوي المتأخر بلغت الحضارة المينوية ذروتها حوالى 1500 ق .م وقد كثر الجدل حول نهاية هذه الحضارة العظيمة ،لكن الرواية الأكثر شيوعاً اليوم عن هذه النهاية ، وإن لم تكن هي الوحيدة ، تذهب إلى القول بأن انفجاراً مدمراً وقع في جزيرة ثيرا البركانية ، التي تبعد أكثر قليلاً من 100 كم عن ساحل كريت الشمالي ، ذلك حوالى عام 1450 ق .م ، فطمر رماده السام جزءاً كبيراً من كريت ، كما غمرت الباقي أمواج الصدمات الناجمة عن الانفجار و الامواج المدّية الكبيرة [14] .

وانحدرت الحضارة المينوية واحتفظت العاصمة كنوسوس ببعض مظاهر هذه الحضارة حتى جاء عام 1200 ق .م حين هجم الموكينيون (من بلاد اليونان) على جزيرة كريت وأجهزوا على حضارة كريت واستولوا على عناصرها ونقلوها إلى بلاد اليونان .

ثالثاً: الحضارة الهيلادية (في اليونان) :

الحضارة الهيلاّدية (نسبة إلى Hellas - ades أي اليونان) هي الحضارة التي ظهرت في أرض اليونان وليس في الجزر التابعة لها والموجودة في بحر إيجه (مثل الكليكيدس أو في البحر المتوسط مثل كريت) ويستغرق عصرها الفترة ما بين (2800-1200) ق .م .

وتصادف هذه الحضارة ما نسميه علمياً بالعصر البرونزي في بلاد اليونان ، وقد اتفق الآثاريون على تقسيم هذه الحضارة إلى ثلاث مراحل أساسية توازي الحضارة المينوية في كريت وكما يلي :

1 . العصر الهيلاّدي القديم (2800-1900 ق .م) حيثُ كان ا(لبيلاسجيون) سكان اليونان الأصليين .

2 . العصر الهيلاّدي الوسيط (1900-1550 ق .م) هجرات القبائل الإغريقية إلى اليونان .

3 . العصر الهيلاّدي الحديث (1550-1200 ق .م) ظهور حضارة موكناي ويقسم إلى :

أ . الفترة الهيلاّدية الحديثة الأولى (1550-1500ق .م) الموكيني المبكر .

ب . الفترة الهيلاّدية الحديثة الثانية (1500-1425 ق .م) الموكيني الحديث .

ج . الفترة الهيلاّدية الحديثة الثالثة (1425-1200ق .م) ذروة ونهاية الموكيني .

1. العصر الهيلاّدي القديم (البيلاسجيون):

كانت بلاد اليونان مسكونة بسكانها الأصليين من الفلاحين الذين شغلوا عصور ما قبل التاريخ القريبة وكان يطلق عليهم اسم (البيلاسجويين) وهي لفظة تعني (أهل البحر) ويرجع أصل هؤلاء إلى نفس المجموعة الآسيوية التي كان سكان الجزر الإيجية المعاصرون لهم ينتمون إليها .

انتقلت عناصر الحضارة الكيكليدية والمينوية ، وخصوصاً استعمال معدن البرونز ، إلى البيلاسجويين فظهرت طلائع الحضارة في بلاد اليونان وبدأ العصر البرونزي الذي ترك آثاره الواضحة على انتعاش التجارة التي أخذت تحل محل الاقتصاد المقتصر على الحبوب وحدها .

في حدود 2500 ق .م كانت هناك قصور ملكية ولعل أشهرها هو (دار الآجر) في ليرنا والواقع في سهول أرغوس .

وفي حدود 2200 ق .م دمّر ليرنا وسواها من المستوطنات المعاصرة لها غزاة قادمون من الشمال الشرقي هم طلائع القبائل الإغريقيةالتي غزت بلاد اليونان والتي تتكون من الآخيين والتساليين والبويوتيين والإيونيين والإيليين ثم الدوريين . لكن الآخيين هم الذين صبغوا العصر البرونزي بحضارتهم .

2. العصر الهيلاّدي الوسيط (الآخيون):

وهو العصر الذي ابتدأ باختلاف البلاسجيين مع أول موجات الهجرات الإغريقية (الهيلينية) التي هبطت على بلاد اليونان من الشمال والشمال الشرقي ثم سادت القبائل الهيلينية الآخية .

فهو عصر الآخيين الذين هم أقدم الأقوام الإغريقية (الهيلينية) و الذين كان يسميهم هوميروس أحياناً بـ(الأرجيين نسبة إلى مدينة أرجوس) لكنّ الآخيين هو الاسم الشائع عنهم وكانت أكبر مناطق انتشارهم في مدن البلوبونيز .

وقد تأثر الآخيون بالمينويين من طريق الاتصال بكريت ورغم ذلك ظهرت الأواني الآخية الخاصة المصنوعة من الفخار المنواسي (الصابوني) وهو فخار ناعم الملمس وظهرت منازل الميغارون ، أما المقابر فقد ظهر منها نوعان هما الناووسية (الصندوقية) والبئرية

(العمودية) وكانت هذه المقابر منتشرة في مدينة موكناي واحتوت على الحيّ المصنوعة من الذهب أو من مزيج الذهب والفضة وعلى أسلحة برونزية وخناجر ذات مقابض ذهبية وعاجية وأدوات من البلور الصخري والقاشاني وخصوصاً الأقنعة الذهبية ومنها القناع الذهبي الذي عثر عليه شليمان عام 1876 في القبر النفقي الخامس[15] . (شكل 10) .

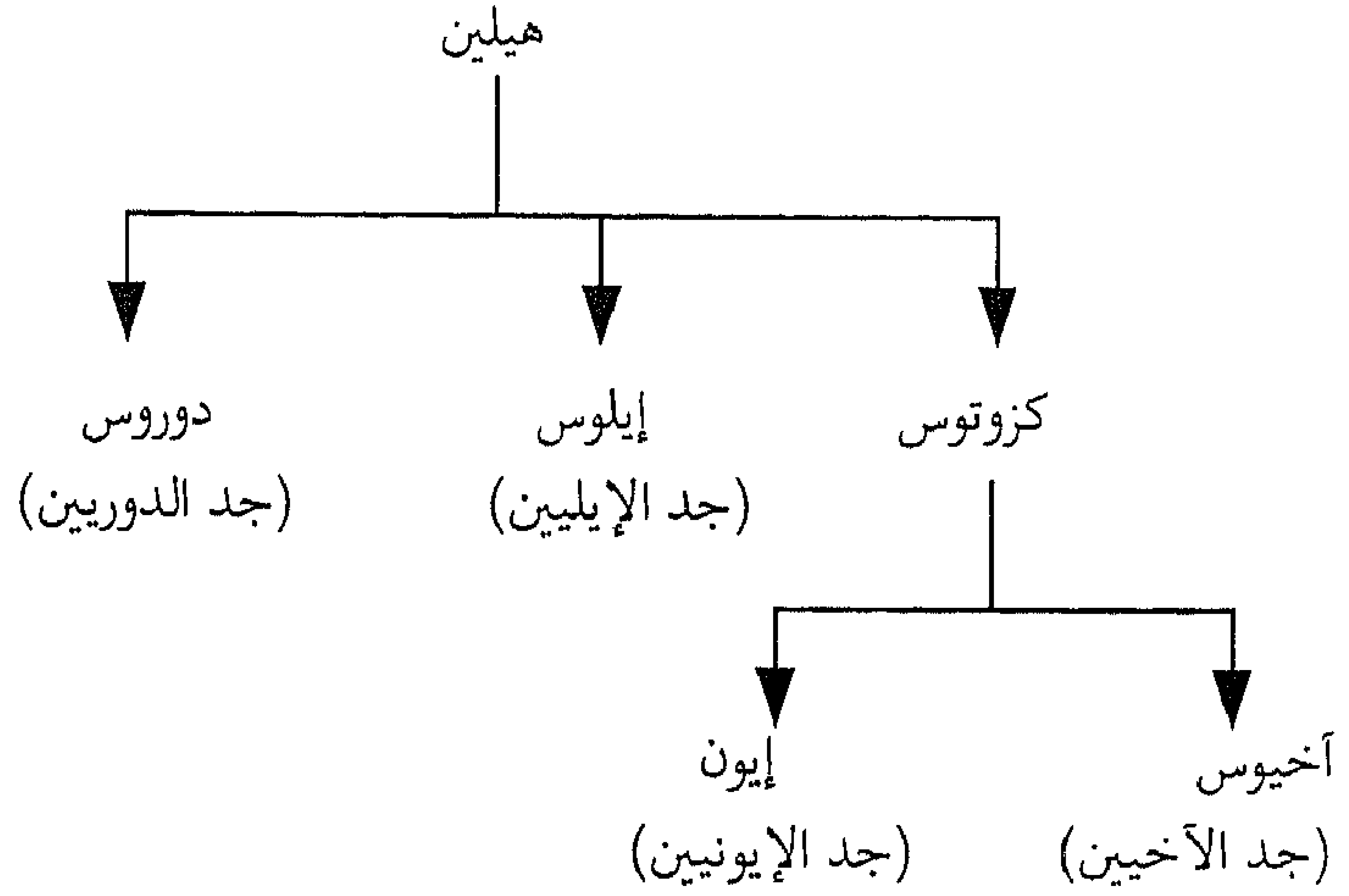


شكل (10) القناع الذهبي لشخص من موكناي حوالى عام 1550 ق.م

يشكل الآخيون الجزء الأكبر من الموجة الآرية الكبرى النازلة إلى بلاد اليونان وجاءت معهم وبعدهم مجموعات أصغر هم التساليون وهم موجة صغيرة عبروا جبال بندوس واستولوا على تساليا السهلية واستعبدوا سكانها الذين صاروا يعرفون باسم (بنستاي -pen staes) .

وكذلك البويوتيون الذين عبروا جبال بويوم في أبيروس ونزلوا إلى (بويوتيا) وشاركوا أهل هذا الإقليم السكن والحكم .

أما من الناحية الأسطورية فيعتقد أن الجد الأسطوري للإغريق يسمى (هيلين) الذي أنجب ثلاثة أبناء هم (دوروس ، أيلوس ، كزوتوس) ويظهر هيلين هذا بعد الطوفان شبيهاً بشخصية نوح وأبنائه الثلاثة ويتكون نسلهم على الصورة الآتية :

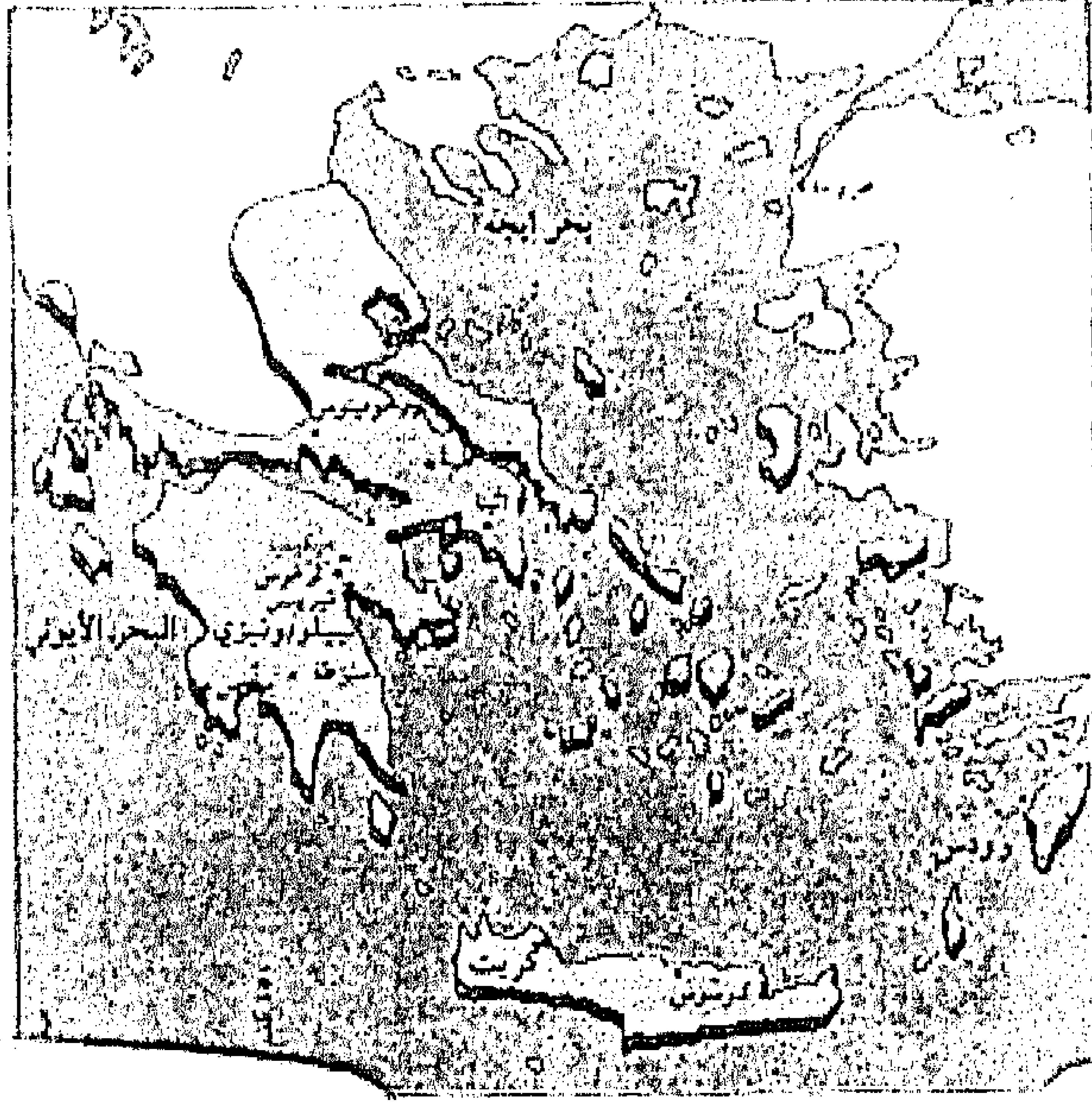


أما مصطلح الاغريق (Graeci) فهو اسم أطلقه الرومان لاحقاً على مجموعة صغيرة من الوافدين من بلاد اليونان (وتحديداً من شرق إقليم بويوتا) وساهموا مع غيرهم في تأسيس مدينة كوماي (على الساحل الغربي لإيطاليا) وهي من أقدم المستعمرات اليونانية هناك (حوالى 750 ق .م) ثم أطلق اسم إغريق على كل سكان هذه المستعمرة ثم أطلق على كل سكان بلاد اليونان .

3. العصر الهيلاّدي الحديث (الموكينيون)(أسرتا برسيوس وبيلوبس) :

يسمى العصر الهيلاّدي الحديث الذي استمر لمدة (400) سنة بعصر الحضارة الموكينية ، وتشكل فترته الأولى والثانية المرحلة المبكرة لها ، أما الفترة الثالثة فهي ذروة الحضارة ثم نهايتها .

وقد تركزت الحضارة الهيلاّدية في موكناي منذ العصر الهيلادي الوسيط لكنها ظهرت بشكل واسع في العصر الهيلادي الحديث حيث انتشرت هذه الحضارة في بلاد اليونان كلها ثم تعدته إلى جزر البحر الإيجي وسواحل آسيا الصغرى الإيجية (خارطة 3) .



خارطة (3) نفوذ موكناي في بلاد اليونان وإيجه والساحل الآسيوي (الخامات المظللة بالأسود)

وهناك مدرستان في تفسير ظهور الحضارة الموكينية في مراحلها الأولى (1500-1600)ق .م الأولى ترى أن مدينة موكناي اليونانية التي يقطنها الإغريق الآخيون قامت بشن غارات على كريت في بداية القرن السادس عشر ق .م ونجحت في الاستيلاء على مراكزها ، وهو رأي ضعيف لا تسنده الأدلة الآثارية رغم شيوعه بين المؤرخين .

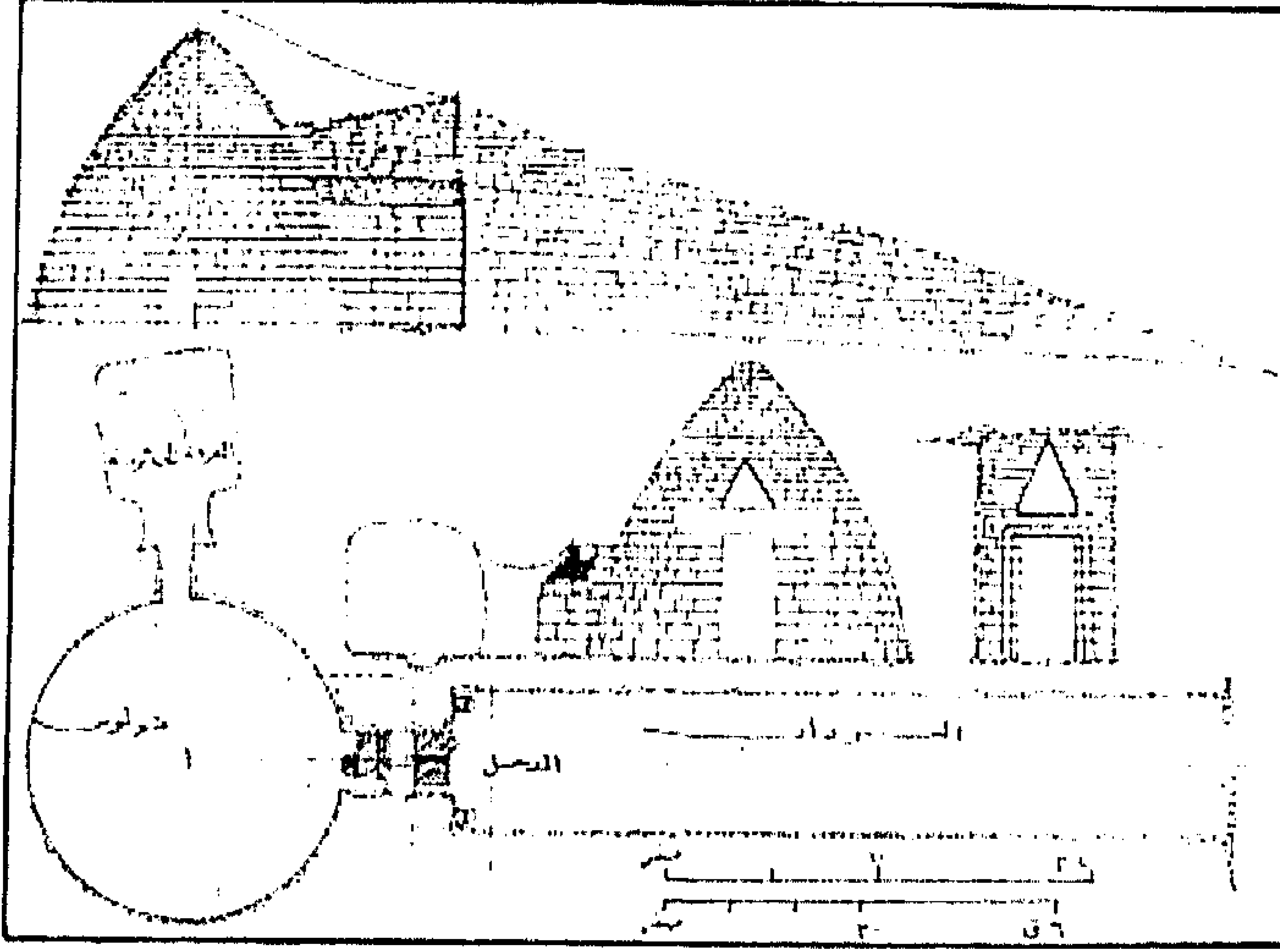
أما المدرسة الثانية التي يقودها المؤرخ ماريناتوس فتقول بأن تأثير مصر في نهوض حضارة موكيناي كان هو الأساس في ذلك «وأن مصر لا بد من أن تكون هذا المصدر لنمو هذه الحضارة ، فكمية الذهب التي صنعت منها الأقنعة الذهبية التي اكتشفت بالمقابر الموكينية أتت من مصر . فمصر كانت الأرض الوحيدة التي تمتلك الذهب وكان الملوك في أنحاء العالم القديم يطلبون الذهب التي صنعت منها الأقنعة من مصر ، وبفضل هذا الرأي الجريء بدأت من جديد ، الدراسة التفصيلية لمحتويات هذه المقابر ومقارنتها بالفنون المصرية ومتابعة الظروف التي حدثت فيها هذه التأثيرات المصرية»[16] ولهذا السبب أطلق هوميروس عليها

اسم (موكيناي الذهبية) فقد عثر الحفري الشهير شليمان على الأقنعة والحلي والزخارف المصنوعة من الذهب في مقابر موكناي الملكية .

ونحنُ نرجّح وجود التأثيرين الكريتي والمصري على الحضارة الموكينية في نشأتها وتطورها . ظهرت بوادر هذه الحضارة في مدينة ميكيني Mykenae في القسم الشمالي الشرقي من جزيرة البلوبونيز وهي مدينة مرتفعة الموقع وتطلّ على سهل أرجوس ويظهر النشاط الحضاري فيها في فترة مبكرة من العصر البرونزي حيث تظهر آثار القصر الملكي والمقابر الملكية فيها التي تشير محتوياتها إلى التأثر الواضح بالحضارة الكريتية والذي يتزامن مع ظهور الأثر الحضاري الكريتي في بلاد اليونان كلها مما يرجّح ظهور سيطرة كريت على بلاد اليونان أو انتقال الحرفيين الكريتيين إلى بلاد اليونان على أثر الزلزال الذي دمّر كنوسوس عام 1700 ق .م وهكذا نمت موكيناي وحضارتها لتصبح العلامة المميزة لحضارة اليونان في العصر البرونزي في حين بدأت الحضارة الكريتية بالأفول شيئاً فشيئاً ، وكانت حركة التجارة والصناعة والإدارة في موكيناي ترتفع تدريجياً وتأخذ من كريت ما ينفعها واستطاع الموكينيون أن يطورّوا الكتابة الخطية المينوية (نوع أ) ليطوعوها ويستعملوها لكتابة لغتهم اليونانية ونتج من ذلك الكتاب الخطية (نوع ب) .

كان الكريتيون تجاراً وفلاحين بينما كان الموكينيون بحارةً ومقاتلين ، وانتشرت الحضارة الموكينية في كل بلاد اليونان وفي بحر إيجه ووصلت حتى الشواطئ السورية وبلاد الحثيين وقبرص .

ضاهت العمارة الموكينية نظيرتها الكريتية واستعان الموكينيون بكتل حجرية ضخمة في تشييد عمائرهم ، كما قاموا بتحصين مدنهم وقد عثر على أطلال قلعة موكيناي بالقرب من خليج كورنث تنتصب فيها بوابة السباع الشهيرة (انظر الشكل 13)كما عثر على قبور ملكية تتميز بعمارة متقدمة وكانت إما بئرية على شكل آبار داخل الأرض يدفن فيها الملوك بصحبة أسلحتهم وحليّهم الذهبية والفضية والعاجية وإما دائرية فوق سطح الأرض تسمى (الثولوس) أو خلايا النحل منها قبر أتريوس الذي يبدأ ببوابة ضخمة ثم سرداب طويل ثم غرفة دائرية ذات قبة كبيرة (شكل11) .



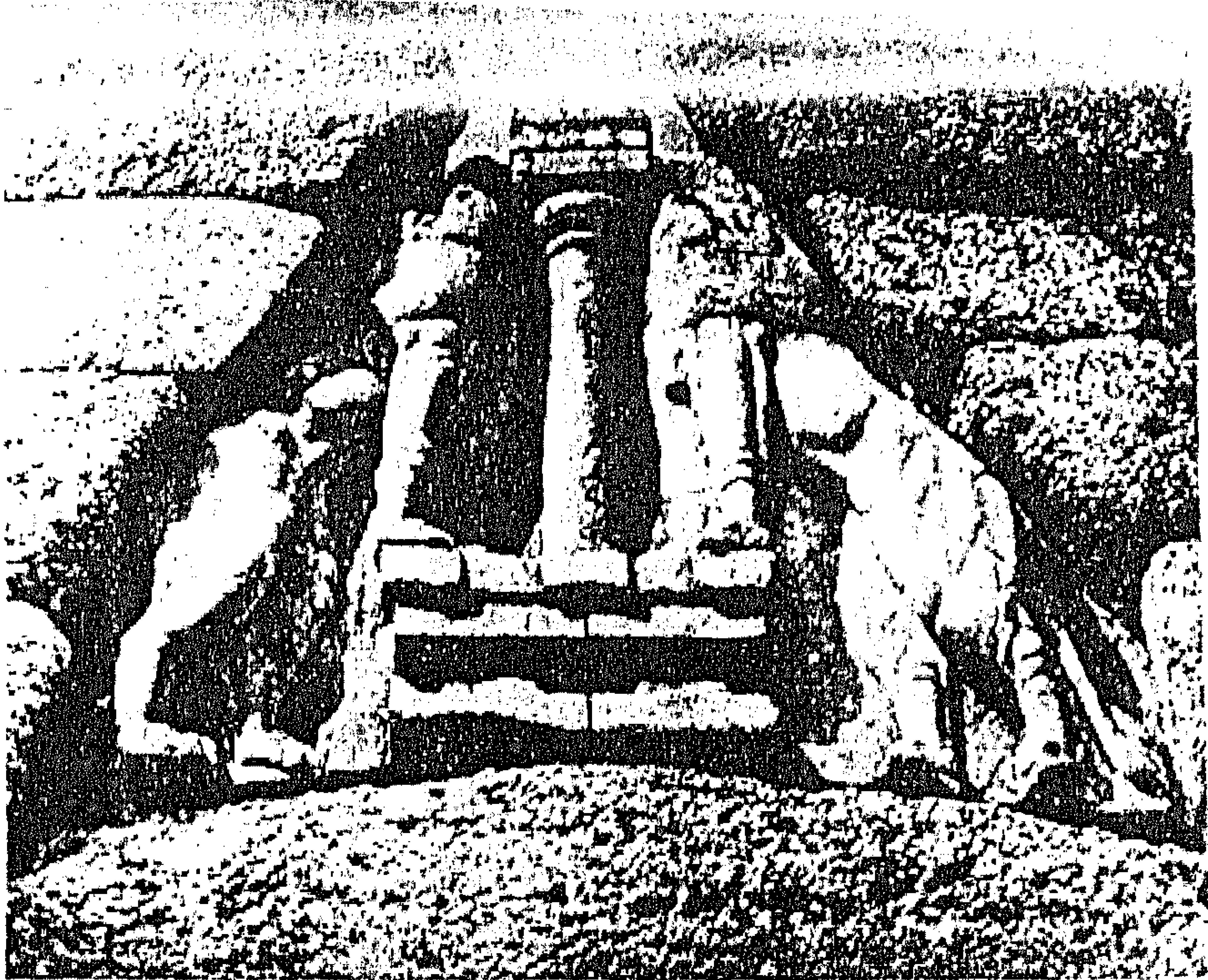
شكل (11)
مقطع
عرضي لمقابر
خلايا النحل
(الثولوس)

واشتهرت اللوحات الموكينية على جدران القصور حيث ظهر فيها الفرسان وسوّاس الخيل والمركبات وصور النساء اللائي يشتركن في جولات الصيد ولوحة حاملة الوعاء العاجي (شكل 12) .



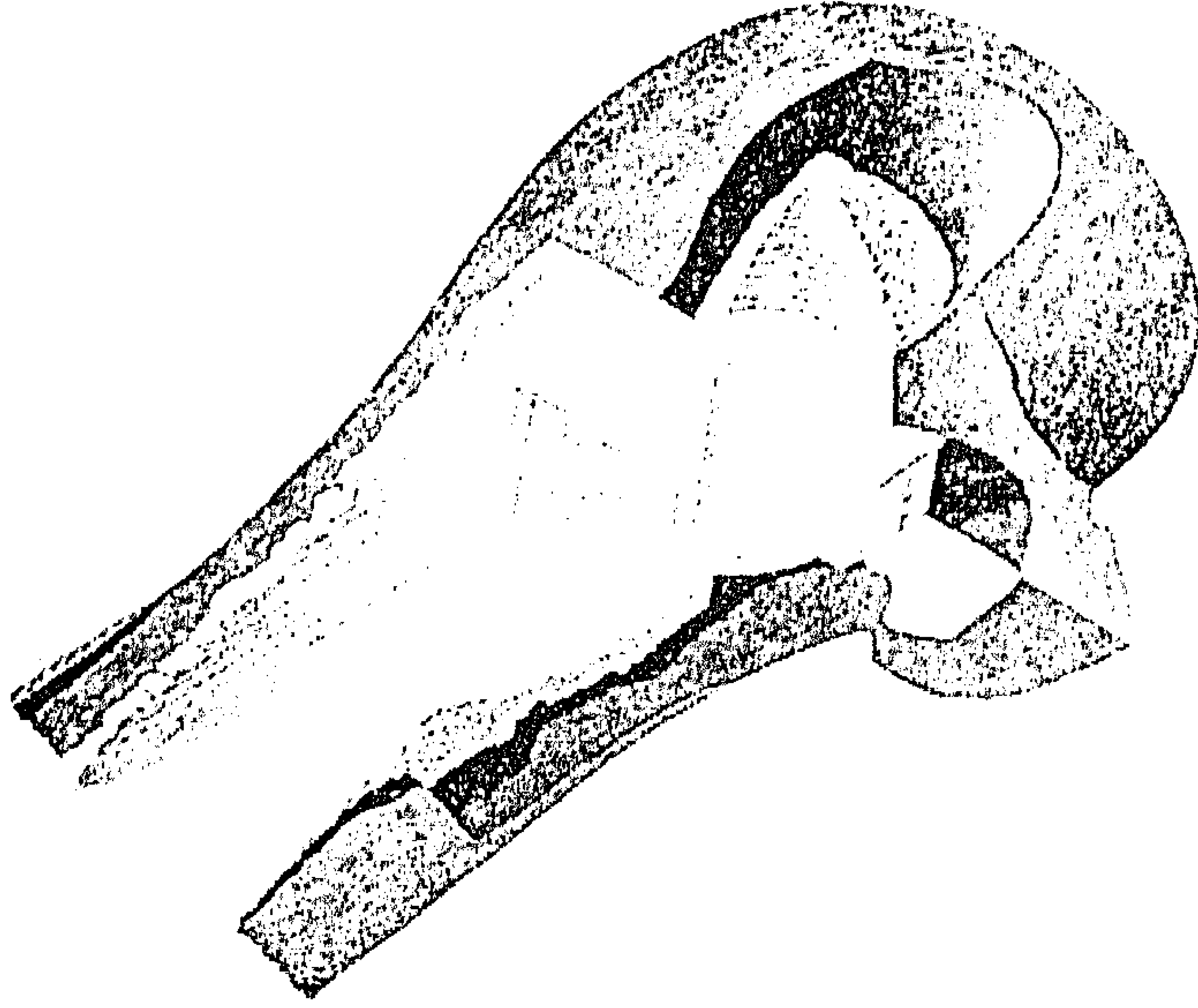
شكل (12)
حاملة الوعاء العاجي

ولعل من أشهر الآثار المعمارية لموكينا تلك القصور الكبيرة في موكيناي و تيرينس وبيلوس التي تشبه قصر كنوسوس في بعض مظاهره ، وقلعة تيرنس التي تروي الأخبار أن كائنات متوحشة من ذوات العين الواحدة هي التي بنتها دلالة على عظمتها ، وسور موكيناي المشهور ببوابته (بوابة اللبوتين) شكل(13) .



شكل (13) بوابة اللبوتين في سور موكيناي

ولعل أشهر القبور النفقية (الثولوس) في موكيناي قبر (أتريوس) الذي عثر فيه على خزانة مليئة بالذهب (شكل 14) الذي يعود إلى حوالى 1320 ق .م حيث يؤدي ممر ذو جدران إلى بوابة ضخمة جداً واقعة في التل ثم الحجرة المستديرة التي تغطيها قبة مزخرفة واشتهرت الأواني الفخارية حيث ظهر الطراز الموكيني الدولي (كويني Koine) والصناعات الخزفية مثل القدور و المصابيح والكؤوس الفاخرة وأدوات البناء .



شكل (14) قبر أتريوس

أبطال وملوك موكيناي

تحدثنا ملحمة الإلياذة عن أبطال وملوك موكيناي الذين ظهروا في بلاد الإغريق في العصر البرونزي رغم أن مؤلفها الشاعر هوميروس ينتمي إلى النصف الأول من العصر الحديدي ، ففي موكينا ظهر جيلان من الأبطال والملوك قدّر لهم أن يلعبوا أعظم أحداث العصر وأكثرها شهرة .

الجيل الأول منهم ظهر في أرجوس وينحدر من دناؤوس (في حدود 1500 ق .م) وهو ملك مصري الأصل وربما كان أحد أمراء الهكسوس الذين فروا من مصر بعد طرد الهكسوس منها (أي إنه آموري الأصل) حيث جاء من مصر إلى بلاد الإغريق وحلّ في أرجوس وأصبح ملكاً عليها ، وتقول الأخبار إنه كان قد هرب مع بناته الخمسين من أخيه إيجتوس الذي كان له خمسون ولداً ، وتقول الأسطورة التاريخية أن هؤلاء الأبناء الخمسين رحلوا إلى بلاد الإغريق وطالبوا بالزواج من بنات عمهم ولكن أباهنّ دناؤوس أوعز إليهنّ بقتل كلّ واحد منهم أثناء ليلة الزفاف الجماعية ، وهكذا قُتل الأبناء جميعاً ما عدا واحد منهم تزوج

الابنة ثم قتل عمه دناؤوس وارتقى العرش مكانه في أرجوس وظلت سلالته تحكم أرجوس كلها ، أما البطل الثاني فهو من سلالة دناؤوس و ابنته ويعتبر مؤسس موكيناي وكان قد نفي من أرجوس لأسباب سياسية لكنه عاد بعد ذلك وأسس مدينة (موكيناي) التي أصبحت عاصمة لكلٍّ أرجوس والبطل الثالث هو هيراكليس (هرقل) وهو من سلالة برسيوس ويتحدّر اسطورياً من نسل إلهي فهو ابن زوس من امرأة بشرية ولذلك يعتبر نصف إله وسنتحدث عنه بالتفصيل .

الجيل الثاني منهم من ظهر في البلوبونيز حيث انتقل الحكم من أسرة برسيوس إلى أسرة بيلوبس ، وكان الجد الأسطوري لهذه الأسرة هو (بيلوبس) الذي جاء من آسيا الصغرى وتزوج من ابنة ملك إيليس بعد مباراة للسباق فاز فيها بحيلةٍ ثم أصبح هو ملك إيليس وما حولها ، ويعتقد أن شبه جزيرة البلوبونيز سميت على اسمه .وحكم بعده في موناي ابنه (أتريوس) صاحب الكنز المشهور والذي أنجب ولدين حكم الكبير موكينا وكان اسمه (أجاممنون) والآخر حكم إسبرطة واسمه (منلاوس) وهذان هما قادة حرب طروادة من جهة الإغريق اليونانيين وكان أبناء وأحفاد عائلة (هيراكليس) قد دُحروا من قبل أبطال وملوك البلوبونيز وهكذا ارتبط انتقال الحكم في موكيناي من يد أسرة برسيوس إلى أسرة بيلوس في أذهان الإغريق بصراع أسريّ محليّ مرير .

نهاية الموكينيين

انتشرت الحضارة الموكينية في كل بلاد اليونان وإيطاليا وجزر بحر إيجه وإلى الشرق نحو ميليتوس ، وانتشرت باتجاه طروادة (السادسة) وقبرص التي ظهرت فيها بسبب ذلك الكتابة الخطية القبرصية المتميزة ، ووصلت حضارة موكيناي إلى الساحل السوري والفلسطيني ومدنهما مثل أوغاريت ويافا وجبيل و الآلخ ومصر أيضاً .

وهكذا ارتبط انتشار الحضارة الموكينية بنشاط تجاري كبير في شرق البحر المتوسط ، ولذلك فإن هذه التجارة حين انكمشت في أواسط العصر الهيلادي الحديث الثالث حوالى 1200 ق .م بدأت تتدهور الحضارة الموكينية ولعل تدهور هذه التجارة التي تمر عند مضيق الدردنيل والبسفور ومحاولة الطرواديين السيطرة عليها هي أحد الأسباب الحقيقية لحرب طروادة .

وكانت حرب طروادة قد أنهكت الموكينيين رغم انتصارهم فيها . . ثم بعد بضعة عقود كانت بلاد الإغريق تتهيأ لاستقبال موجة كبرى جديدة من موجات القبائل الإغريقية هي (الموجة الدورية) حيث افتتح الدوريون العصر الحديدي وأنهوا الموكينيين وحلوا محل الآخيين وطردوهم عبر البحر أو إلى أطراف اليونان بفضل أسلحتهم الحديدية التي ظهر تفوقها على أسلحة الآخيين البرونزية .

رابعاً: حضارة طروادة:

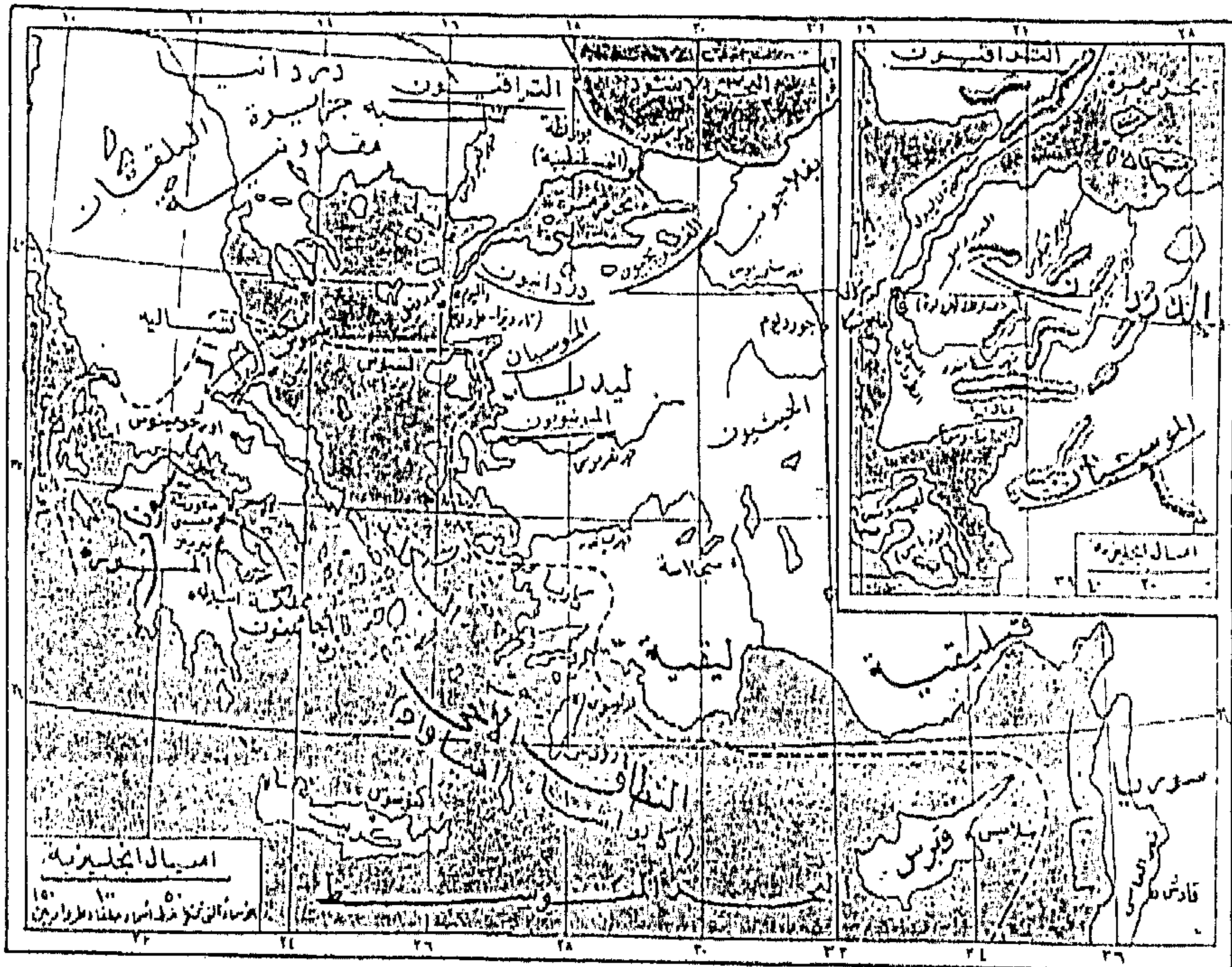
تعرف طروادة في إلياذة هوميروس باسم (إليوس Llios) أو (إليون Llion) وقليلاً ما تسمى (طروية Troad) فالاسم الأخير هو اسم المنطقة التي تقع فيها المدينة ، وإن اشتهرت المنطقة ، بعد عصر هوميروس ، باسم (طرواس Troas) ومن جذع الأخير (Troad) اقتبس اسم طروادة الشائع في العربية ، وفي الحق أن الرومان غالباً ما يسمون المدينة (طرويا -Tor ia) [17] .

وكان هنريش شليمان قد نقب في تل حصارلك في تركيا بين عامي (1870-1890) وأظهر لنا أن هناك تسع طروادات واحدة فوق الأخرى وهي :

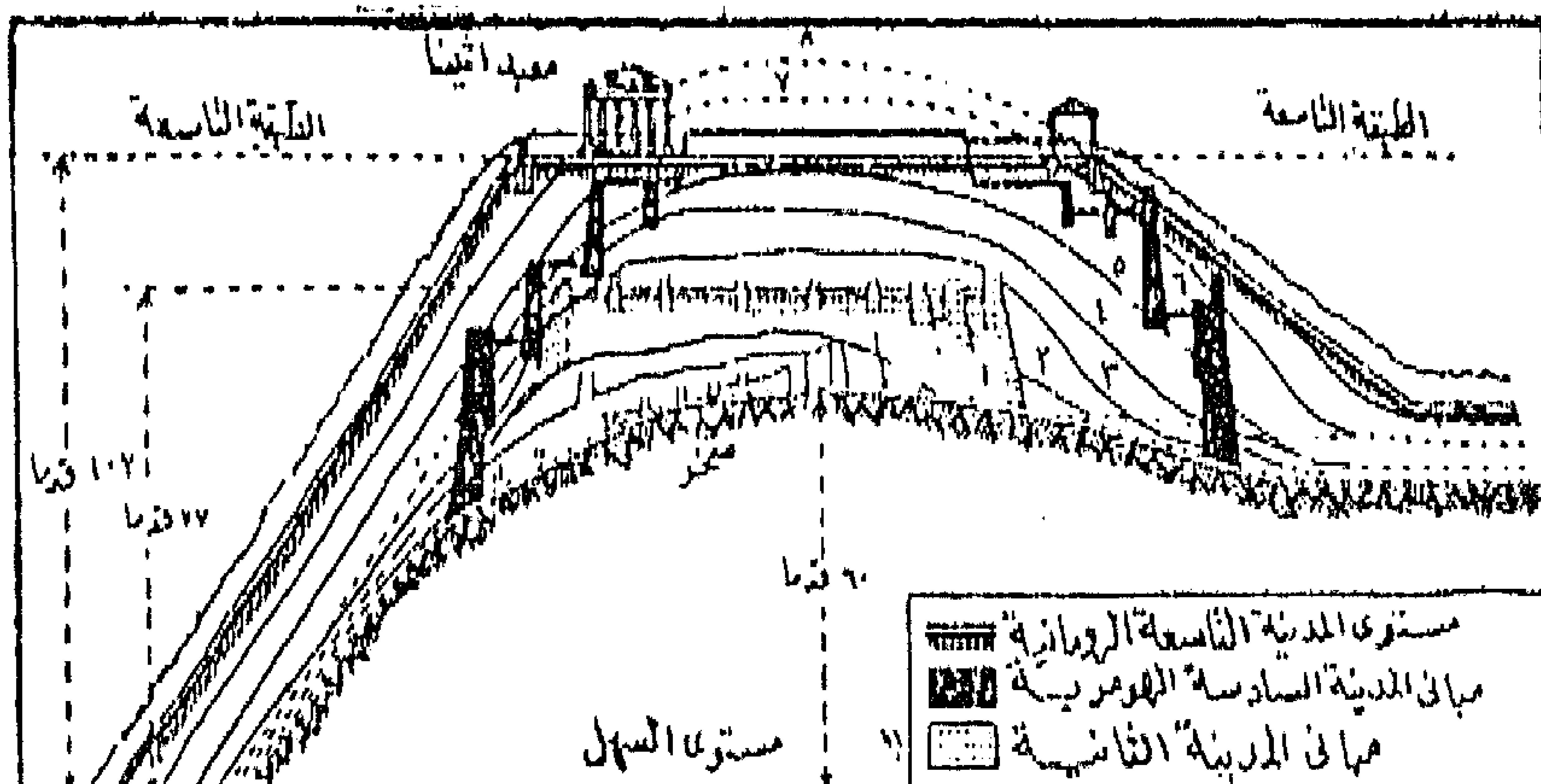
1. طروادة الأولى(2600-2400) ق .م :أثبت شليمان أنها كانت قلعة صغيرة متواضعة ، يحميها على ما يظهر سورٌ دائري يحيطُ بمنازل صغيرة قائمة الزوايا ، شيدت جدرانها باللبن ، على أسس من حجارة أصغر وكان أهلها يستعملون الأسلحة الحجرية وآنية الفخار المصقولة يصنعونها بأيديهم ويطلونها بالسواد ويرفرفونها أحياناً برسوم بسيطة باللون الأبيض[18] . كان مركز المدينة مكوناً من قلعة يقيم فيها الحاكم وكان السكان يقيمون خارجها وكانت مساحتها تقترب من فدانين ونصف لذا فهي مدينة صغيرة جداً .

2. طروادة الثانية (2400-2200) ق .م : كانت مسورة بسور من الحجر عرضه عشرة أقدام وارتفاعه عشرة أقدام وله تحصينات برجية وبوابتان رئيسيتان مرصوفتان ومنقوشتان ، وكان قصر الحاكم يحتل وسط القلعة ، واشتهرت طروادة الثانية بصناعة المعادن وخصوصاً (كنز بريام) المخبوء في الأسوار والمكون من الكؤوس الذهبية والخناجر البرونزية الكبيرة .

إن مراحل الترقي الثلاث التي قطعتها هذه المدينة تدل على حياة متصلة دامت عدة أجيال لأن مساحة رقعتها قد زيدت مرتين على الأقل ، وقد عثر على ما لا يقل عن



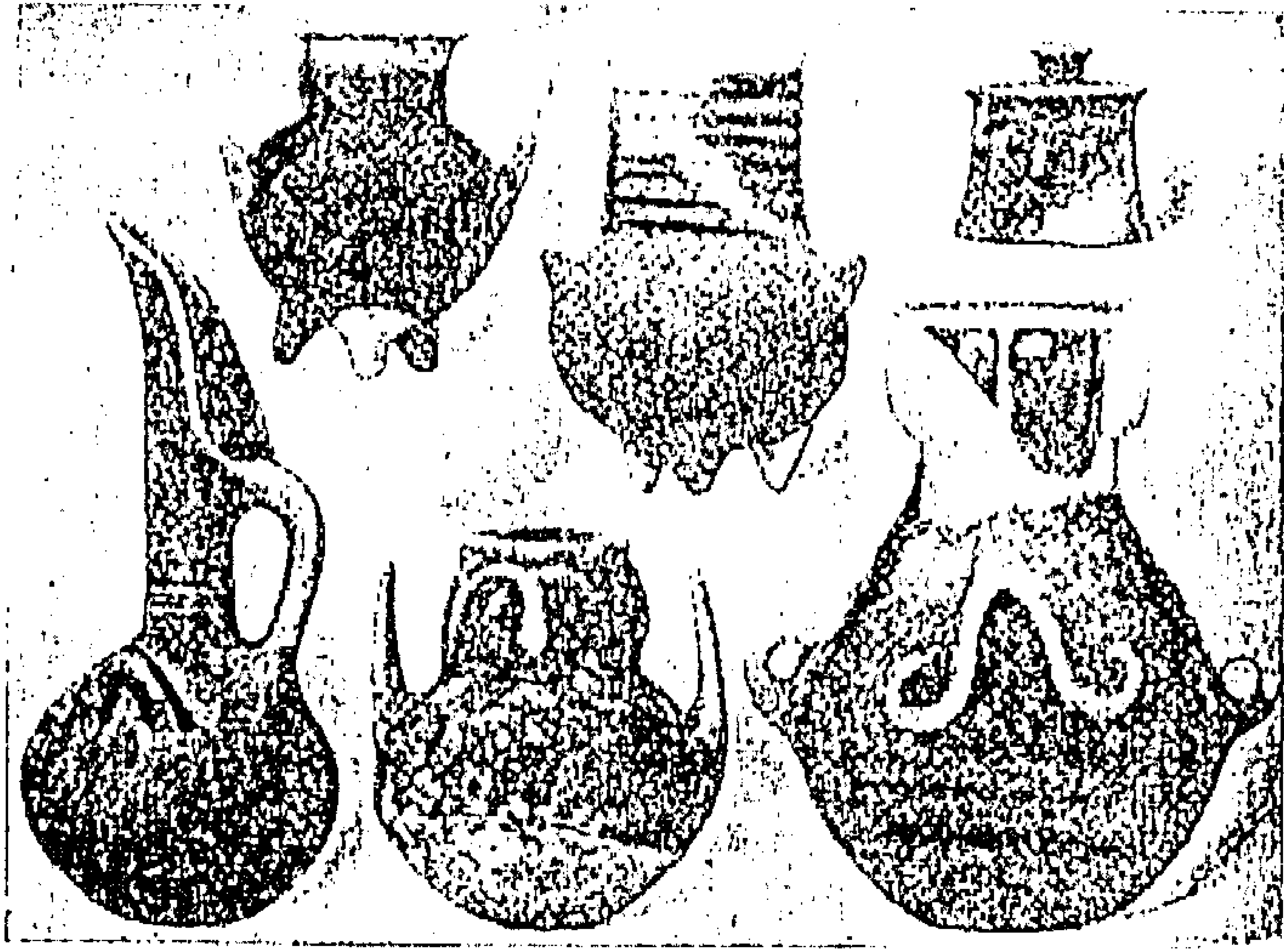
خارطة (4) موقع طروادة المسيطر على الدردنيل ومواقع أعدائها



شكل (15) رسم مقطعي يوضح مواقع حصارلك (طروادة) التسعة

سبعة عشر كنزاً من الذهب والفضة والبرونز وأشياء ثمينة أخرى تدل على الحضارة المزدوجة لطروادة الثانية(19) .

وكانت تربط أهلها وشائج قربى مع سكان آسيا الصغرى ولهم تجارة واسعة ، في الوقت نفسه ، مع شعوب أوروبا .

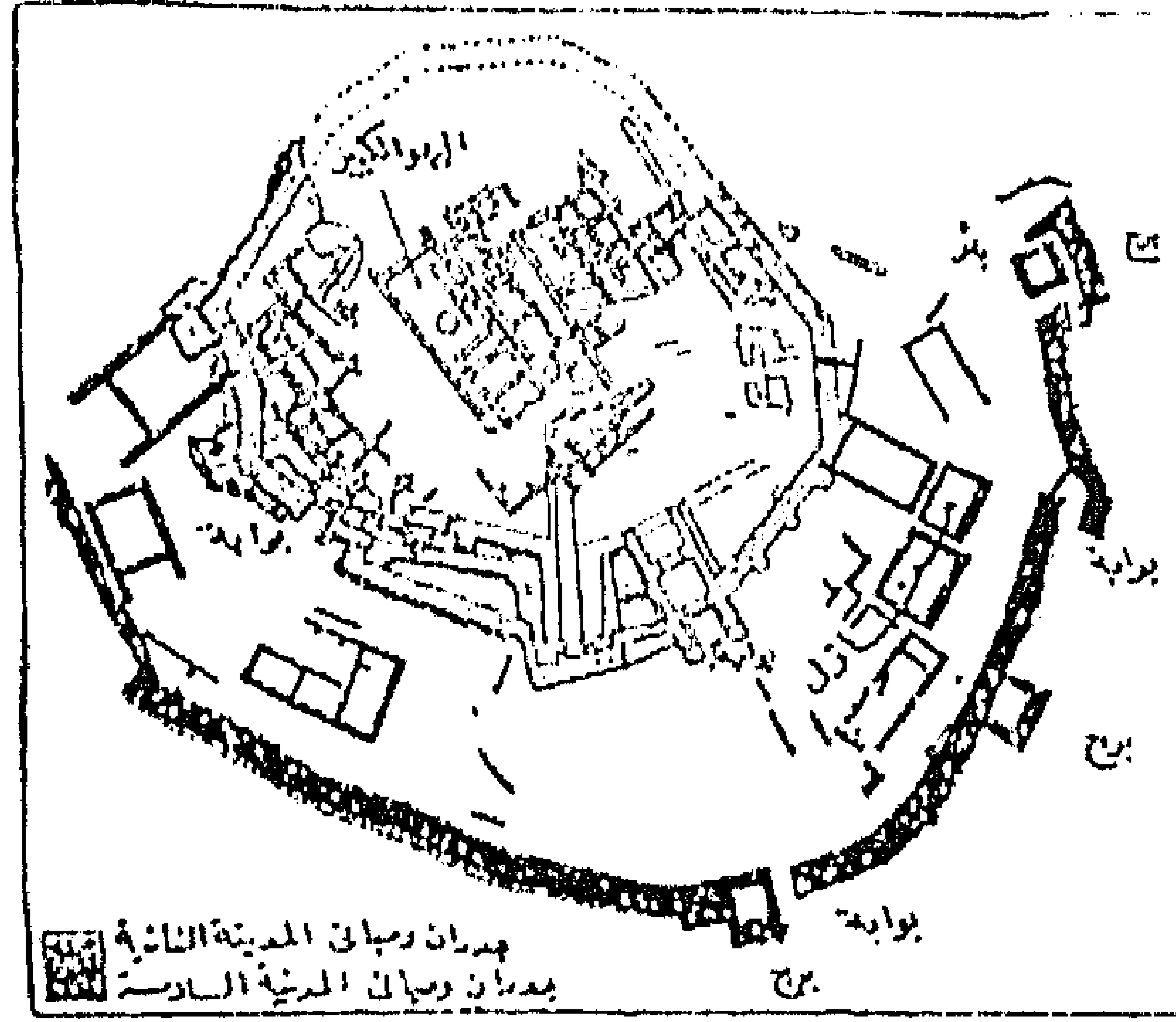


شكل(16) نماذج فخارية من طروادة الثانية

3 • طروادة الثالثة والرابعة : لا أهمية تذكر لهاتين المدينتين من الناحية الآثارية والتاريخية ، فهما مدينتان عاشتا على آكام الماضي وعثر على بعض الآثار المتفرقة فيهما هنا وهناك .

4 • طروادة الخامسة : عادت الحياة من جديد لطروادة الخامسة وشيد فيها سورٌ ضخم ، وربما يكون التراقيون – الفريجيون قد هاجروا إلى طروادة عبر الدردنيل وأنعشوها هكذا مع ازدياد ضعف الامبراطورية الحثية في آسيا الصغرى .

ومهما تكن جنسية بناة قلعة طروادة الخامسة فقد ظلت هذه القلعة حتى أيام الرومان أكبر أبنية الأكمة وأكثرها روعة ، كما كانت أسوار طروادة الخامسة طلائع تلكم التحصينات العتيدة التي كانت تسوّر المعقل في ذلك الوقت وكان يبلغ سمك السور ستة عشر قدماً أما ارتفاعه فكان يرقى في مواضعه إلى عشرين قدماً وكان له سندٌ بارز ويعد من أروع المباني الحجرية المنحوتة في العالم القديم ، وللقلعة ثلاث بوابات ضخمة تؤدي إلى المعقل اثنتان منها على نمط بوابة اللبوات في مسيني[20] .



شكل (17) خطتا أساس لقلعتين من قلاع طروادة

5• طروادة السادسة (1800-1300) ق.م : كان السور العظيم المحيط لقلعة طروادة السادسة مبنياً من الحجارة المربعة الجيرية وحين سقطت تعمد غزاتها أن يأتوا على بنيانها من القواعد فدكّوا حصونها ونهبوا كل الذي كان فيها ، أما الذين أسسوها فهم مهاجرون جاءوا من وراء القوقاز جالبين معهم الخيول (كالآخيين) وكانت منازلهم من طراز الميجارون ولهم أوانٍ متميزة (شكل 18) ويبدو أن زلزالاً هو الذي دمر طروادة السادسة وهي في أوج مجدها .

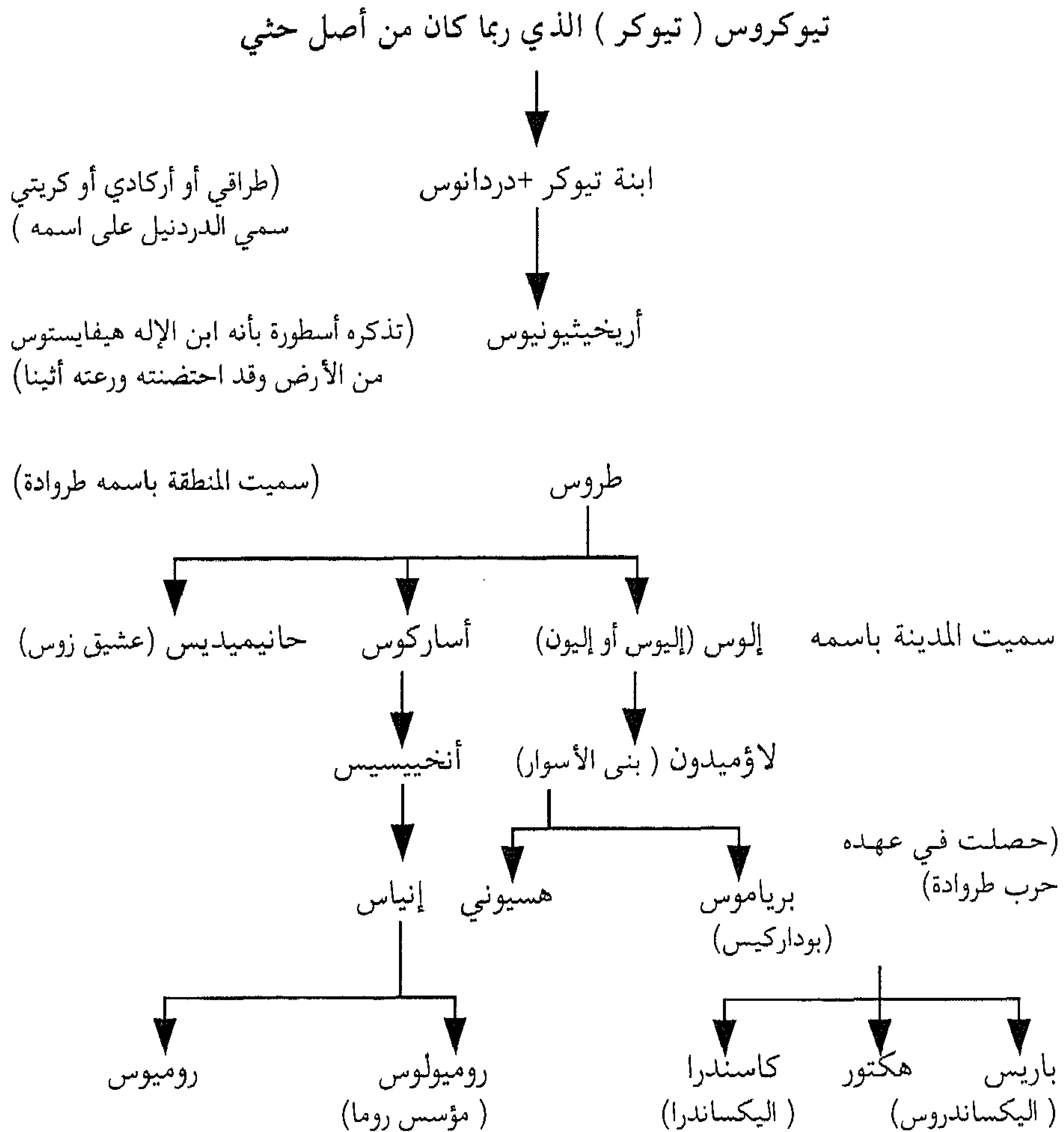


شكل (18)

أوانٍ من طروادة السادسة

6· طروادة السابعة (1300-1230) ق.م : وهي طروادة التي اشتهرت بحربها المعروفة في إليـاذة هوميروس ، وكان اسم (إليون) يرد في لغة الشعر اللاتيني في صورة (إليوم Illium) ومن الواضح أن الحرب الطروادية منسوبة إلى طروادة بينما اسم الإليـاذة (Illias) مشتق من (إليوس) اسم المدينة الوارد في الملحمة التي يؤدي اسمها معنى (قصة إليوس) أي قصة طروادة [21] .

وقد جاء في الأساطير التاريخية الواردة من العصر الكلاسيكي سلسلة الملوك الذين حكموا طروادة كما يلي[22] :



حصلت حرب طروادة في عهد ملكها بريamos الذي كان يحملُ اسما إغريقياً آخر هو (بوداركيس) وكان ولده باريس (الكساندروس) أحد أبطال هذه الحرب ويبدو أن السبب الحقيقي للحرب بين الطرواديين و الموكينيين الآخيين هو محاولة الموكينيين السيطرة على التجارة التي تمرّ في مضيقي الدردنيل والبسفور حيث كانت طروادة القريبة منهما تحاول السيطرة عليهما أيضاً .

أما هوميروس فقد وضع أسباباً أسطورية خيالية لذلك سنستعرضها في حينها . ولم يستطع علماء الآثار أن يحددوا في البداية السنة التي حدثت فيها حرب طروادة فوضعوا تواريخ محتملة تراوح ما بين 1230 و 1180 ق .م لكن التاريخ المرجّح الذي اتفق عليه ، فيما بعد ، هو 1230 ق .م .

وواضح أن الطرواديين كانوا فرعاً آخر من اليونانيين ومن إحدى موجات الهجرة الآرية الكبرى التي حصلت مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد باتجاه بلاد اليونان وسواحل آسيا الصغرى الإيجية وأغلب الظن أن لغة الطرواديين كانت لا تختلف عن لغة الآخيين وذلك لأن هوميروس لا يشير إلى وجود مترجمين بين الآخيين والطرواديين كما أن عاداتهم واحدة . إن الطرواديين والآخيين يعون وعياً تاماً العلائق التي تجمعهم ، لقد جاء ملوك إليون من الغرب والعائلات الأميرية لها أنسباء في العالم اليوناني ، فجميع القادة في المعسكرين يتكلمون لغة واحدة ويتصرفون تبعاً لأخلاقيات مماثلة ، ويؤمنون بالآلهة عينها وتدافع الإلياذة عن وجود ثقافة من الصعب أن ندحضها ، إن هذه الجماعة أو بالأحرى الشعور بها لن يتحطم إلا في وقت متأخر أي بعد استقرار الامبراطورية الفارسية في آسيا الصغرى[23] .

ورثت طروادة دولة الحثيين في آخر أدوارها الضعيفة ، لكن طروادة السابعة سقطت قبل الامبراطورية الحثية بقليل ، ولسنا نعجب للصدام بين أجاممنون لأن موكيناي التي كانت تهتم بتوسيع دائرة نفوذها في جميع أصقاع بحر إيجة ، التي كانت من قبل سيدة الجنوب ، كانت تعتزم الآن فرض سيادتها على الشمال ، وهنا اصطدمت بطروادة ونشبت الحرب الطروادية وبعد نضال طويل هلك بريام ودكت قلعته ، ومع ذلك فيبدو أن قوة أجاممنون قد تعدّت طورها في هذا الصـــراع ، فلحقت به الكوارث كما حلت بالغالبية من لها ذم أبطاله .[24]

وقد خلّد هوميروس الحرب الطروادية على وجه الزمان وكان له أعظم الفضل في تخليد ذكرى طروادة وموكيناي على السواء ، ولكن هوميروس لم يتفرد من بين الشعراء بتلقي

إلهامه في هذا الموضوع ، فقد روى شعراء مجموعات الملاحم القديمة أجزاء أخرى من الملحمة ، كما قص كتاب مثل دكتز الكريتي Dictys ودارز الفريجي Dares قصصاً مستقلة عن هذه الحرب ، وهما اللذان لم يبق من شعرهما الاّ أجزاء غير كاملة فإن لم تكن ملحمة هوميروس هي وحدها التي عرفت بهذه الحرب العظيمة فلا جرم أنه هو الذي أسبغ عليها ثوب الخلود أكثر من غيره .(25)

أما على صعيد الآثار المنقولة وغير المنقولة التي تبحث أو تدور في إطار طروادة وحربها فهناك الوثائق الحثية (20 وثيقة) وهناك كتالوج السفن الآخي والطروادية في الطبقة السابقة من حصارلك وهناك الأدلة الاستنباطية ، كلها لا تتحدث عن حرب طروادة كما تتحدث عنها الإلياذة بل توحي بوجود حرب أشمل بين حلف أشمل اسمهُ أسووا Assu-wa الذي كان يضم مدناً من شمال غرب آسيا (وربما يوحي هذا الاسم باسم آسيا الذي أطلقة الإغريق من خلاله على قارة آسيا في حين أنه يرتبط بمنطقة نهر كايستر ومنطقة ساردس) وكان هذا الحلف يضمّ عدة مدن منها طروادة ، وقد خاض هذا الحلف حرباً ضد الدولة الحثية قبل انهيارها .

كانت مملكة أسووا ذات نزعة آسيوية مضادة للإغريق ولتجّار موكمناي ، أما طروادة فكانت ترتبط مع الإغريق بصلات عرقية وتتبادل معهم التجارة ، وعندما سقطت الدولة الحثية ظهرت ملكة أسووا وكأنها تريد أن تحلّ محلها في آسيا الصغرى فطالبت المدن التي كانت تقع في حلفها (ومنها طروادة) بالوقوف ضد الآخيين عموماً وفي رودس خصوصاً ، ولكن الوثائق الآثارية لا تذكر صراحة الحرب الطروادية .

إن عصبة الآسيويين المذكورة في الإلياذة تقودها طروادة لا (أسووا) ، والآخيون الذين يهاجمونها ليسوا أهم الآخيين المعروفين للحثيين باسم (أهياوا) في رودس ، بل هم آخيون على رأس حملة عسكرية وافدة من بلاد الإغريق الأصلية . والإلياذة لا تعالج الاّ حادثة واحدة ، وهي حصار طروادة ، وهذا أمرٌ طبيعي جداً ، لأن طروادة كانت لمدة طويلة أقوى وأغنى القلاع القائمة على كل الساحل من الدردنيل حتى سوريا .(26)

وهكذا تكون الهوّة بين المرجعيات الأدبية (الإلياذة) والمرجعيات الآثارية (الوثائق والآثار) كبيرة ولا تمحو علامات الاستفهام حول حقيقة حرب طروادة .

ولكن لماذا نؤكد على أن حصار طروادة قد قامت به حملة عسكرية من بلاد اليونان؟

لماذا لا يكون ذلك من نسج الخيال أو على الأقل تحريفاً للحقيقة ؟ إن أربعة قرون من الرواية الشفوية للشعر كفيلة بأن يحدث خلالها كثير من المبالغة والتهويل في قصة ترتبط بالنزاع الذي قام بين حلف (أسووا) والآخيين الآتين من رودس وميليتوس فتتحول القصة إلى ملحمة ضخمة عن حصار طروادة على أيدي ملوك كبار من بلاد اليونان ذاتها . هل هناك سبيل إلى إجابة السؤال بصورة قاطعة؟ لا سبيل(27) .

• 7 طروادة الثامنة (1230-85) ق .م : بعد سقوط إليوم (طروادة) الهوميرية انتهى العصر البرونزي ، وسكنها من تبقى من أهلها في تلك الأطلال المهدّمة ثم دخلها غرباء وأشادوا مساكنهم على نمط مختلف واستعملوا آنية من طراز جديد ، ،من بينها نوع محلى بعقد ، ثم آنية موشاة برسوم هندسية وأدوات ترمز إلى هجرة جديدة من أوروبا ويتفق هذا وما ذهب إليه سترابون من أن الفريجيين قد دخلوا آسيا بعد الحرب الطروادية(28) .

وربما سكنها الأيوليون الذين نزحوا حوالى القرن الثامن أثناء استعمار اليونان لشطآن آسيا وليس لدينا من هذه المدينة الاّ النزر اليسير لأن الرومان سووا بالأكمة الأرض حينما حولوا القلعة إلى بقعة مقدسة ، على أن طروادة الثامنة أو اليونانية لم تكن في ذاتها شيئاً مذكوراً إلا بوصفها استمراراً لتاريخ سابقتها ذائعة الصيت ، بيد أنها كانت تضم هيكل أثينا ذلك القدس الذي كان دار حج عالمية بما تفرد به من وراثة عصر الفروسية وهو مكان البلاديوم (معهد أثينا بلاديوم)وحاولت روما حين بدأت تحكم آسيا الصغرى الاعتناء بطروادة التي كانت تعتبرها أصل (إينياس) الجد الأعلى للرومان لكن مثراديبس البارثي قرر الهجوم عليها ووجه لها قائده فمبريا 85ق .م ودمرها ونهبها .

• 8 طروادة التاسعة : نهضت طروادة مع بداية الامبراطورية الرومانية فقد قام أغسطس ببناء هيكل أثينا (منيرڤا) وبيتها المقدس وبعض المباني الأخرى كالمسارح وزادوا على ذلك الأباطرة اللاحقين وخصوصاً قسطنطين الذي بنى كثيراً في السهل الطروادي ثم اهتم ببناء بيزنطة المجاورة لها ، وفي العصر المسيحي استمرت أبرشية لعدة قرون ، وبعد حروب كثيرة طالت المدينة من قريب أو بعيد بدأ أهلها بهجرانها وكانت بيزنطة قد حلّت مكانها وقللت من أهميتها(29) .

المبحث الثالث

العصر الحديدي (1200-323) ق.م

أولاً: العصر المبكر (1200-750) ق.م :

1. الهجرة الدورية:

إذا كان الآخيون قد صبغوا العصر البرونزي في بلاد الإغريق بحضارتهم فإن الدوريين صبغوا العصر الحديدي بحضارتهم . ينتمي الآخيون للهجرة الآرية الأولى الكبرى التي اجتاحت أوروبا وآسيا ، أما الدوريون فقد جاءوا مع الهجرة الآرية الثانية التي دفعتهم إلى جنوب اليونان .

ويبدو أن الدوريين قد نزحوا إلى بلاد اليونان الوسطى في العصر البرونزي لكن الهجرة الآرية الكبرى الثانية هي التي ضغطت وجعلتهم يتدفقون من اليونان الوسطى إلى اليونان الجنوبية وتحديداً شبه جزيرة البلوبونيز . لقد تدفق الإليريون (وهم أكبر الموجات الآرية وسكان يوغسلافيا والعرب قديماً) باتجاهات الشرق والغرب و الجنوب لأسباب غامضة ودفعوا جيرانهم إلى الهجرة فاتجهت القبائل الطراقية إلى الشرق مزحزحة أمامها الفريجيين الذين اقتحموا آسيا الصغرى وارتحلت قبائل عديدة من الشمال شرقاً وعبرت البحر الأدرياني ودخلت الى داخل إيطاليا وارتحلت القبائل الدورية من جبال بندوس جنوباً إلى البلوبونيز حيث استقرت ثم هاجر فريقٌ منهم إلى كيثيرا وكرباثوس ورودس والركن الغربي من آسيا الصغرى وجزره .

أما في البلوبونيز فقد هاجر الدوريون إليه على مرحلتين قسم نزل في أرجوليس ومضيق كورنث حيث اختلطوا بأهلهم أما الثاني فقد نزل في لاكونيا (إسبرطة) ولم يختلطوا بأهلها بل استعبدوهم .

وكان من نتائج الهجرة الدورية في أرجوليس تدمير المراكز الآخية القديمة مثل تيرينز وموكيناي ، واستوطن المهاجرون في مدينة أرجوس عند سفح جبل لاريسا .

لقد بدأت الهجرات الهيلينية كما أسلفنا ، منذ العصر الحجري النحاسي أو بواكير العصر البرونزي واستمرت لمدة تقترب من ألف سنة على شكل دفعات ملأت شبه جزيرة اليونان وسيطرت على سكانها الأصليين من (البيلاسجويين) فكانت إما تستخدمهم كعبيد لها وإما تبيدهم أو تدفعهم لمغادرة أراضيهم وربما الهجرة خارج اليونان كلها . ويمكننا من حيث المبدأ تقسيم الهجرات الإغريقية بحسب تواترها الزمني إلى ما يلي :

1- الأيونية : وهي الأقدم حيث وفدت إلى أتيكا وايوبيا قبيل العصر البرونزي .

2- الأيولية : وتقسم إلى قسمين :

أ- الأيولية الشمالية إلى تساليا وبويوتيا .

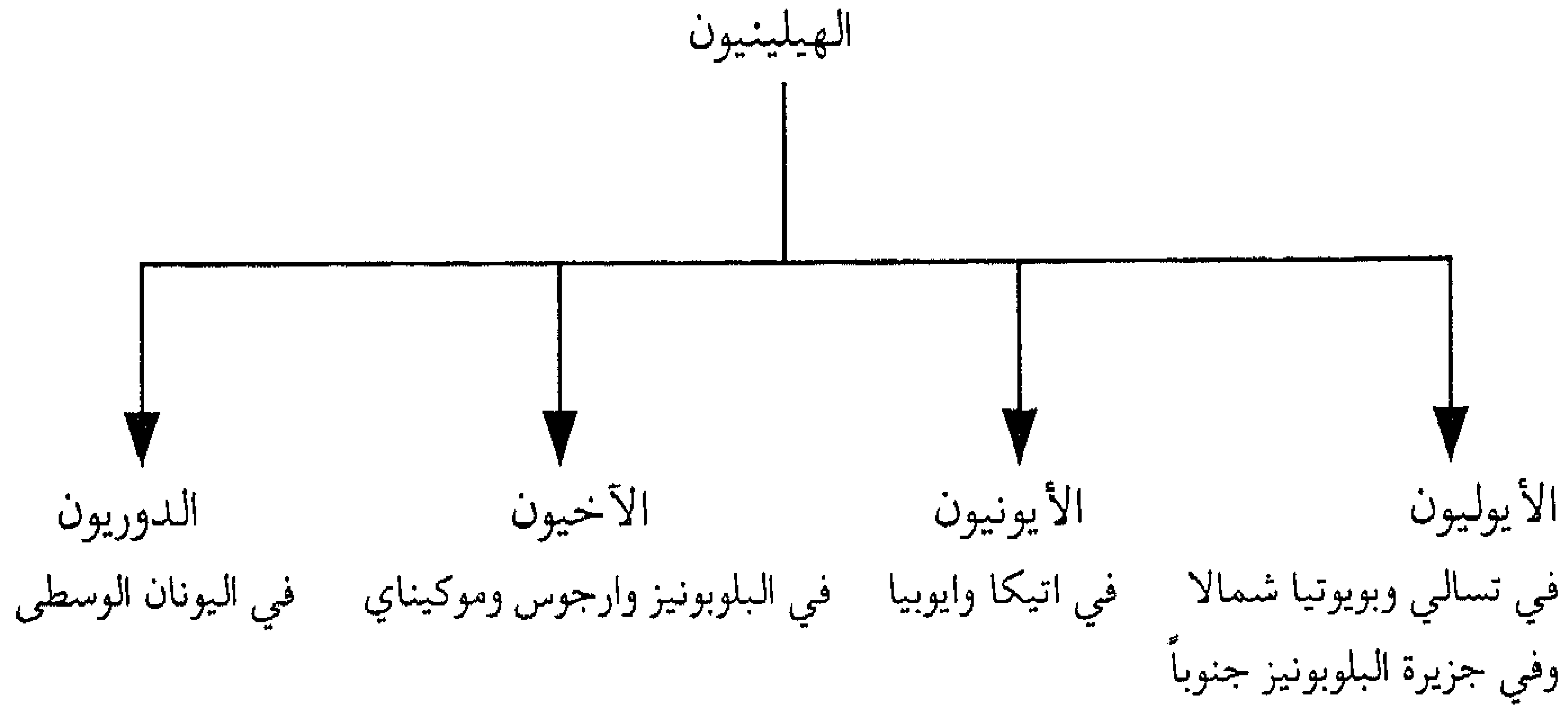
ب- الأيولية الجنوبية إلى شبه جزيرة البلوبونيز .

3- الآخية : حصلت في حدود القرن السادس عشر قبل الميلاد واتجهت نحو البلوبونيز وسيطرت على حضارة موكيناي المتأخرة وأنشأت حضارة متميزة فيها .

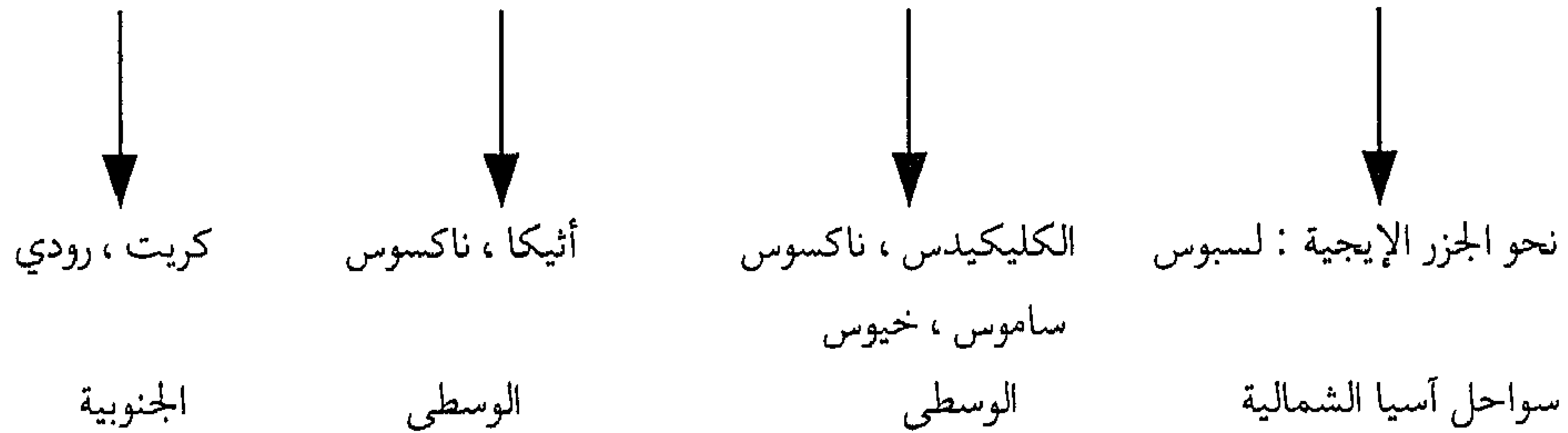
4- الدورية : حصلت في الألف الثاني ق .م واستقرت أولاً في اليونان الوسطى ثم اندفعت في 1200ق .م نحو البلوبونيز ودمرت الموكينيين واحتلت سهل أرجوس . أي إنهم سيطروا وامتزجوا مع ثقافة الأيوليين والآخيين في البلوبونيز .

حركة الهجرات الهيلينية (الإغريقية) الأولى والثانية

بدأت الهجرة الآرية الأولى (3000) ق .م من مناطق أوراسيا ومحيط البحر الأسود نتجت منها الهجرة الإغريقية (الهيلينية) الأولى (2500-1500) ق .م إلى بلاد اليونان (في العصر البرونزي) .



ثم الهجرة الآرية الثانية (1200)ق .م حيث تدفق الإليرونيون وحرّكوا القبائل الإغريقية ونتجت منها الهجرة الإغريقية (الهيلينية) الثانية (1200-1000) ق .م من بلاد اليونان(في العصر الحديدي) إلى جزر البحر الإيجي وسواحل آسيا الصغرى .



2. الهجرات الإغريقية من اليونان لجزر إيجة وسواحل آسيا الصغرى :

كان الغزو الدوريّ (1200)ق .م حدثاً كبيراً في تاريخ بلاد اليونان فقد سبب انعطافة هائلة في حضارتها وكان استقرار القبائل الدورية الرئيسي في البلوبونيز ممتصّة الشعوب الموجودة فيها أو ساحقةً إياها ولعلّ من أهم التغيرات التي أحدثها هذا الغزو ضغطه على

القبائل الإغريقية التي سبقته في الاستقرار وجعلها تهاجر عبر البحر الإيجي لتستقر إما في جزره وإما أن تؤسس لها مدناً في سواحل آسيا الصغرى بل إن ذلك الاندفاع الكاسح سيجعل الدوريين أنفسهم يستمرون في توغلهم في البحر الإيجي ثم يستقر بعضهم في كريت أو في سواحل آسيا الصغرى أيضاً .

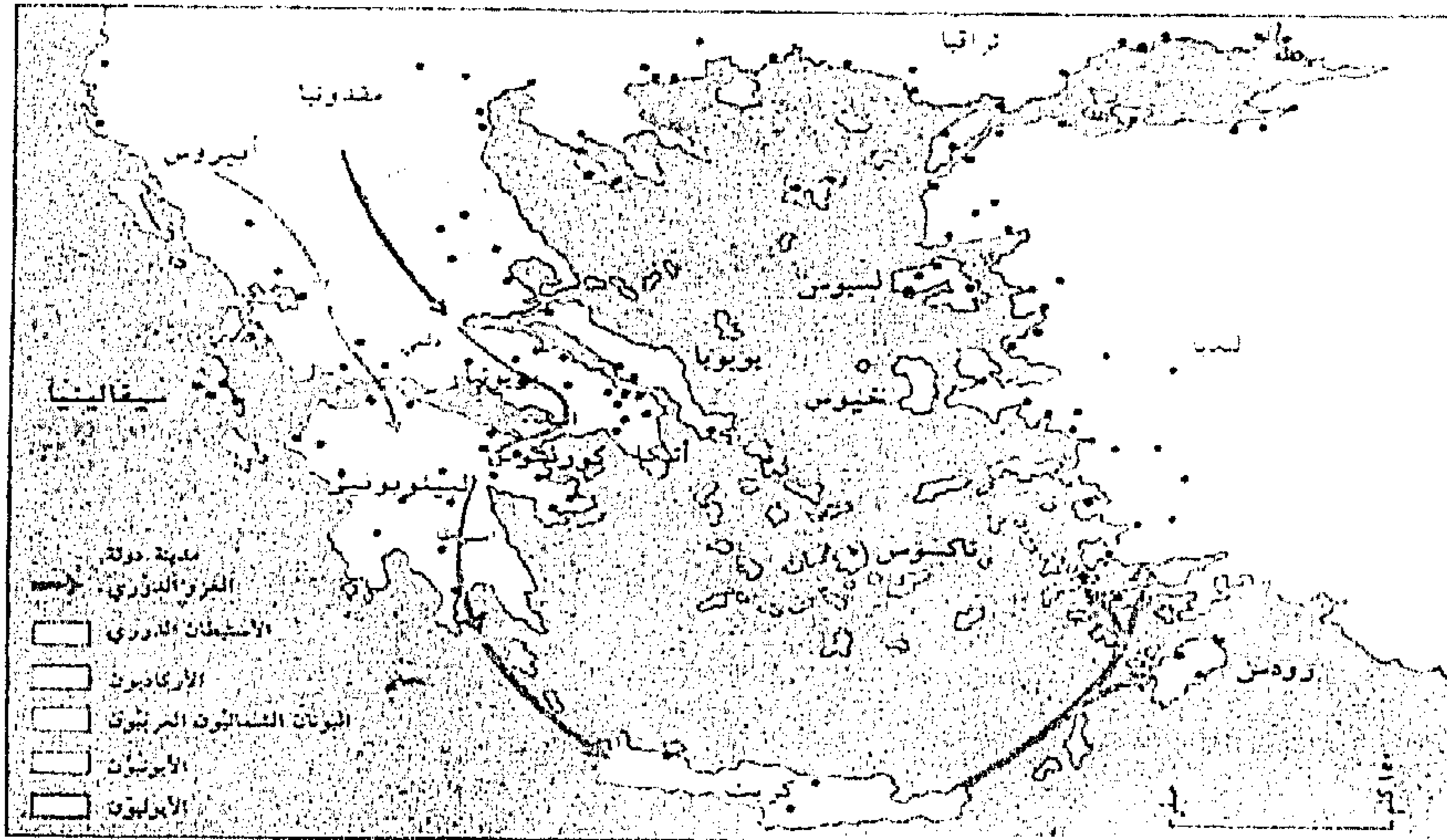
ويمكننا ملاحظة الخارطة (5) ومتابعة الهجرات الجديدة للقبائل الإغريقية في العصر الحديدي وهي من حيث المبدأ تنقسم إلى أربع هجرات من بلاد اليونان إلى خارجها :

1- الإيوليون : هاجروا من تساليا وبويوتيا (هم الايولويون الشماليون) باتجاه الجزر الإيجية الشمالية مثل لسبوس واستقروا في السواحل الشمالية لآسيا الصغرى وأسسو مدناً مثل طروادة .

2- الأيونيون : هاجروا من أتيكا ويوبويا واستقروا في البحر الإيجي عند الجزر الكيكليدية وجزر ناكسوس وساموس وخيوس والسواحل الوسطى لآسيا الصغرى .

3- الآخيون : الذين اندفعوا مبكراً من موكيناي (في البلوبونيز) واكتسحوا جزيرة كريت وقضوا على الحضارة المينوية .

4- الدوريون : الذين احتلوا كريت ثم الجزر الإيجية مثل رودس ثم استقروا على السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى .



خارطة (5) الغزو الدوري والهجرات الناتجة منه

هاجر الدوريون من أرجوس واستوطنوا سيكيون وفليوس وإبيدوروس في الشمال الشرقي من البلوبونيز كما استوطنوا فيما بعد إيجينا أكبر جزيرة في الخليج الساروني ، وعلى ذلك

احتلت القبائل المغيرة أجود أراضي البلوبونيز جميعها ، ويسمي بعض المؤرخين هذه الغزوة الدورية بـ(عودة أسرة هرقل) وهي هجرة عامة من وسط وشمال اليونان الى العالم الآخي قام بها قوم غلاظ يتكلمون اليونانية ولم يكونوا من الدوريّين الخلّص فقد دخل معهم البووطيين والإيتوليين(30).

وهكذا أصبح السكان الأصليون عبيداً يعملون في فلاحة الأرض وهرب بعضهم إلى أتيكا التي لم تستوعبهم فأبحروا صوب شواطئ آسيا الصغرى حيث وجدت منطقة متوسطة بين مستعمرات الإيوليين شمالاً والدوريين جنوباً ولم يكن الإغريق قد احتلوها سابقاً ويعرف هذا الطور وهو آخر أطوار الاستعمار الإغريقي لشاطئ الأناضول الغربي بالهجرة الأيونية(31) .

3. غزوات شعوب البحر:

اشتد الضغط على شعوب المنطقة الإيجية وآسيا الصغرى بعد الهجرة الآرية الكبرى الثانية ، فبدأت هذه الشعوب تتحرك نحو الجنوب والجنوب الشرقي وقد عرفت هذه الشعوب باسم (شعوب البحر) أو (قبائل البحر) أو (رجال الشمال) الذين تعرضوا للإمبراطوريتين الحثية والمصرية ولبلاد الشام في غارات تخريبية خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد وعلى الشكل الآتي :

أ- في عام 1220 ق .م (في السنة الخامسة من حكم الملك المصري مرنبتاح) اتحدت القبائل الآتية في هجوم عنيف ضد مصر وهي :

1- ترشا : أجداد الاتروسكيين (التوسكان) .

2- شردن : أجداد سكان جزيرة سردينيا .

3-لوكا : أجداد سكان ليكيا في آسيا الصغرى .

4- شكلش : أجداد سكان صقلية أو أصل سجلاسيا في آسيا الصغرى .

5- أكواشا : وهم الآخيون في جزيرة البلوبونيز .

اتحدت شعوب البحر هذه مع قبائل (الليبو) الليبية وهاجموا بحر وبر مصر فتصدى لهم مرنبتاح وهزمهم .

ب- في عام 1190ق .م هاجمت شعوب البحر البلقانية (الفريجيون والمسيون) آسيا الصغرى واتحد معهم (الكاشكيون) في شمال آسيا الصغرى وهاجموا الامبراطورية الحثية وأسقطوها نهائياً .

جـ- في عام 1175ق .م (في السنة الثامنة من حكم رمسيس الثالث) تحركت القبائل الآتية :

1- بلست : أجداد الفلستو أو الفلسطينيين الذين توطنوا في كريت ثم هاجموا مصر .

2- شكلش : أجداد أهل صقلية أو سجلاسيا .

3- دانو : ربما هم الدنائيون (من الآخيين أو الفينيقيين أو الأناضوليين) .

4- تكر : مجهولون .

5- وشش : مجهولون .

واتحدت هذه الشعوب مع قبائل ليبية هي (تحنو ومشواش والأسبد) وهاجموا مصراً براً وبحراً وهزمهم رمسيس الثالث وصور انتصاره على جدران معبد مدينة هابو .

د- قامت قبائل (بلست وزاكار) بعد الهجوم الفاشل على مصر بالهجوم على بلاد الشام من ساحلها واستطاعوا أن يستقروا في خمس مدن كنعانية هي (جت ، أشدود ، غزة ، عسقلان ، عكا) وصار إقليمهم يعرف بـ(فلسطين) « ومن المتواتر أنهم جاءوا من كفتور أو كريت ولكن ربما كانت هذه مرحلة فقط من مراحل تجوالهم في هجراتهم . وهم يبدون في نقوش مدينة هابو مع الزكار وهم يضعون ريشاً في غطاء رؤوسهم ويحـــــملون دروعاً مستديرة»[32] .

4• حضارة العصر المبكر:

بدأ العصر المبكر مع بداية العصر الحديدي وسادت فيه القيم العشائرية والقبلية وكان المجتمع ريفياً فهو وليد الحروب والغزوات والهجرات وتسويات الاستيطان ولذلك غربَ نظام دولة المدينة القديم الذي كان سائداً في العصر البرونزي وحلّ محله نظام ملكي مؤقت ومضطرب في انتظار ولادة نظام دولة المدينة الجديد الذي سيكون الطابع الأساسي للعصر الحديدي بأكمله .

أصبح السكان إذن يميلون إلى الانتماء إلى عشائر ومنها يتكون المجتمع وفق التسلسل الآتي :

1- العشيرة (Genos) وهي مجموعة من الأفراد ينتمون إلى أصل واحد .

2- الأخوان (Brother hood) وهو اتحاد عدة عشائر من طريق العبادة المشتركة .

3- القبيلة (Phyle) وهو تجمع عدة عشائر إخوان في اتحاد واحد .

4- الجواز المدني (Synoikism) وهو اتحاد قبائل المجتمع لتكوين دولة أو مملكة واحدة يحكمها الملك .

ومن الجواز المدني لكل مدينة أو إقليم تتكون الدولة أو المملكة ، وقد ظهر أول نظام سياسي في العصر الحديدي مكوناً من ثلاثة عناصر متسلسلة هي :

1- الملك : حيث كانت الملكية مقدسة تعود بأصلها إلى الإله زوس عادة أو غيره وكان الملك ينتسب له ويرأس إحدى العشائر الكبرى وكان هو الكاهن والقائد والقاضي ، فهي ملكية مطلقة .

2- مجلس الشيوخ : يتكون من رؤساء العشائر الأخرى وكبار السن .

3- مجلس الشعب : يتكون من الأحرار من الناس ومن أعيانهم في الغالب وهكذا يتكافل النظامان الاجتماعي والسياسي في عصر لا هوية له من حيث الحضارة لكن هذا العصر كان يشهد ولادة مجتمع إغريقي جديد ، فمن قصص الآلهة والأبطال ظهر في نهاية هذا العصر الشاعر هوميروس وكوّن بملاحمه البذرة الروحية الأولى لإغريق العصر الحديدي ، في العصر المبكر بدأت تتكون نواة الشعب الهيليني الجديد وكانت مظاهر حضارة هذا الشعب تتركز في استخدامه للسيف القاطع كسلاح أساسي وفي الفخار الهندسي وفي سيادة اللغة اليونانية (الآرية الأصل) وفي السفن اليونانية المتميزة وسفن الغوص . . .الخ .

وهكذا بدأت خيوط الحضارة الإغريقية الجديدة في العصر الحديدي الأول (المبكر) بالتشكل تلقائياً من أمشاج حضارة البرونز المحطمة وخصوصية الأقوام الدورية التي بدأت تتبلور في هذا العصر .

وقد رافق هذا التطور نزوح الأبجدية الفينيقية إلى بلاد الإغريق فقد «اقتبست أبجدية صوتية عن الفينيقيين أصبحت قياسية إلى حدٍّ ما ، وانبثق الشعور بالوعي القومي ، أي ذلك الشعور بهوية عنصرية وفكرية جاءت تعبر عنها لفظة هيلاّس الدالة على العالم اليوناني بأسره ، في الوقت نفسه نشأت مجموعة من المعبودات عكستها أشعار هوميروس ، وتطورت المراسم الدينية وازدادت أهمية المعابد ، مثل معبد دلفي ، وأصبحت الدولة . . . المدينة أهم وحدة سياسة واقتصادية واجتماعية في البلاد»[33] .

ثانياً: العصر الآرخي (العتيق) (750-480) ق.م :

يسمى هذا العصر بالعصر العتيق أو الآرخي (Archiac) ويستمر حوالى270سنة حيث ينتهي مع نهاية الحروب الفارسية الإغريقية ، والحقيقة أن أفضل طريقة لدراسة هذا العصر هي دراسة الأنظمة السياسية التي تطورت خلاله .

ورغم أن هذه الأنظمة كانت متفاوتة بحسب الأماكن التي ظهرت فيها ، الاّ أن أثينا كانت أكثر الأماكن نموذجية من حيث تطورها المطّرد الذي وصل إلى الديمقراطية .

الميزة الأساسية لهذا العصر هو تبلور ظهور دول المدن اليونانية التي أدّت دوراً أساسياً في الحياة السياسية لهذا العصر الذي تطور فيه المجتمع اليوناني من « تجمعات سكانية قبلية بسيطة إلى دويلات تبلورت ونضجت كوحدات أو كيانات سياسة خلال المراحل التي مرت بها ، سواء توقف بعضها عند نظام سياسي واحد ، أو مرّ بعضها الآخر بعدد من الأنظمة منتهياً بالنظام الشعبي أو الديمقراطي ، أو وصل بعضها الثالث إلى وضع تداخلت فيه عناصر متعددة من هذه الأنظمة » .(34)

وسنتناول ، في الغالب ، مدينة أثينا وتطورها السياسي الذي يعبر خير تعبير عن التطور السياسي النموذجي لمدن اليونان وإن لم تكن هذه المدن قد فازت بمثل هذا التسلسل الدقيق في التطور السياسي .

1 . النظام الملكي: ظهور نظام دولة المدينة الجديد:

تعطينا ملحمتا الأوديسة والإلياذة فكرةً عن نظام دولة المدينة الذي كان سائداً في العصر البرونزي ويستعمل هوميروس كلمة (مدينة Polis) بالمعنى المكاني فقط وليس بالمعنى السياسي .

وفي العصر المبكر بدأ ظهور النظام الملكي الذي استمر في العصر الآرخي مع تطور جديد وفيه حيث بدأ تجمع (الجواز المدني Synoikism) يتطور نحو تجمعات جواز مدني متحدة لتكوّن أخيراً دولة مدينة (City state) بالمعنى السياسي وليس المكاني ، وكان كل تجمع من هذه التجمعات القبلية يتكون من مجموعة من الملاّك الكبار للأراضي الزراعية والرعوية الذين يحيط بهم أتباعهم ، وكان صاحب أكبر مساحة من الأراضي يرأس التجمع القبلي الذي يوجد فيه ، ويتخذ لقب (باسيليس Basilleus) .

إن الدور الأساسي الذي قام به الملوك هو ربط (الجوازات المدنية) ببعضها «فالملوك بعد أن انتهى دورهم الأساسي في توحيد مجموعات القبائل في شكل مدن وبعد أن استقر وضع هذه المدن ككيانات سياسية لم يعودوا أصحاب دور يتميزون به على غيرهم من كبار رجال المدينة ، وهم زعماء القبائل والعشائر التي تكونت منها المدن اليونانية ، وأنما أصبح الملك في الواقع مجرد واحد من أفراد الطبقة الأرستقراطية التي تتكون من هؤلاء الزعماء» .[35]

2. النظام الأرستقراطي: نشوء المستعمرات:

كان النظام السياسي في بلاد اليونان يمر بالكثير من المصاعب فقد انهارت الكثير من الأنظمة الملكية التي رافقت ظهور دول المدن القديمة وظهرت أقليات ثرية حصرت الحكم لصالحها وتذمرت طبقات الشعب الفقيرة فظهر ميل شديد نحو هجرة الشعوب الإغريقية خارج بلاد اليونان ليجدوا الأمان والعيش الأفضل في مدن جديدة وقع أغلبها في حوض البحر المتوسط سواء في جزره أو سواحله ، كما أن البحث عن الأراضي الزراعية بسبب وعورة أرض اليونان وعدم صلاحيتها للزراعة كان سبباً هاماً يضاف له رغبة الإغريق في التوسع التجاري وإيجاد الأسواق الجديدة لبعض المنتجات وحاجتهم إلى المواد الخام اللازمة لصناعتهم المتطورة كالفضة والنحاس والقصدير ولهذا السبب استقروا في مدن المعادن هذه مثل (ميلتوس وبيزنطة ونقراطيس . . . .الخ) ولا شك أن إغواء الحياة البحرية المليئة بروح المغامرة والاكتشاف عند الإغريق وراء البحار كانت دافعاً لذلك فقد نظمت الدول حملات لتأسيس مدن جديدة فيما وراء البحار . ولكن ما إن تأسست هذه المدن الجديدة حتى أصبحت مستقلة عن المدن الأم ، وإن احتفظت بعلائق وثيقة معها . ومنذ حوالى750ق .م أدّت الهجرة إلى إقامة مدن يونانية في جميع أنحاء منطقة البحر المتوسط مقلدين بذلك قرطاجة»[36] .

أما أهم المستعمرات الإغريقية التي نشأت في هذه المرحلة فيمكننا تصنيفها بحسب مواقعها وكما يلي :

1- في إيطاليا وصقلية مثل : (كوماي ، نيابولس(نابولي) ، ريجيون ، زانكل ، ناكسوس ، رتانا ، ليونتيني ، سيباريس ، كروتون ، تارنتم) وفي صقلية أسس الكريتيون مدينة جيلا وهميرا . وسمي جنوب إيطاليا بـ (بلاد اليونان العظمى) لكثرة المستوطنات الإغريقية فيه .

2- في شمال أفريقيا : أسس أهل ثيرا مستوطنة قوريني وبرقة وبتوليماس ويوسبريدس وتوخيرا وأبولونيا . كما أسس أهل ميليتوس مدينة نقراطيس على فرع النيل الكانوبي قرب سايس .

3- على سواحل البحر الأسود وشرق المتوسط : أسس أهل ميليتوس مدن فاسيس وترابيدوس وميجارا هيراكليا وخاليكون وبيزنطوم (بيزنطة) .

4- على سواحل سوريا : أسس مستوطنون من جزيرة يوبويا مدينة بوسيدونا على نهر العاصي .

3. النظام الأوليغاركي:الاستبداد وصراع الطبقات:

كان النظام الملكي السابق قد تفكك إلى أنظمة أرستقراطية عديدة وأصبح النظام الأرستقراطي انتقالاً من وضع كانت فيه السلطة مركزةً في يد شخص واحد إلى نظام أصبحت فيه السلطة في يد جماعي له دستوره وقانونه .[37]

وحاولت الطبقة التجارية الاشتراك في الحكم السياسي مستخدمة طبقة العمال في ذلك وبدأ التجار والعمال يظهرون كعامل حاسم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال هذه الفترة التي ازدهرت فيها التجارة .

ظهر النظام الأوليغاركي (وهو نظام حكم الأقليات الاقتصادية) الممثلة بالأرستقراطيين والتجار والاقطاعيين ثم بدأ الصراع بين الطبقة التجارية الصاعدة وبين الطبقة الارستقراطية القديمة وانتهى الأمر بنوع من الاتفاق كان في الحقيقة نتيجة لتعادل القوى بين كل من الطبقتين وأيضاً بدأت طبقة العامة تظهر ثقلها في المجتمع ويبدو هذا من محاكم الهلياي التي كانت أغلبية الآراء فيها للعامة[38] .

4. نظام الطغاة:

سقط النظام الاوليغاركي على يد الطبقة العامة التي لم يكن لها معرفة بقيادة المجتمع ولذلك استطاع بعض الزعماء من غير الطبقة العامة تسلّم قيادة المجتمع وكان هؤلاء من الطبقات الثرية التي انتهزت فرصة صعود الطبقة العامة .

وأول ما فعله هؤلاء الزعماء أنهم أحاطوا حكمهم ببطانة مقربة عملت على تثبيت عروشهم ، ويسمى هؤلاء الزعماء بـ(الطغاة) ومعناها (الحاكم الذي وصل الى الحكم بطريق غير شرعي) وهناك جيلان من الطغاة الإغريق في هذه المرحلة :

الجيل الأول : وهو الجيل الذي ظهر في أول انتفاضة العامة وكان يدرك القوة التي تتمتع بها طبقتهم ، ولكنه كان جيلاً موارباً محتالاً إذ استطاع أن يصرف أذهان العامة عن سلطتهم بعدة طرائق منها مصادرة بعض أراضي الارستقراطيين وتوزيعها على العامة كما أنهم شجعوا الفنون والآداب والعمارة ، فقد قام (بيزستراتوس) بنشر النص الكامل للإلياذة والأوديسة لهوميروس ، وقام طغاة هذا الجيل بتشجيع الحركة الاستعمارية التي كانت قد ظهرت قبل هذه الفترة وإرسال الجاليات الجديدة للمدن الإغريقية وفتح فرص العمل أمام العامة .

الجيل الثاني : وهو الجيل الذي ظهر لاحقاً ولم يكن يدرك قوة العامة فاسترسل طغاة هذا الجيل في حكم استبدادي أعمى ونسوا أن العامة هي التي رفعتهم إلى مكان القيادة وكانت النتيجة أن انفجرت الثورات التي أدت الى اغتيال عدد من الطغاة وهروب آخرين « فنرى أن أحد أبناء بيزستراتوس قد اغتيل والآخر هرب من أثينا وبذلك تكون نهاية الجيل الثاني من الطغاة نهاية طبيعية لأنه من المفترض بعد سقوط الحكم الاوليغاركي ، أن يتولى العامة الحكم لكن فترة الطغاة أتت بمثابة انتكاسة بين العصرين الاوليغاركي والشعبي»[39] .

5• النظام الديمقراطي (حكم الشعب)

ظهر في أثينا قبل فترة النظام الديمقراطي المشرّع الكبير صولون (640-559)ق .م وقام بمحاولات لإزالة المشاكل الناجمة عن صراع الطبقات وإصلاح قوانين الدولة وقسّم طبقات المجتمع الإغريقي إلى أربع طبقات على أساس ما تملكه من ثروة ، وبعد سقوط الجيل الثاني من الطغاة ظهر المشرّع (كليسثنيس Kleisthenes) الذي أنهى الطبقة الارستقراطية تماماً من طريق تقسيم أثينا لاعلى أساس طبقي كما فعل صولون بل على أساس قبلي فقسمها إلى عشر قبائل هي القبائل الأصلية التي كوّنت أثينا قبل ظهور الارستقراطية وبذلك شتت

القوة الارستقراطية وأصبح المجتمع الاثيني مقسماً على أساس علاقة الدم وليس على أساس الثروة . وكان هذا التشريع فاتحة ظهور النظام الديمقراطي وكان قد بدأ العمل به في حدود(503)ق .م

أثينا وإسبارطة

ظهرت مدينتا أثينا وإسبارطة كتعبير عن الأنظمة السياسية السابقة التي تحدثنا عنها في نظام دول المدن الإغريقية ، فقد احتفظت مدينة إسبارطة بالنهج الاستبدادي الذي نجمت عنه نزعة عسكرية متطرفة بينما تطور نظام الحكم في أثينا باتجاه النهج الديمقراطي الذي نتج عنه نزعة مدنية متحضرة .

ظهرت مدينة أثينا نتيجة اتحاد التجمعات البشرية على الأكروبولس ومن حوله ، ثم نما نفوذ أثينا واستطاعت أن تسود بقية الممالك الصغيرة في أتيكا ، بعدها توحّدت هذه الممالك في مدينة أثينا كعاصمة كبيرة ، وهكذا قامت هذه المدينة التي سلّمها (ثيسيوس) لأولاده وأحفاده من بعده ، ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا يحتفل الأثينيون بانتظام ، بالعيد القومي لعمل الـ(سون أويكزم) أو عملية الاتحاد على شرف الآلهة اثينا .

وفي أثينا ظهر المشرعون الإغريق الكبار الذين قاموا بدور إصلاحي كبير في سبيل مجتمع تسوده العدالة مثل (سولون و دراكون وكليستنيس) وانتقلت في عهد المشرع الأخير نحو النظام الديمقراطي .

واذا كان الانتقال المنطقي في أثينا من النظام الملكي ثم الارستقراطي ثم الاوليغاركي ثم نظام الطغاة ثم النظام الديمقراطي يمثل حلقة متراصّة متتابعة فإنه لم يكن كذلك في مدن الإغريق الأخرى إذ لم يتطور نظام الحكم الأرستقراطي الى المراحل التالية في منطقة تساليا ولم يتطور نظام الأقلية الاوليغاركية التجارية إلى ما بعدها في منطقة جزيرة إيجينيا .

أما في إسبارطة فقد تطور نظام الحكم باتجاه آخر مختلف تماماً هو النظام العسكري فقد نشأت إسبارطة من استقرار الدوريين في اقليم لاكونيا في جنوب شبه جزيرة البلوبونيز حيث اصبح سكان هذا الإقليم بعد ذلك عبيداً استعبدهم الدوريون الغازون وتكوّن مجتمع إسبارطة من ثلاث طبقات رئيسية هي (الإسبارطيون وهم من الدوريين الخالصين أصحاب السلاح والملك ، والساكنون حولها وهم من الدوريين الذين اختلطوا مع السكان الأصليين في لاكونيا ويعملون بالصناعة والتجارة ، والعبيد وهم سكان لاوكونيا الأصليون) .

ظهر في إسبارطة مشرّع اسمه (ليكورجوس) كان يحثّ على تربية الإسبارطيين تربية عسكرية ليشكل منهم جيشاً عسكرياً متأهباً للقتال في أي وقت ، وعلى أساس هذا القانون كان يخضع الأطفال الإسبارطيون ذكوراً وإناثاً ، لإشراف الدولة ، أما الضعفاءُ والمشوهون منهم فكانوا يتركون في العراء حتى يموتوا أو يلتقطهم العبيد وكان هؤلاء الأطفال يخضعون لنظام عسكري صارم حتى بلوغهم[40] .

وكانت العسكرية هي مهنة الإسبارطي الخالص ولا يسمح له بممارسة الصناعة أو الزراعة أو التجارة ، أما النظام السياسي فكان يقوم على أربعة أركان هي : وجود ملكين على رأس الدولة ، مجلس الشيوخ ، مجلس شعبي وعدد من المشرفين .

كان النظام السياسي الإسبارطي متسقاً مع طبيعة المجتمع الإسبارطي المحافظ الذي كان يرى ضعفاً واضحاً في الأنظمة الأخرى كالملكية أو الأرستقراطية أو الديمقراطية ، ولا شك في أنه أدى إلى تماسك المجتمع الاسبارطي وقوته ، ولكن النهج العسكري مهما كان مفيداً سيكون قاصراً عن النمو الحضاري الحقيقي وقد يؤدي الى انهيار الدولة بكاملها اذا استمر على عنجهيته .

كان النظام العسكري مقيداً لإسبارطة في البداية ، فقد استطاعت أن تخضع لها مدن ارجوس وايليس وسيكيون وكورنثه وكوّنت منها بقيادتها أول حلف عسكري لليونان في هذه الفترة .

وهكذا يكون نظام دول المدن الإغريقية قد استقر نهائياً على مدن مستقلة يشكلُ كلٌّ منها دولة بذاتها وقد انتهجت هذه الدول- المدن ، كلٌّ منها بحسب ظروفها وتطورها السياسي ، مختلف الأنظمة الساسية ، وظهرت بين هذه الدول – المدن نزعة السيطرة على بعضها « ولكن رغم أن هذه السيطرة التي اتخذت اشكالاً تدرجت من الليونة إلى العنف كانت تحمل بذور الاتحاد بين المدن اليونانية في صورة او في أخرى ، فإنها لم تؤد في النهاية إلى ذلك ، وإنما اصطدمت ، مرة أخرى ، بالنزعة الانفصالية التي وقفت عقبة لا يمكن التغلب عليها في طريق أي اتحاد حقيقي في بلاد اليونان ، وحين قام هذا الاتحاد في نهاية المطاف لم يكن في حقيقته أكثر من خضوع جماعي لسيطرةٍ غير يونانية هي سيطرة الدولة المقدونية» .[41]

الحروب الاغريقية القرطاجية في القرن السادس ق.م

مثلما كانت المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى محط اشتباك بين الإغريق والفرس في القرن الخامس ق .م فقد كانت المستعمرات والمدن الإغريقية في غرب المتوسط وإيطاليا وصقلية محط اشتباك مع القرطاجيين .

بدأت أول معارك الإغريق مع قرطاج عندما منع الإغريق قرطاجة من تأسيس مستعمرة لهم في مرسيليا فقد منيت قرطاج بهزيمة مبكرة عام600 ق .م وفي عام 550 ق .م ظهر قائد قرطاجي اسمه (مالخوس) حقق انتصاراً كبيراً على الإغريق في صقلية وأخضع جزءاً من هذه الجزيرة لقرطاج ، ولّما تولى ماجون حكم قرطاج تحالف مع الاتروسكيين (في شمال غرب ايطاليا) ضد الإغريق ونجمت عن ذلك هزيمة الإغريق الإيونيين الذين كانوا قد اتخذوا من (الأليا) في كورسيكا قاعدة لهم ، وكان هذا حدثاً بالغ الأهمية لأنه أوقف التوسع اليوناني في كورسيكا وسردينيا وقد أبرمت معاهدات لاقتسام مناطق النفوذ بين الإتروسكيين والقرطاجيين أصبحت بمقتضاها إيطاليا من جبال الألب إلى كامبانيا من نصيب الأتروسكيين بينما اصبحت المنطقة الواسعة في الجنوب بما فيها المنطقة التي احتلها الاغريق من نصيب القرطاجيين .

وهكذا مني الإغريق بهزائم واضحة في وسط البحر المتوسط واستطاع القرطاجيون تثبيت اقدامهم في جزر وسط البحر المتوسط مثل صقلية وكورسيكا وسردينيا .

الحروب الاغريقية الفارسية 498-480ق.م

رغم أن اليونان خاضت معارك متفرقة مع قرطاج خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد فإن هذه المعارك لم تصل إلى ذروتها إلاّ في القرن الرابع قبل الميلاد ولذلك سنؤجل نقاشها لفقرة قادمة وهي حروب حاولت السيطرة على مناطق غرب البحر المتوسط ، بينما كانت حروب اليونان مع فارس تدور في مناطق شرق المتوسط وقد وقعت خلال العقدين الأولين من القرن الخامس قبل الميلاد ونشأ عنها بروز أثينا كقوة كبرى في بلاد اليونان وبحر إيجه .

توسعت الامبراطورية الفارسية الأخمينية في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد وغزت الشرق وسيطرت على آسيا الصغرى وقام داريوس الأول في نهاية ذلك القرن

بحملات عسكرية كبيرة ضد الاسكليثيين ، وكان من نتائج انتصاره على الاسكليثيين ضمّ تراقيا ومقدونيا للامبراطورية الفارسية ثم غزا الامبراطور الفارسي مملكة ليديا وأخضع معها المدن اليونانية الآسيوية التي كانت تعاني فيما ما بينها الفرقة والانقسامات ، قامت فارس بإقامة حلف عسكري للمدن اليونانية الآسيوية بزعامة مدينة ميليتوس وكان هذا الحلف يطيع ويدين بالولاء للإمبراطورية الفارسية .

1- وفي عام 499ق .م قامت دول هذا الحلف بالثورة على الحكم الفارسي وطلبت العون من المدن اليونانية الاوروبية (في بلاد اليونان) واستجابت لها أثينا وأرتيريا فقط بإرسال قوة عسكرية ضئيلة . لكن فارس قضت على ثورة الحلف عام498ق .م وسيطرت على ميليتوس وقررت تأديب الإغريق الذين قدموا لها المساعدة في تمردها وهكذا اعتبر عام 498ق .م بداية الحروب الإغريقية الفارسية بسبب القضاء على حلف ميليتوس وتدمير القوة التي أرسلتها أثينا وأريتريا .[42]

2- حملة عام 492ق .م (حملة ماردونيوس) : بدأ داريوس بإعداد جيش كبير للانتقام من المدن اليونانية في أوروبا بقيادة ماردونيوس ولكن مسيرة الجيش الطويلة عبر الدردنيل وعلى طول ساحل تراقيا أفقد ملك الفرس الكثير من جنده ، كما أن الأسطول الذي صاحب القوات البرية تحطم وهو يحاول أن يدور حول جبل أتوس ، ولذلك أقلع عن التقدم الى بلاد الإغريق على أمل أن يقوم بغزوة أخرى من طريق بحر إيجه .

3- معركة490ق .م (معركة ماراثون) أرسل داريوس حملة بحرية ضخمة اكتسحت ساموس وأرتيريا وكان هدفها أثينا فنزل الجيش الفارسي في سواحل أتيكا وخليج ماراثون وكان يقود الجيش مع القادة الفرس طاغية أثينا السابق (هيبياس) الذي كان يأمل في استعادة مدينته ، وقد كان الجيش الفارسي كبيراً وقوياً وطلبت أثينا النجدة من إسبارطة ، لكن إسبارطة وغيرها من المدن اليونانية ظلت تتفرج على مصير أثينا المحتوم .

قاد (ملتيادس) جيوش أثينا ولم ينتظر الهجوم الفارسي بل هاجم الجيش الفارسي المرابط في سهل ماراثون ثم حصلت المواجهة الكبرى وانتصرت فيها أثينا انتصاراً عظيماً .

4- معركة480ق .م (معركة سلاميس البحرية) : مات الامبراطور الفارسي داريوس الأول وخلفه ابنه اكسركيس (أحشويرش) الأول فجهزّ حملة فارسية كبيرة سلكت

مسلكين بري وبحري . وكان الإغريق يستعدون لمقابلة الهجوم الفارسي فكونوا حلفاً هيلينياً في كورنثا شمل القسم الأكبر من المدن اليونانية (رغم تلكؤ بعضها مثل طيبة وإسبارطة) .

وكان الجيش الفارسي والأسطول الفارسي يفوقان نظيريهما اليونانيين ، وحين تلاقى الجيشان انتصر الفرس في الجولة الأولى ، لكنّ صمود أثينا وبراعة القائد (ثيموستوكليس) أوقفت هجوم الفرس وكسرت أسطولهم البحري .[43]

5- معركة 479 ق .م (معركتا بلاتيا البرية وميكالي البحرية) : قامت القوات اليونانية بهجوم مضاد للجيش الفارسي المندحر فأحرزت نصراً كبيراً بقيادة اسبارطة في معركة ميكالي عند شواطئ جزيرة ساموس .[44]

وهكذا نجت بلاد اليونان كلها واوروبا كلها من السقوط أمام الفرس ونجح الأسطول الإغريقي في تطهير الجزر اليونانية من الفرس ، واستولى على الجانب الأوربي للدردنيل وبهذا سدّوا الطريق أمام العبور الفارسي من آسيا إلى أوروبا وانتهت بذلك الحروب الفارسية اليونانية . . . ولم يضع جيش فارس ، بعد ذلك ، أقدامه في اوروبا .

يقول المؤرخ الألماني بنكتسون : «إن اوروبا مدينة بحضارتها إلى بوزنياس بطل معركة بلاتيا وثيموستوكليس مؤسس الأسطول الأثيني وبطل معركة سلاميس» .

الحروب الاغريقية القرطاجية في القرن الخامس ق.م

بعد انتصار اليونان على الفرس في معركة سلاميس البحرية قام الإغريقي (جيلون) دكتاتور سيراكوز في صقلية بتأسيس دولة قوية شرق صقلية وطرد حاكم مدينة (هميرا) الموالي لقرطاج فما كان من القائد (هامليكار) الاّ الهجوم على جيلون بأسطول كبير ، ورغم هبوب عاصفة شديدة حطمت السفن التي تحمل الخيول والعربات استطاع أن يرسو في باليرمو ، ثم تواجه مع جيش (جيلون) فانتصر جيلون ومات هامليكار في المعركة وقتل جنوده أو استعبدوا وحرق أسطوله وكانت سنة480 ق .م حاسمة في نجاح الإغريق في البحر المتوسط شرقاً وغرباً .وبعدها سنت معاهدة استعاد القرطاجيون ، من خلالها ، بعض ممتلكاتهم في صقلية .

في عام 409 ق .م هددت مدينة سيلونونته في صقلية (وهي ذات ولاء يوناني) مدينة سيجسته (وهي ذات ولاء قرطاجي) فأرسلت قرطاج جيشاً الى صقلية بقيادة (هانيبال بن جزجو) أحد أحفاد هامليكار (وهو ليس هانيبال قائد الحروب البونية) وقد نجحت حملته بتدمير مدينة سيلونونته وهميرا وقتل ثلاثة آلاف من الأسرى في المكان الذي سبق أن هزم فيه هامليكار .

وفي عام406 ق .م أرسلت قرطاج حملة ثانية إلى صقلية بقيادة هانيبال بن جزجو وهملكو بن هانو وهاجمت أغريقنتم وهزمتها ودمرتها بعد حصار طويل ، ومات هانيبال بالطاعون ، ولكن هملكو استمر في المغامرة ودمر بعد ذلك مدينة جيلا وهكذا أصبحت صقلية اليونانية مهددة بأكملها[45] .

ثالثاً: العصر الكلاسيكي (480-338) ق.م:

1. الإمبراطورية الأثينية(480-404)ق.م:

أ- حلف ديلوس يحوّل أثينا إلى إمبراطورية:

تحملت أثينا العبء الأكبر في حروب الإغريق مع الفرس ، وكان(ثيموستوكلس) روح أثينا في الحرب ، وكان قد عزم على ألاّ تسير أثينا في ركاب إسابرطة فأقام الأسوار القوية حول أثينا رغم معارضة الإسبارطيين . وفي الوقت نفسه حصّن (بيريوس) ميناء أثينا ، وبعد طرد الفرس وتخلي إسبارطة عن قيادة الأساطيل الإغريقية المتحدة أصبح الأسطول الأثيني سيد بحر إيجه .

كوّنت أثينا من مدن آسيا الصغرى الإغريقية وبحر إيجة حلفاً سنة (477) ق .م سمي بـ(حلف ديلوس) نسبة إلى جزيرة ديلوس حيث وضعت خزانة الحلف ، وكان هدف الحلف الأساسي توفير أسطول يوناني قوي مستعد دوماً لأي طارئ ، ثم حاول الأثينيون تحويل هذا الحلف عن أهدافه وجعله تابعاً لأثينا ، وأشاروا على حلفائهم أن يقدموا لهم مالاً وأنفقوا هذا المال على تقوية أسطولهم ، كذلك أقامت أثينا في بعض المدن المنظمة للحلف حاميات أثينية بقيادة ضباط نظاميين من الأثينيين .

ومع الزمن توقفت اجتماعات أعضاء الحلف واستقل الأثينيون باتخاذ القرارات فيه وهكذا فمن الناحية العملية تحول حلف ديلوس إلى امبراطورية أثينية وكان هذا التحول وما تضمنه من ازدياد مطّرد لقوة أثينا أحد الأسباب التي عجلت بنشوب الحرب بين القوتين العظيمتين في اليونان في ذلك الوقت وهما أثينا وإسبارطة ، وهي الحروب التي عرفت باسم الحروب البلوبونيزية .[46]

كان الأثينيون قد كشفوا نهائياً عن سياستهم الحقيقية مع هذا الحلف فنقلوا خزانته من ديلوس إلى أثينا عام454ق .م وأنفقوا منها ما أراده لصالح أثينا . ثم ظهر أقوى زعماء أثينا سيمون(توفي 449ق .م) وبركليس(460-430) ق .م .

ب- بركليس وعصره الذهبي(460-430)ق.م :

تولى بركليس الحكم في أثينا سنة 460 ق .م وكانت سياسته ترمي إلى بسط سلطان الأثينيين على بلاد الإغريق جميعاً حتى لو أدى ذلك إلى محاربة إسبارطة وقد عزم بركليس في بادئ الأمر على جعل أثينا أجمل مدن العالم ، وعمل على إعادة بنائها بأقصى قدر ممكن من الأبهة والروعة لذلك استعان بأقطاب المهندسين في ذلك العصر في بناء الأكروبول وبأكبر النحاتين لتزيين العمائر وصناعة التماثيل الكبرى وخصوصاً تماثيل الإلهة أثينا فكان (فيدياس) أعظم نحاتي أثينا أهلاً لذلك .

ومن أبرز منجزات بركليس الديمقراطية أنه نقل السلطة من مجلس الشيوخ الى الجمعية التشريعية ، وخوّل المواطنين كافة حق حضور جلساتها والتصويت فيها وذاعت شهرة أثينا منذ عصر بركليس بدستورها الديمقراطي وبما تمتع به الفرد من حرية سواء كان مواطناً أو أجنبياً .

وعلى صعيد الفكر ظهر في عصره عدد كبير من المفكرين الذين عرفوا بالسفسطائيين Sophistae (حرفياً : المشتغلين بالحكمة) الذين ظهروا في أثينا أو وفدوا إليها من المدن اليونانية الأخرى ليمارسوا فيها نشاطهم العلمي والتعليمي وهو نشاط تطرق إلى جوانب متعددة من فروع المعرفة .[47]

وأنجبت أثينا في عصر بركليس أعظم كتاب الدراما مثل أسخيلوس وسوفوكليس ويوربيدس وأرسيتوفانس وظهرت محاورات ثوكيديديس التاريخية ومحاورات سقراط الفلسفية .



شكل (19) رأس بركليس منحوتاً

كذلك ظهر هيرودوتس (485-425) ق.م واتخذ الصراع بين اليونان والفرس موضوعاً رئيسياً له وكان رحالة وقصاصاً ومؤرخاً عظيماً .

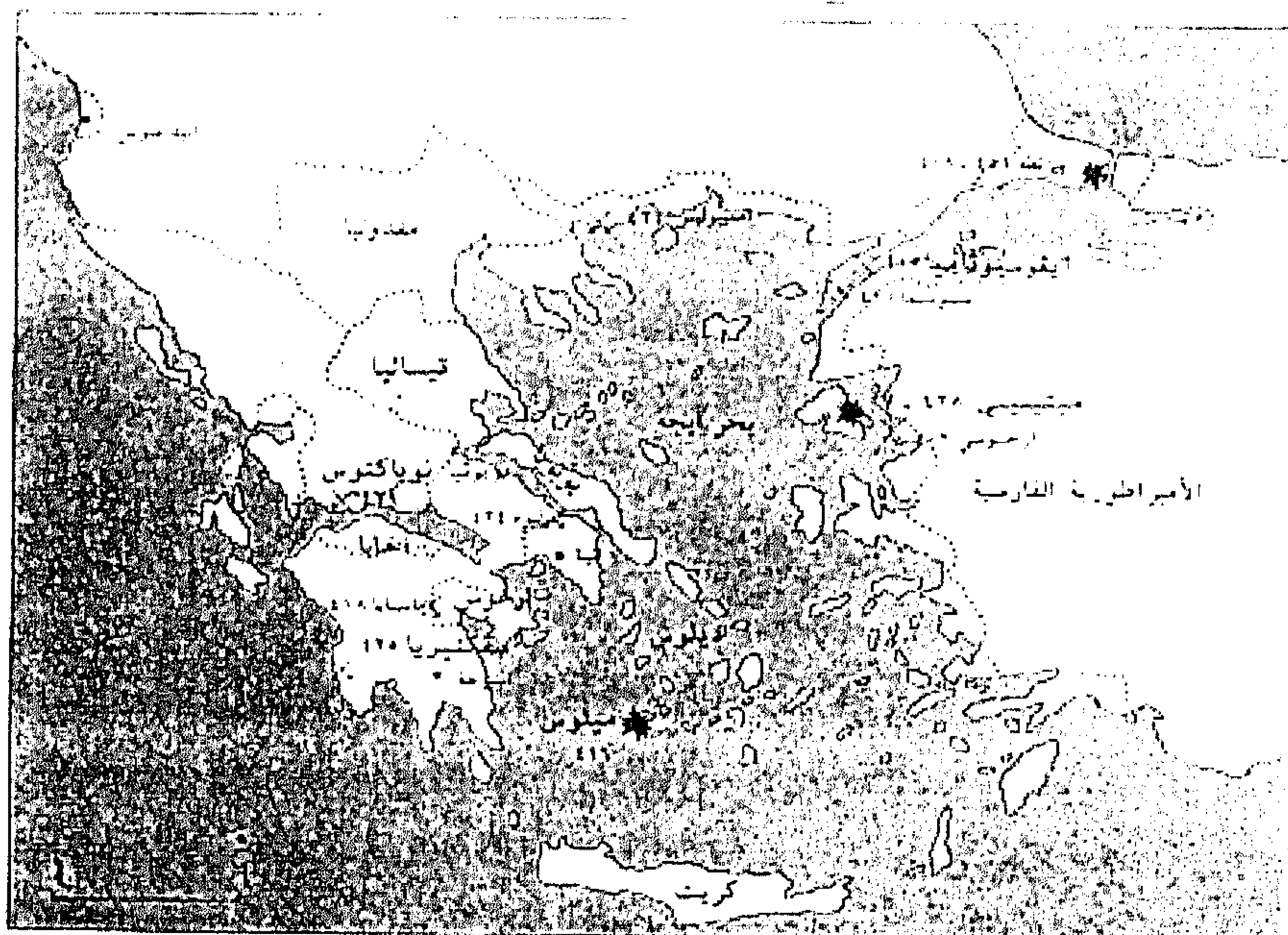
أما ثوكيديديس(460-400) ق.م فكان أول مؤرخ علمي ، فقد عاصر الحروب البلوبونيزية واستجوب المشتركين في تلك الحرب وشهود العيان من كلا الجانبين ، وربط بين العلة والمعلول ، وبسط الوقائع بأسلوب مقتضب وصريح . ومن المؤرخين اليونانيين اللامعين أيضاً زينوفون (430-354) ق.م . (48)

وهكذا ازدهرت الفنون والعلوم والآداب والفكر والعمارة في عصر بركليس الذي يعدّ بحق العصر الذهبي لأثينا بل ولليونان كلها عبر التاريخ .

ج- حروب البلوبونيز(431-404) ق.م :

شعرت إسبارطة أن أثينا بدأت تستحوذ على كل شيء فقامت بتأسيس حلف مواجه لحلف ديلوس وهو حلف البلوبونيز المكون من الدويلات أو المدن اليونانية الموجودة في شبه جزيرة البلوبونيز وكانت إسبارطة قوة برية تقوم على قاعدة اقتصادية زراعية ونزعة عسكرية وكانت تخشى على نظامها من امتداد النظام الديمقراطي الأثيني .

أما السبب المباشر الذي بدأت به حروب البلوبونيز فهو توسع نفوذ أثينا باتجاه الغرب وكسبها لمدينة كوركيرا للوقوف بصفها في هذا التوسع وهو ما أثر على عصب التجارة والحياة لمدينة كورنثا التي قامت بالتحالف مع إسبارطة . وهكذا لم تتصادم كوركيرا مع كورنثا بل تصادمت أثينا مع اسبارطة في ثلاث حروب استمرت لثلاثة عقود انتهت فيها سيادة أثينا وصعدت إسبارطة كقوة بديلة .



خارطة (6) حروب البلوبونيز في حدود (431)ق.م. حيث المساحات البيضاء تشير إلى إسبارطة وحلفائها بينما المساحات السمراء تشير إلى أثينا وحلفائها والدول المحايدة ونلاحظ ثلاث ثورات في بيزنطة وجزر بحر إيجه

الحرب الأولى (431-421) ق .م : وهي حرب استنزاف هاجمت فيها إسبارطة أراضي اثيكا التابعة لأثينا لتخريب الزراعة فيها وردّ الأسطول الأثيني بهجمات تخريبية على السواحل البلوبونيزية واستمرت أعمال التخريب بينهما لمدة عشر سنوات لم يحقق فيه الطرفان أيّ نتيجة ملموسة واستنزفت قواهما بشكل بطيء ومستمر وانتهى الأمر بتوقيع صلح بينهما في (421) ق .م هو (سلم نكياس) .

وكان بركليس قد لقي حتفه في بداية هذه الحرب عندما آوى أهل أثيكا في أثينا ليدمر أراضيهم ومحصولهم فظهر الطاعون في أثينا لازدحام السكان فعزل بركليس ثم أعيد إلى الحكم لكنه توفي حوالى(429) ق .م بمرض الطاعون .

الحرب الثانية(421-413) ق .م : تخلل سلم نكياس انتهاكات كثيرة ورأت أثينا أن بإمكانها الضغط على إسبارطة من خلال جزيرة صقلية واخضاع مدينة سيراكوزة فيها ولكن خصومات حزبية في أثينا عرقلت نجاح هذه الحملة وأدت إلى فرار قائدها الكبياديس إلى الجانب الإسبارطي وتغييره بقائد آخر أقل كفاءة منه وانتهت المواجهة بتدمير القوات الأثينية براً وبحراً في (413)ق .م .(49)

الحرب الثالثة (406-404) ق .م : رأت إسبارطة أنها يجب أن تظل مسيطرة على الأوضاع في اليونان بامتلاكها قوة بحرية كانت تعوزها منذ زمن بعيد فطلبت من الامبراطورية الفارسية تقديم أسطول بحري تجابه به قوة أثينا وحين استجابت فارس ، بعد عدة أعوام ، أرسلت إسبارطة اسطولها البحري للإستيلاء على مداخل البحر الأسود حيث الخط التجاري الذي يمول أثينا بما تحتاجه من القمح فتصدت لها أثينا وانتصرت عليها في أول معركة عام 406 ق .م لكنها هزمت في المعركة الثانية بعد سنتين عند مداخل البحر الأسود ، ودمّر الأسطول الاثيني عن بكرة أبيه .

وبتدمير الأسطول لم يكن أمام أثينا الاّ الإستسلام لشروط الصلح التي أملاها القائد الإسبارطي ليساندروس والتي كانت أبرز نتائجها انفراط عقد الامبراطورية الاثينية . وبذلك انتهت أول محاولة جادّة كان يمكن أن توحّد المدن اليونانية بصرف النظر عن صيغة السيطرة التي اتخذتها هذه الوحدة .(50)

2• سيطرة اسبارطة على اليونان(404-371)ق.م:

بعد انتصار إسبارطة على أثينا بدأت إسبارطة بالسيطرة على كلّ المدن التي كانت تشكل الإمبراطورية الأثينية لكنّ إسبارطة لم تكفّ عن نزعتها العسكرية وسطوتها المركزية فعاملت الدول اليونانية في اليونان ، والتي على الساحل الآسيوي بصرامة كبيرة بعد أن كان أملها كبيراً في حكم من نوع جديد وهكذا أرغمت إسبارطة هذه الدول على دفع جزية

سنوية وقبول حامية اسبارطية تتواجد بها لضمان بقاء الحكومات الموالية لإسبارطة ، فساد التذمر هذه المدن وبدأت تتحين الفرص للثورة على إسبارطة .

أما على الصعيد الخارجي فقد واجهت إسبارطة ، بقليل من الحكمة ، مشكلاتها مع الإمبراطورية الفارسية فقد تدخلت لصالح أحد المتنازعين الجدد على العرش في فارس وهو كورش الأصغر الذي هزم وقتل وبذلك توترت العلائق الإسبارطية الفارسية وزاد من توتر هذه العلائق الثورة التي أعلنتها المدن اليونانية على ساحل آسيا الصغرى آثناء فترة التنازع على العرش(51) .

ولم تجد إسبارطة حلاً لوضعها الشائك هذا سوى الهجوم على الفرس في آسيا الصغرى لكنها هزمت ثم حققت بعض النجاح ثم عقدت الهدنة بين الطرفين ، لكن فارس ظلت تتحين الفرص للقضاء على إسبارطة فجعلت مدن أيونيا والبلوبونيز ضد إسبارطة ثم انضمت مدن طيبة وكورنثا وأرجوس إلى المدن الثائرة لكن اسبارطة لم تسقط .

قرر الفرس العودة إلى أثينا ومدها بالعون للوقوف بوجه إسبارطة فقررت إسبارطة التنازل للفرس عن المدن اليونانية الآسيوية الأمر الذي زاد حدة ثورات المدن اليونانية في اليونان . وأدت الطبيعة دوراً في تلك الحروب المتداخلة والمصالح المتشابكة فقد تعرضت إسبارطة لعدة زلازل دمرت جزءاً منها لا يستهان به ولذلك وجدت المدينة ألاّ مفر من انتهاج سياسة جديدة بدأته بالصلح مع أثينا الاّ أن طيبة رفضت هذا الصلح فهاجمتها إسبارطة في موقعة (لوكوترا) لكنها هزمت هزيمة كانت القاضية عليها تماماً(52) .

3• طيبة وسيطرتها على بلاد اليونان (371-362)ق.م :

حلّت طيبة محل إسبارطة في زعامة اليونان وبدأت بإعادة بناء قواتها العسكرية ووجد الفرس في طيبة خير من يحقق لهم أطماعهم ، لكن سيطرة طيبة لم تستمر لفترة طويلة ولم تنجح هي الأخرى في توحيد بلاد اليونان .

وكان من بين ما أدى إلى هذه النتيجة أن طيبة كانت تفتقر إلى مقومات الماضي التاريخي والثورة والتقدم الحضاري الذي اعتمدت عليه أثينا في تكوين امبراطوريتها ، بينما كانت ، رغم إصلاحاتها في مجال القوات العسكرية ، تفتقد الجيش النظامي الدائم الذي كان يمثل عصب القوة الإسبارطية .(53)

وكانت اليونان تفقد سيطرتها على المدن اليونانية الآسيوية التي أصبحت في قبضة الفرس وكان القرطاجيون يضغطون على صقلية بكل ما يملكون من قوة .

وكان نظام دول المدن اليونانية في طريقه إلى التردي ، فكل مدينة تزداد عزلة واستقلالاً بعد التجارب المريرة في حبّ السيطرة من قبل المدن القوية على المدن الأخرى وانتشر بين اليونانيين نظام الجنود المرتزقة الذين مهّدوا لنزع الولاء و الوطنية عن أنفسهم وعن الآخرين بتعاملهم المنفعي المباشر مع كلّ من يمنحهم المال والجاه ، فقد ظهروا أول الأمر موالين للفرس في أشهر حملة مرتزقة ضمت عشرة آلاف جندي يوناني مرتزق قادها المؤرخ والعسكري زينوفون لتقاتل في حدود 400 ق .م تحت لواء الأمير الفارسي كورش في صراعه على العرش ضد أخيه (في زمن إسبارطة) والتي خلدها هذا المؤرخ في كتابه الشهير (أناباز أي الصعود) ثم أصبح المرتزقة يعتمد عليهم في المدن اليونانية بدلاً من المواطنين أنفسهم . وتصدت الأنظمة السياسية لهيكل دولة المدينة وكثرة الضرائب .

وسقطت طيبة في موقعة(مانتينا) وأفسحت المجال لأثينا في آخر صحوة موت لكي تؤدي دوراً في الوقت الضائع ، حيث كانت مقدونيا تستعد لتأدية الدور الأكبر في ختام المرحلة الهيلينية بأكملها .

4 ، محاولة أثينا للسيطرة على بلاد اليونان (359-338) ق.م:

لّما كانت إسبارطة وطيبة تفرضان سيطرتهما على بلاد اليونان كانت أثينا تتحسر على مجدها الذي أفل وكانت تتحين الفرص لظهورها من جديد قائدة لركب اليونان ، وقد حاول الفرس التلويح لها بذلك حين كانت إسبارطة تتزعم اليونان ، لكن الظروف السياسية لم تكن مؤهلة لذلك . وقد عملت أثينا خلال ذلك على إقامة حلف جديد بين المدن اليونانية على غرار حلفها القديم(ديلوس) وكانت المدن اليونانية تتذمر من إسبارطة ، ونجحت أثينا في مسعاها أولاً لكنها ما لبثت أن عادت إلى سياستها القديمة القائمة على التسلط والتبعية وتصرفت وكأنها امبراطورية جديدة ونسيت ما لاقته من حيف بسبب سياستها تلك . وهكذا خرجت المدن اليونانية من حلفها الجديد هذا فما كان من أثينا إلاّ وأن شنّت الحرب عليها وانتهت بعقد معاهدة صلح معهم عام 354ق .م اعترفت فيه أثينا باستقلال أهم المدن التابعة للحلف ، وهكذا فقدت أثينا آخر فرصة لها في توحيد اليونان في دولة واحدة .

وعندما ظهر الخطر المقدوني ممثلاً بطموحات الملك فيليب في توحيد مقدونيا والاستيلاء على اليونان انتبهت أثينا وطيبة إلى مخاطر هذا الملك الجديد وكوّنتا حلفاً بينهما لصد أطماعه لكن الوقت كان قد فات والملك المقدوني بدأ بانتزاع المدن اليونانية واحدة بعد الأخرى وحين اصطدم جيشه بالقوات الاثينية-الطيبية هزمها هزيمة ساحقة عند (خايرونيه) (شمال بويوتيه) عام 338ق.م وبذلك أصبحت كلّ بلاد اليونان خاضعة لسيطرة فيليب ، وجاء دور مقدونيا لتؤدي الدور القادم في تاريخ الإغريق .

رابعاً: العصر المتأخر (مقدونيا والامبراطورية المقدونية (338-323) ق.م:

1. فيليب المقدوني(359-336)ق.م :

كانت مقدونيا بعيدة عن الأحداث الدراماتيكية التي مرت بها اليونان خلال القرون المنصرمة كما أنها تختلف جغرافياً عن بلاد اليونان ، فهي تتكون من إقليمين أولهما السهل الساحلي المطل على خليج ثيرماي وفيه مقر الحكومة المركزية وثانيهما المرتفعات الداخلية التي كانت الحكومة تفرض عليها سلطة ضعيفة .

لم تظهر في مقدونيا دول مدن ، كما في اليونان ، بل ظلت مملكة وراثية ضاجّة بالقبائل «وكان الملوك المقدونيون ملوكاً زمنيين وكهنة وقضاة وقادة للجيوش وأمناء للمال ، وكان بقاء الملك رهناً بولاء النبلاء الذين كانت تشدهم إليه روابط شخصية وصلات عائلية ومن كانوا يعتبرون قرابة الملك ورجال قصره وكانوا يتحدثون اللغة الإغريقية» .[54]

كانت بيلاً (Pella) عاصمة مقدونيا وتولى فيها فيليب الملك بعد وفاة الملك برديكاس الثالث المقدوني صريعاً في عام (359) أثناء معركة ضد الأليريين فاختير شقيقه فيليب كوصي على الملك الطفل أمونتاس ولكنه أزاح الطفل وتولى العرش . وكانت مهمته الأولى تحرير مقدونيا من تهديد البرابرة من حوله واستطاع التخلص منهم واحداً بعد الآخر فهزم بايونياس أولاً ثم الليريين ، وقد قدّم ملك أبيروس ابنته (أوليمبياس) لفيليب زوجة بعد أن خلص فيليب أبيروس من ضغوط الليريين فأنجبت له هذه السيدة طفلاً في عام 256 ق.م أسماه الاسكندر ثم أنجبت منه ابنةً اسمتها كيلوباترا .[55]

وما إن ثبّت فيليب أقدامه حتى بدأ بالاستيلاء على المدن اليونانية واحدةً بعد الأخرى وقبل أن يقضي على التحالف الأثيني الطيبي حصل فيليب على مقعد لمقدونيا في (إمفكتيوني دلفي) أو (العصبة المقدسة) وهو ما يحمل اعترافاً إغريقياً بأن مقدونيا إغريقية وليست بربرية . وكان هذا الإمفكتيوني يضم المدن الهامة كأثينا وإسبارطة .

وبانتصاره على تحالف أثينا وطيبة أصبح فيليب هو الرئيس التنفيذي للعصبة المقدسة وقائدها العسكري وتكوّن مجلس يمثل الأعضاء الذين كان كلٌّ منهم يتمتع باستقلال ذاتي . ونصّت شروط الاتحاد على أنه لا يجوز لأحد من الأعضاء أن يعلن الحرب ضد عضو آخر ، حيث كان يجب على الإغريق أن يرتبطوا منذ الآن بسلام .(56)

كان مقر هذه العصبة مدينة كورنثا ، وبتوجهها السياسي هذا يكون نظام دولة المدينة في اليونان قد لفظ أنفاسه الأخيرة وأصبحت اليونان ومقدونيا مملكة واحدة بقيادة فيليب . ورغم أن مقدونيا اجتاحت المدن اليونانية عسكرياً وحكمتها لكن الثقافة اليونانية غزت المقدونيين حضارياً وصبغتهم بلونها بل إنهم أصبحوا أكبر رعاتها وممثليها ونقلوها إلى العالم بأسره بعد أن كانت أسيرة ضيق الأفق السياسي للمدن الإغريقية .

أصبحت عصبة كورنثا مقرّ القرار السياسي لمقدونيا واليونان وقررت مساندة فيليب في إعلان حرب ثأرية ضد الامبراطورية الفارسية انتقاماً مما فعله اكسركيس (أحشويرش) ببلاد الإغريق .

وبدأ فيليب يعد نفسه لهذه الحرب فأرسل أولاً قوة استطلاع إلى آسيا الصغرى عام (336)ق .م ولكنه اغتيل ، قبل اللحاق بها ، حين كان في زفاف ابنته وخلفه على العرش ابنة الإسكندر المقدوني .

2. الاسكندر المقدوني(336-323)ق.م :

اعتلى الاسكندر عرش أبيه وهو دون سن العشرين وكان يمتاز بميزات شخصية أفردته وجعلته متميزاً عن جميع الملوك الذين سبقوه والذين تلوه فقد كان طموحه لا حدود له وكان ثبات شخصيته في الملمات أكبر من أن يوصف إضافة إلى تحليه بالمعرفة اللائقة التي أخذها من معلمه أرسطو وقد ورث الاسكندر عن أمه ذلك المزاج الحاد الجيّاش بالعاطفة وتلك النزعة الصوفية الدينية وذلك الخيال المتوهج وورث عن أبيه الشجاعة والطموح والجرأة .



شكل (20) صور مختلفة للإسكندر المقدوني، الأعلى على مسكوكة نقدية ويظهر له قرنان على هيئة (آمون) الكبش، السفلى إلى اليسار وهو يضع خوذة على شكل رأس أسد متمثلاً بهرقل



شكل (21) الاسكندر المقدوني يحارب دارا (تفصيل من اللوحة القادمة)



شكل (22) معركة الإسكندر ودارا (لوحة فسيفساء رومانية عن أصل يوناني)

أول الأعمال التي قام بها الاسكندر قضاؤه على ثلاثة من المطالبين بالعرش ثم هزيمته للتراكيين والاليريين الذين ثاروا على مقدونيا بعد وفاة فيليب ثم هجومه الصاعق على طيبة وتدميرها والذي كان يحمل رسالة تحذير إلى المدن اليونانية بالخضوع له ، وقد تمّ له ما أراد فسارعوا بتلبية مطالبه ودعموا مشروعه في غزو الفرس وهو المشروع الذي خطط له أبوه وهكذا بدأت أولى خطوات غزو الشرق وتكوين الامبراطورية المقدونية والتي يمكن تتبعها كما يلي :

1- في عام (334)ق .م عبر الاسكندر إلى آسيا الصغرى ومعه جيش جرار وعبر الدردنيل إلى طروادة وزار ضريحي بريام وأخيل الذي كان يزعم أنه جدّ من أجداده ، وبينما هو في طروادة بلغت أخباره أسماع الفرس الذين هيأوا جيشاً كبيراً لملاقاته .

2- معركة غرانيق(Granicus) عام (334)ق .م مع القوات الفارسية ، وغرانيق هو نهر يجري في إقليم طروادة ويصب في بحر مرمرة وقد صادف الاسكندر بعض قوات الإغريق المرتزقة فدمرها ودمر القوات الفارسية وعبر نهر غرانيق وحرر المدن اليونانية في ساحل آسيا الصغرى وفشل الأسطول الفارسي في تحريض الإغريق على الثورة ضد الاسكندر .

3- معركة إسوس(Issus) عام(333)ق .م وإسوس هو سهل يقع بعد جبل أمانوس وكان يتاخم شواطئ خليج الاسكندرونة حيث جمع الفرس بقيادة داريوس (دارا) الثالث قوة كبيرة من المرتزقة الإغريق والفرس فهاجمها الإسكندر وهرب داريوس تاركاً وراءه أمّة وزوجته وأولاده الذين استخدمهم الاسكندر كرهائن .

4- سقوط المدن الفينيقية عام (332)ق .م لم يقتفِ الاسكندر أثر الملك المهزوم واتجه جنوباً على الساحل الفينيقي ليفصل القوة البحرية الفارسية عن القوات البرية وسقطت صيدا وبيبلوس وأروادوس ، لكن صور قاومته سبعة أشهر كاملة من الحصار المر قبل أن تسقط في يديه ، وبعد شهرين من الحصار سقطت غزة .

5- سقوط مصر عام (332)ق .م دخل الاسكندر مصر دون مقاومة تذكر أواخر عام (332)ق .م في منف :قدم القرابين للعجل المقدس أبيس وتوّجه الكهنة فرعوناً على مصر .

أسس مدينة الاسكندرية عند مصب فرع النيل الكانوبي ، وفي واحة سيوة : عبر الصحراء وحجّ إلى معبد آمون سيوه وأعلنه الكهنة ابناً لآمون وحصل أمام الرأي العام على

تأييد آمون لمشروعاته التي كانت ترمي إلى بسط سيادته على العالم . ولكي يشبع ميوله للمغامرة ورغبته في اقتفاء بطلي الأساطير الاغريقية برسيوس وهرقل الذي شاع الاعتقاد قديماً بأن الاسكندر يتحدّر من سلالتهما وأنهما تزودا بمشورة أمون سيوه قبل أن يغامرا في الاسكندرية : قام بتنظيم البلاد تنظيماً دقيقاً ومنح مصر استقلالاً داخلياً وعين عليها حاكمين بإشراف شخص اسمه (كليومنيس) الذي أصبح عملياً هو والي مصر الأول ، والذي كانت سمعته سيئة واستغل موارد مصر وخصوصاً القمح لثرائه الشخصي .

6- معركة جاوجميلا Gaugamela (أربل ، أربلاء) 331ق .م : اتجه من الاسكندرية نحو الشمال عبر سوريا إلى دجلة وكان يسد طريقه نحو بابل جيش ضخم جمعه داريوس من جميع أنحاء الامبراطورية وصعد هذا الجيش مع دجلة إلى منطقة قرب أربيل تسمى جاوجميلا وهزم الاسكندر جيش الفرس وهرب داريوس قبل انتهاء المعركة (شكل 22) ثم سار الاسكندر من جاوجميلا إلى بابل حيث قدم القرابين في معابد الآلهة وأمر بإعادة ترميم معبد مردوخ الذي دمره الفرس ، وكان قد قرر أن يتخذ من بابل عاصمةً لامبراطوريته .

7- احتلال بلاد فارس(330-328)ق .م توجه الاسكندر نحو مدينة سوسة العاصمة القديمة لعيلام والمقر الصيفي لملوك فارس واحتلها ، ثم شق طريقه في الجبال واستولى على خزائن ملوك فارس وأحرق قصر أكسركيس ، ثم ذهب إلى أكباتانا عاصمة مملكة ميديا القديمة لمحاربة داريوس لكنه بعد المطاردة عرف أن داريوس قد قتل من قبل حارسه الخاص .

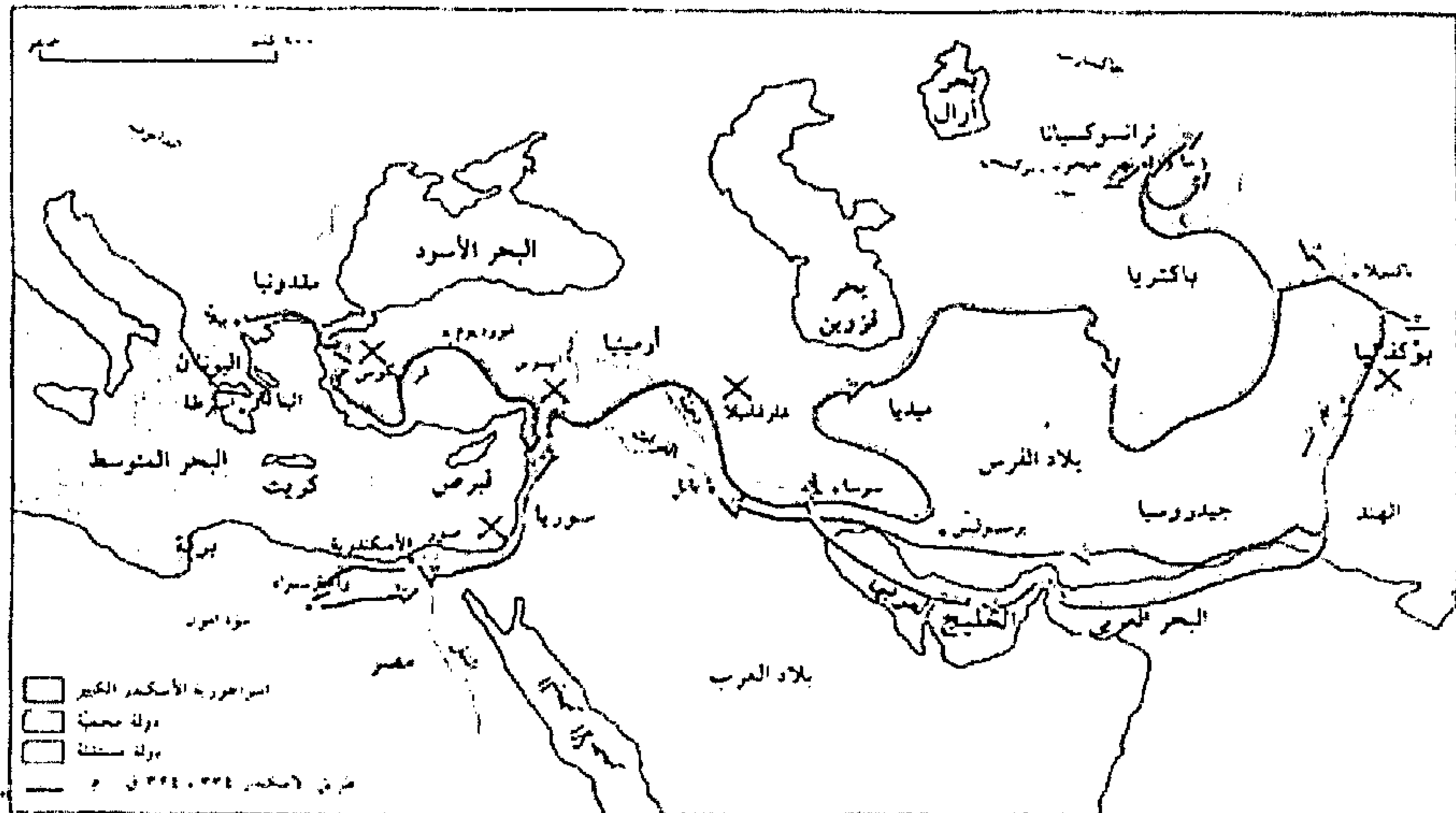
8- احتلال أفغانستان (329-327)ق .م بلغ الاسكندر وادي كابل واخترق جبال هندكوش عام 328ق .م ثم وصل إلى بلاد الصغد (بخارى) وبعد أن أذعن الأمراء الوطنيين لسلطانه اقترن بروكسانا ابنة اوكسيرتيس ، وأنشأ عدة مدن وربما كانت مدينة قندهار تحريفاً لمدينة على اسمه (الاسكندرية) ومدينة لينينا باد (الاسكندرية القصوى) .

9- احتلال الهند(327-325) ق .م تسلق حصن آورنوس (الذي لا يحطّ عليه الطير) واجتاز نهر السند نحو البنجاب وكسب صداقة الأمير الهندي ناكسيلس لكنه حين وصل إلى نهر هيداسبيس (جيلوم) اصطدم بقوات فورس(بورس) وهو حاكم محلي هندي تقع إمارته على نهر هيداسبيس وانتصر عليه . وكان يطمح لبلوغ نهر الكنج لكنه حين وصل إلى نهر هيفاسيس (بياس)رفض جنوده التقدم أبعد من ذلك فاضطر الاسكندر إلى العودة وعاد أدراجه باتجاه بابل .

10- العودة إلى سوسة(324)ق .م في طريق عودتة اقتحم مدينة مالي (ملتان)ثم اجتاز صحراء بلوخستان ثم السوس حيث نظم أمورها إدارياً ثم شهدت السوس حفلات زواج بلغت أعلى درجات الأبهة حين اقترن الاسكندر بـ(ستاتيرا) ابنة دارا واتخذ حوالى المائة من قواده أزواجاً من الفارسيات إعلاناً منه لاتحاد الغرب بالشرق في امبراطوريته المقدونية .

11- وصوله إلى بابل ووفاته(323)ق .م وصل إلى بابل في ربيع 323 ق .م ووجد السفراء الأجانب بانتظاره وكان عازماً على جعلها عاصمة امبراطوريته . وخطط لحملة على بلاد العرب لكنه أصيب بالحمى (بسبب الملاريا أو الطاعون) ومات في 13تموز 323 ق .م في بابل «ويشك البعض أنه قد دُس له السم ، إذ إن هذا المرض قد ظهر عليه فجأة بعد وليمة حضرها . ولم تستطع أمه أوليمبياس أن تقتلع قط من خاطرها جذور هذا الشك فانتقمت ممن افترضت أنهم قتلوه شرّ انتقام[57]» .

وهكذا مات الاسكندر وهو في عمر (33) عاماً ، بعد أن كوّن هذه الامبراطورية المترامية الأطراف وبوفاة الاسكندر تكون المرحلة الهيلينية (الإغريقية) قد انتهت وبدأت مرحلة جديدة هي المرحلة الهيلنستية التي سنتناول تاريخها وعقائدها في كتاب منفصل .



خارطة (7) إمبراطورية الاسكندر الكبير

هوامش ومراجع الفصل الأول

(1) غريمال ، بيار وجماعته : موسوعة تاريخ أوربا العام ، الجزء الأول : أوربا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر ، ترجمة أنطوان أ . الهاشم ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، 1995 ، ص 61 .

(2) Silverbery, Robert: The morning of mankind, New york, 1967.

وانظر غريمال ، بيار و جماعته : مرجع سابق ، ص 63 .

(3) علي ، عبد اللطيف أحمد : التاريخ اليوناني (العصر الهللادي) ، ج 1-2 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1971 ، ص 654 .

(4) المرجع نفسه .

(5) غريمال ، بيار وجماعته : مرجع سابق ، ص 74 .

(6) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 656 .

(7) غريمال ، بيار و جماعته : المرجع السابق ، ص 78 .

(8) عكاشة ، بيروت : الفن الإغريقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982 ، ص 23 .

(9) المرجع نفسه ، ص 24 .

(10) غريمال ، بيار وجماعته : مرجع سابق ، ص 110 .

(11) يحيى ، لطفي عبد الوهاب : اليونان . . مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، د .ت ، ص 78 .

(12) ميرز ، ج .ل :« المينويون والمسينيون ، بلوغ الحضارة في أوربا» كتاب "تاريخ العالم" للسيرجون ، أ . هامرتن ، المجلد الثاني ، ترجمة وزارة المعارف المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ب .ت ، ص 57 .

(13) عكاشة ، ثروت : مرجع سابق ، ص 31 .

(14) النيهوم ، الصادق وجماعته : «الحضارة المينوية» ، موسوعة بهجة المعرفة . المجلد الأول ، المجموعة الثانية (مسيرة الحضارة) ، مراجعة الدكتور شاكر مصطفى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1982 ، ص 77 .

(15) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 680-688 .

(16) غزال ، أحمد حسن :« تطور الفن الإغريقي في العصر الهيلاّدي والتأثيرات المصرية» ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 12 ، العدد 3 ، وزارة الإعلام في الكويت ، أكتوبر ـ نوفمبر ـ ديسمبر ، 1981 ، ص61 .

(17) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 423 .
(18) ويس ، أ .ج .ب : طروادة . . منزلتها في الأدب والتاريخ ، الفصل 29 من كتاب "تاريخ العالم" للسيرجون .أ . هامرتن ، المجلد2 ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د .ت ، ص 148 .
(19) المرجع نفسه ، ص 150 .
(20) المرجع نفسه ، ص 157 .
(21)علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 423 .
(22)المرجع نفسه ، ص 424 ، قمنا بتنظيم هذا الجدول في ضوء المعلومات الواردة في المرجع .
(23) غريمال و جماعته : مرجع سابق ، ص 117 .
(24) ويس ، أ .ج .ب : مرجع سابق ، ص 163 .
(25) المرجع نفسه ، ص 164 .
(26) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 840 .
(27) المرجع نفسه ، ص 841 .
(28) ويس ، أ .ج .ب : مرجع سابق ، ص 158 .
(29) المرجع نفسه .
(30) هاليداي ، و .ر : « الفتح الدوري والهجرات الأيونية» . من كتاب "تاريخ العالم" للسيرجون .أ . هامرتون . المجلد الثاني . الفصل32 ، ترجمة إدارة الترجمة في وزارة المعارف العمومية ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،ب .ت ، ص 279 .
(31) المرجع نفسه ، ص 280 .
(32) جاردنر ، سير ألن : مصر الفراعنة . ترجمة د .نجيب ميخائيل إبراهيم و د .عبد المنعم أبو بكر ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1988 ، ص 313 .
(33) النيهوم ، الصادق وجماعته :«اليونان الكلاسيكية» ، موسوعة بهجة المعرفة ، المجلد الأول ، المجموعة الثانية (مسيرة الحضارة) ، مراجعة الدكتور شاكر مصطفى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1982 ، ص143 .
(34) يحيى ، لطفي عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 149 .
(35) المرجع نفسه ، ص 106 .
(36) النيهوم ، الصادق وجماعته : مرجع سابق ، ص 145 .
(37) الشيخ ، حسن : اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2000 ، ص 50 .
(38) المرجع نفسه ، ص 52 .
(39) المرجع نفسه ، ص 54 .
(40) يحيى ، لطفي عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 138 .

(41) المرجع نفسه ، ص 151 .
(42) المرجع نفسه ، ص 157 .
(43) المرجع نفسه ، ص 158 .
(44) المرجع نفسه ، ص 60 .
(45) المرجع نفسه ، ص 154 .
(46) الشيخ ، حسين : مرجع سابق ، ص 58 .
(47) يحيى ، لطفي عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 166 .
(48) النيهوم ، الصادق وجماعته : مرجع سابق ، ص 157 .
(49) يحيى ، لطفي عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 173 .
(50) المرجع نفسه .
(51) الشيخ ، حسين : مرجع سابق ، ص 64 .
(52) المرجع نفسه ، ص 65 .
(53) يحيى ، لطفي عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 177 .
(54) مكاوي ، فوزي : الشرق الأدنى في العصر الهيلنستي والروماني ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة ، 1999 ، ص 2-3 .
(55) المرجع نفسه ، ص 4-5 .
(56) المرجع نفسه ، ص 11 .
(57) باترسون ، و .روميني :دراسة للإسكندر بصفته بطلاً من أبطال العالم ، كتاب"تاريخ العالم" للسيرجون .أ . هامرتن ، المجلد الثالث ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة بمصر ،القاهرة ، د .ت ، ص 57 .

الفصل الثاني

اللاهوت والمعتقدات الإغريقية



أثينا بلاديوم

الله: نهار وليل، شتاء وصيف، حرب وسلام، أشكاله شتّى كما تختلطُ النارُ بالبخور فتأخذ اسم شذا كلٍّ نوع منه، فهو ينتشر ويتجمع، يتقدم ويتراجع، محال أن تنزل النهر مرتين في مكان واحد، فمياه الأنهار دائمة التجدد.

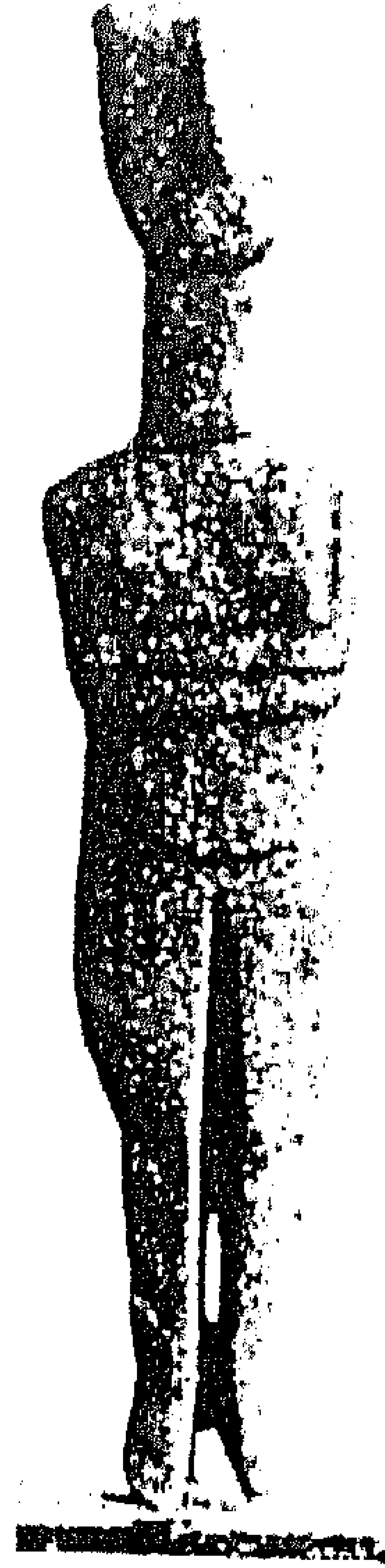
(هيراقليطس)

المبحث الأول

المعتقدات الدينية ما قبل الهيلينية

كانت عبادة الإلهة الأم في الجزر الكيكليدية (السيكليدية) امتداداً لعبادة الإلهة الأم النيوليتية ، سواء في جزر بحر إيجه أو في آسيا الصغرى ، وكانت تعبر عن نفسها في التماثيل الرخامية ذات الصياغة الهندسية الشكل . فالإلهات العاديات من ربات الخصب يظهرن في أشكال منتفخة تشبه الكمان أو في كتل هندسية دائرية أو مثلثة تمثل الرأس ، واسطوانية أو مخروطية تمثل الرقبة ومستطيلة أو مربعة تمثل الجذع والبطن ومثلثة تمثل الأطراف . . وهكذا . . فظهرت النزعة التصميمية أو الهندسية Stylistic في العصر الحجري الحديث في مقابل النزعة الطبيعية أو المطابقة للطبيعة Naturalism في العصر الحجري القديم . كما نلاحظ أن الأعضاء الأنثوية تبدو بأحجام أقل من حجمها الطبيعي في تماثيل الكيكليدس وهذا يدل على احتفاء عقائدي بالروح الحالّة فيها أو التي تحركها(الشكل 23) وكذلك الآلهة المصنوعة من الرصاص في طروادة (الشكل24) . تغيّر الأمر كثيراً في العبادة الكريتية (المينوية) وتوسعت المعتقدات« فقد كانوا يخشعون لظواهر الحياة وقوى الطبيعة وبعض الحيوان كالأسد واليمام والغربان و الثعابين وبعض الأشجار والنبات وقمم الجبال والصخور والينابيع . وإنا لنلمح أيضاً دلائل تنبئ بأنهم كانوا يرصدون الشمس والقمر»[1] .

أما الإلهة الأم فتظهر بعظمة أكبر ولكنها لم تعد لوحدها فهناك إلهات أقل شأناً منها ، وأحياناً هناك ذكرٌ أصغرُ منها يعرف بابنها كما هو سائد في عقائد آسيا المجاورة لكَريت ، أي إن الآلهة كثرت بل إنها تعدت الشكل الإنساني الذي كانت تظهر فيه آلهات الخصوبة النيوليثية فقد ظهرت كبشر أو كحجارة منتصبة أو أعمدة أو محاريب ذات قرون أو صومعة أو كفأس ذات حدين أو كدرع جلدي .



شكل (23) الإلهة الأم الكيكليدية



شكل (24) الإلهة الأم، الطروادية
(من طروادة الثانية)

ويبدو أن الملك مينوس اتخذ من الفأس المزدوجة وزهرة الزنبق رمزاً لعرشه ونرى أن الفأس المزدوجة تشير إلى إله الهواء والعاصفة الذي تمتد جذوره إلى سومر وحضارات العراق القديمة ، فقد كان الإله السومري إنليل يُمثَّل منذ الآلف الخامس قبل الميلاد برمز الفأس المزدوجة والثور (البكرانيوم) وهي نفس رموز إله كريت المينوي . ويبدو أن عبادة الثور والفأس المزدوجة (البلطة المزدوجة) انتقلت من وادي الرافدين عبر الحثيين حيث ربطت عبادتها الإيجيين بشعوب آسيا الصغرى«حيث كانت البلطة المزدوجة رمز الإله تيشوب لدى الحثيين . وكانت تعني كلمة(لابريس)في لغة الكاريين بلطة مزدوجة . وقد اتخذ (زوس لابراندي) موضوعاً للعبادة في كاري فيما بعد .وربما جاءت الكلمة اليونانية (لابيرينت) من هنا ، وهي تسمية قصر ملوك كريت ، بحيث يمكن فهمها وكأنها تعني (بيت البلطة المزدوجة)[2] .

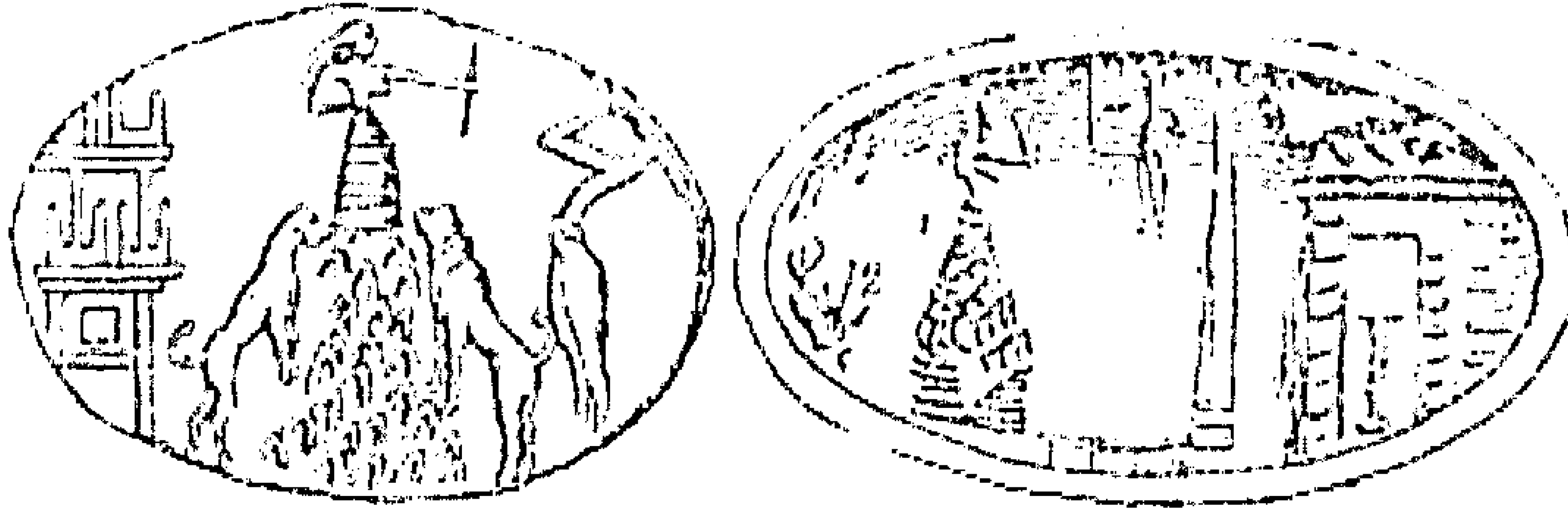
وهذا يعني أن عقيدة الإله الذكر الممثل بإله العاصفة والطقس قد بدأت بالظهور في كريت بهيئة الثور ورمز الفأس المزدوجة . وإن اقتران الفأس المزدوجة بزهرة الزنبق يدل على ارتباط الإله الثور بآلهة الحب والجمال الكريتية التي نجهل اسمها والتي مثلت بربة الأفاعي ويرى البعض أنها من رواسب الوثنية البدائية والفتيشية بشكل خاص ، أما طقوس التضحية فكانت تقدم فيها القرابين للآلهة ويسكب دمها على الأرض أو فيها تصحبها نذور أخرى محروقة ، وكانت للآلهة معابد في داخل القصور حيث تظهر فيها شارات مقدسة من بينها الصليب والحلي وأواني النذور من شراب وطعام[3] .

كانت الآلهة الكريتية تصور كربة للأفاعي (شكل 25) تلتف الأفاعي حول صدورهنّ ومعاصمهن والتي ترمز إلى الخصوبة وقد عثر على هذه المنحوتات في قصر كنوسوس حوالى1600ق .م .



شكل (25) إلهة الخصوبة الكريتية (الإلهة الأم) كنوسوس 1600ق.م

وكذلك ظهرت أشكال هذه الإلهة الأم في كريت على نقش خاتم وهي تقف على جبل وتصطاد أو وهي تستنزلُ المطر ، شكل(26) .



شكل (26) الإلهة الأم الكريتية على جبل تصطاد وتستنزل المطر

وكذلك تطور آلهة موكينا الأم (مجهولة الاسم) من الأشكال الهندسية القديمة إلى أشكال جديدة فنراها متوجة بالخشخاش ، الشكل(27) ، أو حاملة الأنشوطة المقدسة ،الشكل(28) .



شكل (27) الإلهة المتوجة بالخشخاش / موكينا



شكل (28)
الإلهة ذات الأنشوطة
المقدسة / موكناي

ويعتقدُ أن الإيجيين عبدوا (الدرع المزدوجة) مقارنةً بـ(البلطة المزدوجة) وقد ظهرت أشكال هذه الدرع إما بمقبض أو بهيئة على شكل(8) وظهر مثل هذه الدرع في الآثار الكريتية أحياناً . وتبدو البلطة المزدوجة مشتركة بين الإلهة الكريتية الأم والإله الكريتي الذكر« وقد ساد الاعتقاد بأن البلطة المزدوجة تبسط على البيوت وغيرها من الأشياء نوعاً من الحماية العليا .وكان يقترن بالربة معبود شاب .وقد لوحظ أن المحاريب الصغيرة في المنازل تتوسطها منضدة مستديرة مثلثة الأرجل توضع فوقها القرابين ، كما كان يوجد في الخلف بجوار الحائط مقعد ربما كانت توضع عليه أصنام على هيئة الأجراس وبلطة مزدوجة بين قرني التقديس»[4] .

ويبدو أن الإله الذكر أخذ شكلاً رمزياً عبر البلطة المزدوجة ثم عبر قرني الثور ، فقد كان الثور أكثر الحيوانات دلالة عليه وتحفل الرسوم والمنحوتات بمشاهد الثور «وخصوصًا ذلك الشكل المحفور على أحد الأختام والمثير للاهتمام ، ويمثل غولاً بجذع وأقدام بشرية ، إنما بقوائم مع ذنب ورأس عجل . وأمام الغول رسم رجل بيدين مسدلتين ، ويذكرُ هذا المشهد

عفوياً بقصة يونانية عن الإنسان الثور (مينوتاور) الذي يعيـــش في الـ(لابيرينت) الكريتي»[5] .

أما الإلهة الأنثى فكان يعبر عنها أحياناً بالحمامة وهي قرينة الهواء أيضاً الذي يشير إلى إله الطقس وهو الثور والبلطة المزدوجة ، ولكن الأشكال النسائية لها كانت هي الغالبة «فالوجوه النسائية كثيرة عادة في الصور والتماثيل الدينية . مثلاً هناك تمثال مثير للفضول لامرأة مرفوعة اليدين ، تقف أمام كلب قائمتاه الأماميتان مرفوعتان أيضاً نحو الأعلى . وتذكّر بعض الأسماء التي تمت قراءتها منذ وقت غير بعيد في النقوش المينوية بأسماء آلهة اليونان الكلاسيكية : أرتميدا ، بوسيدون ، هرمس ، غيرا ، زوس ، غيستي وغيرها ، غير أن أصل هذه الأسماء يثير الشك أحياناً»[6] .

والغريب في الديانة الكريتية هو عدم وجود معابد حقيقية فقد كانوا يتعبدون ، في الغالب ، في محاريب على قمم الجبال ويذكرنا هذا بالبدايات الأولى للعبادة الكنعانية/ الأمورية/ الآرامية ، وكان المينويون يقدسون آلهة الطبيعة ويعتقدون أنهم «يعيشون في العمدان والأحجار ، وأن الإنسان في وسعه أن يناديهم بواسطة الرقص والطقوس الدينية الأخرى . لذلك نجد بالمنازل الخاصة حجرات تحتوي على عمدان قصيرة ، وبنشأة القصور فقدت مثل هذه الحجرات ، كالكهوف أو المغارات المقدسة ، شعبيتها واستبدلت بها محاريب صغيرة»[7] .

وكانت تمارس الطقوس الدورية التي تمثلها الأعياد الزراعية التي تعتمد على الخصب وعقائده فهي تُظهر «المراحل الكبرى للحياة الزراعية ، ولا سيما الحصاد وجني الأثمار ، وتتخللها التطوافات والرقصات المقدسة المسيّرة أحياناً على أنغام الموسيقى . بيد أنه لا يمكننا أن نستنتج من ذلك أن هنالك نقلاً أو اقتباساً ، ويتخلل الاحتفالات الدينية مشهد غريب ، غير المسرحيات التي درجت عند المصريين أيضا ، بل الألعاب العامة مع ما يرافقها من معارك الملاكمة والمصارعة وسباق الثيران بنوع خاص»[8] .

ونرى أن هذه الألعاب الرياضية الموافقة للأعياد أخذت من عادة شرقية قديمة كانت قائمة ، في وادي الرافدين بشكل خاص ، حيث كانت الرياضة طقساً دينياً نيوليثياً قديماً ولم يتحول إلى رياضة دنيوية الاّ بعد الانقلاب الذي حصل في العصر الحجري النحاسي ثم في سومر بشكل خاص . وما نعرفه عن الألعاب الرياضية في الأعياد السنوية يمثل ذاكرة خفية لطقس ديني قديم فقد جذوره وما زال يظهر بطقوسه الشكلية فقط .

أما عقائد ما بعد الموت الكريتية فغير واضحة تماماً لكننا نعرف منها دفن أدوات الميت معه لكي يستمر في حياته بعد الموت وتوضح لنا بعض الصور والرسومات الميت وهو يقف أمام قبره وينظر إلى حاملي القرابين وهم يتقدمون نحوه وهناك عربة تجرها الخيولُ والعنقاوات ، وربما كانت لنقل الميت إلى العالم الآخر !!

أما العقائد الموكينية فقد ظهرت فيها الإلهة الأم ولعل العمود الذي فوق بوابة القصر الملكي وتظهر حوله اللبؤتان تشيران لها فقد كانت تظهر برفقة السباع أو في حراستها (شكل 13) .

وكانت العقائد الموكينية تمثل امتداداً للعقائد الكريتية ولذلك يصحّ أن نطلق عليهما الكريتية الموكينية .

المبحث الثاني

العقائد الدينية الهيلينية (الإغريقية) العامة

أولاً: أنواع عبادة الآلهة:

رغم الفكرة الشائعة عن الإغريق كونهم يعبدون عدداً كبيراً من الآلهة فإننا لا نستطيع أن نعمم هذه الفكرة بصورة مطلقة فنجعل منهم عبدة آلهة متعددة فقط ، وقد ظهرت أنواع مختلفة من عبادة الآلهة بدرجات متفاوتة لعلّ أكثرها شيوعاً تعدد الآلهة وفيما يلي ذكرٌ لهذه العبادات .

1. التعددية Polytheisime :

تحفل العقيدة الدينية الإغريقية بعدد كبير جداً من الآلهة القديمة ثم آلهة الأوليمبوس الاثني عشر بزعامة كبيرهم (زيوس) وعدد آخر من الآلهة الصغرى أو المحلية وأنصاف الآلهة والأبطال مثل هيراكليس وأخيلوس وعشرات من ربات وعرائس المروج والينابيع والغدران .

ولم تكن الآلهة الإغريقية أسيرة في هياكلها أو سماواتها أو ممالكها السفلى ، بل كانت تحيا في طرقات المدينة وفي بيوت الناس وفي حقول الكروم والزيتون . وكانت ماثلة في كل مسالك حياة الفرد اليوناني العادية لتكون شاهداً على قسم أو لحمايته من خطر معين أو لشفاءٍ من مرض خطير أو لتبارك عملاً ما[9] .

وكان الفرد الإغريقي لا يجهد نفسه كثيراً في تعقيد القوانين الخاصة بعبادتها فكان يحترمها دون تعقيد وأحياناً يقدم لها القرابين لتلافي أخطارها أو لجذب عطفها وهناك أشكال عديدة لتصنيف هذه الآلهة الكثيرة منها :

1- تصنيفها إلى ثلاث طبقات أولها آلهة السماء والتي جعلت مقرها على قمة جبل أوليمبيوس في تساليا ، وثانيها آلهة الأرض ، وثالثها آلهة البحر .

2- تصنيفها إلى سبع مجموعات هي : (آلهة السماء ، آلهة الأرض ، آلهة الخصب ، الآلهة الحيوانية ، آلهة ما تحت الأرض ، آلهة الأسلاف أو الأبطال ، الآلهة الأولمبية) .

3- تصنيفها إلى أجيال زمنية متعاقبة بدءاً من الآلهة الهيولية القديمة وحتى أحدث الآلهة . وقد قمنا في كتابنا هذا بمحاولة تقسيمها إلى عدة أجيال فوجدنا أنها تتكون من عدد من الأجيال هي :

أ . آلهة الهيولي

ب . آلهة الكون والعناصر الأربعة(الماء ، الهواء ، النار ، التراب)

ج . آلهة الهواء المنتصرة (التيتان أو الجبابرة)

د . جيل كرونوس وأولاده } ومنهم آلهة الأولمب

هـ . جيل زوس وأولاده

و . جيل أحفاد زوس

وتشكل هذه الأجيال الستة شجرة الآلهة الإغريقية التي سعينا إلى تشكيلها عبر هذه الأجيال والتي يصعب وضعها في شجرة واحدةٍ في كتاب كهذا(بسبب الحجم) (راجع الشجرة العامة في نهاية الكتاب) .

وقد نشأت الديانة اليونانية ، غالباً ، من انشطار وتعدد الصفات والمزايا الروحية للآلهة وتراكمها في مخزون ، قد يحفل بالتناقض ، ولكنه متصل بين آلهة عليا وآلهة وسطى تسري مع حياة الناس وتتصل بوجودهم اليومي«فلم يكن في الديانة اليونانية نبيٌّ قوي أو مصلح دامغ الحجة ، وربما أدخل أورفيوس وغيره في هذه الديانة ، الفينة بعد الفينة ، إلهاً جديداً أو رأياً دينياً مبتكراً ، الاّ أنه لا يتناقض والعبادة التقليدية»(10) .

2. التفريدية:

رغم أن زوس كان الإله القومي للإغريق في العصرين البرونزي والحديدي فإننا لا نجد الكثير من النصوص التي تجعل من هذا الإله الزعيم الأوحد للآلهة بل هو كبير الآلهة ويوصف بأنه (أب البشر والآلهة) . ولم تصل به نزعة التفريد إلى جعله الوحيد المهيمن على مسرح أحداث الآلهة ، ربما كان ملك جبل الأولمب حيث مجمع الآلهة ولكنه لم يكن الإله المطلق . نلاحظ أن الإله (أبولّو) نافس بشدة أباه وأصبح ، عملياً ، الإله القومي للإغريق في العصر الكلاسيكي بشكل خاص فهو إله الفتوة والشباب والحيوية والقوة والفنون والحكمة والشعر . . .الخ . وأصبح زوس إلهاً هرماً لا يقوى على التحكم بالطبيعة والناس .

وصعدت أثينا إلى مقام سام في العصر الكلاسيكي بحكم صعود مدينة أثينا السياسي والاقتصادي وأصبحت ربةً الحكْمة والحرب والقوة وكانت تناظر أبولو ولكنها لم تقترن به (كما هي العادة) بل ظلت عذراء إلى الأبد وما إن بدأ عصر الانحدار حتى أصبح الآله اسكلابيوس وهو ابن أبولو وإله الطب هو أمل الإغريق في الخلاص ولذلك نراه كأحد آلهة العالم الأسفل الذين يمنحون النجاة والخلاص واتفق هذا مع ظهور العصر الهيلنستي الذي اهتم بعقائد الخلاص وآلهة العالم الأسفل .

كانت ديانة أبولو في كريت ودلفي وأثينا تأخذ الرأي الراقي ذا المغزى الأخلاقي والتشريعي المتعلق بالقتل وتذيعه بين الناس .

وهكذا ظهرت نزعة التفريد ، طبقاً للمدن والثقافات ، مختلفة من مكانٍ إلى آخر ولم تتطور هذه النزعة إلى التوحيد ، بل إن افكار التوحيد ظهرت في الغالب ، من بطون الفلسفة وتأملات الفلاسفة . أما عبادة ديونيزيوس التي كانت القسم المشترك للعبادات السرّية فيمكن اعتبارها ديانة التفريد الشعبية والنخبوية معاً فقد فاز هذا الإله المانح للذة والخلود بمركز لم يصل إليه باقي الألهة . فقد كان الإله الذي يسيطر على ايروسية الحياة ويمنح الخلود والخلاص في الآخرة ، فهو إله شامل ومتفرد في آن ، ومن عبادته ظهرت فنون المسرح والعقائد الدنيوية وعبادات الأسرار فهو حقاً أكثر الآلهة تفريداً خصوصاً أنه يجمع بين الشرق والغرب في كيان واحد يقفز بالإنسان نحو الخلاص والأبدية .

3٠ التوحيدية Monotheisme :

ظهر بين مفكري الإغريق من نادى بالتوحيد ودعا إليه رغم الكمّ الهائل للآلهة اليونانية بمختلف أجيالها ولعل أهم المفكرين الموحدين هما زينوفان(كسينوفانيس) وسقراط ومعهما مدرسة وحدة الوجود التي يمثلها (بارمنيدس) :

أ- زينوفان (كسينوفانيس):

عاش في القرن السادس قبل الميلاد وساهم في تأسيس مدرسة إيليا الفلسفية وتوفي في صقلية . وقد بدأ عقيدته التوحيدية في انتقاده اللاذع لأقدم وأشهر شعراء الإغريق (هوميروس وهيسيودوس) اللذين ساهما قي لصق صفات مخجلة ومخزية من البشر إلى

الآلهة مثل كونهم يسرقون ويزنون ويخدعون بعضهم بعضاً وقد قال أيضاً في (الشذرة السادسة عشرة) من نصوصه : «الإثيوبيون يقولون إن آلهتهم سود البشرة وذوو أنوف فطساء ، في حين يقول الطراقيون إن آلهتهم ذوو عيون زرقاء وشعر أحمر» (11) .

كما يذكر في (الشذرة الخامسة عشرة) : «الماشية والخيل والأسود لو كان لها أيدٍ تستطيع أن ترسم وتقوم بالأشياء التي يقوم بها البشر لرسمت الخيول آلهتها في صورة خيول ولرسمت الماشية آلهتها من الماشية وجعلت أجساد هذه الآلهة على شاكلتها»(12) .

وهكذا يعود كسينوفانيس إلى الأصول ويخلخلها فهو يرى « أن كل ما تعلّمهُ الناس قد صاغه هوميروس منذ البداية»(13) .

ويذكر أرسطو أن كسينوفانيس اعتاد على أن يجادل في مقولة أن الآلهة تولد باعتبارها مقولة آثمة كالقول بموت الآلهة ، لأنه يترتب على القول بمولد الآلهة أو وفاتهم أنه في وقت من الأوقات لا توجد هذه الآلهة ويصل كسينوفانيس إلى ذروة معتقده في (الشذرة الثالثة والعشرين) عندما يقول : « هناك إله واحد هو الأعظم بين الآلهة والبشر ولا شبيه له بين البشر الفانين لا في الجسد ولا في الفكر»(14) .

وفي (الشذرة الرابعة والعشرين) يصف هذا الإله الواحد بأنه :«البصير بكل شيء ، العليم بكل شيء ، السميع بكل شيء»(15) .

إن كسينوفانيس مصلح موحّد تأمل الكون بعقله ووجدانه واهتدى إلى أنه لا بد لهذا الكون من خالق واحد مبدع عظيم على كلِّ شيءٍ قدير وبكل شيء عليم وبصير وسميع وينبغي تنزيهه عن كل النواقص ، لقد آمن بالتوحيد وبالخالق الواحد وانطلق يبشر بين قومه الإغريق بهذه الدعوة ويبين لهم زيف وخرافة ما يعتقدون ويدعوهم إلى نبذ هذه الخرافات والإيمان بالإله الواحد(16) .

ويبدو أن دعوة كسينوفانيس جاءت في غير وقتها ولم يكن الإغريق ، نخبة ومجتمعاً ، متهيئين لاستقبال فكرة التوحيد بسبب شيوع التعددية وانغمار الإغريق في نظرة دنيوية حسيّة للحياة .

ب- سقراط:

يقول سقراط «لقد بدأ هذا الأمر معي منذ طفولتي في صورة صوت معين يأتي إليّ ، وعندما يأتي فإنه دائماً ما يمسكني عما أنا مقدم على فعلهِ . وهو الذي يعترض على مشاركتي في الأمور العامة (السياسية)»[17] .

وكان سقراط يرى أنه(شخص مرسل من الإله) إلى مدينة أثينا وأن من واجباته نشر الفضيلة والأخلاق ، والعلم بينهم . وكان الذين حاكموه قد اتهموه بأنه لا يؤمن بآلهة على الإطلاق ، وأنه يرى أن الشمس حجر والقمر أرضٌ وليس آلهة . لكن سقراط ، على ما يبدو ، لم يكن يؤمن بتعدد الآلهة وتنوعها وكان يرى أن هناك إلهاً واحداً لهذا الكون .

كان يستغرب مما يروى عن شهوات الآلهة وعراكها« ويجد الدين بأنه تكريم الضمير النقي للعدالة الإلهية ، لا تقديم القرابين وتلاوة الصلوات مع تلطيخ النفس بالإثم . لذلك يعتقد أن الآلهة يرعوننا ، وأنهم عينوا لكلٍّ منا مهمة في هذه الدنيا ، وكان يؤمن بالخلود ، ويعتقد أن النفس متمايزة من البدن فلا تفسد بفساده ، بل تخلص بالموت من سجنها ، وتعود إلى صفاء طبيعتها»[18] .

كان سقراط غاضباً على عصره وكانت حياته سلسلة من الحوارات الطويلة من أجل رفعة الإنسان وقوته ونصاعة عقله .

لقد كانت حياته مجهوداً متصلاً لفهم الإنسان ونضالاً قوياً ضد الأخطاء والأوهام الشائعة في عصره وكفاحاً لا يهدأ لتحطيم القلق أو الاضطراب اللذين غرق فيهما أبناء أثينا لاستحكام الأطماع فيهم ، ونتيجة للاعتقاد بوجود عدد عظيم من الآلهة المتنافرين فيما بينهم المتناحرين بالأهواء والشهوات ، بدلاً من أن يكونوا مثالاً يحتذى وقدوة صالحة يسير الناس على منهاجها[19] .

قد لا يكون سقراط نبياً مرسلاً ولا نبياً وضعياً (من رجال الدين) لكنه كان أقرب ما يكون إلى رسالات الأنبياء ، حيث يقول كارل ياسبرس بأن آباء الكنيسة يعتبرون (سقراط) اسماً عظيماً وقد رأوا أنه رائد الشهداء المسيحيين ، فهو مثلهم قد قضى نحبه في سبيل عقيدته ، وهو مثلهم قد اتهم بخيانة الإيمان الموروث بالآلهة وفوق ذلك يذكر سقراط إلى جانب (المسيح) ، فسقراط والمسيح يتفقان معاً ضد الديانة اليهودية[20] .

لم تكن فلسفة سقراط تشبه أي نوع من الفلسفات الإغريقية السابقة واللاحقة ، لقد كانت أشبه بالتعاليم ، ولم يكن هو فيلسوفاً متأملاً في الكون أو الإنسان بل كان حكيماً بصيراً نافذاً يكتسح الفساد الذي يصادفه ويقلب موائد الرذيلة والأوهام في أثينا .

ويرى أوريجين سمات مشتركة بين سقراط ويسوع . إن حدس اللا-معرفة السقراطي يمهد الطريق للإيمان . إن معرفة الذات على الطريقة السقراطية هي درب معرفة الله . لقد رأى سقراط أن في وسع الإنسان أن يغامر بلقاء إلهي بمجرد صفاء الفكر الذي لم تفسده أهواء الأرض[21] .

ج- مدرسة وحدة الوجود:

يرى هيراقليطس أننا بالإنصات إلى صوت العقل والمنطق نجد أن من الحكمة الاتفاق على أن كل الأشياء هي شيء واحد .

وتعتبر مدرسة إيليا الفلسفية مهد فكرة وحدة الوجود حيث يرون أن كلّ ما في الكون هو شيء واحد .

وكان بارمينيدس (وهو تلميذ كسينوفانيس) من أنصار فكرة وحدة الوجود وقد تجرأ على القول بأن الآلهة ليست إلاّ أساطير وأنه لا توجد إلاّ حقيقة واحدة هي العالم والله جميعاً ، فقد رأى « أن الأشياء جميعها وحدة ، وأن الحركة والتغير والنمو أشياء غير حقيقية ، فهي خيالات لمشاعر سطحية ، متعارضة تافهة ، ، وأن من وراء هذه المظاهر وحدة متجانسة لا تتبدل ، ولا تنقسم ولا تتحلل ولا تتحرك ، وهي وحدة الكائنات والحقيقة التي لا حقيقة سواها ، والإله الذي لا إله غيره»[22] .

وهكذا يوازي بارمينيدس ما قاله هيراقليطس ، فهو يقول إن الأشياء كلها واحد في حين يقول هيراقليطس أن كلّ شيء يتغير .

كان بارمينيدس يرى أن الله هو « الواحد الحق فلا بداية له ولا نهاية وليس ثمة ضرورة ، وليس ثمة إلاّ وجود ، وأن الحركة أيضاً غير حقيقية لأنها تفترضُ انتقال شيء من المكان الذي هو فيه إلى مكان لا يوجد فيه شيء أي إلى الفراغ ، ولكن الفراغ الذي هو غير كائن لا يمكن أن يكون ، إذ ليس ثمة فراغ أبدًا ، لأن الواحد يملأ كل ركن وكلّ شقٍ في العالم ، وهو ساكن سكوناً سرمدياً»[23] .

4. الإلحادية:

ظهرت نزعات إلحادية كثيرة في الفكر اليوناني لكنها لم تكن صريحة وواضحة بحيث شكلت مجرى ً فكرياً متكاملاً ، ونستطيع تلمس هذه النزعة عند شاعر تراجيدي معروف هو (يوربيدس) .

ومن المحتمل أن يوربيدس لم يكن متطابقاً بالقدر الكافي مع الديانة التقليدية التي سادت مجتمعه ، إلاّ أنه من السابق لأوانه أن يتحول هذا القول إلى اتهام الشاعر بالإلحاد ، فقد تعجب الشاعر كيف يمكن للبشر أن يثقوا في آلهة كانت القصص التي أعلنت وجودهم هي نفسها التي نسبت إليهم العديد من الجرائم والنزوات التي لم يرتكبها البشر .[24]

وقد ظهر الكثير من العبارات والمحاورات في مسرحياته والتي تشي بالإلحاد ، كان يقول (نحن منساقون في نهر مظلم من الأساطير) واتهم أناكساغوراس بالإلحاد لأنه قال أن القمر أرضٌ فيها جبال ووديان ، وأن الشمس والكواكب أجرام ملتهبة لا تختلف في طبيعتها عن الأرض وأحجارها .

ثانياً: المؤسّسة الدينية:

1. المؤسسة الإلهية (البانثيون):

تكونت على مرِّ الأزمان آلهة إغريقية من أصول مختلفة فبعضها يرجع إلى أصول آسيوية حثية وحورية ورافدية وأغلبها يرجع إلى أصول كنعانية شامية وفينيقية وبعضها يرجع إلى أصول مصرية وبعضها يرجع إلى أصول آرية (هندوأوربية) وبعضها يرجع إلى أصول كريتية وهيلادية .

ولم تمنع هذه الأصول المتفاوتة في الزمان والمكان من انصهار هذه الآلهة في شكل إغريقي بدأ منذ العصر الحديدي تقريباً حتى أخذ شكله المتكامل في العصر الكلاسيكي .

سنناقش في الفصل الثالث هذه الأصول المختلفة للآلهة الإغريقية وسنعمل هنا على وصف المؤسسة الألهية الإغريقية اعتماداً على انتظامها في شجرة واحدة وفي عدة طبقات متسلسلة :

الآلهة ما قبل الأولمبية : وهي الأجيال القديمة من الآلهة الإغريقية التي تتحدر من آلهة الهيولي والكون وعناصره الأربعة ثم ظهور كرونوس (رب الزمان) وريّا وتشمل هذه الآلهة الجبابرة (التيتان) من الذكور والإناث والصقالبة ذات العين الواحدة والعمالقة وغيرهم وعدد هذه الآلهة وأغلبه قديم وأقل فاعلية في الحياة الدينية من آلهة الأولمب .

آلهة الأولمب : وهم أبناء زوس وهيرا ومعهم أخوة زيوس (ديمتر ، يوزيدون ، هادس)وأبناء زيوس الذكور والإناث (سنأتي على ذكرهم بالتفصيل في الفصل الثاني) .

وهناك عدد كبير من أنصاف الآلهة وهم أتباع الآلهة الكبار منهم أتباع هيفستوس وأريس وديونسيوس وغيرهم . كان الإغريق يظنون أن موطن الآلهة هو قمة جبل أولمبيوس في تساليا Thessaly وبين هذا الموطن والسماء والأرض باب من السحاب تحرسه آلهة تسمى (الفصول) ، ورغم أن للآلهة أماكن عدة يأوون إليها فإنهم كانوا يمرون من هذا الباب عندما يدعون إلى قصر كبير الآلهة (زوس) .

وكانت تقام مآدب الطعام والشراب ، كل يوم ، للآلهة في بهو قصر (زوس) حيث يتناولون طعام الآلهة (أمبروزيا Ambrosia) ويحتسون شرابهم (نكتار Nectar) الذي كانت تقدمه لهم الآلهة الجميلة (هيبا) وكانت سهراتهم وجلساتهم تتضمن أحاديث عن شؤون السماء والأرض وكان إله الشعر والموسيقى (أبولو) يعزف لهم بقيثارته وتردد غناءها إلهات الشعر والرقص التسع (الميوزيّات Muses) .

وكانت إلهات الرشاقة الثلاث (ربات النعيم Graces) مع الآلهة أثينا يقمن بغزل ملابس الإلهات وأوشحتهن .

وكان الإله هيفايستوس Hephaestos مهندساً معمارياً وحدّاداً وصانع أسلحة وعجلات حربية كما كان يقوم في الأوليمبيوس بكل الأعمال التي تستدعي مهارة فنية ، وقد بنى منازل الآلهة من النحاس الأصفر ، وصنع لهم الأحذية الذهبية التي كانوا يطؤون بها الهواء والماء وينتقلون من مكان إلى آخر بسرعة الريح بل وبسرعة الفكر ، وصنع من النحاس الأصفر أحذية لخيول السماء المطهمة ، التي كانت تمرق بعجلات الآلهة الحربية خلال الهواء أو فوق سطح البحر[25] .

وبشكل عام سكنت الآلهة إما في جبل الأولمب أو على الأرض وإما في البحر أو في العالم الأسفل أي إنها توزعت على عناصر الكون الأربعة حيث الهواء والسحاب في جبل الأولمب والتراب عند آلهة الأرض والماء عند آلهة البحر والنار عند العالم الأسفل ، ونرى أن بعض آلهة الأولمب دخلوا مع الهجرات الإغريقية الآخية إلى بلاد اليونان رغم أن بعضهم كان موجوداً فيها ، أما آلهة الأرض فكانوا آلهة أهل البلاد الأصليين .

الشعراء الإغريق القدامى وبشكل خاص (هوميروس وهزيود) هم الذين وضعوا الديانة الإغريقية على أسس راسخة ، فهم الذين اخترعوا كل هذا الهرم من الآلهة ووضعوا لهم أنساباً " فإليهم يعود الفضل أنهم اختاروا من الكثرة الأولى ، آلهة كباراً يحملون أسماء عالمية الشهرة ، ويتحلون بشخصيات مميزة ، ولهم عائلتهم وتاريخهم ، وانتظموا مجتمعاً على غرار المجتمع البشري . وقد ذهب هيزيود إلى أبعد من ذلك ، بانقطاعه عن إدخال الآلهة مباشرة في أوساط البشر ، وبالتشديد على دورهم كحراس للآداب ، وحتى بتأليه بعض التجريدات الأدبية كالعدالة(ديكي)والمنافسة (إيريس)"[26] .

قدّم لنا هسيود (Hesiod) صورة متسلسلة لأنساب الآلهة (Theogony) في كتابيه (أنساب الآلهة) و (الأعمال والأيام) والحقيقة أن هسيود لم يقترح على مزاجه أو معتقده صلات الآلهة ببعضها بل نرى أن هذه الأنساب والصلات تحملُ معها دلالة عميقة سببية في الغالب ، فهي لم تنشأ " في سياق الحياة العادية ، أو حتى في أعمالهم الدينية العادية ، إذ دعت حاجة ما من غير شك ، إلى نسبة إله إلى آخر في العبادات المحليّة ، حين يعبد أكثر من إله واحد في محراب واحد ، وكان التشبيه بالأسرة الإنسانية في متناول اليد لتشكيل القرابة إن لم يكن في الواقع لانتحالها وكان الزواج البشري -كما نفترضه - سابقاً على ربط إله بإلهةٍ في عبادة" .[27]

ولكننا وفي سياق بحثنا في الآلهة والأساطير الإغريقية عثرنا على علاقة خفيّة بين الآلهة وأنسابها وتسلسلها وسياقاتها ، لعلنا أول من وضع يده عليها ، تلك هي أن هذه الآلهة تتشكل أنسابها وفق طبيعتها الجوهرية فهي إما هوائية أو مائية وإما ترابية أو نارية وتقوم هذه البنية العناصرية بإعادة تشكيل تسلسل ونسب وسياق الآلهة وتوضح الكثير من معانيها الخفية وقد توصلنا إلى نتائج مهمة جداً فسرت لنا الكثير من الأساطير وحياة الآلهة (راجع الفصل الثالث) .

2 • المؤسّسة الكهنوتية:

إذا كان الكهان في الشرق أصحاب سطوة ومكانة عالية ومؤثرة في الحياة الدينية والدنيوية معاً فإن الإغريق أنزلوا الكاهن من هذه المنزلة وجعلوا الكهانة مهنة عادية للخدمة في حرم ومعابد الآلهة "وأدرج في عداد مهامهم القيام بخدمة عبادة الإله اليومية ، وتقديم القرابين الدورية ، وتزيين تمثال الإله ، وغسله في المناسبات الدينية وما شابه ، ومارس الكهنة الكشف عن الغيب والتنجيم وكتابة الحجاب والعلاج بالطب الشعبي في بعض الأحيان"(28) .

وكانت بعض الأجزاء من العبادة الرسمية تدار في الغالب من قبل كبار موظفي الدولة لا من قبل الكهنة .

أما شروط الكهانة فهي الطهارة والنظافة وعدم وجود عاهات جسدية وكان يطلب منهم أحياناً عدم الزواج وخصوصاً عند النساء . وكانت الكهانة وراثية عند بعض العائلات ذات الطابع الأرستقراطي وكان يجري أحياناً ، انتخاب الكاهن ضمن هذه العائلات أو إقصاؤه بعد فترة وجيزة من الزمن .

أما الشروط التي يجب أن تتوافر في الكاهن فهي :

1- التطهر والنظافة .

2- عدم وجود العيوب الجسدية .

3- النسب الشريف .

4- التقيد بالعزوبية أحياناً .

وكان سلك الكهنة يقبل الصبيان حتى يبلغوا والبنات حتى يتقيدن بالعزوبية والعجائز لعدم معاشرتهن للرجال .

وكان للمعبد مستخدمون ، وقد يدار المعبد في فترات الأزمات السياسية وطغيان العبودية من قبل موظفي الدولة . وكان المعبد يتحول إلى مكان لإيداع الأموال والاتّجار بها ، وله أملاك من الأراضي والعبيد والمباني .

كان هناك نوعٌ من الكهنة الذين يمكن أن نطلق عليهم اسم(التابعين) وهم الكهنة الذين يتبعون إلهاً معيناً ، دون غيره طوال فترة حياتهم فقد كان للإله أبولون مثلاً أتباعٌ غريبو الأطوار وتروى عنهم بعض القصص الغريبة كالغيبوبة ومفارقة الروح للجسد وغيرها . . . .ومن هؤلاء الكاهن أريستياس الذي كان يموت ويظهر بعد فترات من موته مزجياً تعاليم أبولون من جديد .

كان التابعون يتميزون بـ(التقمص) أي الظهور في مكانين في آن والتناسخ أي التحول إلى أحوال أخرى قد تكون حيوانية وهاتان الصفتان كانتا من ميزات أتباع المذهب الأورفي والفيثاغوري والذين لهم علاقة بأبولون أيضاً "وتتمثل في تعاليم فيثاغورس كل جوانب ديانة أبولون : الجانب الغيبي كصنع المعجزات وتناسخ الأرواح ، وهو ما يقرنه بالسحرة والمشعوذين والجانب العقلي السليم حيث إن كل فلسفة فيثاغورس تقوم أساساً على تمجيد الوسط المحمود والتزام الحد والتماسك الشديد بالنظام والقانون" .[29]

وكان هناك عرّافون أو حتى أنبياء لبعض الآلهة مثل نبيّة أبولون (بيثيا) التي كان يصدر عنها الصوت وهي في حالة تقمص ، وهي نفس الحالة التي كانت تنتاب سيبيلاّ نبيّة كوماي بجنوب إيطاليا التي كانت هي الأخرى تتقمصها روح أبولون فتنطق بوحي منه ، وكذلك كانت كاهنة زوس في دودونا التي لم تكن تتذكر شيئاً مما تفوهت به . [30]

كانت (بيثيا) تجلب الإيحاء من طريق شعائر معينة كالاستحمام والشرب من نبع مقدس والاتصال بأبولون من طريق شجرته المقدسة (وهي الغار كوسيلة ممهدة لتجلي الإله) سواء بمسك غصن منها أو تبخير الجسم لتطهيره أو جلوسها على مقعد أبولون الشعائري ذي الأرجل الثلاث أوٍ استنشاق الأبخرة الخاصة ثم تدخل في الغيبوبة والهذيان .[31]

وكانت تابعات الإله ديونسيوس يسمين (الليناي) أي المجنونات أو (المادينادیس) وكذلك (باساريديس) اللائي يرتدين جلود الثعالب في بعض طقوسهن أو جلود الظباء ويأتين بمعجزات مذهلة يعبرن عنها من خلال نشوات صوفية مرعدة .

03. المعابد:

اتضحت شخصية المعابد الإغريقية المميزة منذ القرن السادس قبل الميلاد وقبل ذلك العهد كان الإغريق يبنون معابدهم متأثرين بأشكال المعابد في الحضارات القديمة وخصوصاً مصر و العراق والشام وآسيا الصغرى .

وكانت المعابد على ثلاثة أشكال هي :[32]

1- المعبد المربع والمسمى Prostyle وهو مؤلف من قاعة مربعة لها مدخل مسبوق بأربعة أعمدة .

2- المعبد ذو المدخلين ويسمى Periptere وهو محوط بصفٍ من الأعمدة .

3 - المعبد الكبير ويسمى Diptere وهو مؤلف من قاعة مستطيلة وصالة ومدخل مرتكز على ثلاثة صفوف من الأعمدة ويحاط المعبد بصفين من الأعمدة .

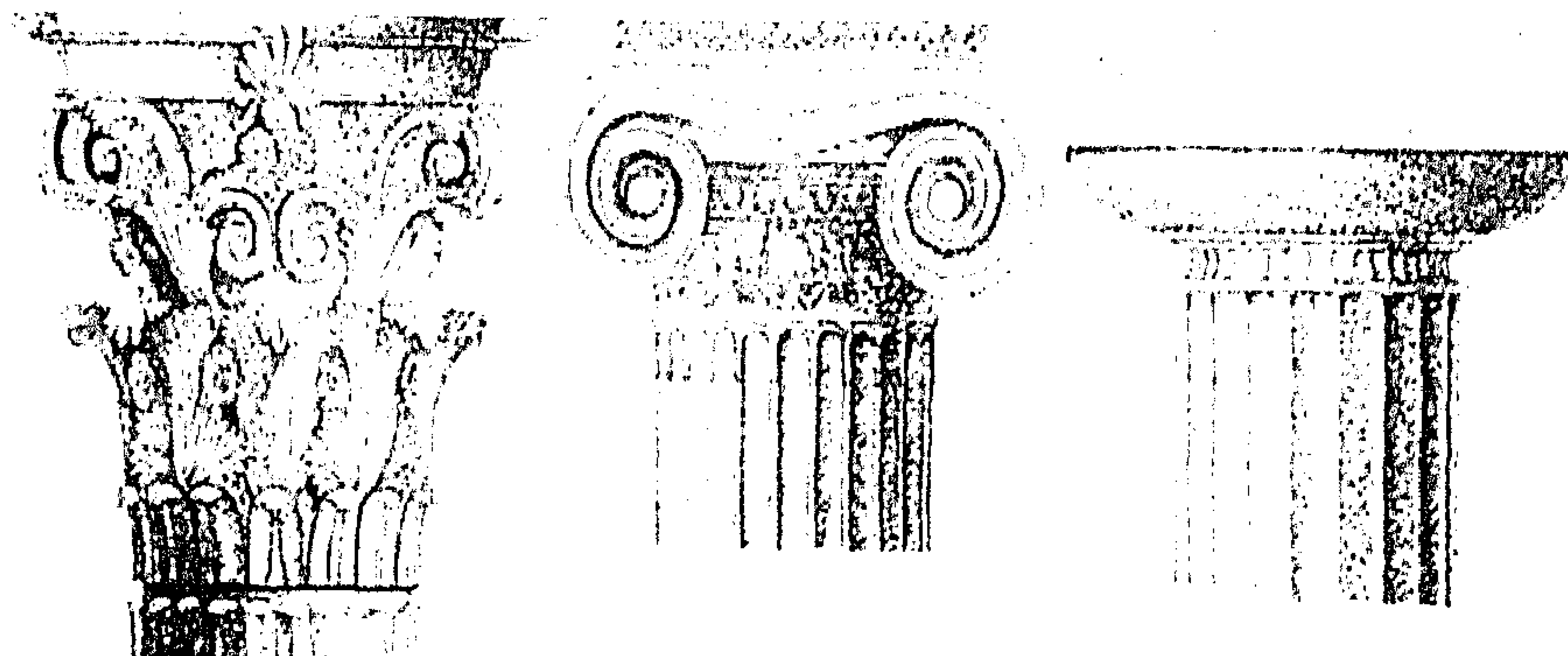
وقد بدأت المعابد تظهر في منتصف القرن السادس بطراز الأعمدة الدورية كما في معبد أبولّون في دلفي (548) ق .م ثم ظهر الطراز الأيوني في آسيا في معبدين الأول في ايفيز والثاني في ساموس ، ثم ظهرت في صقلية أعمدة ذات تيجان كورنثية

الطراز الدوري

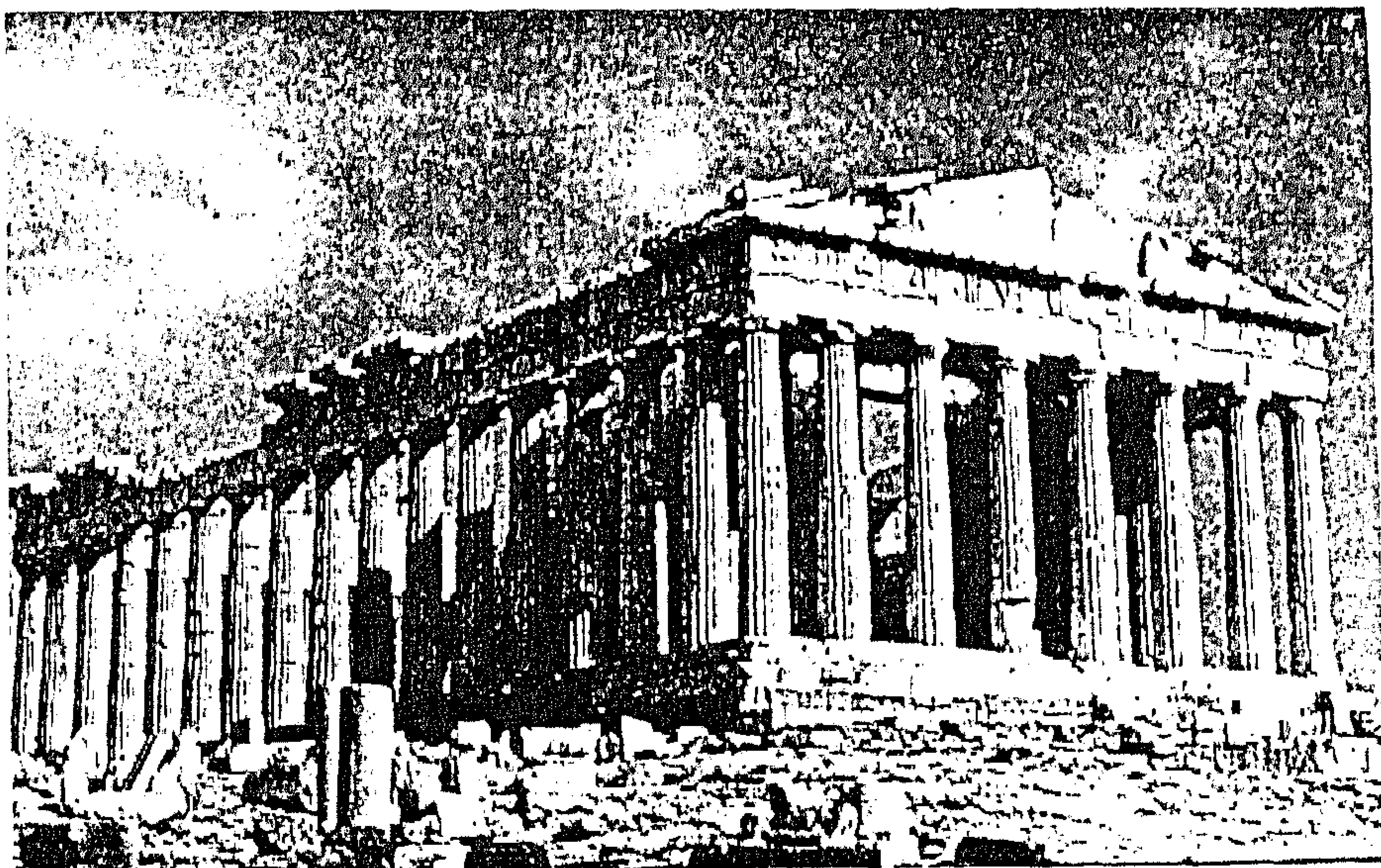
وينسب إلى الإغريق الدوريين ، وقد ظهر في سواحل البلوبونيز وفي إيطاليا وفي صقلية ، ويتكون من حامل (عمود) ومحمول (الساكف والإفريز والطنف والجبين المثلث) .

يتكون العمود من تاج كأسي الشكل وبدن يزداد قطره كلما اتجهنا إلى الأسفل ويتكون من شطبات طولانية (Canne llures) يراوح عددها بين (16-24)شطبة ، ويرتكز العمود مباشرة على الأرض دون قاعدة ، ونسبة طول العمود إلى متوسط قطره هي(5.5/1) أما المحمول فيتكون من الساكف (Architrave) أي العتبة التي فوق العمود مباشرة ، والإفريز (Frise) الذي يتكون من مربعات من النحت البارز تسمى بالميتوب (Metope) تفصل بينها لوحة الأقنية الثلاثة (Trighyphes) وفوق الإفريز هناك الطنف أو الكورنيش (Cor-niche) وفوقه الجبين المثلث (Fronton) ، وأشهر أمثلة هذا الطراز هو معبد البارثينون (Parthenon) وهو المعبد المخصص للإلهة أثينا والمبني على قمة التل الذي بُنيت عليه مدينة أثينا (الأكروبولس) بني هذا المعبد قديماً وأعيد بناؤه في (470-457)ق .م وقد بناه المهندسان (أكتينوس وكليكراتيس) بإشراف الفنان فيدياس الذي نحت تمثال أثينا الكبير في نهاية المعبد والنحت النافر لسيرة أثينا في الإفريز المحيط بالمعبد .

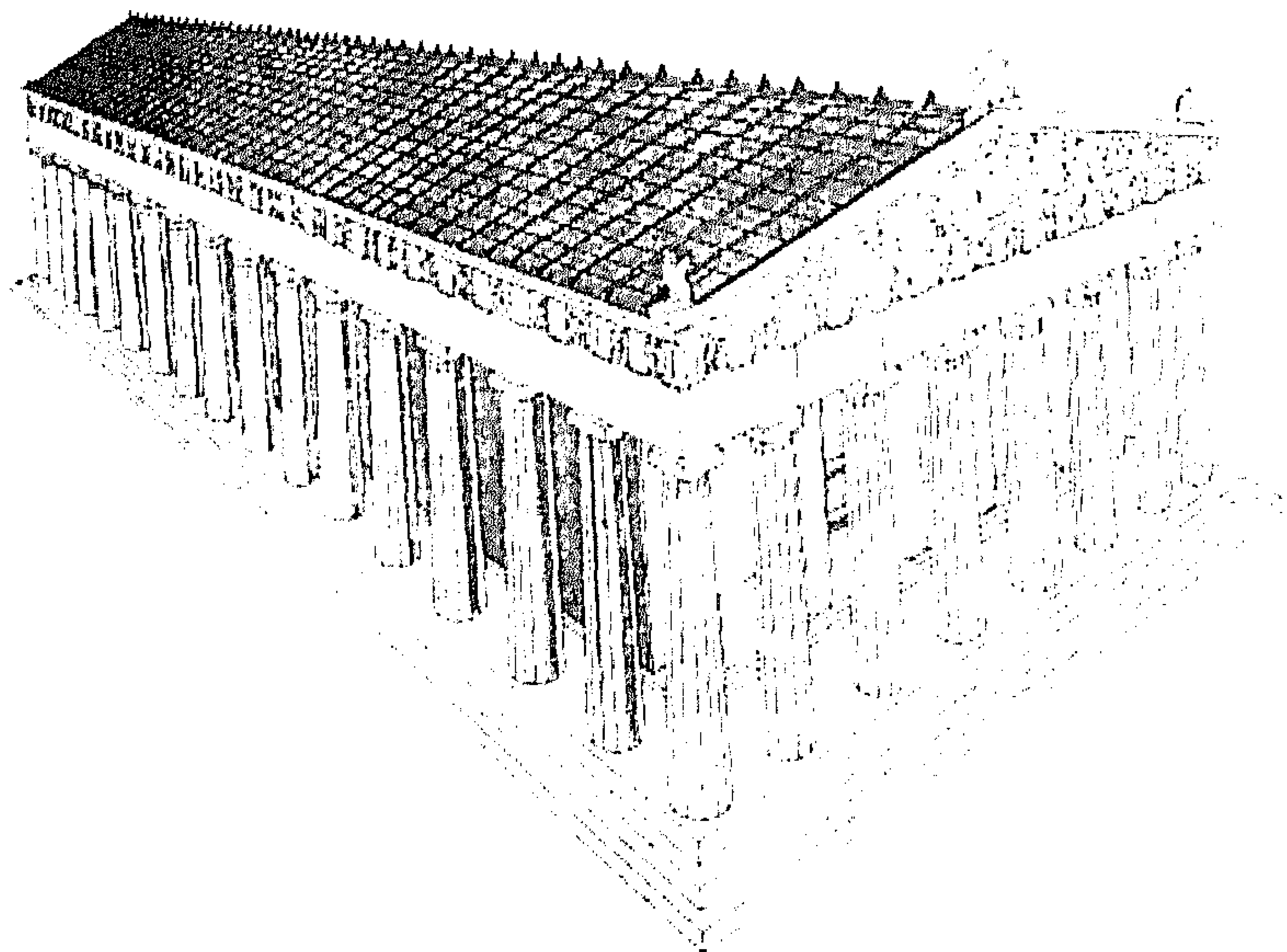
وقد سمي بارثينون لأنه خصص للإلهة (أثينا بارثينوس) ويقوم المعبد على قاعدة مستطيلة ذات ثلاث درجات من جميع جهاتها ، وينتصب على القاعدة (46) عمود ، وينتصب على الأعمدة الأمامية والخلفية محمولان يزين الجبين المثلث فيها نحت فاخر يمثل ولادة أثينا وعراكها مع الإله بوزيدون .



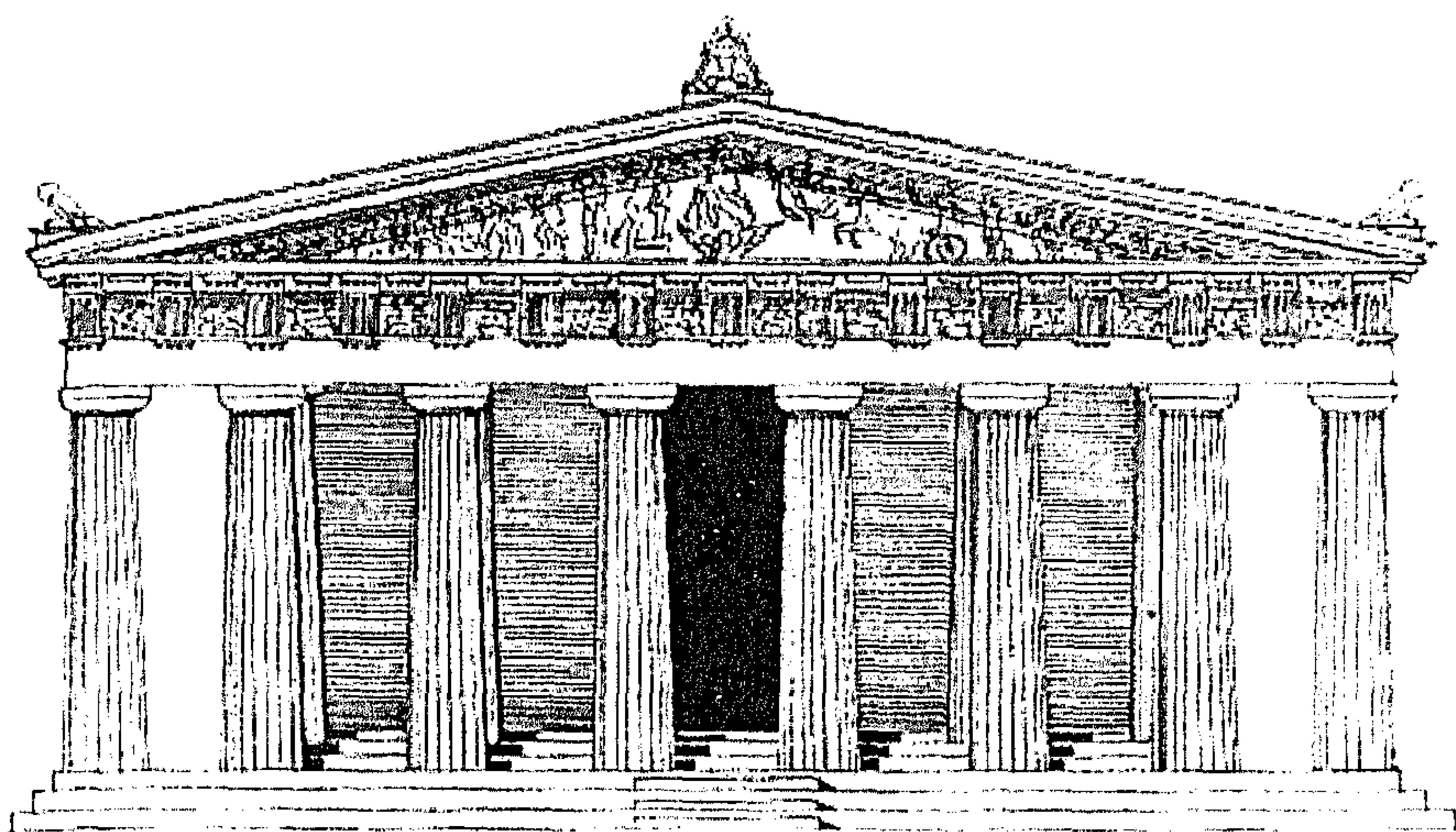
شكل (29) طرز الأعمدة الإغريقية الثلاثية (الدوري والأيوني والكورنثي)



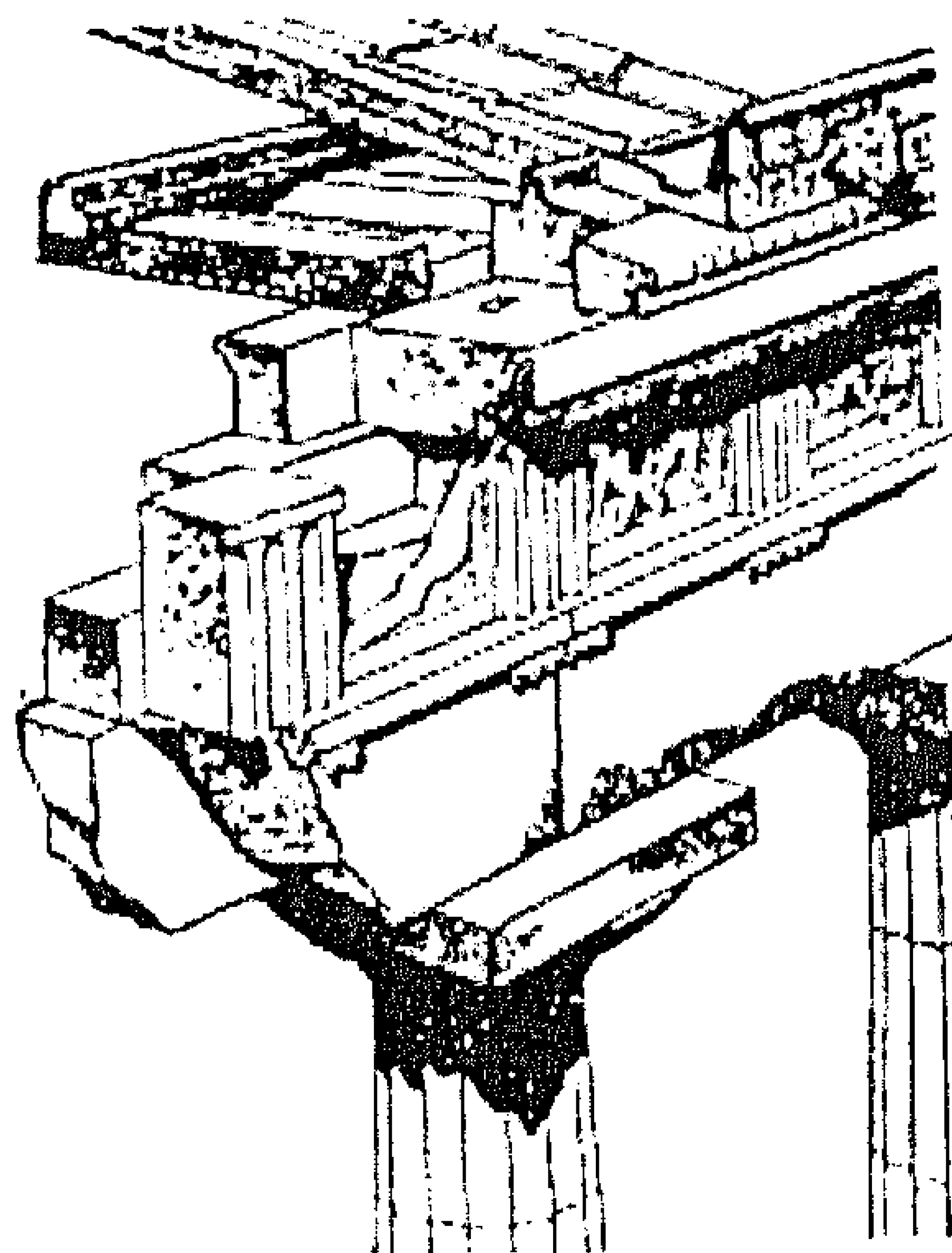
شكل (30) بقايا معبد البارثينون في أثينا



شكل (31) إعادة تخطيط لبناء البارثينون



شكل (32) الواجهة والجبين المثلث (فرونتون) للبارثينون



شكل (33) تفصيل معماري للعمود الدوري والطنف في البارثينون



شكل (34) نسخة رومانية مصنوعة من الذهب لرأس أثينا بارثينوس

أما الإفريز فيحتوي على نقش بارز يمثل عراك اللابيث مع القنطور ، وبعد الأعمدة يوجد رواق يفصلها عن البناء الداخلي الذي زُين من الداخل بإفريز يحيط به ، وفيه نقوش بارزة تمثل حشوداً من الناس يحملون الهدايا وأمامهم الضحايا في الأعياد السنوية للإلهة اثينا والمسماة (البانثين أي الاتحاد الأثيني) يتكون البناء الداخلي من قاعتين ، الأولى تسمى ناوس (Noas) وهي بيت الإلهة ، ومساحتها(33 x 20م) ذات رواق محيط وفي الوسط أقيم تمثال أثينا لفيدياس المسمى أثينا بارثنيوس ، والثانية صغيرة ومساحتها (19 x 13) وفيها أربعه أعمدة أيونية تحمل السقف وتسمى (اوبيستودوم Opisthodome) وكانت تستعمل لحفظ الهدايا .[33]

ويعتبر تمثال أثينا بارثينوس من أعظم تماثيل أثينا حيث يبلغ ارتفاعة (40) قدماً وهو مصنوع من الخشب المطعم بالعاج والذهب الخالص وعلى الرأس تاج خاص وفي اليد اليمنى تمثال أثينا المجنحة ويذكر أن هذا المعبد شيده الحاكم الأثيني بيركليس ليحلّ محل الهيكل الذي دمره الفرس عام 480ق .م واكتمل عام438 ق .م .



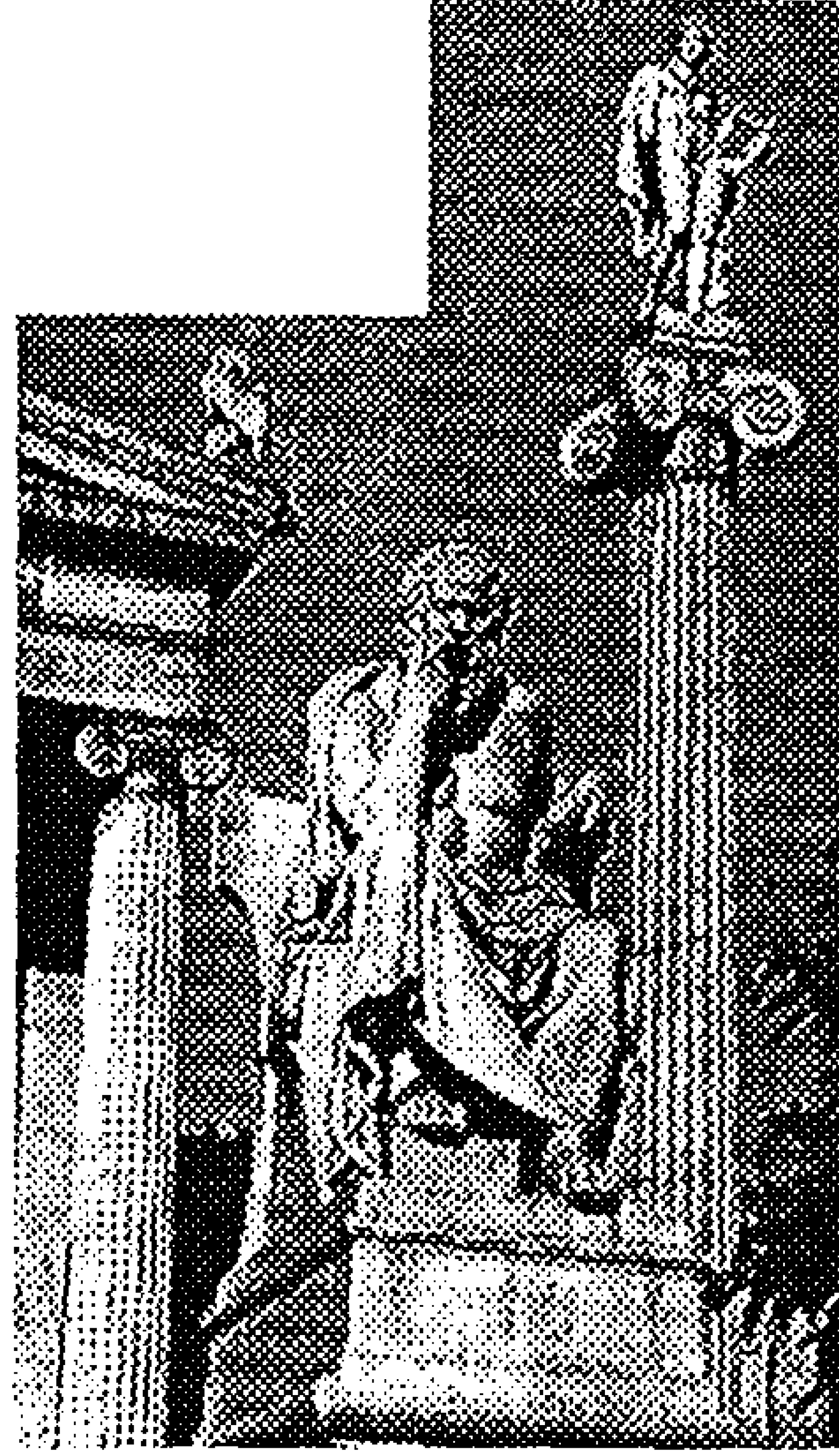
شكل (35) إعادة بناء تمثال أثينا بارثينوس في معبد البارثينون

الطراز الأيوني

نشأ هذا الطراز وتطور في سواحل بحر إيجه وفي الأراضي الشرقية التي كانت خاضعة للإغريق ، ولعل معبد إيفيز في آسيا الصغرى كان أول المعابد الأيونية التي ابتكرها المعماري كيرسيفون ولقد ثبت أن أصول هذا الطراز شرقية مأخوذة عن الحثيين والرافديين .[34]

ويتميز العمود برشاقته وجمال تاجه المزخرف بشريط حلزوني من الجهتين ويصل بين الحلزونين شريط مستقيم مزخرف مكون من الطوق والوسادة . ونسبة قطر العمود إلى طوله هي 1/9 ، وتزين العمود طولياً شطبات ذات نهايات علوية وسفلية يراوح عددها ما بين (20-24) شطبة .

أما المحمول فيتألف من ساكف ذي ثلاث طبقات ، والإفريز المجرد من المربعات والأقنية ولكنه مغطى بالنقوش البارزة التي تمثل مشاهد أسطورية وتاريخية . ثم يعلو الإفريز الطنف (الكورنيش) وتحته صفٌ من الدمعيات الحجرية ، ثم تأتي الجبهة (الفورنتون) وهي أكثر ارتفاعاً وفيها مواضع من النحت الفاخر .

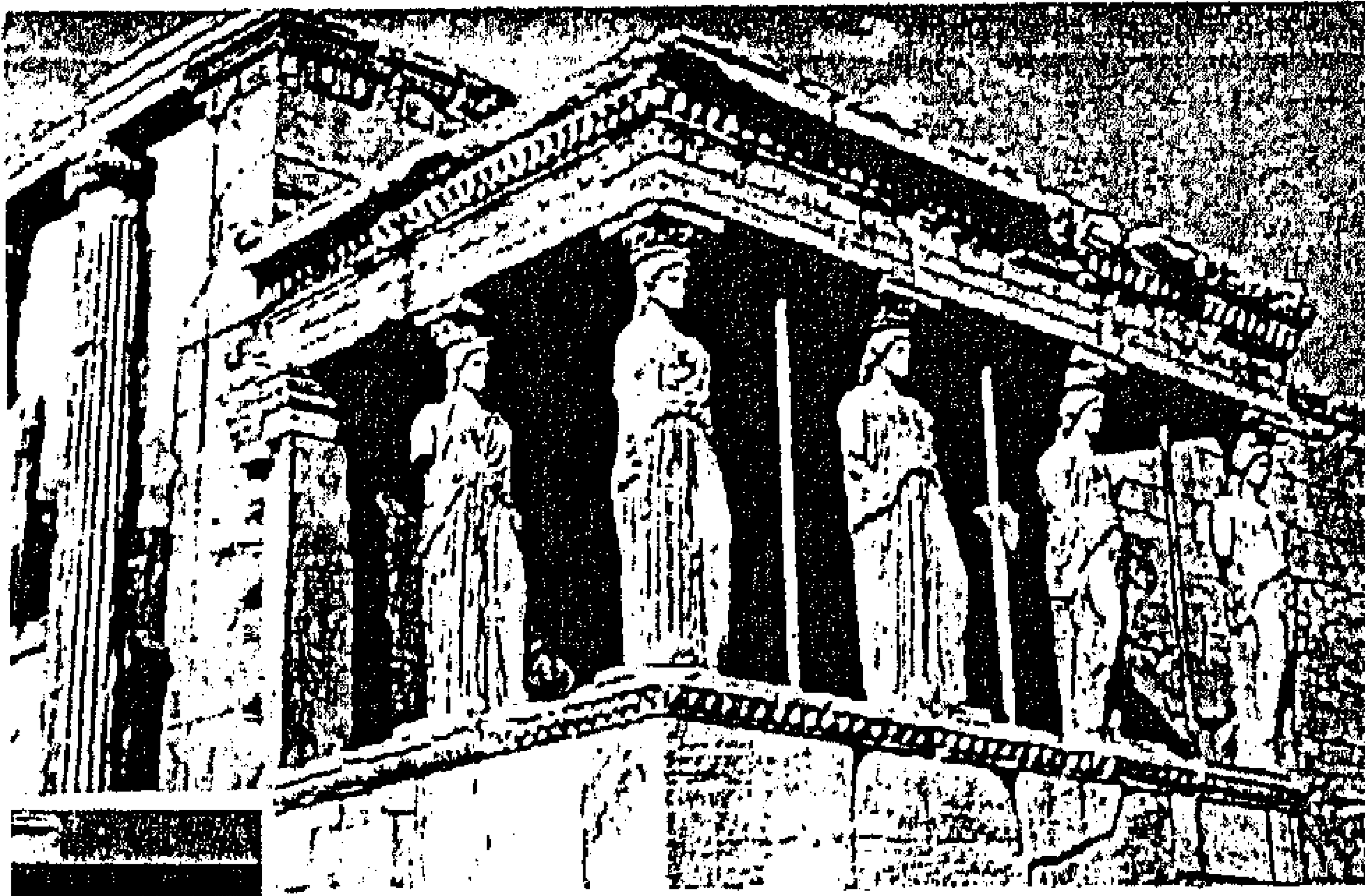


شكل (36) أحد الأعمدة الأيونية يقف عليه تمثال الإله أبولو، وعمودٌ آخر يظهر في معبد أيونيّ الطراز وتمثال لأحد الفلاسفة

ولعلّ أهم نماذج المعبد الأيوني هو الإرختيون (Erechteion) وهو المعبد القائم في ربوع الأكروبول والمكان التقليدي الذي أقام فيه الملك إرختيوس الذي ذكره الشاعر هوميروس

بقوله" قلعة أثينا الجميلة ، مملكة إرخثيوس الشجاع الجسور الذي أرضعته أثينا ابنة رب الأرباب زوس بعد أن انشق من بطن أمه الأرض التي تمنحنا الحبَّ والثمر ، ثم وهبته مقراً بمدينة أثينا في رحاب معبدها وهيكلها الخاص الذي يضيء ويترع بالثراء ، فظّل في هذا المكان المقدس حيث يعبد الأبناء من سلالة أثينا ويتقربون إليه بالثيران والخراف كلما تتابعت السنين في خضم الزمن ."(35)

ويبدو أن الخلفية الأسطورية التي بُني على أساسها الأرخثيون كانت تقول بأن سباقاً حصل بين بوزيدون (إله البحر) وأثينا (إله الحكمة) حيث ضرب بوزيدون رمحه في صخرة فانشقت عن جواد هو هدية بوزيدون إلى الإنسان وتدفق ينبوع من الماء المالح ليخلد هذا الحدث ، أما الإلهة أثينا فأنبتت شجرة زيتون فتوجها الآلهة بإكليل النصر ، وقام الملك إرخثيوس بتدجين الجواد وتحويله إلى كائن أليف يستخدمه الإنسان وبنى معبداً يضمّ الصخرة وشجرة الزيتون والينبوع وتمثالي أثينا وبوزيدون ، بني معبد الإرخثيون في حدود 420 ق .م وشكله مستطيل (25 x 13م) ويقع على حافة الأكروبول الشمالية ، ويتكون من ثلاثة أروقة : الأول شمالي ينتهي بمعبد بوزيدون وفيه ستة أعمدة أيونية ، والثاني شرقي ينتهي بمعبد أثينا بولياس ، والثالث جنوبي هو رواق كارياتيد القائم على أعمدة على هيئة تماثيل لست فتيات الـ(كاريات) اللائي يقال بأنهنّ يشرن إلى فتيات أسيرات قضي عليهن خدمة هذا المعبد والوقف إلى الأبد بهذه الهيئة . ويعتبر الطلاء بالذهب والبرونز والترصيع بالخرز المعمول من الزجاج بأربعة ألوان زخرفية زائدة . وتوقف العمل في المعبد بسبب الحروب البلوبونيزية وعثر على نقش في المبنى يرجع إلى الفترة الثانية أي بعد عام 409ق .م ، كتبت عليه أسماء حوالى مائة وثلاثين عاملاً من العبيد والأجانب والمواطنين الأحرار(36) .



شكل (37)
الواجهة الجنوبية لمعبد الإرخثيون (رواق الكارياتيد) حيث الفتيات (الكاريات) يظهرن كأعمدة آدمية

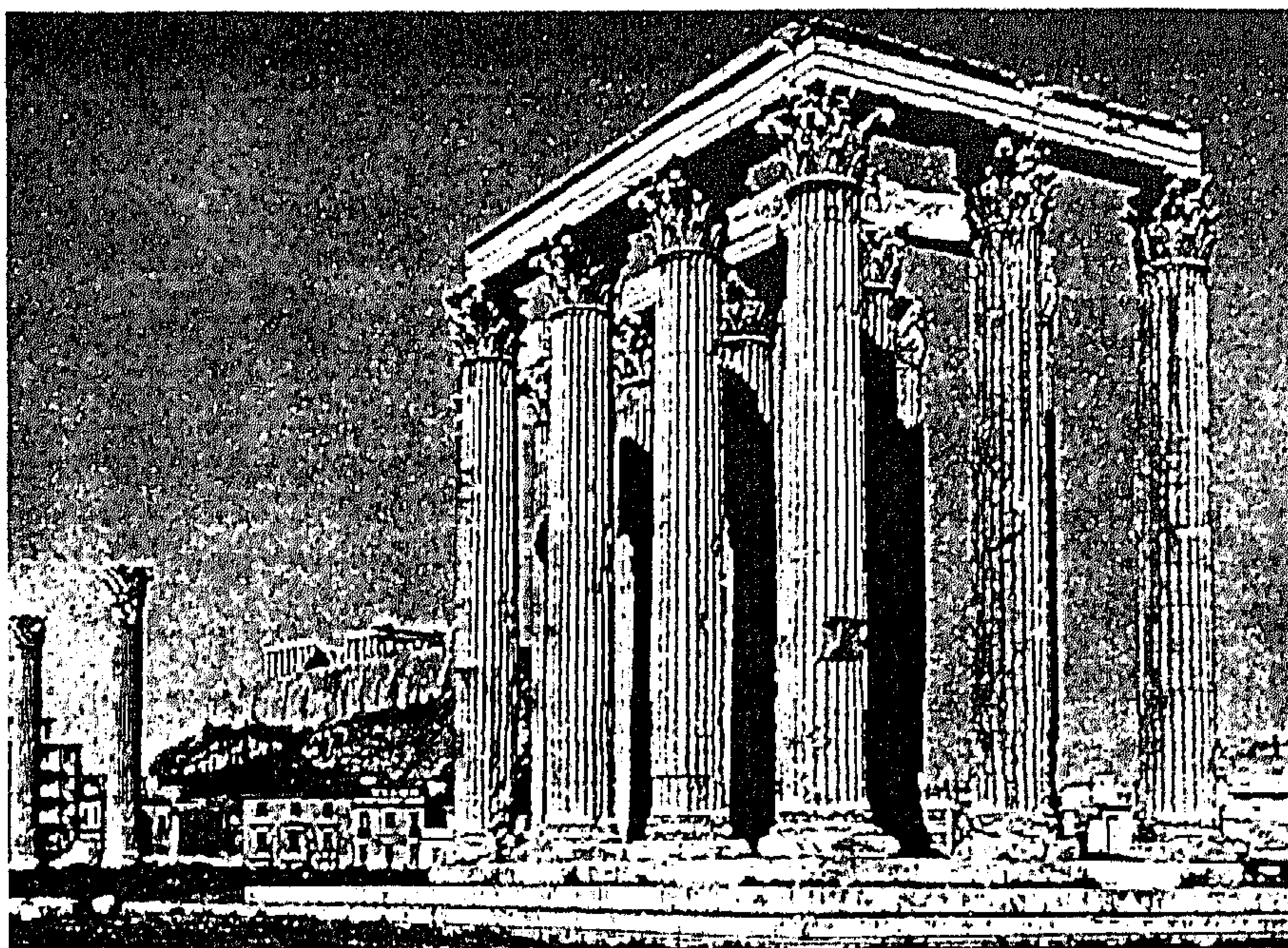


شكل (38)
إحدى الفتيات الكاريات في رواق الكارياتيد تظهر كعمود آدمي

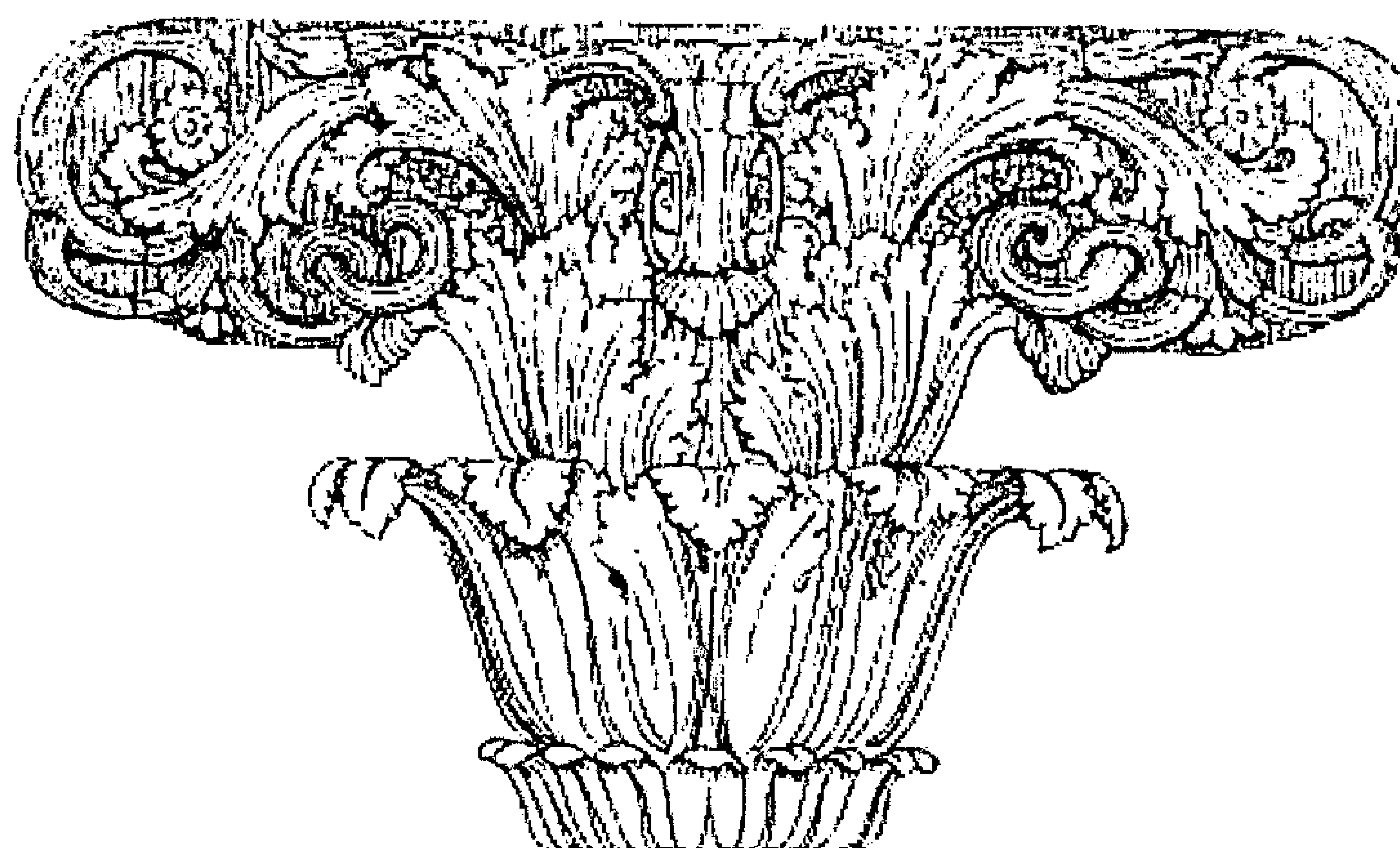
الطراز الكورنثي

ينسب هذا الطراز إلى مهندس من مدينة كورنثه هو (كاليماخوس) وهو يشبه الطراز الأيوني لكنه أكثر رشاقة إذ تبلغ نسبه (1/10) والقاعدة والبدن تشبه الأيوني ، أما التاج فيتركب من صفين من أوراق شجر الأكنثوس وفي كلٍّ صف ثماني أوراق متبادلة مع أوراق الصف الثاني ويعلوهما أربع ملفات حلزونية صغيرة .

أما المحمول فلا يختلف كثيراً عن محمول الطراز الأيوني ، وكان أول ظهور الطراز الكورنثي في واجهات بيوت المال الأيونية في دلفي في القرن السادس قبل الميلاد ، ولم يستخدم كثيراً في المعابد الإغريقية ولكنه وجد بكثرةٍ في المباني التذكارية وأشهر هذه المباني هو نصب أو معبد ليزيكراتس Lysikrates (الموسيقي الشهير) والمقام في مدينة أثينا باسم النصب الغنائي في الفترة (335-334) ق .م وكذلك معبد الأولومبيوم المشيد للإله زوس في أثينا .



شكل (39) بقايا معبد أولمبيوم (معبد الإله زوس)
في أثينا حيث تظهر الأعمدة الكورنثية



شكل (40) تاج العمود الكورنثي (زخرفة رخامية من معبد ليزيكزاتيس)

ثالثاً: طبيعة الآلهة وتشبيهها بالإنسان والحيوان:

الآلهة ، عند الإغريق ، كيانات روحية كبرى تتخلل الكون وتسيطر عليه وتمسك قواه وتتحكم بها وهي ليست مجرد أرواح مقدسة (نيومينا Numina) وليست قوى متحققة تحقيقاً تاماً ولا يمكن إدراكها باللمس أو بالوعي ولا يمكن وصفها ، فهي لم تصبح بعد أرواحاً نقية ، بل هي كائنات مجيدة ذوات نفوس خالدة وجسوم لا تبلى ، ثم هي أقوى من الناس وأكثر مجالاً وحكمة[37] .

كانت الآلهة تدعى ثيوي(Theoi) ومعناها (أشخاص إلهيّون مجسدون) وهذا يعني أنهم بقدر ما هم قوى غير منظورة فإنهم أشخاص مجسدون ولهذا السبب كانت تصرفاتهم تشبه تصرفات الإنسان فهم يفرحون ويحزنون ويجوعون ويتحاربون وينامون . . .الخ .

وكان الإغريق يعّدون آلهتهم العليا أسلافاً لهم ولذلك كانوا يخلعون على الإله نحواً من هذه الألقاب (الجد ، الوالد ، واهب النسل) وهكذا كان زوس -الرب والوالد-للدوريين وللأبكيديين شعب إيجينا ، وكان أبولو الرب والوالد للإيونيين ، وبوزيدون للمينيين ، وكانت العقيدة القائلة بعذرية أثينا حائلة من أن تكون هذه الربة من الوجهة اللفظية جدّة للأثينيين ، الاّ أنها اختصت من أجل مدينتها الحبيبة بلقبها اللطيف(البتول) وذلك لأنها كانت مربية سلفهم البطل (أرخثيوس)[38] .

والحقيقة أن هذه الصفات البشرية التي أسبغها الإغريق على آلهتهم تجلت في طريقة رسم ونحت وتجسيد معبوداتهم فقد ظهرت أجسادهم لا تختلف عن أجساد الرياضيين والملوك والأمراء والنساء الجميلات ولم يفرقهم عنهم إلاّ بعض الرموز الملازمة لبعضهم مثل الصاعقة والتاج والأجنحة والسهام وغيرها .

كانت آلهة الإغريق تشبه الإنسان في كل شيء شكلاً وسلوكاً فهم يأكلون ويشربون وينامون ويتزوجون ويمشون في المدن والأسواق ولا يختلفون عن الإنسان الاّ بصفتين هما : خلودهم وقدرتهم الفائقة على القيام بما يعجز عنه الإنسان .

وكانت الآلهة في العصر البرونزي وبدايات العصر الحديدي تشبه الحيوانات والنباتات أي إنها كانت أقرب إلى النزعة الطوطمية . ومع بداية القرن الثامن قبل الميلاد انحسرت النزعة الطوطمية تماماً وانتصر تشبيه الآلهة بالإنسان ، وهكذا فقدت الطواطم الحيوانية

والنباتية ، وكذلك الأصنام والتماثيل ، . . . فلم تعد سوى رموز تشير إلى الآلهة أما الآلهة فكانت تسرح وتمرح مع البشر فهي منظورة طوراً ومختفية طوراً آخر ، ضعيفة وقوية ولكنها بلا شك ، كانت خالدة أبد الدهر .

على أن حياة الآلهة بمقارنتها بحياة الناس ، إنما تبدو جافية تافهة فهم غيورون مشاكسون ويبقون على السلام على غير رغبة منهم تحت التهديد بالعنف اليسير إذ يقول زوس لزوجته هيرا : لن يستطيع كل الآلهة على أوليمبس مساعدتك إذا وضعتُ يدي عليكِ(39) .

وكانت علاقة الآلهة بالبشر إيجابية في عمومها فقد قدّم الآلهة للإنسان العون في الكثير من الأمور بحيث قدّمت ديمتر بذور الحنطة له ليزرعها وعلّمته الزراعة وكان هرمس وبان يسرحان بقطعان الماشية أما بروميثيوس فقد سرق النار وأعطاها للإنسان وعلّمه المعارف والعلوم وكان أورفيوس يخضع الطبيعة والوحوش لسحر موسيقاه وهكذا(40) .

لقد حفلت أساطير الآلهة بظاهرة لافتة للانتباه وهي التحولات (Metamorphosis) التي عادت بالآلهة من صورتها البشرية إلى صورة الحيوان أو النبات أو الأشياء وهي مسخ الآلهة والعودة بها إلى أصولها القديمة أو اقتراح شكل متدنٍ لها ، والحقيقة أن هذه الظاهرة "تعكس المرحلة الأخيرة من تفسخ الأسطورة وتحولها إلى شيءٍ من الماضي الذي جعله تعاقب الأزمنة (ذهبياً) ومصدراً للشوق والحنين ، ويبدو أن الذاكرة الجماعية اليونانية قد اختزنت تصورات وأوهاماً عن الأيام الأسطورية التي بدت-بسبب من تقادم العهود- ساحرة ، جذابة ومشرقة فالإنسان يحنّ إلى العودة إليها وكانت التحولات تعبيراً عن الحنين إلى ذلك الماضي في زمن بدأت فيه العلائق الاجتماعية ترهق الإنسان وتزداد فيها حياته سوءاً"(41) .

رابعاً: الكون الإغريقي:

كان الإغريق ينظرون إلى الكون على أنه كروي الشكل واختلفوا في أصله ومكوناته الأولى فمنهم من قال بأن الماء هو الأساس (طاليس) ومنهم من قال بأن النار هي الأساس (امبادوقلس) ومنهم من رأى أنه مكون من جوهر لا يمكن تحديده (انكسميندر) أما أرسطو فقد رأى أن الكون يتكون من العناصر الأربعة : (الماء ، الهواء ، التراب ، النار) وهي العناصر الأساسية لجميع المواد .

أما شكل الكون فكروي والأرض على شكل أسطوانة وكان انكسيمنس يرى أن الأجرام السماوية عبارة عن ثقوب في السماء المظلمة ، تخترقها أشعة منطقة نارية محيطة .

وكانوا يرون أيضاً أن الأرض عبارة عن قرص مسطح ومستدير وأن بلاد اليونان تقع في المركز ، وأن جبل الأولمب يقع في وسط اليونان وبعضهم كان يرى (دلفي) هي التي تقع في الوسط لأنها مهبط الوحي .

وكانت الشمس والقمر والنجوم ، في ظنهم تطلعُ من الجانب الشرقي من المحيط الذي يقع قرص الأرض عليه .

كان قرص الأرض مشطوراً إلى قسمين حيث يخترقه من الغرب إلى الشرق (البحر المتوسط) وامتداده اليوكسينا(Euxine) أما البحر الذي يحيط قرص الأرض فكان هو النهر المحيط أو النهر الأوقيانوس (River Ocean) الذي كان يتدفق (في جهة الغرب) من الجنوب إلى الشمال ،(وفي جهة الشرق) من الشمال إلى الجنوب وكان يضم في جهته الغربية شعوب العمالة والمسوخ والساحرات .

كان وسط الأرض مسكوناً بالشعب الهيليني (اليونان) أما شمال الأرض خلف الجبال العملاقة فكان يسكن شعب الهايبربور(Hyperboreans) وهو شعب سعيد يعيش في ربيع دائم ، أما جنوب الأرض فيسكنها شعب الأثيوب (الأثيوبيون) (Aethiopians) وهو شعب سعيد آخر كان مقرباً من الآلهة ، أما غرب الأرض فكان مسكوناً من شعب سعيد آخر بل وخالد حيث أنعمت عليهم الآلهة الخلود في السهل الاليزي (Ehysian plain) ويسمى أيضاً بـ(حقل المغبوطين) أو (جزائر المباركين) .

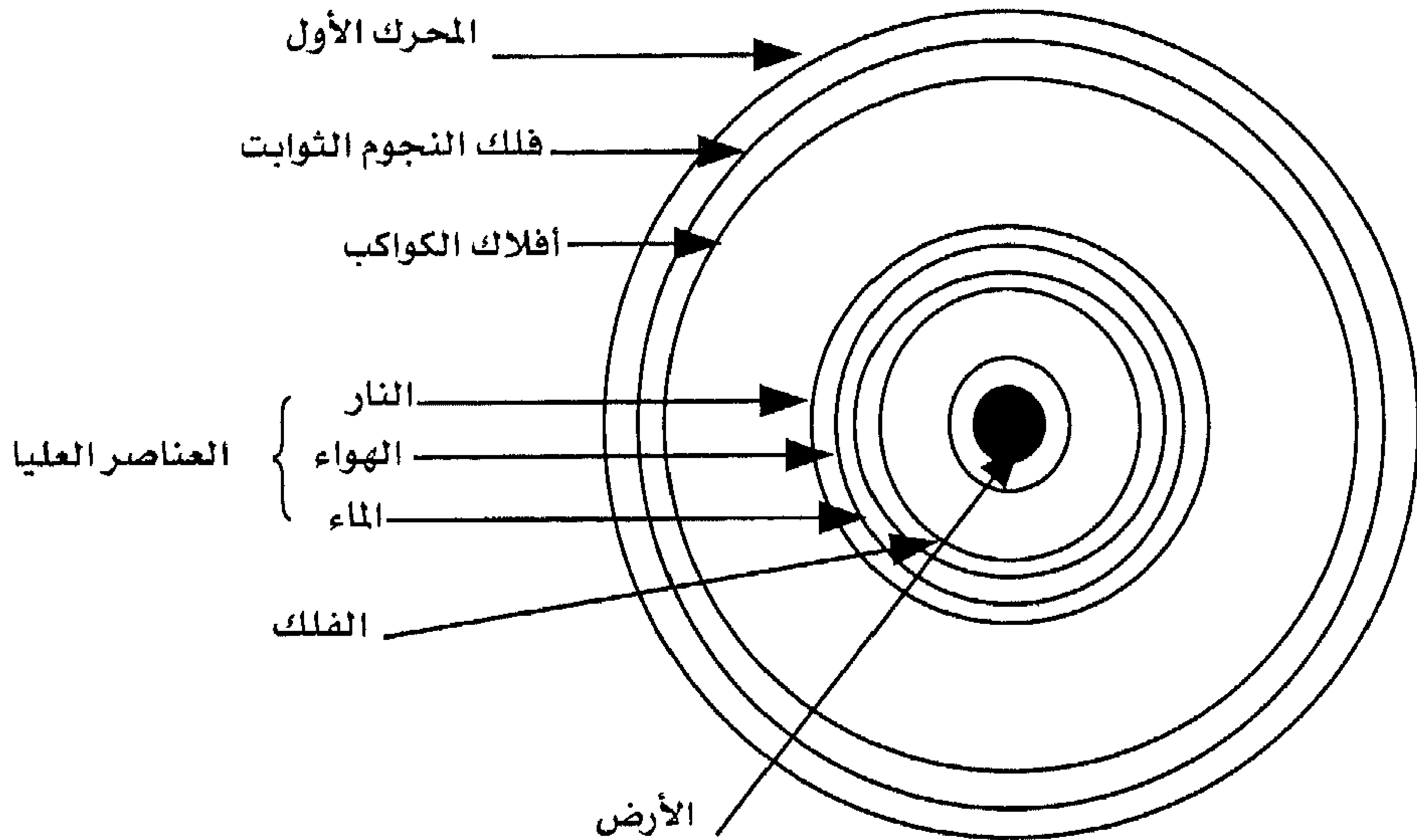
كان هوميروس أول من وضع صورة للكون ضمتها أشعاره وملاحمه وقد استطاع المهتمون بالتراث الإغريقي في العصر الفكتوري في بريطانيا تمثّل عالم هوميروس . تبدو فيها الأرض على شكل قرص ، في وسطه اليونان قائمة على سطح الماء يحيط بها فلك الكون .

الشمسُ تبزغُ من الشرق ويبدو القمر عاليًا في كبد السماء . كان معظم الفلاسفة اليونان يعتقدون أن الشمس والقمر وسائر الكواكب السيّارة تدور حول الأرض . لكنّ فكرتهم المبتكرة هي أن السماء تؤلف فلكاً محيطاً وهو شكل أكثر كمالاً من القبّة أو نصف الكرة . لم تكن ثمة أدلة تدعم هذه النظرة إلى الكون ، وإنما اقتبست لأسباب جمالية بحتة . بقي الاعتقاد بأن الأرض تقع في وسط الكون سائداً حتى ظهور أبحاث كوبرنيكوس في القرن السادس عشر(42) .

أما خارطة العالم الإغريقية فقد نشرت عام 1486 على أساس خريطة أخرى رسمها بطليموس في الاسكندرية قبل ذلك بحوالى 1200 سنة ، استمدت هذه الخريطة من شهادات المسافرين ولا سيما المكتشف اليوناني بيثياس الذي عاش في القرن الرابع ق .م (43) .

كان طاليس يرى أن الكون كرويٌّ وأن الماء هو العنصر الجوهري لكل ما في هذا الكون ، أما انكسميندر فرأى أن الأرض أسطوانية وأن الأجرام السماوية عبارة عن ثقوب في السماء المظلمة تخترقها أشعة منطقة نارية محيطة وهكذا رأها انكسيمنس أيضاً .

وتعد نظرية أرسطو حول شكل الكون هي الأكثر ثباتاً وتأثيراً في علوم العالمين القديم والوسيط فهو يرى أن الأرض كرة ثابتة في مركز الكون وأن الكون دائري والنجوم والكواكب تدور حول الأرض بسرعة متناسقة في دوائر متحدة المركز ، ورأى أرسطو أن الحركة الدائرية هي أكمل الحركات و التي تمثل النظام الثابت الأزلي الكامل للسموات الذي يقابل نظام الأرض المتغير الفاسد الناقص . وأن للكون نهاية ومادته متصلة ومكونة من العناصر الأربعة : التراب والهواء والنار والماء وهذه العناصر تنطوي بدورها على الكيفيات الأربع : الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة مجتمعة اجتماعاً مزدوجاً(44) .



شكل(41) الكون كما رآه أرسطو

خامساً: أنواع العبادات:

رغم أن المعتقدات الإغريقية تبدو لنا ظاهرياً منسجمة بعض الشيء ويسودها إيقاع واحد فإن مرجعيات هذه الديانة وجذورها المختلفة تجعلنا ننظر إليها من زوايا مختلفة إضافة إلى أن المشاهد المختلفة لهذه المعتقدات يجعلها وكأنها تحتوي على أكثر من عبادة واحدة .

1. العبادة الزراعية:

لعلّ هذا النوع من العبادة في المعتقدات الإغريقية هو الأقدم على الإطلاق ، وتكاد العبادة الزراعية تمثل أهل اليونان القدامى قبل مجيء الإغريق ، فهي غائرة الجذور في عصور ما قبل التاريخ وبدايات العصر البرونزي .

والحقيقة أن العبادة الزراعية تشكل امتداداً لعبادة الإلهة الأم التي رافقت ظهور الزراعة في أغلب مناطق العالم القديم . . .فهي عبادة أنثوية تحتفي بربات الأرض والزرع وهنّ على التوالي عند الإغريق :

1-جيا Gia .

2- ريا Rhea .

3- سيبيل Cybele .

4- ديمتر Dimeter .

5- ديوني Dione .

وسنقوم بدراسة كلّ إلهة على حدة ولكن ما يجمع هذه الآلهة هو ارتباطها بالأرض والخصب والزرع ، وقد بدأت هذه العبادة تتوارى كلما صعد الآلهة الهوائيون الذكور ، بل إن هذه العبادة صارت مصدر العبادات السرّية الباطنية التي كان يحتفي بها بعضهم كما سنرى .

وستجذب هذا العبادات وهي في طريقها الباطني إلهاً ذكراً هو بمثابة العشيق أو الابن المقتول لها مثل ديونسيوس وأورفيوس وأتيس . . . .الخ .

وكانت طقوس هذه العبادة مختلفة لكنها تنشد الخصب وتكاثر الزرع في آخر الأمر

«حيث كانت تقدم قرابين غير دموية لهذه الإلهة (ديمتر) من الثمار والعنب وأقراص العسل وصوف غنم تمّ جزّه حديثاً ، وكان هذا كله يجمع فوق المذبح ليصبّ عليه زيت الزيتون»(45) .

كانت العبادة الزراعية تتضمن طقوساً جنسية مختلفة سواء ما يخصّ الآلهة أو البشر وكان التكاثر غاية من غاياتها ولذلك ضعفت فيها عملية نشدان القيم الأخلاقية العليا واتسمت بالحسيّة والنفعية رغم أن العبادات السرّية حاولت أن تضفي على الطقوس الزراعية المعاني الوجدانية وخصوصاً أفكار الخلاص والخلود وغيرها .

2. العبادة السحرية:

ربما تحدرت العبادة السحرية من أصول تمتد إلى العصور الحجرية القديمة فهي تعتمد على تصور وجود قوة في الأشياء والكون يمكن التعامل معها والسيطرة عليها .

وبشكل عام هنالك في العبادة السحريّة ما يمكن أن نصنفه كما يلي :

- الفتيشية
- الأرواحية
- السحرية
- الطوطمية

وتتداخل هذه النزعات في بعضها ويصعب فصل الواحدة عن الأخرى فالفتيشية تتجسد في تقديس بعض الأشياء التي يعتقد أن فيها قوة كبرى قادرة على التأثير في المحيط مثل الشجرة أو قطعة الخشب أو الحجر وربما الأنهار والينابيع والجبال ، وهذه النزعة هي أصل عبادة الأوثان ، "ففي أورخومين أحجار مقدسة يجري الزعم بأنها سقطت من السماء ذات يوم ، ولدى الهيرونيين للرمح المقدس الذي يعتبر صولجان زوس ، وكان هناك حجرٌ يعبد بشكل خاص في الدلفات ، حيث كان يصب عليه الزيت يومياً ويغطّى في الأعياد بأصواف حديثة . وأقيم في ساحة المدينة في فليونت نصب نعجة نحاسية ، كانت مادة للعبادة لدى السكان المحليين ، إن كثيراً من هذه الفتيشيات المحلية المهمة ارتبطت فيما بعد بتماثيل الآلهة اليونانية العامة ، دون أن تفقد شكلها البدائي الأول"(46) .

أما النزعة الأرواحية فقد ظهرت من اعتقاد الإغريق بوجود قوة خفيّة تسيطر على كلّ شيء وتبعث الحياة في كل شيء . وقد دعوها (مانا) .

وتظهر الممارسات السحرية في الطقوس الدينية وخصوصاً تلك التي تتعامل مع قوى الظلام والمرض والعالم الأسفل وقد عمّت النزعة الطوطمية العبادات الإغريقية خصوصاً عندما أرجعوا الكثير من الآلهة إلى أصول حيوانية ونباتية أو رمزاً لها وذلك قبل ظهور التشبيه بالإنسان وبعده . فقد كان طوطم زوس مثلاً هو النسر وطوطم هيرا هي البقرة وطوطم بوزيدون هوالحصان وطوطم ديونسيوس هو العنز أو الساتير . . . .الخ .

إن هذه النزعات في الديانة الإغريقية ما هي إلاّ بقايا عبادات قديمة تحللت وأخذت شكل الرموز والأشكال والأفكار داخل جهاز ديني جديد تغلب عليه صورة الانسجام الخارجي لكنه في الأعماق يمور بالمتناقضات .

3. عبادة الموتى:

انطلقت العبادة السلالية من عبادة الموتى ، فقد كانت الحاجة لتقديس الموتى والاعتقاد بخلودهم في العالم الآخر مدعاةً لعبادتهم بصيغة أو بأخرى .

فقد شكلت عبادة الموتى ، التي كانت ملقاةً على عاتق أقرباء وخلف الميت قبل غيرهم ، جزءاً ملموساً من ديانة العائلة-الشعائرية لدى اليونانيين وقد عملت رواسب النظام البطريركي-العشائري القوية على حفظها راسخةً لأزمانٍ طويلة[47] .

كان الإغريق يعتقدون بأن الموتى يجب دفنهم ، والأيونيون وحدهم اعتقدوا بطقس إحراق الجثث ، ولذلك كان الرعب يأتي من عدم دفن الميت وتعرض جثته في العراء لنهب الحيوانات والتفسخ . وكان الإغريق يعتقدون أن روح الميت تذهب إلى مملكة هاديس وأنها تعيش هناك حياةً خاوية وقد كانت هناك قناعة أكثر رسوخاً وانتشاراً تقول إن مصير الأرواح مرتبطٌ بقيام الأحياء بأداء واجبات الطقوس المفروضة فوق جثة الميت . إن روح الراحل الذي لم يدفن مع مراسم الجنازة في قبر ، لن تجد الراحة والسكينة في عالم الأموات[48] .

وتحفل ملحمة الإلياذة والتراجيديات الإغريقية بالكثير من المشاهد الدالة على تقديس الموتى وعبادتهم حيث الاعتقاد الراسخ في حاجة الموتى إلى الطعام والشراب التي توضع أو

تسكب عند القبر لكي تستمر حياة الميت كما حياة الحي . إلى جانب الرواسب العشائرية- السلالية ، بقيت راسخة لدى اليونانيين أيضاً عبادة الشعلة العائلية . لقد جرى تشخيص الشعلة المنزلية المقدسة في هيئة الإلهة الامرأة (هسيتيا) . إن التشخيص الأنثوي للشعلة ، ما هو إلاّ ظاهرة تميز أديان عدد كبير من الشعوب باعتبارها رواسب عصر الأمومة(49) إن الموتى لا يحظون بمركز يشبه الآلهة في العبادة ولكنهم كانوا محطّ تقديس بشكل أو بآخر .

4. عبادة الأبطال:

ظهرت عبادة الأبطال بعد عبادة الموتى ومع بروز العوائل الأرستقراطية في اليونان نهاية العصر البرونزي يحفل تاريخ الإغريق بعصرين للبطولة ، الأول قبل أحداث حرب طروادة والثاني في أحداث حرب طروادة ويبدو الأبطال في العصرين وكأنهم شبه مؤلهين ، فقد نظر إليهم لاحقاً على أنهم أرواح " حماة سلالة عشائرية معينة ، الأسلاف الأوائل من رؤساء عشائرها ينفصلون أيضاً انفصال السلالات الأرستقراطية ، أخذ رؤساء عشائرها ينفصلون أيضاً ليصبحوا مادة خاصة للعبادة . وأخذ يُعلى من شأن الأبطال-الأسلاف للسلالات الأكثر شهرة وجبروتاً بدرجة كبيرة فوق الآخرين ، واتسعت دائرة عبّادهم إلى درجة تفوق الوصف"(50) .

ولعلّ أشهر أبطال الإغريق في عصر البطولة الأول يتحدرون بنسبهم من زوس أو آلهة آخرين اتصلوا بنساء بشريات ومن هؤلاء : بلياس ، نيليوس ، أمفيون ، زيثوس ، كاستور ، بوليديوكيس ، برسيوس ، هيراكلس(هرقل) .

لقد ورد ذكر بعضهم في الإلياذة أو في قصة بلليروفون أو قصة ملاحي سفينة آرجو (الجزة الذهبية) ، وينفرد برسيوس ثم هرقل بأكثر هذه القصص قوةً وجاذبية فبرسيوس هو مؤسس موكيناي وهو ابن دنائي(بنت أكريسيوس)من زوس . أما هرقل فمن سلالة برسيوس وهو صاحب البطولات الأعظم بين هؤلاء الأبطال .

كان هرقل بطلاً ، وإن كان قد خُلِّد بعد موته وصار يعبد أحياناً كبطل وأحياناً أخرى كإله . والدليل على أنه بشر هو أن اسمه مشتق من اسم هيرا ، وليس بين آلهة اليونان من يحمل مثله اسماً مشتقاً من إله آخر ، كان هرقل أكثر الأبطال شعبية بين جماهير الإغريق وقد حظيت عبادته بانتشار أوسع مما حظيت به عبادة أي بطل إغريقي آخر (51) .

وقد بلغت درجة تقديس هرقل ذروتها حين ظهرت اسطورة انتقاله إلى السماء وتحوله إلى واحد من الآلهة بل ووضعه مع آلهة الأولمب بجوار زوس وأبنائه ، وفي السلالة الطروادية نرى عبادة أرختيون الذي أنجبته الأرض من الإله هيفايستوس وقد رعته أثينا وربته وهناك ؛ (إلوس) أو (اليوس ، اليون)الذي سميت المدينة باسمه .

ولا شك في أن أبطال الإلياذة (هيلين ، مينيلاوس ، أجاممنون ، باريس ، هكتور ، أوديسيوس . . .الخ حظوا بدرجة من التقديس والتعظيم بل إن هوميروس نفسه أُلّه وأصبح في عداد الآلهة الإغريقية . وعلى سبيل المثال يظهر آخيل حصيناً ضد الموت إلاّ من عقبه حيث غمرته أمه (إله البحر) في مياه ستيكس التي جعلته كذلك ولكنه مع ذلك يتعرض للموت . . . .وهكذا تضفى على هؤلاء الأبطال صفات الخلود والبطولة الأبدية لكن صراع الموت معهم هو الذي يجعلهم أبطالاً .

5. عبادة المدن:

كانت عبادة الإغريق الكلاسيكية مرتبطة بنظام الحكم المديني وتحديداً بـ(دولة المدينة) أو الـ(بوليس Polis) الذي وضع له آلهة تحمي هذه المدينة وتحفظ لها خصوصيتها . ويسمى بعض الكتّاب هذه العبادة بالعبادة البولياسية ويسمى الآلهة بالآلهة البولياسيين .

تعلن المدينة انتسابها لهؤلاء الآلهة معتبرة عبادتهم كنظامها الأساسي وكعنوان وضمانة لميثاقها الاجتماعي . وهكذا فإن أثينا هي مدينة الإلهة أثينا التي تعبد بهذه الصفة وتدعى لذلك (أثينا بولياس) لكن أثينا نفسها تعبد فيها أيضاً بصفتها(أثينا أرغاني) (العاملة) و(نايكي) (النصر)وهيجيا (الصحة) . فبأي نسبة تبقى (اثينا بولياس) في جوهرها ، والحالة هذه يا ترى؟ ومن جهة ثانية ، فإن العبادات (البولياسية)لا ترى ضيراً في قيام عبادات أخرى متوازية كثيرة(52) .

كانت عبادة إله أو إلهة المدينة تستوجب احتراماً وتقديساً وتقديم هذا الإله أو هذه الإلهة على غيرها" ولم يكن بالإمكان إهمال تنفيذ الطقوس الإلزامية على شرف الإله حامي المدينة ، كما كان إبداء قلة الاحترام نحوه من المحظورات ، وأشد أنواع العقاب في انتظار من يخرق هذا القانون . ويعتبر المثال الساطع في هذا المجال الحكم على سقراط وإعدامه عام (399)ق .م بعد أن لاقى الأهوال بحجة : عدم تبجيله الآلهة ، التي تعبدها المدينة ، بل إدخاله آلهة جديدة . . .كما جاء في لائحة الاتهام الرسمية ."(53)

لكن اتهام سقراط كان حجّة واهية فقد كانت أثينا إضافة إلى عبادة عموم آلهة اليونان تعبد آلهة أجنبية دون أن يكون لسقراط دخل في ذلك" فقد اضطرت أثينا ، بسبب مرفأ البيرة الذي يؤمه البحارة والتجار والمسافرون من كل البلدان أن تبالغ في التساهل . فسمحت في الدرجة الأولى بأن تؤسس جمعيات خاصة يعبد أفرادها الآلهة الغرباء كالإلهة بنديس التراقية وإيزيس المصرية والوالدة الكبرى الفريجية وأدونيس وعشتروت السوريين ومنذ البدء انضم بعض المواطنين ، دونما تستر وتعرض لأي لوم ، إلى صفوف الأجانب المقيمين وغير المقيمين في هذه الجمعيات وأقرت أثينا ، بعد ذلك ، دخول العدد الأعظم من هؤلاء الآلهة إلى العبادة الرسمية ."(54)

وقد تمّ التوفيق بين عبادة الأبطال وعبادة آلهة المدينة في صيغة إيجاد نسب بين هؤلاء الأبطال والآلهة وصياغة أساطير تؤكد ذلك ويوحي عادة اسم الولي أو البطل باشتقاق من اسم الإله الحامي للمدينة مثل :

في مدينة فيف تحول اسم نهر ايسمينيه إلى أبولون ايسمينيه .
في مدينة بيوتيا تحول اسم جبل بتوي إلى أبولون بتوي .
في جبل أنخسيم تحول اسم أنخسيم إلى زوس أنخسيمي .
في جبل غيبات تحول اسمه إلى زوس غيبات . . .الخ .

وكان هذا الدمج بين أسماء الأولياء والأبطال المحليين مع الآلهة الكبرى يعكس ميل هذه المدن أو الأماكن للاتحاد الروحي والثقافي والسياسي ، بينما كان التمسك بالإله المديني(البولسياني) يعني حماية المدينة ضد مدينة أخرى ، وكذلك كان التمسك بالإله الإغريقي العام سبباً للوقوف بوجه الأعداء الخارجيين لعموم بلاد اليونان أو الإغريق .

وعلى ذلك يمكن أن تكون العبادة البوليسيانية نوعاً من العبادة السياسية في أغلب مظاهرها وخصوصاً في الوقت الذي ازدهرت فيه دولة المدينة الإغريقية في العصرين الآرخي والكلاسيكي .

6. عبادة الجمال:

كان هيغل يصف العبادة الإغريقية وخصوصاً في عصرها الكلاسيكي بـ(عبادة الجمال) ويبدو أن جوهر هذه الفكرة يعود إلى طريقة فهم الإغريق للآلهة فهم أكثر الناس الذين جعلوا الآلهة على قياس الإنسان فقد اختلفوا عن الساميين مثلاً الذين جعلوا الآلهة مفارقة للإنسان تكبره حجماً وقوة وبقاءً بما لا يمكن تصوره حتى إن هذا التقارب بين الآلهة والبشر ،

الذي أدى إلى حضور الخالدين باستمرار بين الفانين ، يفسر ، لا شك ، تدخل الآلهة في كلّ شعر يوناني ، وليس من عيد إلاّ وهو مكرسٌ للآلهة ، ولكن لآلهة حاضرين ملازمين ، فكل عرض مسرحي يبدأ ، مثلاً بذبيحة حيث يقدم للإله ما يجذب انتباهه ليكون حاضراً فعلياً . إن الشعر من مديح وملهاة ومأساة يخضع لرعاية الإله ، ليس ما يمنع أن يكون هذا الإله موضع سخرية -كما فعل أريستوفان في مسرحية (الضفادع) حيث يمثل ديونيسيوس الذي يحتفل بالعيد على شرفه ، دور شخصية فقيرة[55] .

وهكذا أصبحت الآلهة شبيهة بالإنسان ولكنها بعبارة أخرى كانت تسعى لأن تكوّن الإنسان المثالي الأفضل والأرقى والأقوى والأجمل . إنها تجسيد لنزوع الإنسان نحو الأعالي .

وقد أسهم الفنانون والشعراء والمسرحيون والنحاتون في صنع صورة الجمال المثالية لهذه الآلهة فقد كان النحاتون مثلاً يصورون الآلهة بأجساد متناسقة وبوجوه جميلة وبحركات رشيقة توحي بأن هؤلاء الآلهة هم (الجمال) بعينه ، إن تماثيل أفروديت كانت مثال الجمال الأنثوي وتماثيل أبولون كانت مثال الجمال الذكوري وكذلك تماثيل الآلهة الأخرى الحاملة لصفاتها .

وربما وجدت عبادة الجمال سندها في النظرية التي تقول بأن الآلهة لم يكونوا سوى بشر ولكنهم ألّهوا بعد موتهم فأصبحوا مثالاً لكل شيء وحوّرت سيرتهم لتتناسب مع صورة المثال هذه ، وقد قال بهذه النظرية (يوهوميروس) الذي عاش بعد الاسكندر الأكبر بقليل ولم يكن زوس في رأيه ، سوى ملك قديم في كريت تمرد على أبيه كروفوس وخلعه من العرش وهكذا غيره من الآلهة .

وهكذا ترتبطُ عبادة الجمال بعبادة الأبطال إلى حدٍّ ما ، لكن عبادة الجمال مسكونة بهاجس التسامي والعلّو . لقد كان العامة أو ما يمكن أن نسميه بـ(العبادة الشعبية) تهبط بالآلهة إلى المستوى الشعبي الذي يجعل منها عادية في كل شيء ، لكن ردة الفعل التي تكونت عند شعراء التراجيديا والفنانين النحاتين ، بشكل خاص ، نزّهت الآلهة وجعلتها تسمو على صورتها البشرية العادية . فقد كان الشاعر بندار ، مثلاً مهووساً بعظمة الآلهة ولا تروق له صفاتها المتدنية .

إن صورة الجمال هي التي جعلت من ديانة الإغريق عبادة فنية أقرب ما تكون إلى دين الشعر أو دين المسرح أو دين النحت ، أما نقائض ومساوئ الآلهة فقد عُدّت من اختراع تواتر العامة لها .

المبحث الثالث
العقائد الدينية السرّية الخاصة
(ديانات الأسرار الإغريقية)

تنشأ في أغلب الديانات الكبرى والعقائد الدينية الراسخة والواسعة الانتشار ظاهرة انشطار عجيبة ذات طابع تجعل من الدين ظاهراً وباطناً ، ولذلك نرى الدين الظاهري الذي قوامه السنن والأعراف والعبادات الشائعة والمعروفة لذلك الدين ، والدين الباطني (السري)الذي يشوبه الغموض وتتبناه الخاصة ويُسيطر عليه هاجس الأعماق والأسرار .

ويمكن تعريف الديانات السرّية بأنها الديانات التي يقوم معتنقوها بأداء طقوس غامضة تقتصر عليهم فقط ، ذلك لضمان حياة سعيدة أبدية بعد الموت .(56)

إن المحرك الأساسي للديانات السرية وجوهرها يمكن في قضية واحدة هي (الخلود) ، فبعد أن يئس الإنسان من الخلود أثناء الحياة عوّل على الخلود بعد الموت ، ولأنه لا يستطيع أن يضمن لجميع أخوته من البشر الحصول على هذا الخلود بعد الموت لذلك سعت نخبةُ عارفة منه للوصول نحو هذا الحلم ، إما من طريق المعرفة (العرفان) حيث يخوض هؤلاء الخاصة في علوم ومعرفة ذوقية تضمن لهم الاتحاد بالإله أو بالله لينالوا هذا الخلود وإما بالطقوس السرّية ذات الطابع الخاص والغامض . وكانت هذه الطقوس تقسم في الغالب إلى مراحل متدرجة هي :

1- التطهير : التطهير الجسدي بالاغتسال والنظافة أو التطهير الروحي بالاعتراف .
2- التكريس : تلقين أوليات أو مبادئ الديانة السرّية .
3- العبور : وهيَ طقوس غامضة يتعرض فيها المتعبد لنوع من الامتحانات الطقسية الصعبة التي تثبّت إيمانه وتجعله قوياً .
4- الاتحاد :وهو الاتحاد بالإله المقدس حتى يضمن المتعبد لنفسه الخلود بعد الموت لأن إلهه هذا سيكون حياً بعد موته وسيكون هو هذا الإله كلياً أو جزئياً .

وقد ظهرت ديانات الأسرار في الأديان الشرقية القديمة بشكل واسع وربما انتقل بعضها إلى اليونان والإغريق ، لكن ذروة ظهور ديانات الأسرار كانت في العصر الهيلنستي الذي شهد اختلاط الأديان الشرقية بالدين الإغريقي ونتج من هذا الاختلاط العقائد السرية .

انبثقت عقائد الخلاص ، التي أخذت طابعاً سرّياً ، من ديانات الشرق القديمة الخاصة بآلهة النباتات حيث كان موتها بمثابة دفن للبذور وانتظار عودتها إلى الحياة ونموها ، فقد عرفت بعض المثولوجيات الشرقية القديمة (السومرية والسامية) فكرة الإله الذي يموت ويقطّع جسده وتعطى بقايا جسده غذاءً لحياة النبات .

ويبدو أن جوهر الفكرة كان قائماً على أساس أسطوري له علاقة بخليقة الإنسان (الانثربوغوني) وهي (تنشأ الحياة من موت إله) ، ولكن ذلك لم يكن نهاية الأمر بل ترتبت عليه أمور أخرى ، وهي أن هذا الإله الميت سيكون حياً تحت الأرض أو في العالم الأسفل ولأنه كان سبب نشوء الحياة فإن الناس يخشونه عندما سيذهبون بعد الموت إلى العالم الأسفل ومن هنا ظهرت تقاليد شفاعة الإله السفلي الذي قد يقترن بفكرة الظلام وربما الشر والشياطين .

وهكذا ظهرت هذه العبادات بعيداً عن العبادات الرسمية التي كانت في الغالب ، تعبدُ إلهاً ظاهراً باطنياً ضعيفاً يسيطر على عالم ما بعد الموت ورافقت هذه العبادات الطقوس السرّية الغامضة التي ستكون أساس نشوء العقائد الغنوصية والهرمسية باعتبارها عقائد خلاص اكتملت هياكلها في العصر الهيلنستي .

إننا نبحث هنا عن أهم الاتجاهات التي سارت فيها ديانات الأسرار عند الإغريق وهي :

أولاً: الإليوسية:

تعتبر ديانة الأسرار الأليوسية (Eleusinian Mysteries) من أقدم ديانات الإغريق السرية ، وتعود في جذورها إلى حوالى القرن السادس عشر قبل الميلاد وقد استمرت حتى القرن الرابع الميلادي ، أي حوالى الألفي عام ، وربما تكون هذه الديانة قد نشأت أصلاً من الديانات الإيجية القديمة[57] .

أخذ اسم هذه الديانة من اسم مدينة (إليوسيس) التي ظهرت فيها الديانة لأول مرة وفقاً لأسطورة متداولة هناك ثم انتشرت من هذه المدينة إلى اليونان وجزرهم وإلى مستعمراتهم الشرقية والغربية (آسيا الصغرى وجنوب إيطاليا وصقلية)وكانت إليوسيس تقع غرب أثينا باثني عشر ميلاً ويربطهما طريق يدعى (الطريق المقدس)وفيها كهف يسمى (بلوتونيوم)

اعتقد اليونانيون أنه المدخل إلى العالم السفلي والذي يسلكه عادة إله العالم السفلي(بلوتو)أو (هاديس) .

الأسطورة الرئيسية لهذه الديانة كانت تدور حول الإلهة (ديمتر) إلهة الأرض و الخصوبة (أو الإلهة التي تمنح الأرض الخصوبة) .

لكل ديانة سريّة أسطورة تتمحور حولها تكون أساس معتقداتها وطقوسها وأسطورة (ديمتر) القديمة تقول بأن الإله هاديس إله العالم الأسفل قام باختطاف الإلهة (كور) ابنة (ديمتر) فتنكرت (ديمتر) في شكل امرأة عجوز وقامت بالبحث عنها حتى وصلت إلى مدينة (إليوسيس) فعرضت عليها ابنة ملك المدينة المسمى(سيلوس) أن تعمل كمربية للابن الوحيد للملك (ترابطليموس) فتقبل بهذا الأمر وتحاول أن ترد الوفاء لعائلة الملك فتشفي ابنه العليل ثم تقوم بطقوس غريبة لتمنحه الخلود ، لكن أم الطفل تفزع عندما ترى الطقوس الغريبة التي تقوم بها العجوز فتكشف (ديمتر) عن شخصيتها الإلهية الحقيقية وتركب عربتها الإلهية وتختفي عن الأنظار ، وبعد أن تعثر (ديمتر) على ابنتها وتقضي لها السماء بأن تقضي (كور) نصف سنة على الأرض (الربيع) ونصف سنة تحت الأرض (الشتاء) . ولكنها تعود إلى عائلة سيليوس وتعلم ابنه مختلف أنواع العمل كالحراثة والبذار والزراعة والحصاد وترحل به في أرجاء العالم فيشبّ قوياً متعلماً وعندما يعود إلى إليوسيس يبني ترابطليموس للإلهة (ديمتر) معبداً فخماً تجري فيه العبادة الإليوسية وطقوسها .

كانت العبادة الإليوسية مقتصرة على الرجال وتجري على مرتفع مقدس ، أما النساء فكن يقمن بها منفردات ويجتمعن في مكان خاص يدعى (نيمفوني) . وكانت طقوس الاحتفالات الإليوسية تقسم إلى نوعين ، الصغرى التي تجري في الربيع والكبرى في الخريف وكانت الاحتفالات الإليوسية الكبرى تجري على عدة مراحل في الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر (أيلول) وتحديداً منذ يوم 21 فيه وبحسب التقويم الإغريقي تبدأ يوم 13 من شهر بوريدروميون وكانت تجري كما يلي :(58).

1) 13 من شهر بوريدوميون :يحمل الكهنة تمثال الإله ديونيسوس مع رموز الإلهة ديمتر (المشاعل وسنابل الحنطة) من معبدها في إليوسيس ويذهبون بها عبر الطريق المقدس إلى أثينا في موكب حافل ليضعوها في معبدها هناك .

2) 14 من شهر بوريدوميون :يعلن الكاهن الأكبر للإلهة ديمتر في أثينا بداية الاحتفالات الكبرى .

3) 15 من شهر بوريدوميون : يبدأ معتنقو ديانة الأسرار الإليوسية في إجراء طقوس التطهير في خليج (فاليرون)شمال أثينا حيث يقومون بالاغتسال هناك ويحضرون معهم خنزيراً صغيراً ثم يذبح الخنزير وينثر دمه على عبدة ديمتر ويطلب منهم الصيام لثلاثة أيام وتكون هذه الأيام الثلاثة بمثابة طقوس التكريس والعبور حيث يتألم فيها المتعبدون من أجل (كور) ابنة (ديمتر) السجينة في العالم الأسفل .

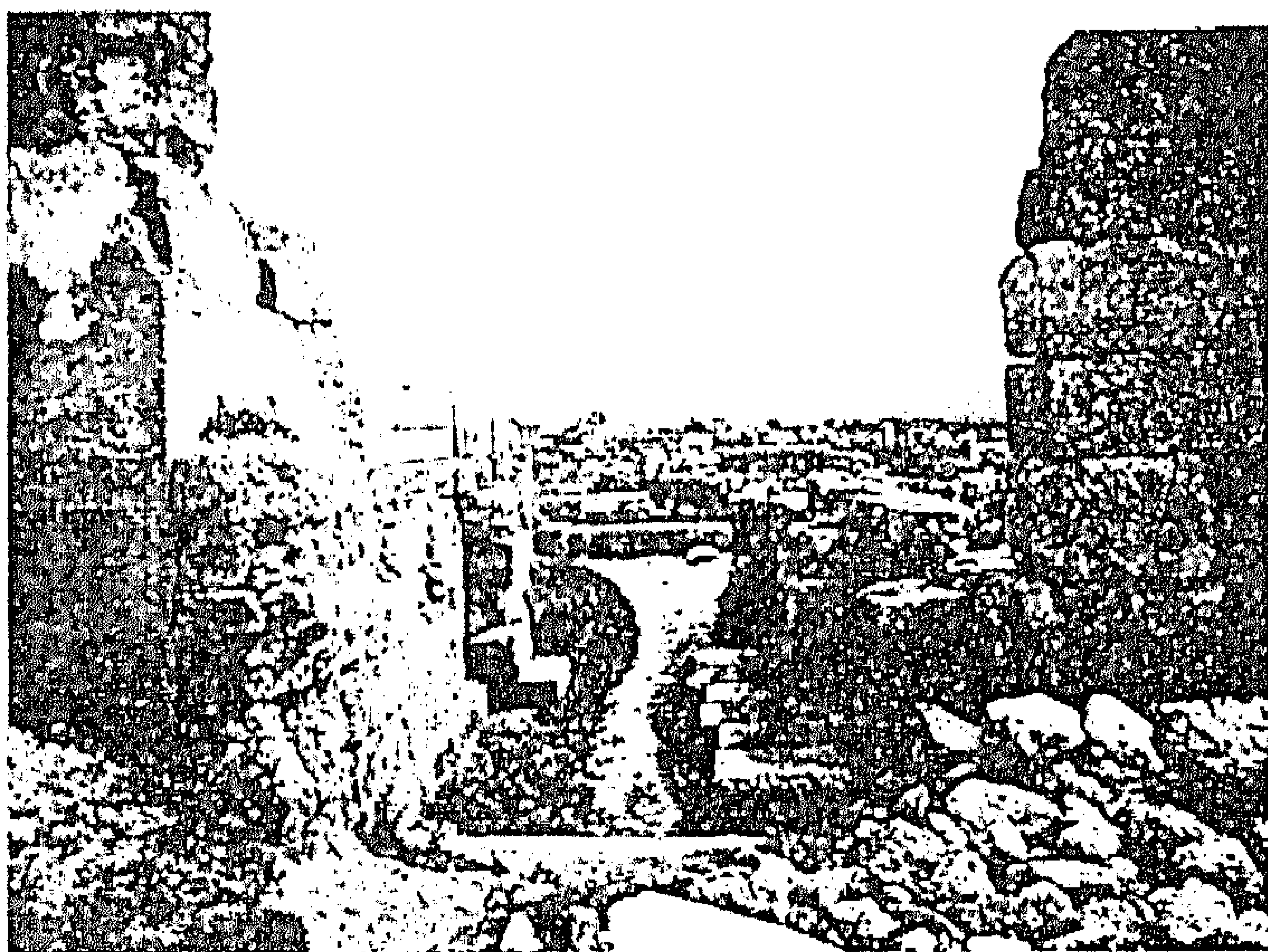
4) 19-20 من شهر بوريدوميون : يتجمع كهنة الإلهة (ديمتر) مع عابديها المتطهرين ويحملون أغصان وأوراق الريحان ثم يعددون في موكب بطيء مهيب وهم يحملون تمثال ديونسيوس ، وتقدم على طول الطريق المقدس القرابين والأضحيات على كل المذابح الموجودة على الطريق .

5)21 من شهر بوريدوميون : يصل الموكب ليلاً إلى معبد ديمتر في إليوسيس بصحبة المشاعل المضيئة ويبدأ العشاء المقدس حيث يقومون بأكل وجبة مقدسة من الخبز مع شراب يتكون من مسحوق الشعير والماء المعطر بالنعناع الذي يسمى(كيكيون) ويشرب في أوعية ذات شكل غريب تسمى (كيرنوي) ، وتدل هذه المشاركة في الطعام والشراب على وعد بالخلود بعد الموت ويرمز له بظهور براعم البذور المدفونة في الأرض .

ويبدو لنا أن جوهر هذه النحلة كان يقوم على استدعاء القوى الخيّرة في باطن الأرض ممثلة بالإلهة ديمتر وابنتها كور والاتحاد بها لتضمن للعابدين خلاصاً في الحياة الأخرى وخلوداً بحشرهم معها . ولعل الجانب الطقسي كان ضرورياً لإحداث النشوة والإلهام المتصاعد الذي يضمن الاتحاد فقد كان هناك إفشاء أشياء معينة ذات قداسة تهز النفس وكذلك مشهد التمثيلية الرائعة المؤثرة ، أو الرواية العاطفية التي تتضمن قصة كور ابنة ربة الأرض البتول ، وحزن ديمتر والبحث عنها ، والمصالحة ، أو هذا الزواج المقدس ولعله الميلاد المقدس ، وكان يحس كل من لهم حق مشاهدة تلك الأشياء كأنهم اتصلوا بقوى عالم الأشباح المهيب اتصالاً شخصياً ولذلك فلهم أن يرتقبوا الخير والخطوة العاجلين عندما تدخل أرواحهم العالم السفلي ."(59)

كانت هذه الديانة أو العبادة تنفتح على جميع الناس بمختلف طبقاتهم حتى العبيد ولا تقبل الأجانب من غير اليونانيين (البرابرة كما كانوا يسمونهم) ولا المجرمين ، وتساوي بينهم في الطقوس والوعود .

ومن خواصها أنها توجهت إلى الفرد كفرد ، بعيداً عن كل نظام قانوني وعن كل أثر عائلي أو مدني ، إلى الفرد وحده كما سيكون يوم موته . ولذلك كان نجاح هذه الأسرار موازياً لنجاح الديمقراطية الأثينية نفسها التي حققت النصر بتحريرها المواطن من ضغط الجماعات العائلية .(60)



شكل (42) الجدران المحيطة بمعبد إليوسيس المقدّس



شكل (43) الإلـــهـــة ديمـــتـــر (مـــن كـنـدوس)



شكل (44) بيرسفوني تصبّ الماء على أحد المتعبدين في إليوسيس

كان الخوف من الفناء بعد الموت منطلقاً لاهوتياً لهذه الديانة وكانت الطقوس الباطنية وسيلة لها والتي تتم من الطريق التمثيلي الرمزي لقصة ديمتر وكور ودخول بعض الأسرار الغامضة معها ، أما الغاية من كل هذا فهي اطمئنان العابد أنه بممارستها هذه تصالح مع فكرة الخلود الذي ستضمنه له آلهة العالم الأسفل فقد تعرفت عليه وتعرف عليها بشكل من الأشكال . وفي أي من الأحوال ، فمما لا شك فيه أن نقطة الارتكاز في الأسرار الإليوسية كانت هي البحث عن الخلود ، والاعتقاد القائم على التناقض الظاهري بأنه لا يتحقق إلاّ من طريق الموت . لقد كان الاعتقاد السائد هو أن المرء يمكن أن يمّر بموت رمزي ، من خلال تلقينه لهذه الأسرار وإدخاله في طقوسها ، حتى يولد من جديد ، كإنسان خالد ، وقد كان هذا التصور شائعاً في بلاد الشرق الأدنى القديم ، ولكنه كان قوياً في مصر بشكل غامر ومن هنا الاتفاق الشامل بين الكتّاب القدامى على أن فيثاغورس وأورفيوس وسقراط وآخرين ممن عنوا بمسألة خلود الروح إنما عرفوا عنها ما عرفوا من مصر [61] .

ورغم أن الديانة الإليوسية هي ديانة سرّية ذات طابع خلاصي فإنها تنتمي في جذورها إلى عبادة من عبادات الخصب التي احتجبت وراء الظّهور الجلجل لإله الطقس الذكري (زوس) خصوصاً أنها ديانة أنثوية تنتمي إلى (ديمتر) . كان أتباع إليوسيس ، أثناء إحيائهم الاحتفالات الليلية ، يطّلعون على أسرار الآلهة ويتلقون وعداً بالتغلب على الموت مثلها . عبادة طبيعية إيمائية لدورة الحياة والموت العظمى . تنتمي عبادات إليوسيس إلى العبادات (الخلاصية) الناشئة عن تأمل في قوى المستقبل التي تنطلقُ ، غالباً ، من خرافة غايتها لفت الانتباه إلى ولادة النباتات . هذا النوع من الدين يوجد تقريباً في كلِّ مكانٍ من العالم ، ويمكن أن تكون ديانة إليوسيس ذات أصول تعود إلى ما قبل الهيلينية ، إلى أصول مينوسية ، إذا شئنا ، لكن ذلك ليس ضرورياً ، ويمكن أن تكون قد نشأت محلياً ، ولكنها لا تنتمي إلى مخططات الأديان المنتشرة في العالم الهيليني[62] .

ثانياً: الديونسيوسية:

يكاد الباحثون يجمعون على أن الإله ديونسيوس وفد إلى اليونان من آسيا في حدود القرن العاشر قبل الميلاد واستقر في (تراقيا) ولم يحن القرن السابع قبل الميلاد حتى شاعت عبادته في اليونان كلها . . . ثم أصبحت طقوسه النواة التي انطلق منها أول العروض المسرحية وكانت هي أصل المسرح الإغريقي . والإله ديونسيوس له شكلان أساسيان : الدنيوي هو إله الخمر والنبات المزهر والجنس و المسرح والجنون المقدس والكروم والقصف والمرح والمجون ، أما الشكل الأخروي ، الذي يمتد إلى ما بعد الموت ، فهو الإله الذي يشفع للموتى والذي يأخذ بيدهم نحو الخلاص هناك .

ونرى أن أصل الإله ديونسيوس هو من فينيقيا فهو ذاته الإله الفينيقي(أدونيس) وهناك شبه كبير بين اسميهما وأسطورتيهما ، وقد كان الإله أدونيس إله الحب والجمال والشباب والمرح وكانت تقام له طقوس وأعياد أدونيسية حافلة في فينيقيا تجسد موته وموت النبات والخصب في الطبيعة وتجسد بعثه وبعث الخصب والربيع ، ونرى أن جذور أدونيس الفينيقي هذا ترجع إلى جذرين بعيدين آخرين هما ديموزي السومري وأوزيرس المصري اللذان تشبه أسطورتهما أسطورته(63) .

ومن المعروف أن أدونيس الفينيقي وأوزوريس المصري وتموز البابلي وديموزي السومري يحملون الطابع نفسه ولهم طقوس متشابهة ، وجميعهم أصبحوا آلهة للعالم الأسفل بعد موتهم . كانت أعياد ديونسيوس تقام في أثينا وفي غيرها من المدن اليونانية ، ومنها عيد الانثيستاريا (Anthesteria) الذي يقام في شهر شباط ويستمر لمدة ثلاثة أيام :

اليوم الأول : تفتح فيه جرار النبيذ الجديد ويتم تقديم قربان منه إلى ديونسيوس .

اليوم الثاني : يعرض تمثال ديونسيوس في موكب حافل وتقوم الكاهنة أو زوجة حاكم المدينة بأداء طقس غامض يقام في الغالب عند بركة من المياه . ثم يعود الموكب إلى المدينة وتقدم الكاهنة طقس الزواج المقدس من الإله ديونسيوس(الذي يقوم بدوره زوجها الحاكم أو الكاهن) ويتم في هذا الطقس اتحاد المحتفلين بالإله ديونسيوس .

اليوم الثالث : تقدم القرابين لأرواح الموتى ، والحقيقة أن عبادة ديونسيوس كانت مرجعاً لظهور فن المسرح ولظهور الجمعيات السرّية وأصبحت القاسم المشترك بين العقائد



شكل (45) ديونسيوس يحمل عصاه الكمثرية باليسرى وإناء
الطقوس باليمنى وترقد تحته لبوةٌ حارسة

والطقوس الجنائزية فقد"ربط المؤمنون به بين اسمه والبعث بعد الموت ، فكانوا يؤمنون بعودتهم إلى الحياة واستمتاعهم بالخلود في العالم الآخر ، ويتخذّون من قوة الخمر رمزاً لقوة الطبيعة ، ويقيمون له المهرجانات (الديويسية)التي كانت تضرّج بالمرح والعربدة والسكر والموسيقى والرقص والغناء وذبح القرابين ، فتنشر بين المحتفلين حالة الوجد المحموم والانفعال الذي يسيطر على العقول والأجساد ويفقدها اتزانها ، فتتهتك النساء خلال الغابات وفوق التلال في ظلمة الليل ، يرسلن صرخات داوية ، ويؤدين رقصاتٍ عنيفة على دقِّ طبولٍ وحشيةٍ وأنغام مزمار مشبوبٍ ، ويمزقن لحم الذبائح في جنون ويأكلنها فجّة"(64) .

وكان سرّ انتشار العبادة الديونسيوسية بين الناس(رغم أنها عبادة سرّية) تعود إلى أن ديونسيوس كان إلهاً شعبياً وكان يسمى إله الشعب(Demotikos) وكان الهدف من عبادة ديونسيوس هو بلوغ حالة الجذب(Ekstasis) وهو لفظ يؤدي أيضاً معاني كثيرة تراوح ما بين (التحرر من الشخصية وبين تغير الشخصية تغييراً عميقاً) كانت وظيفته السيكولوجية هي إشباع نزعة رفض المسؤولية وتخليص المرء منها ، وهي نزعة توجد عندنا جميعاً يمكن أن تصبح في ظروف اجتماعية معينة رغبة جامحة لا تقاوم"(65) .

كان هذا الإله يرعى الحياة والموت معاً ، فهو إله البهجة والمرح وهو إله عالم الموت وشفيع الناس فيه" وديونسيوس في كل مراتب الابتهاج هو الإله المحرر (Lusios) الذي يمكّنك لفترة قصيرة بوسائل بسيطة أو غير بسيطة من أن تدع شخصيتك جانباً ، وبهذا يحررك من نفسك . ذلك فيما نظنّ ، هو السبب الرئيسي لإقبال الناس على عبادته في العصر ما قبل الكلاسيكي بسبب عبء الحياة وقدرة هذا الإله على إزاحة هذا العبء لأنه كان رب التوهمات ومعلم الصور الوهمية والخدع السحرية الذي يستطيع أن يجعل كرمة عنبٍ تنبت من لوحٍ خشبي من ألواح المركب ، وبوجه عام يمكّن المتفانين في عبادته من رؤية الأشياء على غير حقيقتها"(66) .

ثالثاً: الساموثراكية (عبادة الكابيري):

نسبةً إلى جزيرة (ساموثراك) جنوب غرب ساحل آسيا الصغرى وهي ذات طبيعة جبلية وهي طائفة تؤدي طقوساً بلغةٍ غير اللغة اليونانية وهو ما يرجح وفود هذه العقيدة من خارج

بلاد اليونان . . .ويبدو أنها ذات أصل قديم لكنها لم تترسخ في اليونان إلاّ بحلول أواخر القرن الخامس قبل الميلاد حيث ظهرت في أثينا نفسها .

اتخذت الساموثراكية من مجموعة من الآلهة المشتركة مركزاً لها أطلق عليها (الآلهة العظيمة (Theoi Megaloi) والآلهة الساموثراكية (Theoi Samothrakes) أو الكابيري (Cabiri) وقد كشف لنا مناسياس (القرن الثالث قبل الميلاد) عن أسماء هذه الآلهة وهي :

1- اكسيروس Axieros .

2- اكسيوكيرسا Axiokersa .

3- أكسيوكيريوس Axiokersos .

4- كاسميلوس Kasmilos .

وربما أشارت هذه الأسماء إلى ألقاب لزوجين من الذكور والإناث(67) .

ويرى بعضهم أن هؤلاء من الآلهة الفريجية الذين كان يطلق عليهم اسم (الكابيري Cabiri) وهم الآلهة العظام وكانت جزيرتهم هي جزيرة ليمنوس الجزيرة التي تقع شمال بحر إيجه مقابل طروادة والتي كانت تابعة فعلاً لفريجيا وكانت جنوب جزيرة ساموثراكيا .

وقد اشتهر هؤلاء الآلهة الكابيري ، منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، لحماية الملاّحين . ومن ثم جاء خلطهم أحيانا بالديوسكوري Dioscuri (كاستور وبولّيكس) ابني زوس وشقيقي هليني وكلمينسترا (من الربة ليدا) وكذلك خلطوا بالكوريبانت Corybates أتباع سيبيلي وخلطوا بالكوريت (Kourete) رفاق زوس الطفل في كريت .

اشتق اسم الكابري من الكلمة الفينيقية (كابيرم) أي (كبير) بمعنى الكبير والقوي في اللغة العربية وهو ما يتفق مع وصفهم بالآلهة الكبار ، وقد انتشرت عبادتهم في بويونيا (منذ القرن السادس قبل الميلاد) التي يرتبط اسم عاصمتها (طيبة) باسم الإله الفينيقي الأصل (قدم) أو (كادموس)مؤسس طيبة . فهم إذن إما آلهة فينيقيون وإما آلهة فريجيون وفي الحالين هم آلهة خصب ترتبط عبادتهم بطقوس سرية وغامضة ظهرت بوضوح في جزيرة ساموثراكيا . وكانت لعبادتهم السرية علاقة بالآلهة ديمتر وديونسيوس وهرمس ، ولذلك جاء الاعتقاد بحماية أتباعهم من الأخطار ولا سيما أخطار البحر .

ربما كانت العقيدة الساموثراكية موغلة في القدم وقد تعود إلى البلاسيجيين (سكان اليونان الأصليين) الذين ربما كانوا يمتّون بصلة للكنعانيين ولذلك بقيت آلهتهم سرّية وأسدلوا الستار على أسمائها . ولكن هذه الديانة انتعشت بعد سيطرة مقدونيا على اليونان ثم في العصرين الهيلنستي والروماني .

رابعاً: الأورفية:

الأورفية نسبة إلى الشاعر الإلهي أورفيوس الذي ظهر في تراقيا ، وكانت قصائد هذا الإله الشاعر الغنائية والتي كانت تغنى على القيثارة ، مصدر إلهام لتكوين نحلة أو طائفة أو ديانة سرية يونانية .

ازدهرت هذه الديانة خلال القرن السادس قبل الميلاد واستمرت بعد ذلك مع الديانات السرية الأخرى وخصوصاً الديونسيوسية لكنها أخذت مع الزمن صوراً أخرى .

يقوم جوهر هذه الديانة على فكرة الخلاص ، خلاص النفس من سجنها الجسدي ، فقد كانت ترى في البدن سجناً مدنساً للروح أو النفس التي هي نسمة إلهية ، ولذلك لا بد للروح لكي تعود طاهرة من أن تتخلص من الجسد .

وكانت هذه الفكرة الدينية قد أتت من أصل أسطوري يقول إن زوس خلق الإنسان من الرماد الذي تخلّف من حرقه للجبابرة (التيتان) الذين أكلوا ابنه الإله ديونسيوس ، ولذلك جمع رمادهم ومن ثم جسد الإنسان نقيضين هما دنس الجبابرة وأجسادهم وطهر الإله ديونسيوس الذي يتصل بالإله زوس . وهذا ما يفسر أيضاً تقديسهم للإله ديونسيوس .

وهكذا فإن الأورفيين ، بعد اعتناقهم عبادة ديونسيوس ، منحوه لقب المخلّص كمكافأة ، وأقاموا علاقة بينه وبين الأسطورة التي تتحدث عن زاغري (وهو ديونسيوس) الذي مزقته الجبابرة ، غير أن زوس أعاده إلى الحياة في هيئة ابنه ديونسيوس الصغير ، وهذا الإله المتوفى والمنبعث هو من أصبح الإله مخلص البشر (مثيل آلهة الشرق أوزوريس وتموز وغيرهما) .(68)

لكن أسطورة أورفيوس نفسه تتضمن فكرة محاولة الخلاص من الموت قبل أن تكون اسطورة ديونسيوس أساساً لاهوتياً لفكرة الخلاص الأورفية ، ففي أسطورة أورفيوس نلمح البحث الدائب لأورفيوس المغني والشاعر والإله الملهم لخلاص حبيبته يوريديكي من أسر الموت ، بل إنها تتضمن عنصراً متطوراً جديداً هو إمكانية الخلاص لا من طريق الاتحاد أو

تمثل إله العالم الأسفل بل من طريق الشعر والموسيقى والغناء التي تؤدي دوراً في جعل العالم الأسفل كله يبكي ويرق ويتوقف عن ظلامه لتشرق فيه ومضة الخلود الروحي التي يفجرها الشعر الأورفي ، وتمثل هذه النقلة من طقوس الخلاص التي تعتمد على الأضاحي والممارسات الجنسية إلى اعتماد الفن (والشعر بشكل خاص) وسيلة للخلاص ، تمثل هذه النقلة تطوراً نوعياً في ديانات الأسرار باتجاه الغنوصية أو العرفان حيث تؤدي الكلمة الخلاقة دوراً في الخلاص رغم أن التعاليم السريّة للطائفة ظلت قائمة كنوع من المعرفة الباطنية التي تضمن التفاهم والاتصال بالإله مباشرة .

وخلاصة أسطورة أورفيوس(ابن أبولو إله الموسيقى والفنون وابن كاليوبي إلهة الفن) أنه كان شاعراً ساحر الغناء يجعل الطبيعة ، كلّها تحنّ إليه وتهرع نحوه عندما يغني أشعاره على قيثارته ، وقد هامت بغنائه الحورية(يوريديكي) وحان موعد زفافهما لكن محبوبته بعد زواجهما بقليل فرت من ملاحقة أحد الرعاة فسقطت على الأرض ونهشتها حيّة بين الحشائش ثم ماتت ، فلم يطق أرفيوس الحياة وقرر النزول إلى العالم الأسفل ليعيدها ، وتوسّل أرباب العالم الأسفل بغنائه وموسيقاه فتوقف العالم الأسفل ساعة غنائه عن الموت وبكى كل من فيه فقرر الإله (بلوتو) و(كور) إعادة محبوبته إليه بشرط أن لا يلتفت إليها حتى وصولهما إلى العالم الأعلى (أي الأرض) لكن أورفيوس أراد التأكد من وجود محبوبته وراءه في آخر لحظة فإذا بها تسقطُ في مهاوي العالم الأسفل ليعود أورفيوس من جديد إلى عالم الأحياء وحيداً حزيناً يصبّ غضبه على جميع النساء اللائي مزقنه بسبب ميله إلى الفتيان وقطعنّ جسده إلى أشلاء نثرنها في الهواء فحزنت الأشجار والأنهار والحيوانات والأحجار وجمعت ربّات الفنون أشلاء جسده وقامت بدفنها لكن رأسه وقيثارته تنزلقان إلى قناة تحملها إلى (ليمنوس) التي أصبحت فيما بعد مهد الشعر الغنائي ، وعلق زوس قيثارته بين النجوم ونزل شبحه ليلتقي بمحبوبته في العالم الأسفل . كانت هذه الأسطورة ركيزة فلسفة وديانة سريّة شكلت في بلاد اليونان عن الخطيئة والطهارة والحياة بعد الموت ووجدت لها سنداً في شخصية ديونسيوس (الذي ظهر في كل العقائد الهيلينية السريّة) والحقيقة أن الأورفية تسلك مسلكاً جديداً قياساً إلى طقوس ما قبلها من العقائد السريّة الإغريقية فهي ترى أن السبيل إلى الخلاص ليس هو الاتحاد المباشر بالإله بل هو تحرير النفس أو الروح من الجسد النجس ويتم ذلك من طريق طقوس التقشف والزهد فوعدوا بالسعادة الأبدية كل من يسلك سبيل تقشف أخلاقي وجسدي نصحوا به إلى البشر كافة ، الذين سيفصل الموت أرواحهم عن أجسادهم النجسة" .(69)

وهذا لا يعني خلوّ الأورفية من الممارسات الأخرى نهائياً فبمجرد ظهور دينسيوس فيها يجعلنا نخمن ظهور طقوس القصف والجنس ثم الحزن والبكاء ولا ريب أيضاً في أن الاورفيوسيون قد جمعوا في صفوفهم دجّالين وعرافين يجوز الاشتباه بهم ولا ريب أيضاً في أن السحر كان له مكانه في كتبهم المقدسة ، ولكنهم جاءوا بآراء جديدة كثيرة كان نجاحها في البدء باهراً ثم تدنى طوال العهد الكلاسيكي ، على الرغم من استمرارها المستتر ، إلى أن عادت وظهرت في العهد الهيلنستي" .(70)

ويرى مارتن برنال أن أورفيوس له علاقة بإله الأرض المصري جب الذي كان أحد ألقابه المصرية (أربت Irp't) الذي كان إله الأرض الطيبة القديم (النباتات والحيوانات التي على الأرض وأسفلها) وهو ما يتناسب مع موقع أورفيوس كمنسقّ للطبيعة إلى جانب اهتمامه بما في باطن الأرض . ويرتبط جب بابنه الإله أوزيريس الذي يكافئ أورفيوس .

ويرى برنال أن لفظة أربت تعني صورة البيضة التي يبدو أنها ذات صلة بالبيضة المرتبطة بنشأة الكون والتي كان يضعها الإله جب في صورته كإوزة بدون تدخل أنثوي في أغلب الأحيان ، هنا كذلك تناظر مثير للانتباه مع بلاد الإغريق ، وذلك من حيث أن بيضةً كانت في الأساس هي بداية لنشأة الكون في العقيدة الأورفية . (71)

ويوجد برنال صلة أخرى بين أورفيوس وأوزيريس من خلال كتاب الموتى ففي عصر الدولة الحديثة والعصور التالية من تاريخ مصر القديمة كان هذا الكتاب بمثابة مرشد للروح خلال مخاطر العالم الآخر حتى تصل إلى الخلود ، وكثيراً ما كان يدفن مع الجسد المحنط . هذا ، وقد كان بعض الرقى والتراتيل المحفورة على رقائق ذهبية توضع على أجساد الذين يعتنقون عقيدة أورفيوس ، وهكذا يصبح من المثير للانتباه أن نلاحظ في هذا المجال أن نسخةً من (كتاب الموتى) تشير فعلاً إلى (كتابي جب واوزيريس)(72) .

لقد تحولت الأورفية إلى نوع من الفلسفة الدينية التي تلتقي مع خط الهرمسية الهابط من الشرق فهي ترى أن الإنسان مكون من روح سجينة في الجسد (سوما) وهو قبرها وسجنها ، وعند الموت (أو أداء الطقوس الأورفية) تتحرر الروح من الجسد لتنضمّ إلى عالم الآلهة وبعد الموت تتطهر الروح عبر دورات تناسخية وتتخلص من الأثقال التي علقت بها حين كانت في الجسد فإذا كانت الروح نقية تذهب إلى عالم الآلهة وإذا لم تكن كذلك تذهب إلى الجحيم وتحاسب هناك على أخطائها .

وقد طوّرت الأورفية أسطورتها النشكونية فنبذت الأسطورة الإغريقية التقليدية وتبنت ظهور الكون من بيضة .

المبحث الرابع
العقائد الدينية الفلسفية

مرت الفلسفة الإغريقية بثلاث مراحل هي مرحلة النشوء وتشتمل على دورين ،شغل الدور الأول الفلاسفة ما قبل سقراط الذين انشغلوا بمحاولة تفسير العالم وظهرت في هذا الدور الفلسفة النظرية ، أما الدور الثاني فقد شغله السوفسطائيون وسقراط وبعض تلاميذه ، أما المرحلة الثانية فقد شغلت افلاطون وأرسطو ، والمرحلة الثالثة تمثل مجموع الفلسفة الهيلنستية التي اختلطت فيها الفلسفة الإغريقية بمذاهب وأديان الشرق .

وما يهمنا في موضوعنا هنا هو البحث عن النزعات الدينية والبحث عن الله وتحديد مفهومه في الفلسفة الإغريقية .

أولاً : مرحلة النشوء:

1. الايونيون (فلاسفة الطبيعة):

لم تكن خطوة طاليس هي الخطوة الأولى في تحديد ماهية إلهية للخالق أو للعالم بل كانت خطوة أنكسيمندرس(610-547) ق .م فقد كان طاليس مادياً حين قال إن الماء هو أصل العالم ، وكان أنكسيمندريس أقرب إلى الروح حين قال إن المبدأ الأول لا يمكن أن يكون معيناً وأسماه بـ(اللامتناهي) الذي هو كذلك بمعنيين "من حيث الكيف أي لامعين ، ومن حيث الكم أي لا محدود ، فهو مزيج من الأضداد جمعاً كالحار والبارد واليابس والرطب وغيرها ، الاّ أن هذه الأضداد كانت في البدء مختلطة متعادلة غير موجودة بالفعل من حيث هي كذلك ، ثم انفصلت بحركة المادة ، ومازالت الحركة تفصل بعضها من بعض ، وتجمع بعضها من بعض ، بمقادير متفاوتة ، حتى تألفت بهذا الاجتماع والانفصال الأجسام الطبيعة على اختلافها" .(73)

لكن أنكسيمندريس لم يسمِّ المبدأ الأول بـ(الإله) لأن الفلسفة كانت في أول عهدها في الانسلاخ من المثولوجيا وكان لا بد من استبعاد أي مرجع أسطوري والاعتماد على العقل ، وكان انكسيمندريس يرى أن الدهر دائر لا أول له ولا آخر ولذلك يسمي الفلاسفة الإسلاميون هذه العقيدة الإغريقية بالدهرية التي شاعت عند الإغريق منذ أنكسيمندريس

الذي قال إن الوجود لم يبدأ ولن ينتهي ، وكان تفسيره للخلق أو تكوين الأشياء تفسيراً آلياً .

أما أنكسيمانس فقد عاد بالمبدأ الأول إلى المادة الهوائية (الهواء) لكن هيراقليطس (540-475) ق .م قال بأن المبدأ الأول هو النار التي تصدر عنها الأشياء وترجع إليها وقال إن هذه النار هي ليست النار التي ندركها بالحواس "بل نار إلهية لطيفة للغاية ، أثيرية ، نسمة حارة حيّة عاقلة أزلية أبدية هي حياة العالم وقانونه (لوغوس) ، يعتريها وهن فتصير ناراً محسوسة ، ويتكاثف بعض النار فيصير بحراً ويتكاثف بعض البحر فيصير أرضاً وترتفع من الأرض والبحر أبخرة رطبة تتراكم سحباً وتنقدح فيها البروق وتعود النار إلى البحر ويرجع الدور ، فالتغير يجري أبداً في طريقين متعارضين طريق إلى أسفل ، وطريق إلى أعلى" (74) .

وهيراقليطس أول من قال بالتغير وحركة ووحدة الأضداد حيث الشر والخير والوجود والعدم . . .الخ ، وهو أول من قال بـ(اللوغوس) الذي كان يقصد به قانوناً ذاتياً للعالم وحقيقة مطلقة فوق التغير المحسوس ، وعلماً يقينياً في الجوهر الأوحد ، وفي العقل الإنساني الذي يدركه . ويعتبر هيراقليطس أول فلاسفة الشك سواء كان يقصد ذلك أم لا .

كان الله ، من وجهة نظر هرقليطس ، هو ماهية هذا العالم ذاك الذي لا يريد والذي يريد أن يسمى زوس ، ذاك الذي هو نهارٌ وليل ، شتاءٌ وصيف والذي يتلبس أشكالاً وصوراً متنوعة ، ووحدة الله ، في مستهل الفكر الإغريقي ، أشبه بانعكاسٍ لوحدة العالم .(75)

رأى الطبيعيون أن الأرض أسطوانة مسطحة عائمة عند طاليس ، فوق الماء ، وعند أنكسيمانس فوق الهواء ولكنها حافلة بالموجودات المتعاقبة التي يحكمها نظام طبيعي للتعاقب " هو في الوقت نفسه نظام للعدل وتلكم صورة اجتماعية عن نظام للعالم عرفت رواجاً عظيماً في الحضارات الشرقية ، وستؤدي دوراً رفيع الأهمية في الفلسفة الإغريقية . وبفكرة العدل هذه يرتبطُ في أغلب الظن الطابع الإلهي الذي خلعه الطبيعيون الملطيون على العالم وعلى المادة الأولية التي وصفها أنكسيمانس بالخلود وعدم الفناء"(76) .

2. الفيثاغورية (ديانة الفلسفة السرّية):

الفيثاغورية (نسبة إلى فيثاغورس وأتباعه) أقرب إلى أن تكون ديانة سرّية ذات طابع فلسفي ورياضي عميق، ويمكن وضعها مع النحل والمذاهب السريّة ولكنها تفوق هذه النحل والمذاهب بنظامها الفلسفي والعلمي الدقيق الذي يجعلها ترقى إلى أن تكون طريقة نظر كاملة في الحياة.

الفيثاغورية انعطافٌ نوعي في الأديان والفلسفة الإغريقية ولولا القمع الذي ووجهت به الفيثاغورية لأصبح تاريخ الفلسفة الإغريقية مختلفاً، نرى أن الأب الروحي لأفلاطون هو فيثاغورس وليس سقراط، إذ إن سقراط علّم افلاطون كيفية الجدل لكن فيثاغورس أعطاه المادة المثالية اللازمة لفلسفته. كذلك نرى أن الفيثاغورية هي الجسر الرابط بين هرمسية الشرق والأفلاطونية ولولا هذا الجسر لما ظهر أفلاطون بفلسفته المثالية التي لاشك أن فيها أصداءً من الهرمسية مرّت عبر الأسلاك الفيثاغورية إلى الإغريق.

بعد أن ولد فيثاغورس (572-497) ق.م في اليونان رحل إلى الشرق وزار مصر وبابل واتصل بتراثهما ولا شك أنه نهل من علومهما والديانات التي كانت سائدةً فيهما ونرى أنه اكتشف واطلع في هذين البلدين على العقائد الهرمسية والعرفانية وعلى علوم التنجيم والرياضيات فيهما ويكفينا معرفة نظريته الشهيرة حول استخراج وتر المثلث القائم من معرفة ضلعيه القائمين، وهي النظرية التي ظهرت على ألواح تل حرمل (في بغداد) من الحضارة البابلية.

ولما بلغ فيثاغورس الأربعين عاماً عاد إلى المدن الإغريقية الموجودة في جنوب إيطاليا وتحديداً في (أقروطونا) حيث كانت هناك مدرسة طبية معروفة. وسرعان ما أنشأ فرقة دينية علمية فلسفية تشبه الأورفية وكانت هذه الفرقة ذات طبيعة أرستقراطية مفتوحة للرجال والنساء ولكنها تعيش على التعفف أو البساطة واتباع تعاليم في الأكل والملبس والطقوس والرياضة البدنية وكانوا يرون في العلم أهم الطرائق لتهذيب الأخلاق والنفوس فقد حوّلوا العلم إلى طقس شعائري وديني (وهو أمر نادر الحصول) كانت أهم علومهم هي الرياضيات وتأتي بعدها علوم الفلك والتنجيم والموسيقى، ثم الطب والأدب والأساطير.

ويبدو أن الرعاع والمضروبة مصالحهم من الأغنياء عملوا على تقويض هذه الفرقة المتنورة وتمكنوا من ذلك يوم هجموا على المكان الذي كانوا يمارسون فيه تعاليمهم وطقوسهم فأحرقوه وأحرقوا زعماء الفرقة ولم ينجُ منهم سوى اثنين بينما كان فيثاغورس بعيداً عن المكان لكنه

فرّ من أقروطونا ثم مات بعيداً ، ولكن أتباعه واصلوا الأخذ بتعاليمه وأثروا في مدرسة أثينا حتى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد ، ثم بعثت الفيثاغورية الجديدة في العصر الهيلنستي في منتصف القرن الأول قبل الميلاد واستمرت بتأثيرها الواضح حتى القرن الرابع الميلادي .

ولم يبق من مؤلفات فيثاغورس إلاّ كتب منحولة منها (الأشعار الذهبية) و(الكتب الثلاثة-المهذب والسياسي والطبيعي) .

لقد حافظت الفيثاغورية على أن تكون منظومة هومسية مكونة من (الدين والفلسفة والعلم) وتخلطها ببعضها في نظام واحد ومتجانس ، كان مذهبهم المركب هذا يعتمد على الأعداد ونسبها والتي تتبعها دراسة الحركات والأصوات وهو ما قادهم إلى الربط بين الرياضيات والموسيقى وأن العالم يسوده نظام داخلي عميق وتناسب عددي دقيق " ورأوا أن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات ، أو أن الموجودات أعداد ، وأن العالم عدد ونغم ، والأعداد نماذج تحاكيها الموجودات دون أن تكون هذه النماذج مفارقة لصورها إلاّ في الذهن . والقولان يرجعان إلى واحد مؤداه التوحيد بين عالم الموجودات وعالم الأعداد" .[77]

كان العالم بالنسبة إلى الفيثاغوريين أشبه بحيوان كبير حي يستوعب بتنفسه خلاءً لا متناهياً هو عبارة عن هواء في غاية اللطافة ضروري للفصل بين الأشياء ومنعها من أن تتصل فتكون شيئاً واحداً . أما الأشياء فتتكون بالتكاثف والتخلخل ، لا يتحول بعضها إلى بعض . ورأوا أن الأشياء لها نظام دوري من التكون والانحلال وهو ما ندعوه بالعود الأبدي خلال (السنة الكبرى) دون نهاية ولا شك في أن هذه الفكرة أخذت من الدورة الكونية الكبرى (سار) البابلية[78] .

وتبعاً لذلك كانت النفس عندهم تخضع لمفهوم الدورة أو العود الأبدي فهي تتردد بين الأرض والجحيم في حركة أبدية ، فالنفس (التي هي علّة توافق الأضداد في الجسد) بعد أن تموت تهبط إلى الجحيم تتطهر هناك بالنار والتعذيب ثم تعود إلى الأرض وتتقمص جسماً بشرياً أو حيوانياً أو نباتياً وتبقى كذلك بين الأرض والجحيم حتى تتطهر تماماً .

وهكذا فإنهم آمنوا بالخلود وبالتناسخ ، أما إيمانهم بإله واحد فمشوب بالغموض ولكنهم يقيناً سعوا إلى تنزيه الآلهة من الكثير من الأساطير والصفات التي لحقت بها من قصص العامة وقد جاء ذلك من طريق التأويل الرمزي للأساطير ولقصص الآلهة .

أما العلوم الفيثاغورية فقد نشطت الرياضيات أولاً ثم الفلك الذي أحدثوا فيه إضافات نوعية فهم أول من قال بالكواكب العشرة (وليست السبعة) وقالوا بمركزية (النار المركزية) في وسط العالم وأن الشمس والأرض والكواكب تدور حولها ، وهي نارٌ لا ترى لأنها تقع في مقابل الأرض من الأسفل وقد قام فيما بعد أحد الفيثاغوريين وهو (ارسطر خوس بجعل هذه النار المركزية هي الشمس نفسها وهو أول من قال بمركزية الشمس في النظام الكوني . وكانوا يعتبرون صعود النفس إلى الأعلى لا بدافع الالتحاق والالتحام بالإله الواحد بل بدافع تشوق النفس (المنسجمة المتناغمة) مع أصوات الكون والنجوم في الأعالي ودافعوا عن وجود (موسيقا كونية) تجذب النفوس البشرية وتجعلها تتشوق وتصعد إلى الأعالي من طريق قهر طبيعتها المادية والتخلص من الشهوات وهو ما نادت به الأورفية ولكن الفيثاغورية جعلت من موسيقى النجوم والكون سبباً لجذب النفوس والصعود التطهري إلى الأعالي . وهكذا فإن دورة النفس تكون سفلية تناسخية وعلوية تطهرية .

لقد كانت الفيثاغورية بؤرة عالية جمعت الأشعة الروحية الخاصة للشرق وجعلتها تنفذ إلى العقائد الإغريقية الدينية والفلسفية بنورها حتى يجيء دور أفلاطون الذي سيجمع هذه الأشعة من جديد في بؤرة جديدة ويرمي بها إلى الشرق الهيلنستي وهكذا ، وهذا ما يجعل من الفيثاغورية "نهضة عظيمة متعددة الوجهات ، هي نحلة دينية كانت أصدق نظراً في الدين من الأورفية وهي مذهب فلسفي يعد أول محاولة للارتفاع عن المادة التي وقف عندها فلاسفة أيونية ، ولفهم العالم و الموسيقى والفلك والطب ، وعرفت بضع قضايا حسابية وهندسية ، ووضعت في الهندسة ألفاظاً اصطلاحية وهي هيئة سياسية ترمي إلى إقرار النظام في المدينة على أيدي الفلاسفة"[79] .

3. الإيليون (فلاسفة ما وراء الطبيعة):

أظهر الفلاسفة الإيليون ميلاً نحو الميتافيزيقيا وصمموا أول شكل للبناء الميتافيزيقي الإغريقي ، وكانوا جميعهم يرون أن العالم موجود واحد وطبيعة واحدة وأنه ساكن فهو عالم لا متحرك ولا متكاثر وطبيعته ليست مادية أو عناصرية مكونة من الماء أو الهواء والنار أو من خلطها فقد رأى أكسانوفان (570-480) ق .م أن الناس هم الذين استحدثوا الآلهة ، ولا يوجد سوى إله واحد ولكنه ليس على هيئتنا ولا يفكر مثلما نفكر ولا يتحرك فهو ثابت يحرك كلّ شيء بقوة عقله وبلا عناء وبذلك يكون أكسانوفان قد وضع أول خطوة نحو

التوحيد في الفكر الإغريقي (راجع فقرة التوحيد في هذا الفصل) ويبدو أن الصورة التي يرسمها أكسانوفان عن الله الواحد الأحد العليم البصير الساكن هي نوع من أنواع تأليه الطبيعة وجعلها مشدودة إلى قوة ،ليس في داخلها ، بل فوقها ، وهي قوة مفارقة ومختلفة عن كل أنواع القوى التي عرفناها .

وهكذا نرقى من أكسانوفان وهرقليطس إلى الذروة التي بلغتها الطبيعيات الأيونية والتي ولدت منها ثيولوجيا معاكسة تماماً لثيولوجيا الأساطير ، فيها يتلبس الله طابعاً لا شخصياً ، ساكناً ، معقولاً معقولية القانون الطبيعي .(80)

أما بارمنيدس (540-؟) ق .م فقد آمن بوحدة الوجود ، والوجود والواحد متكافئان ولذلك فالواحد ساكن ثابت وأن الأشياء واحدة في العقل وكثيرة في الحواس ولذلك أنشأ بارمنيدس الفلسفة كعلم للميتافيزيقيا وأنشأ العلوم الظنية كظواهر حسيّة فيزيقية أقل قيمة من الفلسفة .

وتعززت الميتافيزيقيا على يد ميلسوس (440-؟) ق .م الذي جعل من الوجود علمه الرئيسي ورأى أن هذا الوجود واحد لا متناه ساكن ثابت " وقد اعتقد ميلسوس أن المطلق من حيث الزمان أي القديم مطلق كذلك من حيث المكان أي لامتناه" ولكنه وضع صيغة ميتافيزيقية للوجود مفارقاً الصيغة الفيزيقية التي وضعها الأيونيون ، وتعتبر محاولة لإضفاء حياة عاقلة على الوجود محاولة ارتقت بها الميتافيزيقيا درجة عن بارمنيدس الذي دمج بين الواحد والوجود في حين أضفى ميلسوس على الميتافيزيقيا مسحة روحانية .

وهكذا تكون إنجازات المدرسة الفلسفية الإيلية في غاية الأهمية بالنسبة إلى الفلسفة والدين . فلقد وضعوا الميتافيزيقيا ووحدة الوجود والعلم الإلهي وأعطوها شكلاً روحانياً مميزاً وبذلك يكونون قد خطوا بالدين والفلسفة نحو تنقية روحانية عميقة ووضعوهما على أسس عقلية جديدة .

4. فلاسفة الطبيعة الروحية:

جمع هؤلاء الفلاسفة نتائج المدارس السابقة وصاغوها في أنماط فلسفية تجمع بين الروح والمادة ، فقد ادعى أنبادوقلس (490-430)ق .م النبوة وكان مصلحاً اجتماعياً في إيطاليا الجنوبية وصقلية حيث يسكن الإغريق ولعل أكثر إسهاماته تميزاً إضافته لعنصر التراب رابعاً

مع عناصر الماء والهواء والنار وأعطاها كيفيات خاصة فالحار للنار والبارد للهواء والرطب للماء واليابس للتراب ، وقال بأن لا تحول بين الكيفيات ولكن الأشياء وكيفياتها تحدث بانضمام هذه العناصر وانفصالها بمقادير مختلفة .

وقد أخذ عن الفيثاغوريين التطهير والتناسخ والدور وتركيب الأشياء بنسبٍ عددية ، وأخذ عن بارمنيدس بكروية الوجود . ورأى أنبادوقلس أن الآلهة والنفوس أمزجةٌ يغلب فيها الهواء والنار لذلك كانت ألطف وأرق مكوناتها تجتمع و تفترق بالمحبة أو الكراهية ، بل إنه رأى بأن النفوس أقل قيمة من الآلهة وأن النفوس ما هي إلاّ آلهة خاطئة وقعت في سلطان الكراهية وقضي عليها أن تهيم ثلاثين ألف سنة بعيدة عن مقر السعداء ، وأن تتقمص على التوالي جميع الصور الفانية وأن وسيلة النجاة هي التطهير والزهد وتغليب العقل على الحواس فإن الحواس كثرة وشقاق ، تخدعنا بأمور زائلة ، والعقل وحده محبة ، والغاية القصوى العودة إلى المحبة والوحدة .(81)

ولا يعطينا أنبادوقلس صورة حاسمة عن (الله) فهو يوحّد بينه وبين الكون أحياناً أو بينه وبين الحياة أو العقل ، وهو يعلمنا بأن من الصعب تكوين صورة واضحة عن الله فهو يقول : " لن نستطيع أن نقرب الله منّا قرباً يمكننا من أن ندركه بأعيننا ، ونمسكه بأيدينا . . .ذلك أنه ليس له رأس بشري ملتصق بأعضاء جسمه ، وليس له ذراعان متفرعتان تتدليان من كتفيه وليس له قدمان ولا ركبتان ولا أعضاء مكسوّة بالشعر ، إنه كله عقل لا غير ، عقلٌ مقدسٌ لا ينطبق عليه وصف ، يومضُ في طيأت العالم كله وميض الفكر الخاطف" .(82)

لم يكن أنبادوقلس فيلسوفاً أو عالم طبيعيات فقط ، فقد قدّم نفسه لأهالي أغريقنتنا على أنه نبيٌّ موحى إليه ، تكلل رأسه الشرائط ، وله قدرة على شفاء الناس ، ورسالته أن يعلمهم أصل النفس ومصيرها والتطهرات اللازمة . أنبادوقلس إذن من سلالة الأورفيين والفيثاغوريين وهو يعتقد بتناسخ الأرواح إلى أجسام الحيوانات وأن النفس إله ساقط والأرض هي الكهف موطن الموت والغضب الذي غاب عنه الفرح(83) .

ولم يختلف ديموقراطس (470-361) ق .م عنه كثيراً فقال إن الآلهة مركبون من جواهر كالبشر لكنهم أرق تركيباً فهم لذلك أحكم وأقدر وأطول عمراً بكثير ولكنهم لا يخلدون بل يخضعون للقانون العام(وهذه إضافة جديدة على الدين والفلسفة) ورأى أن النفس جسم ناريٌ تتجدد بالتنفس في كل آن ومتى دام التنفس دامت الحياة والحركة .

أما أناكسوغوراس (500-428) ق .م فقد أشار إلى مفهوم (العقل) الذي هو أعلى الهيكل الميتافيزيقي والذي كان يراه ؛على أنه ألطف الأشياء وأصفاها ، بسيط مفارق للطبائع كلها ، عليم بكل شيء وقدير عليه ومتحرك بذاته ، حرك المزاج الأول في إحدى نقطه ، فامتدت الحركة واتسعت في دوائر متتابعة حتى عمت الكل ، وانفصلت الأجرام السماوية عن المركز (الأرض) بالحركة الأولى ، وترتبت الأشياء كل في مكانه : الخفيف إلى أعلى والثقيل إلى أسفل . وستظل الأجرام السماوية مستقلة حتى تنفد القوة التي تستبقيها في مداراتها فتعود إلى المركز ، أما الأجسام الحيّة فقد أتتها الحياة بمشاركة العقل والعقل نفس تصدر عنها نفوس[84] .

وبذلك يشير أناكسواغوراس لأول مرة إلى العقل وصدور الخلق عنه والنفس التي تصدر عنه وهي خطوة ممهدة سيعمقها أفلاطون في نظامه الفلسفي . وأغلب الظن أنه كان يفترض أن جميع الكائنات الحيّة بما فيها النباتات ، تحتوي على شذرة من العقل الكلي ، وذهب إلى القول إن الإحساس يتم من طريق الأضداد : ففي إنسان العين ، المعتم تماماً ، يمكن أن تظهر صورة مضيئة ، وما هو أحرّ أو أبرّ منا هو ما يدفئنا أو يبردنا ، ولهذا كان كل إحساس يترافق بألم ، لأن الألم هو التماس مع غير الشبيه[85] .

وهكذا نرى أن فلاسفة الطبيعة الروحية جعلوا من الميتافيزيقيا عالماً حيّاً بعد أن كان عالماً مادياً (عند فلاسفة الطبيعة) بل إنهم توصلوا إلى وضع تدرج ميتافيزيقي قوامه العقل والنفس والمادة سيكون أساساً لميتافيزيقيا أفلاطون وأرسطو .

5. السوفسطائيون وسقراط:

لم يقدم السوفسطائيون شيئاً للدين بل بذروا الشكوك حول وجود الآلهة فقد كان بروتوغوراس يرى أن معرفة الآلهة أمرٌ صعبٌ للغاية وهو لا يدري إن كانوا موجودين أم لا وإننا لا نستطيع التحقق من ذلك لهذا السبب ولأن الأمر يحتاج لحياة طويلة . . . .وهكذا أخلّ السفسطائيون بالدين وبالأخلاق أيضاً ودفعهم حب الجدل وحبّ الثراء إلى منطقة لغوية غير فلسفية كادت تؤدي بالفلسفة كلها ، ولكن ما يحسب للسفسطائيين أنهم أداروا وجهة الفلسفة الإغريقية من بحثها السابق في العالم الخارجي إلى بحثها في الإنسان الذي اعتبرته مقياس كل شيء كما يقول بروتوغوراس " إن هذه الخطوة الجديدة التي خطتها الفلسفة اليونانية كان خطوة كبيرة جداً وهامة جداً ، فهي التي نقلت الفلسفة اليونانية من

السطحية إلى العمق ، ومن البساطة إلى التعقيد ، ومن محيط الدائرة إلى مركزها فبهذه الخطوة الجبارة أصبح الإنسان في صميم الأشياء بعد أن كان بعيداً عنها"[86] .

لكن سقراط (469-399)ق .م استعمل الجدل السوفسطائي نفسه ليدمر السفسطائيين ولإظهار الحق في الحياة وكان يقول دائماً إنه كان يسمع هاتفاً داخله يدعوه لإصلاح أمته وهداية الناس وبذلك يكون سقراط نبياً (راجع فقرة التوحيد) وقد ركز سقراط على الأخلاق وانتهاج طريق الفضيلة ويرى أن الفضيلة علم والرذيلة جهل .

العلم الوحيد الذي كان يدعيه سقراط لنفسه هو معرفته بأنه لا يعرف شيئاً فالاحتكاك بسقراط كملامسة الرعَّادة فهو يشل ويبلبل ، ويحمل ملامسه على النظر في داخل ذاته وعلى إرسال انتباهه في اتجاه غير مألوف . لا يملك سقراط إذن من فن غير فن التوليد ذلك الفن الذي أخذه من صنعة أمه (فيناريتا) فهو يستخرج من النفوس ما هو كامن فيها ، دون أن يدعي إطلاقاً أنه يقحم عليها خيراً لا تحمل في ذاتها بذرته[87] .

وهكذا أبدع سقراط فن فلسفة جديد وكأنه وضع إسفيناً بين تاريخين للفلسفة قبله وبعده ويرى نيتشه أن سقراط هو أكبر خصم للمضمون الفاجعي في الهيلينية ، وأنه هو المفكر العقلي ومؤسس العلم وأنه يمثل مصير الهيلينية المحتوم .

ولا يعتبره البعض فيلسوفاً ، بل ثائراً أخلاقياً ، نبياً ، مبدع أخلاق السيطرة على النفس ومقدرة الاكتفاء الذاتي ، مبدع تحرر الإنسان الشخصي ، وهناك من يرى أنه جامع المحاورات الأفلاطونية ومبدع نظرية المثل ومذهب الخلود والدولة المثلى[88] .

ورغم ميل سقراط إلى الإنسان والأخلاق إلاّ أن له آراء نافذة في الطبيعة وما وراء الطبيعة لكنها لا تشكّلُ ميدانه الكبير ، فقد نادى بالماهيات التي تلقفها أفلاطون وأسماها المثل وتلقفها أرسطو وأسماها الجوهر .

ولعلّ أهم ما صرّح به سقراط في تضاعيف تعاليمه هي أن معرفة الماهيات هي المعرفة الحقيقية ولكنه لم يقل مع ذلك ، أو لم يصل بعد إلى القول ، بأن وجود الماهيات هو الوجود الحقيقي . وإنما هو اقتصر فقط على إعلان هذا المبدأ : ألا وهو أن المعرفة الحقيقة هي معرفة الماهيات . وعندما جاء أفلاطون وتساءل عن مصدر المعرفة ، رفع هذه الماهيات إلى مقام الوجود الحقيقي ، وسلب كلّ شيءٍ دونها ، أيّ حق في الوجود وقد فعل ذلك في نظرية المثل[89] .

وبصورة عامة يمكن القول إن الفلسفة عند سقراط لم تكن هي الدين أو ما وراء الطبيعة ، أو الطبيعة نفسها ، بل كان علم الأخلاق والسياسة مدخلها والوسيلة إليها المنطق ، وقد أدرك سقراط أن السفسطائيين قد أحدثوا حالة خطيرة هي إضعاف الأساس الخارقي(الميتافيزيقي) الذي تقوم عليه الأخلاق وجعله قائماً على أساس طبيعي(90) .

ثانياً: مرحلة النضج:

1. أفلاطون (427-347) ق.م:

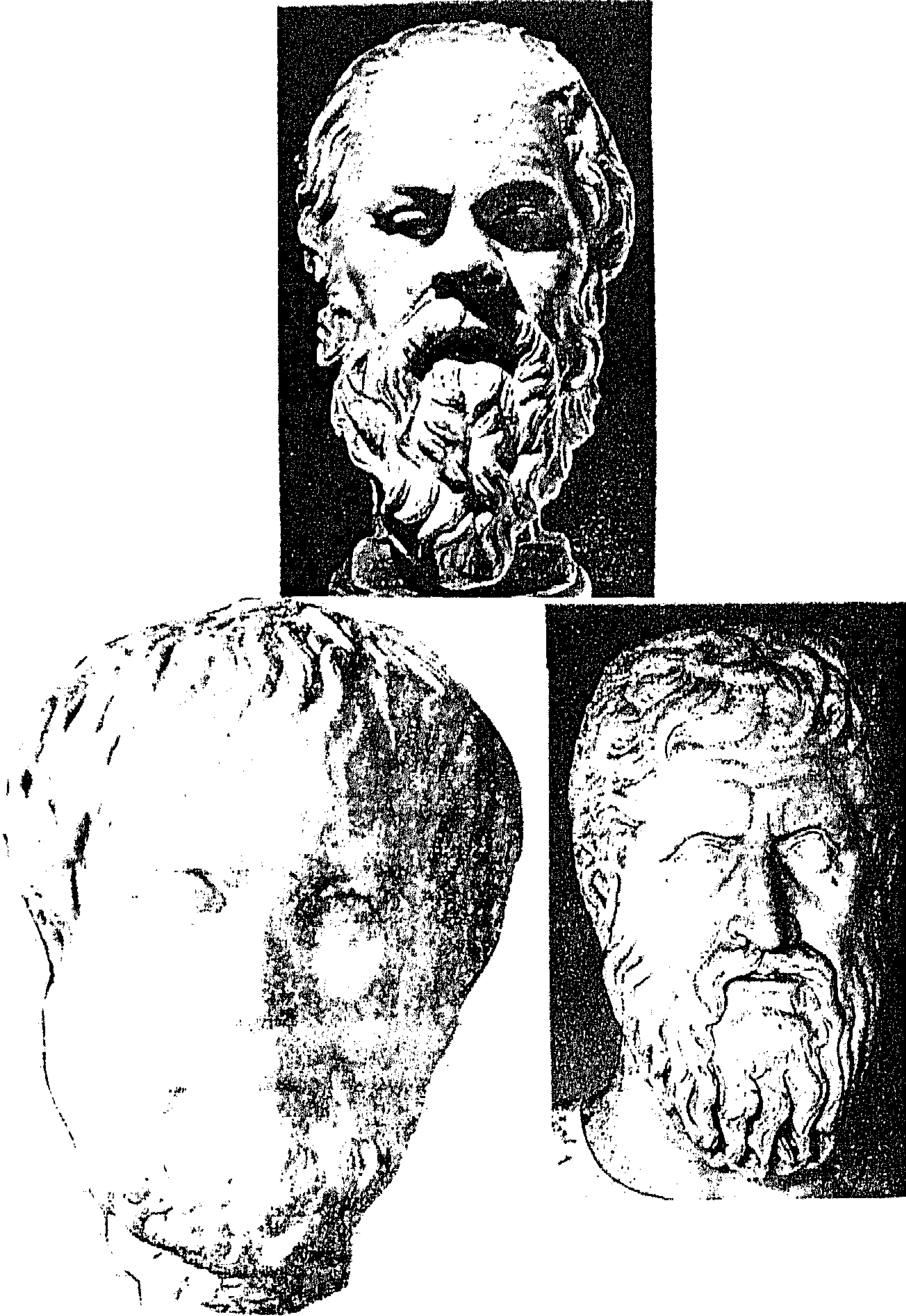
يضع لنا أفلاطون ما يشبه المثولوجيا الفلسفية في محاورة (تيماوس) بشكل خاص ينظر فيها ، على طريقة الفلسفة ، للخليقة والتكوين ولذلك سنسعى هنا إلى محاولة الكشف عن هيكل أفلاطون التكويني لمعرفة فكره الديني العميق الذي تحتويه فلسفته المثالية ، يتكون هيكل أفلاطون التكويني من ثلاث طبقات هي : (الله ، الطبيعة ، النفس) .

أ- الله:

نستطيع بشيء من الحذر أن نقول إن أفلاطون كان موحداً ولكن توحيده مشوب ببعض أفكار التعدد . لكنّه نزّه الخالق الواحد تنزيهاً عظيماً ، فهو يرى أن الله واحد عاقل محرك يمثل الخير والجمال والحق بأقصى صورها كمالاً ، وهو بسيط لا تنوع فيه ، كله في حاضر مستمر .

وفي كتاب النواميس(القوانين) يرى أفلاطون أن للإلحاد مصدرين أساسيين الأول يأتي من الفلسفة الطبيعية حيث يرى الماديون أن العالم والنفس هما من حركة المادة غير العاقلة ، والثاني يأتي من السفسطائيين الذين يرون أن الإنسان هو الذي وضع مبادىء الأخلاق وليس هناك خير بذاته وشرّ بذاته(أي إنها نسبية) وبذلك لا يرجعونها إلى الله ولا يرون أن الشر هو خير أقل . السؤال الأهم في مبحثنا هذا هو ، هل عبّر أفلاطون عن الله باعتباره فكرةً أم باعتباره وجوداً؟ وهل كان يقصد بذلك التوحيد أم كان يعني الآلهة المتعددة ؟

هذا السؤال في رأينا هو الأهم ونرى أنه لم يكن موحداً بالمعنى المتداول والمعروف ولكنه كان موحداً بالمعنى الفلسفي ، فهو قد وضع الله في قمة هيكله المثالي باعتبار أن العقول تتطلع إليه وأنه لا بد لهرمه المثالي من قمة يقع عليها واحد منزه وهو نموذج أو علّة نموذجية تحتذى وهو الجمال والخير من حيث هو علّة غائية تحب وتطلب .

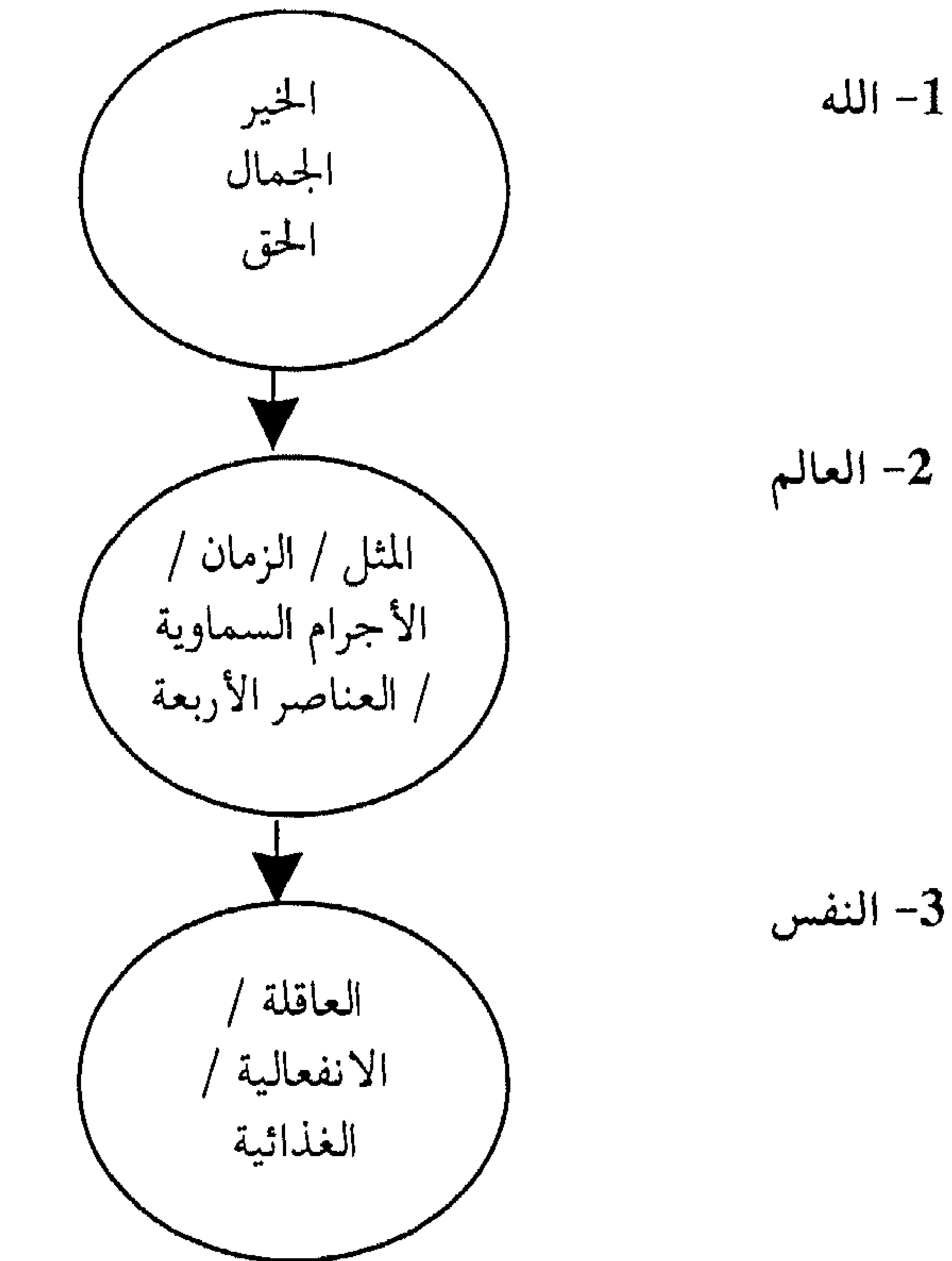


شكل (46) ثالوث الفلسفة الإغريقية الكبير (سقراط، أفلاطون، أرسطو)

وعنده أن آلهة المثولوجيا (التي يسخر منها في الخفاء) مدينة للصانع الواحد الذي خلقها وجعلها خالدة ، وكذلك آلهة الكواكب .

وهكذا فإن صفات الواحد ميزها أفلاطون بحسب المناسبات ، وكان همّهُ موجهاً لوضع المذهب الروحي (المثالي) ضد الطبيعيين والسفسطائين ولم يكن لمسألة التوحيد في أيامه مثل ما صار لها من الأهمية فيما بعد ، فلما أحلّ الأعداد محل المثل في دروسه الأخيرة عبر عن الله بالواحد أي بالعدد واحد "الواحد بالذات"(91) .

يرى أفلاطون أن العالم تولد من انتقال من الفوضى إلى النظام بتدخل من إله فاطر ، وقبل هذا التدخل كانت حالة الفوضى السابقة هي من المقام الأول مسرح (الضرورة) وهي ضرورة غاشمة ، علّة تائهة وغير خاضعة لأي اعتبار غائي ،والخالق أو الفاطر هو في المقام الأول خالق نفس العالم والنفس هي مبدأ الحركة وأن نفس العالم سابقة على الجسم الذي يقيم فيه والذي قدر لها أن تنفخ فيه الحركة والحياة(92) .



مخطط (1) هيكل أفلاطون

ب- العالم:

صوّر أفلاطون العالم كائناً حيًّا عاقلاً ، لا على شيء حادث ، بل على مثال الله لأنه يمثل الخير والحق والجمال ، والعالم لابد من أن يكون كذلك لأنه يتمثل بهذه الصفات وهي التي تضبط وجوده ، ولذلك كان العالم واحداً لأن صانعه واحد ونموذجه واحد ، ولا يوجد خارجه ما يؤثر عليه ويفسده وهو أبدي لا تصيبه شيخوخة أو مرض (ولذلك أنكر أدوار العالم وانحلاله ثم عودته) ورأى أنه كروي لأن الدائرة هي أكمل الأشياء وهو متجانس يدور على نفسه في مكانه .

أما نفس العالم فهي سابقة على جسمه ، صنعها الله من الجوهر الإلهي البسيط ، والجوهر الطبيعي المنقسم ، ومزاج من الاثنين ، فكان غلافاً مستديراً للعالم تحويه من كل جانب ، وتتحرك حركة دائرية وتحرك الباقي ، وتدرك المحسوس المنقسم والمعقول البسيط ، وتنفعل بالسرور والحزن والخوف والرجاء والمحبة والكراهية ، وتملك أن تخالف قانون العقل فتصير شريرة حمقاء ، وتضطرب حركتها فتنزل النكبات بالعالم ، وأما جسم العالم فلما شرع الله يركّبه أخذ ناراً ليجعله مرئياً وتراباً ليجعله ملموساً ووضع الماء والهواء في الوسط(93) .

ويحتوي العالم على :

أ . **المثل** : هي الماهية المشتركة للموجودات التي ستخلق في العالم ، وهي نقطة ثابتة فوق التغير وهي صور الموجودات الأولى .

ب . **الزمان** : وهو صورة متحركة للأبدية الثابتة ، وكان الزمان يتقدم على حسب قانون الأعداد وكانت الأيام والليالي والشهور والفصول ولم تكن من قبل .

ج . **العناصر الأربعة** : التي هي (الهواء والماء والتراب والنار) وقد كان العالم قبلها (مادة رخوة) غير متعينة غامضة لا تدرك في ذاتها بل بالاستدلال . والعناصر ليست مبادئ الأشياء لأنها معينة ولأنها تتحول بعضها إلى بعض ويشير هذا إلى صور مختلفة تتعاقب على موضوع واحد غير معين في ذاته . فالماء إذا تكاثف صار تراباً وإذا تغلغل صار هواءً وريحاً ، والهواء إذا اشتعل تحول ناراً ، والنار إذا تقلصت

وانطفأت عادت هواءً ، والهواء إذا تكاثف صار سحاباً . . الخ ، وهكذا خلقت العناصر الأربعة متجاورة دون أن تتركب منها الأشياء .

د . الأجرام السماوية : من النار صنعت الشمس والقمر والكواكب مشتعلة مستديرة وجعل لكل منها نفس تحركه وتدبره ، ولذلك فإن هذه النفس إلهية عاقلة يأتيها الخلود من صانعها .

إن الشكل الكروي للعالم ، وكون العالم فريداً ونسيجاً لوحدته ، نابعان من مجهود رمى إلى محاكاة نموذج الكمال ، والزمن ، المقسّم إلى آماد منتظمة ، من أيام وأشهر وأعوام ، والمرتبط بطواف الأجرام السماوية يحاكي بقدر المستطاع أزلية النموذج بارتداده اللامنقطع إلى ذاته .(94)

كانت المثل أهم ما أورده أفلاطون في هذا العالم بل كانت هي الصلة بين الله والعالم "وهذه المثل منضّدة بعضها فوق بعض على نحو تصاعدي يشمل كلٌّ منها جميع ما دونه ، إلى أن ينتهي هذا النظام الهرمي إلى مثال الخير ، وهو المثال الأعلى وحقيقة الحقائق وجوهر الوجود ، وجميع المثل تتجه إليه لأنها كلها تنشر الخير وتسعى إليه . وهذه المثل ليست مادية وإنما هي معان مجردة خالدة والأشياء المادية إنما تتشبه بها لأنها ناقصة تفنى عاجلاً أو آجلاً" .(95)

ج- النفس:

أخذ الصانع مزيجاً من جوهرين وقسّمه على الكواكب وكلّف آلهتها أن تنزل أجزاءً في أجسام مهيأة لقبوله وتضم إلى هذه الأجسام نفسين مائتين هما إنفعالية وغذائية ، وهكذا تكون هناك نفس عاقلة من الصانع والكواكب ونفس إنفعالية غضبية وشهوانية تحس اللذة والألم توضع بين العنق والحجاب (أعلى الصدر) ونفس غذائية توضع تحت الحجاب (في البطن) والنفس عند أفلاطون موجودة قبل أن تنزل إلى الجسد وهي تمثل توافق العناصر المؤلفة للجسد فهي كالموسيقى تزيد عمل أعضاء الجسد ، أما ما يحصل للنفس بعد الموت فيمكن أن نقسمه إلى قسمين :

1- النفس الصالحة : تصعد إلى الكواكب وتقضي هناك حياة تشبه حياة إله الكواكب الذي نزلت منه ، ونلاحظ هنا تأثير التنجيم البابلي على أفكار أفلاطون ، ويتم صعود النفس بتخلصها من المادة المحبوسة فيها أي الجسد .

2- النفس الشريرة : تلدُ امرأةً فإن بقيت شريرةً تلدُ حيواناً شبيهاً بخطيئتها وهكذا حتى تتخلص من آلامها ولا تعود إلى حالتها الأولى حتى يتغلب العقل على الشهوة وتصعد السلم فهي :المرأة ، الطير ، الدواب ، الزحافات ، الديدان ،الأحياء المائية . أي إنها تنزل إلى الأسفل أكثر وبذلك يكون أفلاطون قد آمن بالتناسخ ويستمر بالتناسخ حتى النباتات والجذور .

وهكذا يقرر أفلاطون (خلود النفس) من طريق التناسخ وكأنه يأخذ ببعض العقائد الأورفية والفيثاغورية حيث يقول : إذا كان صحيحاً أن النفس التي تولد في هذه الدنيا تأتي من عالم آخر كانت قد ذهبت إليه بعد موت سابق ، وأن الأحياء يبعثون من الأموات ، ينتج لنا أن النفس لا تموت بموت الجسم ، وهكذا تبعث الحياة من الموت ، ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت الأشياء قد انتهت إلى السكون المطلق وإذن فقد كانت النفس قبل الولادة وستبقى بعد الموت[96] .

وهكذا رأى أفلاطون أن النفس خالدةٌ لأنها إلهية "ثم إنها تدرك المثل العقلية الخالدة ، ومن ثمٍّ فهي تشابه طبيعية المثل من حيث بساطة تكوينها فلا تتعرض للفساد أو للانحلال الذي يصيب الأجسام المركبة ، ومن هذه الأدلة أيضاً أن النفس تشاركُ في مثال الحياة ، وما شارك في مثال الحياة فلا يقبل ضدها وبالتالي لا يدركه الموت" .[97]

2. أرسطو (384 - 322) ق.م:

إذا كان أفلاطون قد نجح في جمع مذاهب الفلاسفة الذين سبقوه في هيكل فلسفي واحد سادهُ الاتساق والتناغم وأصبح منسوباً لأفلاطون نفسه، فإن أرسطو عمل عكس ما فعله أفلاطون فقد نقد بقوة مذاهب الفلاسفة الذين سبقوه (ومن ضمنهم أفلاطون وهيكله المثالي) وبنى هيكلاً جديداً جمع بين الفلسفة والعلم في آن، فقد وضعه نقده للآخرين في مهمة بناء فلسفة بديلة تقوم على التحليل والعقل والواقع أكثر مما تقوم على الفرضيات الذهنية.

وأرسطو واسع البحار ولا سبيل إلى تناول ما ذهب إليه في الحقل الذي نودّ التعرف إليه، وهو الحقل الديني أو ما رشح من فلسفته من فكر ديني، إلاّ بنقاط شديدة الإيجاز وهي:

قِدم العالم وأزلية الحركة والزمان:

يرى أرسطو أن العالم قديم وأن الحركة فيه والزمان أزليان ويردّ على أنكساغوراس (الذي رأى أن العقل ظلّ ساكناً زمناً لا متناهياً ثم حرك الأشياء) ويقول، بعد أن يثبت قِدم العالم، إن هذا الرأي يعني أن العلة الأولى متغيرة وقد افترضها أنكساغوراس ثابتة ولذلك توجّبَ أن نرفع عنها الحركة المحدثة في الزمان وأن نسلم بقدم الحركة. وهكذا يضع أرسطو آراء جديدة مثل قِدم الصورة الطبيعية وكذلك قِدم الحركة ورجوعها إلى محرك أول قديم يحرك ولا يتحرك وارتباط الزمان بالحركة والمكان. وهكذا يقدّم صورة متكاملة لعالم قديم يتعارض تماماً مع فعل الخلق القائم على الأحداث في الزمان بحسب التفسير الديني للخلق، . . . وهو ما يمهد للقول بـ (الإبداع) كحل وسط بين (الخلق) والقول بـ(القدم)(98).

لكن هذا لا يعني مطلقاً أن أرسطو كان ملحداً أو أنه كان لا يرى وجود خالق أول. لأنه يقدّم لنا في حقل الإلهيات أو العلم الإلهي (الثيولوجيا) مبحثاً عن الله فيقول: إن الجوهر على ثلاثة أنواع اثنان منه طبيعيان متحركان يدرسهما العلم الطبيعي، والثالث أزلي غير متحرك واجب الوجود لذاته وهو موضوع دراسة علم آخر هو العلم الإلهي.

أ- الله:

وضع أرسطو على قمة الوجود جوهراً محركاً ثابتاً هو صورة خالصة وفعل محض وسنرى كيف أفضت به دراسته للحركة في الوجود إلى إثبات وجود هذا المحرك الأزلي الثابت ، إلاّ أننا يجب أن نقرر مبدئياً أن أرسطو على الرغم من وجاهة حججه التقليدية على وجود إله واحد للكون وقوة هذه الحجج ، فإنه لم يهتم كثيراً بمكونات الشخصية الإلهية وإيضاح مدى قدرتها وأثرها الفعال في الوجود ، حيث قصر فعله على إعطاء الدفعة الأولى للكون دون تدخل مباشر فعال في نظامه ، ثم رتّب تحته طائفةً من صغار الآلهة المحركين للكواكب[99] .

وصفات الله عند أرسطو تبدأ بوجوده خارج المادة ، فالتمثال لا يوجد بدون الرخام ، والإنسان لا يتحقق وجوده بدون جسم مركب من عناصر مادية . أما الله فهو صورة كاملة لا تخلطها مادة لأنه فعل محض ، فهو فعل محض وصورة خالصة وقائم بذاته وحاصل على وجود حقيقي إيجابي ، ولهذا فإن فرديته تمتاز عن فردية الموجودات الأخرى من حيث إنها ترجع إلى عدم افتقاره إلى الغير في وجوده ، فهو موجود مفارق يكفي ذاته بذاته وعلى هذا فلا يوجد تناقض في الموقف الأرسطي بصدد الوجود المفرد . (عطيتو 153) ويحدد أرسطو ماهية الله من خلال ثلاث مقومات أساسية هي :-

1- أنه ليس جسمياً لأن المادة قوة وهو جوهر دائم لا يكون بالقوة بل تكون فعلاً ليس غير ، فهي إذن مفارقة للمادة .

2- أنه يحرك دون أن يكون متحركاً وقد رأى أرسطو أن الله عند محيط العالم وأن التماس ضروري ليحرك الله العالم كعلة فاعلية . وكان أرسطو قد اقترح أن هناك ثلاثة أنواع من المحركات الثابتة ، فحركة الجماد ترجع إلى الطبيعة ، وحركة الكائن ترجع إلى النفس ، وحركة السماء ترجع إلى المحرك الأول وتحته طائفة من المحركين الثواني[100] .

3- أنه يحرك كمعقول ومعشوق وهو معقول لأنه فعل محض وفعله التعقل فهو التعقل القائم بذاته . والتعقل بالذات تعقل الأحسن بالذات . أي الخير الأعظم والتعقل فيه عين المعقول ، فحياته تحقق أعلى كمال ، ونحن لا نحياها إلاّ أوقاتاً قصاراً ، أما هو فيحياها دائماً وأبداً وعلى نحو أعظم بكثير مما يتفق لنا[101] .

ب- العالم:

العالم متناه وقديم ومنظم وجميل عند أرسطو ، وهو كروي لأن الدائرة أكمل الأشكال ولأنها الشكل الوحيد الذي يمكن معه للمجموع أن يتحرك حركة أزلية أبدية ومن غير خلاء خارجه .

وينقسم العالم عند أرسطو إلى قسمين : ما فوق فلك القمر الذي يشمل الكواكب والنجوم ، وما تحت فلك القمر الذي يشمل العناصر الأرضية .

وتبع أرسطو آراء الفلكيين والهندسيين (ومنهم أفلاطون وإيدوكس) الذين وضعوا محل السماء المحسوسة سماءً أخرى ذات تركيب هندسي ثابت يتألف من دوائر وأفلاك متداخلة لكل منها حركة منتظمة معينة ، أي إن لكل فلك حركته الخاصة به والتي لا ترد إلى حركة فلك آخر غيره . وهذه النظرة تظهر بوضوح التعارض التام بين المعقولية التامة للموجودات السماوية والتغيرات المستمرة للموجودات الأرضية . (عطيتو 161) .

والكواكب أجسام كروية سبعة منها تسمى السيّارة وهي من أعلى إلى أسفل : (زحل ، المشتري ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر) والباقية يقال لها الثابتة وهي النجوم وراء السبعة . ولكل كوكب من الكواكب السيّارة فلك أو أفلاك خاصة به . ويرى أرسطو أن الفلك المحيط يدير سائر الأفلاك معه فالنجوم الثابتة تدور معه دورة كاملة في 24 ساعة وليس لها حركة خاصة ، أما السيّارة فلها حركات خاصة [102] .

والفصول تنشأ بسبب هذه الحركة وكذلك الكون والفساد بحسب اقتراب الشمس من الأرض ، وتتكون الأحياء وتنمو وتذبل بتفاعل القوتين الفاعلتين وهما الحار والبارد ، والقوتين المنفعلتين وهما الرطب واليابس تحت تأثير فلك الثوابت الذي هو بمثابة الصورة العليا والأرض بمثابة الصورة الدنيا .

ويرى أرسطو أن الأرض ساكنة في مركز العالم لأنها من تراب ، والمكان الطبيعي للتراب هو أسفل ، وهي كروية لعدة أسباب منها : اختلاف منظر دوران السماء باختلاف عروض البلدان . وظل الأرض المستدير على سطح القمر في خسوفه الجزيء . وكان كل علماء اليونان ، في عصر أرسطو ، متفقين على كروية الأرض .

أما عالم ما دون القمر فهو عالم ضيق أقل سعة من السماء وبسبب بعده عن الحركة الأولى فهو مكان الكون والفساد ويضم الجماد والأحياء غير العاقلة وفيه الأمراض والمسوخ والخطأ والخطيئة والإتفاق أي إنه أقل كمالاً من عالم ما فوق القمر الذي يتكون من الأثير

الذي لا ضد له بينما عالم ما تحت المقر يتكون من العناصر المتضادة فيما بينها (هواء تراب ، ماء ، نار) وهي متضادة من حيث الكيف (حارة ، باردة ، رطبة ، يابسة) .

ج- النفس:

النفس للجسم بمثابة الصورة والطبيعة لغير الحي أي إنها مبدأ الأفعال الحيوية على اختلافها ، فعلم النفس هو جزءٌ من العلم الطبيعي ، لأن موضوعه مركب من مادة وصورة . وهو أشرف جزء لأنه يفحص أكمل وأشرف صورة من بين الصور الطبيعية .

وتقسم النفس عند أرسطو إلى ثلاثة أقسام هي :-

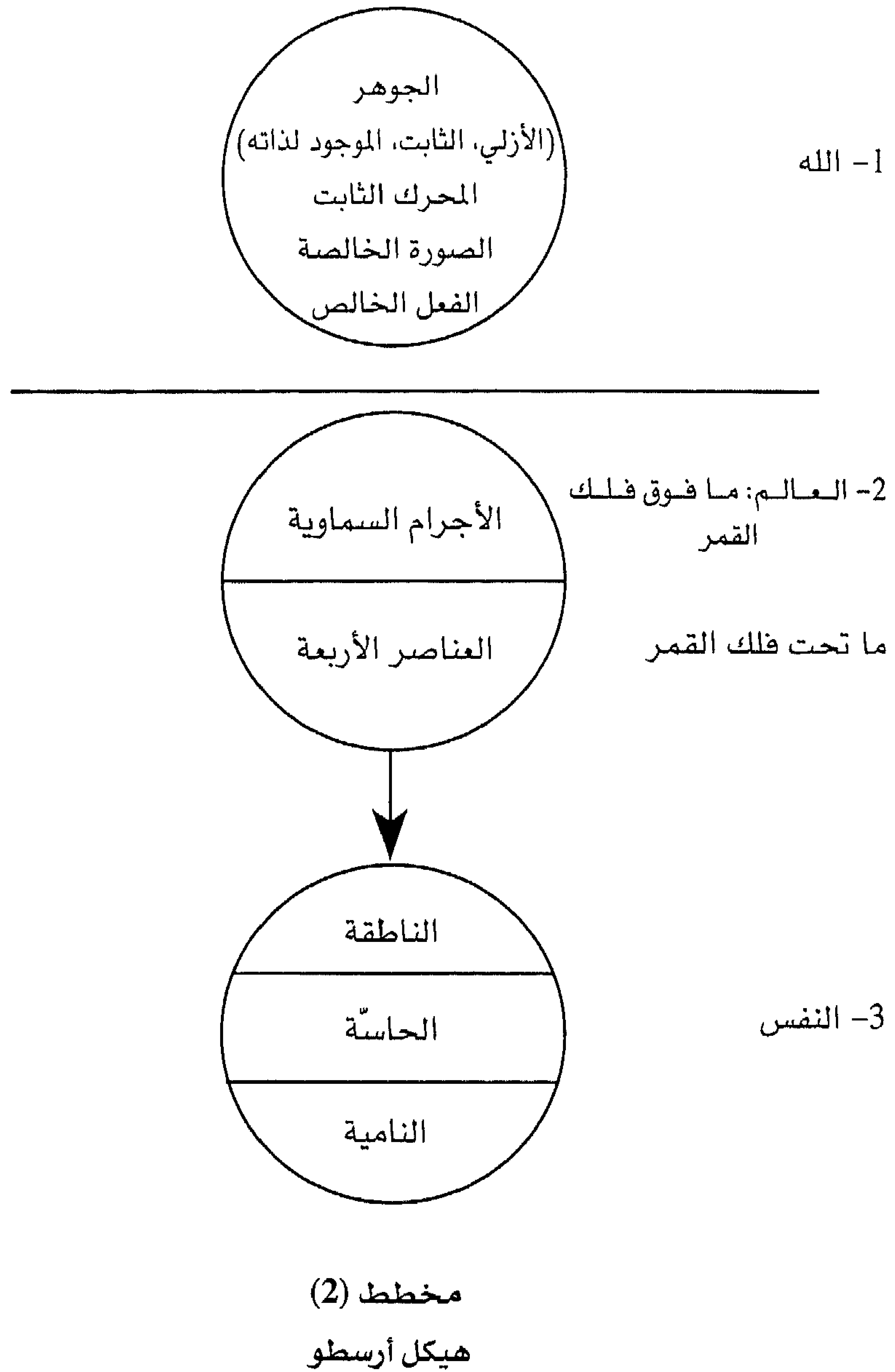
1- النفس النامية : وهي أولى درجات النفس فهي مشتركة بين الأجسام الحية جميعاً وموجودة في النبات والحيوان والإنسان ، ولها وظيفتان : النمو والتوليد .

2- النفس الحاسة : وهي ثاني درجات النفس حيث تظهر الحواس لتنقل طبيعة الأشياء ويرى أرسطو أنه (ليس الحجر هو الذي في النفس بل صورته) . فإضافة إلى الحواس الخمس المعروفة يرى أرسطو أن الإحساس يترك أثراً يبقى في قوة باطنة هي المخيلة فتستعيده وتدركه في غيبة موضوعه فالتخيل إحساس ضعيف . والذاكرة قائمة على المخيّلة ولا يمكن أن توجد بدون التخيل لأنها تستعيد الماضي به .

3- النفس الناطقة : هي النفس العاقلة ، والعقل نوع من الحس أي إنه قوة جسمية بحجة أن العقل يدرك الجسميات وأن الشبيه يدرك الشبيه . والعقل قوة صرفة كالحس ويدرك الماهيات مباشرة والمعقولات موجودة بالقوة في الصور المحسوسة ، سواء المجردات الرياضية والكيفيات الجسمية .

أجهزَ أرسطو طاليس على النظام المثالي الذي انشغلت الفلسفة الإغريقية في بنائه طوال ثلاثة قرون منذ أنكسيمندرس حتى جعله أفلاطون هرماً شامخاً .

ورغم أن أرسطو هو الذي وضع علماً مثالياً كاملاً اسمه (ما بعد الطبيعة أو الميتافيزيقيا)



مخطط (2)

هيكل أرسطو

فإنه بدأ بنقد نظرية المثل الأفلاطونية ثم وضع كلّ حقل من حقول الهيكل الأفلاطوني على جهة ، وبذلك يكون قد فكك النظام المثالي كله وجعله حقول معارف ثلاثة هي الطبيعة وما بعد الطبيعة والنفس .

نقد نظرية المثل الأفلاطونية:

بدأ أرسطو بنقد مذهب الإيليين ثم الطبيعيين الأوائل والمتأخرين (ولا مجال هنا لذكر انتقاداته هذه) ثم نقد نظرية المثل الأفلاطونية ليجهز بذلك على المعمار المثالي الأخير ، الذي سينبعث مرة أخرى في العصر الهيلنستي والروماني في هياكل غنوصية وأفلاطونية جديدة ، وأول طعنة وجهها أرسطو لنظرية المثل الأفلاطونية هي قوله بأن الماهيات عنده (التي تقابل الكليات والجواهر والمثل) هي حقائق ثابتة حالّة في الجزئيات ولقد أخطاء أفلاطون حين فصل بين هذه الحقائق والمحسوسات أي حين جعل الماهيات مفارقة ذات وجود يعلو على الوجود الحسي .

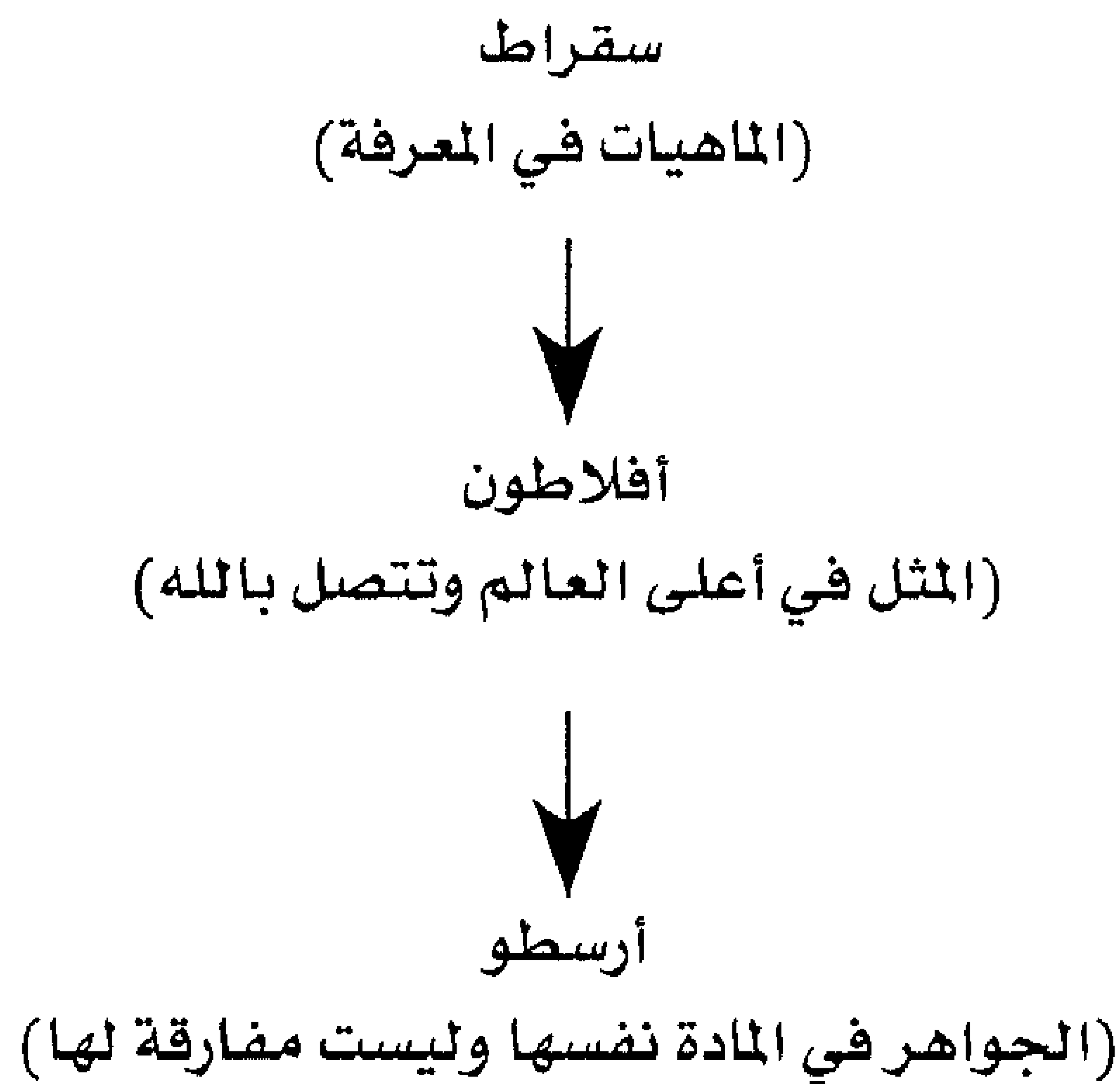
يرى أرسطو أنه لا يمكن وجود مثال مفارق معقول للإنسان لا يشتمل على المادة التي تعين تشخصّه وإذا وجدت هذه المادة في المثال بطلت معقوليته وأصبح محسوساً . ثم أبطل وجود مثل مجتمعة لأن المفروض أن يكون كل مثال وحدة قائمة بذاتها ، إنها لا تفسر الحركات الظاهرة في الأشياء المحسوسة لأنها علل ثابتة ، وأنه لن يكون هناك مثال واحد لكل مجموعة من الأشياء المتشابهة فحسب ، بل سيوجد لها عدد لا متناه من المثل لأنه إذا كان ما هو مشترك بين عدد من الأشياء يسمى مثالاً فإن ما هو مشتركٍ بين الإنسان المحسوس ومثال الإنسان يعتبر إنساناً ثالثاً وهكذا ، ثم رأى أن المثل مفاهيم ذهنية لا يمكن أن تقوم بذاتها في الخارج ورأى أن قول أفلاطون بمشاركة المحسوسات في المثل ليس إلاّ نوعاً من الاستعارة الشعرية ، وعلى هذا سيظل الانفصال والتباعد قائمين بين عالم المثل وعالم المحسوسات[103] .

وكان أرسطو في اكتشافه للمقولات العشر قد وضع الجوهر في مركزها وكان يرى أن (الجوهر) أحق المقولات باسم الوجود ، أما التسع الباقية فلا تسمى وجودات إلاّ بالتبعية ، لأنها حالات للجوهر ، وهو سابق عليها فإنها تتقوم به وهو يتقوم بذاته[104] .

ويعارض أرسطو فكرة أن ماهيات الأشياء جواهر أزلية متحققة خارج الأشياء التي هي ماهيات لها ، وهو لا ينكر وجود الماهيات بل يرى أنها موجودة في الشيء ذاته ، والميتافيزيقيا تحاول عزل هذه الماهيات (الجواهر) نظرياً ووصفها .

وهكذا يرى أرسطو أن الماهية (الجوهر) هي حقاً الوجود من حيث هو وجود ، أي الوجود الذي ليس مرجعه إلى مبدأ أعلى والذي هو حقاً مبدأ جذري(105) .

وبذلك استطاع أرسطو أن يفنّد المثل ، وقال إن الوجود الواقعي يمكن معرفته من طريقين مختلفين هما (الإحساس والعقل) ولم يتردد في تفضيل طريق الإحساس على طريق العقل ، إذ إن الإحساس عنده هو المصدر الأول للمعرفة ولهذا فقد أكد بصراحة ووضوح أن الوجود الواقعي هو ما يقع تحت الإحساس أو هو المحسوس أو الجزئي(106) .



مخطط (3)
تطور العقل الميتافيزيقي لكلّ من سقراط وأفلاطون وأرسطو من خلال (الماهيات والمثل والجواهر)

تفكيك الهيكل المثالي الفلسفي / الديني:

وهكذا بعد أن رمى أرسطو بسهمه إلى أعلى الهيكل المثالي الأفلاطوني وفككه ، من خلال نقد للمثل ، قام أرسطو بوضع كتل هذا الهيكل المثالي متجاورة قرب بعضها (بعد أن كانت واحدة فوق الأخرى وبينها سلك متصل من الله إلى العالم إلى النفس) .

وبذلك وضع هذا الهيكل في ثلاثة علوم متجاورة هي :

1- الميتافيزيقيا (ما بعد الطبيعة) وأسماها الفلسفة الأولى والتي تدرس الوجود الواقعي والمادة والصورة والجوهر الإلهي والمحرك الأول والمحركين الثواني وحركة الأفلاك .

2- الفيزيقيا (الطبيعة) وأسماها الفلسفة الطبيعية والتي تدرس الهيولى والصورة والعدم والقوة والفعل والعلل والحركة والتغير والكون والفساد وغيرها . . .

3- السايكولوجيا (النفس) التي هي جزء من الفلسفة الطبيعية تدرس الموجودات الطبيعية المركبة من صورة وهيولى ، وتقسم إلى (النفس النباتية ، النفس الحيوانية ، النفس الناطقة) .

أما نشاطه العلمي ، ضمن الفلسفة ، فتكرس في حقول السياسة والأخلاق أيضاً . وهكذا لم يعد هناك هيكل مثالي ، كالذي ابتكره أفلاطون وجمعه من سيرة أسلافه السابقين ، بل هناك فلسفة ذات حقول ثلاثة وعلوم مجاورة .

والحقيقة أن أكثر ما يهمنا هنا (هو ما بعد الطبيعة) والإلهيات تحديداً ، حيث يرى أرسطو أن هناك جوهرًا دائمًا ثابتًا يحرك ولا يتحرك وهذا المحرك هو عقلٌ أبداً ذو وجود بالفعل ، يتأمل إلى ما لا نهاية ، موضوعه هو حيٌّ خالدٌ وكامل وبتعبير آخر (الله)[107] .

هذا المحرك الثابت هو العلة الأولى للحركة في الوجود ، وهو علة غائية للموجودات من حيث إنها تتحرك باتجاهها نحوه كمعشوق وكمعقول ولا يمكن أن يطرأ أي تغيير على ذات هذا المحرك الأول من حيث إنه يحرك ولا يتحرك ، وهو حاصل على وجود ضروري ، صفته الخير الأسمى ، وهذا هو أكمل وجود يليق بالمبدأ الأول بحيث لا يمكن أن يوجد على غير ما هو حاصل له من الوجود [108] .

وقد رتّب أرسطو على هذا الأمر الخطير الجديد لفهم الله أمرين هما :

1- لما كان الله هو الموجود الأسمى وأنه لا يوجد معقول لديه ، أسمى من ذاته ، فهو يعقل ذاته ، فهو إذن عاقل ومعقول ، فالذات الإلهية إذن هي موضوع التعقل الإلهي من حيث إنها أفضل الموجودات وأكملها وأشرف المعقولات على الإطلاق [109] .

2- الواحد لا يصدر عنه إلاّ الواحد وهو يفعل ضرورة لا اختياراً ، وهو خارج العالم وعلة غائية لحركته من حيث إنه لا يمكن أن يحرك العالم بالمماسة وهو لا مادي والعالم مادي . ومع أنه علّه نظام العالم من حيث إنه معشوق فإنه لا يعلم شيئاً عن هذا العالم ولا يعنى به[110] .

إذن نحنُ لا يمكننا معرفة الله وتعقله والله لا علاقة له بنا وغير معني بالعالم كله . وهكذا قطع أرسطو أول سلك يربط الله بالعالم والإنسان وأبقاه بعيداً لا علاقة له بنا . وهكذا فصل الميتافيزيقيا عن الفيزيقيا تماماً .

ولكنه عندما ناقش الكواكب وحركتها (وهي من عالم الفيزيقيا) قال بأن لها عقولاً محركةً ذات طبيعة إلهية تشبه (المحرك الثابت) أي (الله) وهي الآلهة الصغار وبذلك وقع أرسطو في الشرك القديم . والنفس عند أرسطو هي ، في المقام الأول ، مبدأ النشاط الحيوي ، المحرّك اللامتحرك لهذا النشاط . وعلم النفس هو المدخل إلى دراسة الكون فليس له في هذه الحال من موضوع خاص ومفارق كما في مأثور فيثاغورس وأفلاطون ، ولا النفس هي بتلك المسافرة التي تنتقل من جسم إلى جسم تحقيقاً لقدرها المقدر عليها وإنما ترتبط بالجسم ارتباط البصر بالعين وعلى هذا النوع لا يبقى بشيء من الأسطورة الأفلاطونية [111] .

هكذا إذن احتضنت الفلسفة الإغريقية الفكر الديني وأعطته بعداً عقلياً وصقلته وهذبته ، ولم يعد اللاهوت إيمانياً قلبياً بل أصبح فلسفياً عقلياً وأصبح حقل الإلهيات (الثيولوجيا) حقلاً مشتركاً بين الدين والفلسفة .

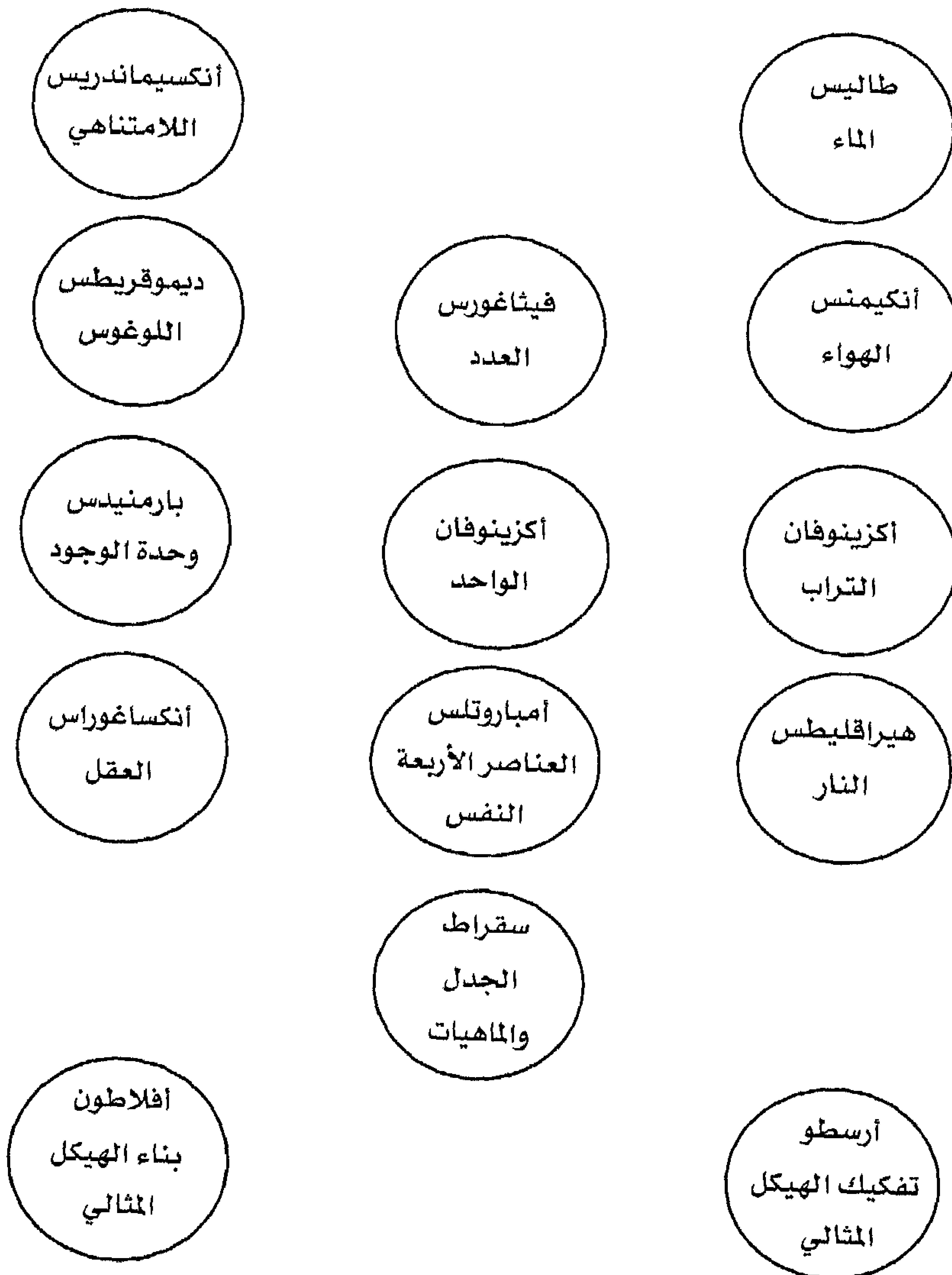
وقد شهدنا في مرحلة النشوء كيف أن فلاسفة الطبيعة (الأيونيين) صنعوا اللبنات الأولى للفلسفة الإلهية فقد وضع أنكسيمندريس فكرة (اللامتناهي) ووضع هيراقليطس فكرة (اللوغوس) . أما فيثاغورس فقد أعاد تركيب هرمسية الشرق القديمة وقدمها في صورة أعداد يسودها التناسب الداخلي العميق وهي تستبطن العالم . . وأعاد الحيوية لفكرة العود الأبدي الأسطورية وصعود النفس ، وبدأ فيثاغورس وكأنه نبي باطني .

أما فلاسفة ما وراء الطبيعة (الإيليون) فقد بدا فيها أكسانوفان نبياً وخطا خطوة كبيرة نحو التوحيد حيث رأى أنه لا يوجد سوى إله واحد وأضاف بارمنيدس فكرة وحدة الوجود بين الله والوجود . أما ميلسوس فقد أعطى للوجود حياة عاقلة ومنح الميتافيزيقيا مسحة رومانية .

أما فلاسفة الطبيعة الروحية فكان نبيّهم هو أنبادوقلس الذي رأى أن الآلهة والنفوس أمزجة نارية وهوائية لكن النفوس هي آلهة خاطئة سقطت في المادة (الأجسام) ورأى ديموقريطس أن الآلهة مركبون من جواهر كالبشر أما إنكساغوراس فابتكر مفهوم العقل ومهّد لأفلاطون .

وربما أدى سقراط دور النبي المتفلسف الأخير بسلوكه وطريقته الجدلية لكن أفلاطون هو الذي قام بتركيب الهيكل المثالي الذي بناه الفلاسفة السابقون فوضع الله في أعلى الهيكل ثم المثل والعالم ثم النفس . لكنّ أرسطو فكك هذا الهيكل إلى ثلاث كتل وفصل بين علم الميتافيزيقيا الذي هو الكتلة الأولى وبين الفيزيقيا والنفس التي جعلها أقرب إلى العلوم وهكذا أنهى أرسطو كلّ شيء وضغطت فلسفته على الإلهيات تماماً حتى نصل إلى العصر الهيلنستي حيث أعادت حيوية الأديان الشرقية الروح إلى الفلسفة الإلهية والميتافيزيقيا المثالية فعادت بقوة على يد الفلسفات الغنوصية والهرمسية والأفلاطونية الجديدة ، وهي الفلسفات التي احتضنت التوحيد الشرقي وبنت ، فيما بعد ، أسسه الثيولوجية .

وفيما يلي هذا المخطط البسيط الذي يوضح فلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو ومفرداتهم التي شكلت الهيكلين المادي والمثالي ومجموعة الفلاسفة الأنبياء فيهم :



مخطط (4)

فلاسفة الإغريق الماديون والمثاليون والأنبياء

المبحث الخامس

عقائد ما بعد الموت (العقائد الجنائزية)

أولاً: العالم الآخر عند الإغريق:

لم تكن هناك أفكارٌ دقيقة حول العالم الآخر عند الإغريق ، فقد رأى بعضهم أنه يقع تحت الأرض ورأى بعضهم الآخر أنه في الغرب البعيد ، لكن هوميروس في ملحمة الأوديسّا أعطانا تصوراً يجمع بين الرأيين السابقين ، فقد رأى أن المدخل الرئيسي إلى عالم الموتى (العالم الآخر) يقع في أقصى الغرب ، وراء نهر الأوقيانوس ، ثم إن هناك مكانين : عالم هاديس وهو الجحيم حيث تذهب إليه أرواح الموتى من البشر العاديين وتعيش فيه كالأطياف أو الأشباح حياة مملة موحشة لا طعم فيها ولا رغبات وتلقى الروح الآثمة عذاباً منوعاً سنأتي على ذكره أما الروح الطيبة من الناس فتبقى تتجول في هذا العالم القاسي .

المكان الثاني هو عالم (الإليزيون) الذي هو بمثابة الفردوس الذي يعيش فيه عدد قليل من الأبطال والصالحين (جسداً وروحاً) في مكان يسوده الهناء التام والنعيم الأبدي .

بيت هاديس (الجحيم):

تذهب أرواح الناس بعامة إلى بيت هاديس الذي هو بيت الموتى ، ويقع عند بعض الآراء ، تحت الأرض مباشرة وبينه وبين الأرض (مكان الحساب) الذي تتجمع فيه أرواح الموتى ثم الطريق ثم الطريق الملتوي الذين يؤدي إلى العالم الأسفل وتحديداً إلى (بيت هاديس) أو (آييد) .

وقد وصف هوميروس هذه البقعة من الأرض على أنها تقع خلف مجرى نهر الأوقيانوس الذي يطلق عليه أرض السيمريين الذي لا تزورهم الشمس ، وهم شعب خرافي يعيشون في ظلام أبدي(112) .

يتكون الجحيم الإغريقي من ثلاث طبقات كبرى هي :

1- طبقة إيريبوس : حيث تتجمع فيها أرواح الموتى وهي مكونة من أربعة مستويات :

أ- الكلب سيربيوس : حيث يظهر الكلب سيربيوس (سيربروس) وهو بثلاثة رؤوس ليحرس بوابة الجحيم ويمنع الناس الأحياء من دخولها رغم أن (أوديسيوس)

و(أورفيوس) و(إينياس) تمكنوا من اختراق هذه الطبقة وتخطي هذا الكلب ، وكذلك فعل (هرقل) عندما أتي على عمله الخارق الثاني عشر ودخل إلى العالم الأسفل وعندما أنقذ كلاً من (ثيسيوس) و(اسكلافوس) اللذين كانا سجينين هناك .

ب- سهل أسفوديل (الزنبق البري) : هناك لسان يمتد من بيت هاديس إلى البحر وتغطيه الأشجار الكثيرة كالصفصاف والحور المقدس وتقع قربه بوابات الشمس الغاربة وبلاد الأحلام ، ويلتقي عند صخرة منه تسمى (الصخرة البيضاء) نهران عظيمان من أنهار العالم السفلي ، بعدها يأتي سهل أسفوديل حيث تحلّ أرواح الموتى جميعها دون حساب في حياة باهتة وتظهر هذه الأرواح على شكل أشباح لا تستطيع ممارسة حياتها الطبيعية كما كانت على الأرض [113] .

ج- الإيرينيات : وهنّ ربّات الانتقام والتعذيب ، وقد تحدثنا عنهن في مكان آخر حيث يصورن كعذراوات مجنّحات بشعور من الثعابين وأجساد تلتف عليها الأفاعي ويحملن بأيديهن مشاعل النار والسياط والمناجل والسكاكين لممارسة تعذيب الأوراح الآثمة .

د- ثاناتوس : وهو مكان إله الموت .

2- مملكة هاديس : وهي مكان قصر وعرش هاديس حيث يجلس هذا الإله على عرشه الذهبي وبجانبه زوجته كوري ، وتقوم على خدمتهما ربات الانتقام (الإيرينيات) . أما أهم الشخصيات المحيطة به فهي :

أ- قضاة العالم الأسفل : حيث يجلس مينوس وأياكوس ، وهما قضاة العالم السفلي ، قرب عرشه ويبدو تانات (ثاناتوس) إله الموت بجناحيه الأسودين الهائلين وبُردة الأسود والسيف مشهر في يده وجناحاه ينثران برودة الموت عندما يطير نحو الشخص الذي يموت ليحصد بسيفه باقة من شعر رأسه وينتزع روحه[114] .

ب- الكيرات : وهن الكالحات قريبات منه ووظيفتهن التقاط أرواح ومص دماء الجرحى والقتلى في الحروب .

ج- هيبنوس (إله النوم) : وهو الذي يحلق يومياً فوق الأرض يحمل بيده أزهار الشقائق فيسكب من قرنه شراب النوم ويلمس برفق عيون الناس ويغرقهم في السبات ولا تنجو من أمواجه الناعسة حتى الآلهة ، بل إنه نفسه يغرق في نعاس طويل .

د- آلهة النوم والأحلام : وهم ينتشرون في مملكة الموتى ، ومنهم آلهة الأحلام القاتلة التي تقضّ مضاجع الناس .

هـ- إيمبوس : مصاص دماء الناس ذو القوائم التي تشبه قوائم الحمار والذي ينفرد بالناس في الأماكن الخربة والمنقطعة من الناس .

و- لاميا : مصّاصة دماء الأطفال .

ز- هيكاتي : الإلهة المسيطرة على جميع الأشباح والأرواح الشريرة ولها ثلاثة أجساد وثلاثة رؤوس ، والتي تخرج بعد غياب القمر تطوف الدروب والطرق الموحشة برفقة كلابها التي خرجت من نهر ستيكس ، وهي مساعدة السحرة الذين يقدمون الكلاب قرابين لها ، فهي (إله السحر) وهناك شخصيات ثابتة اعتادت على الوجود في ممكلة هاديس مثل ريس وميرتيل ، والنساء الدانائيات (بنات داناؤوس) وهرقل وسيربروس وسيزيف والديوسكوران وأورفيوس والميغارا والهرقليدات (انظر الشكل) .

3- طبقة بحيرات الكبريت والأنهار التي تفور وأنهار العفونة الراكدة أو الساخنة حيث يتعذب الآثم .

4- طبقة التارتاروس : وهي هوة سحيقة هائلة الظلام تقع في قاع الجحيم ، وفيها يعاقب البشر الأشرار فمنهم من ارتكب الآثام الجسيمة ومنهم من أساء إلى الآلهة ، وأهم الشخصيات التي توجد فيه هي :

أ- الجبابرة التيتان الذين هزمهم زوس وقيدهم هناك .

ب- تيتيوس Tityos : وهو العملاق المغلول بالسلاسل ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه نسرين ينهشان في كبده الذي يتجدد باستمرار وكانت جريمته محاولته اغتصاب الإلهة ليتو (أم أبولون وأرتميس) .

ج- تنتالوس (طنطل) Tantalos : وهو ملك ليديا والجد الأول لأجاممنون (قائد الحرب الطروادية) وهو الذي سرق طعام الآلهة (الأمبروزيا) وشرابها (النكتور) فعاقبته الآلهة بأن يتعذب بجوع دائم وعطش دائم حيث يقف وسط بركة يصل ماؤها إلى ذقنه ولكنه لا يستطيع أن يشرب منه لأنه ينحسر عنه بسرعة ، وفوق رأسه تتدلى كل أنواع الفواكه وتتطوح عناقيدها بعيداً عن متناول يده بسبب الرياح التي تبعدها .

د- سيزيف (سيزيفوس Sisyphos) : الذي عوقب بأن يدفع صخرة ضخمة إلى قمة الجبل وما إن يقترب من القمة حتى تنفلت الصخرة من يديه وتتدحرج نازلة إلى الأسفل ليعاود دفعها وهكذا .

هـ- إكسيون Ixion : الذي حاول أن يراود (هيرا) فعوقب بربطه من رجليه على دولاب عجلة كبرى لا تكف عن الدوران .

و- ثيسيوس Theseus وبيربيثيوس Pedirpithoos : (ملك اللابيثاي وابن إكسيون) اللذين حاولا اختطاف برسيفوني من العالم الأسفل حتى يتزوجها بيربيثيوس ، وقد خلّص هيراكليس ثيسيوس من عذابه وأما الآخر فقد ظل يتعذب في الجحيم .

5- أنهار الجحيم : وهي خمسة أنهار بدءاً من الأقصى وهي :

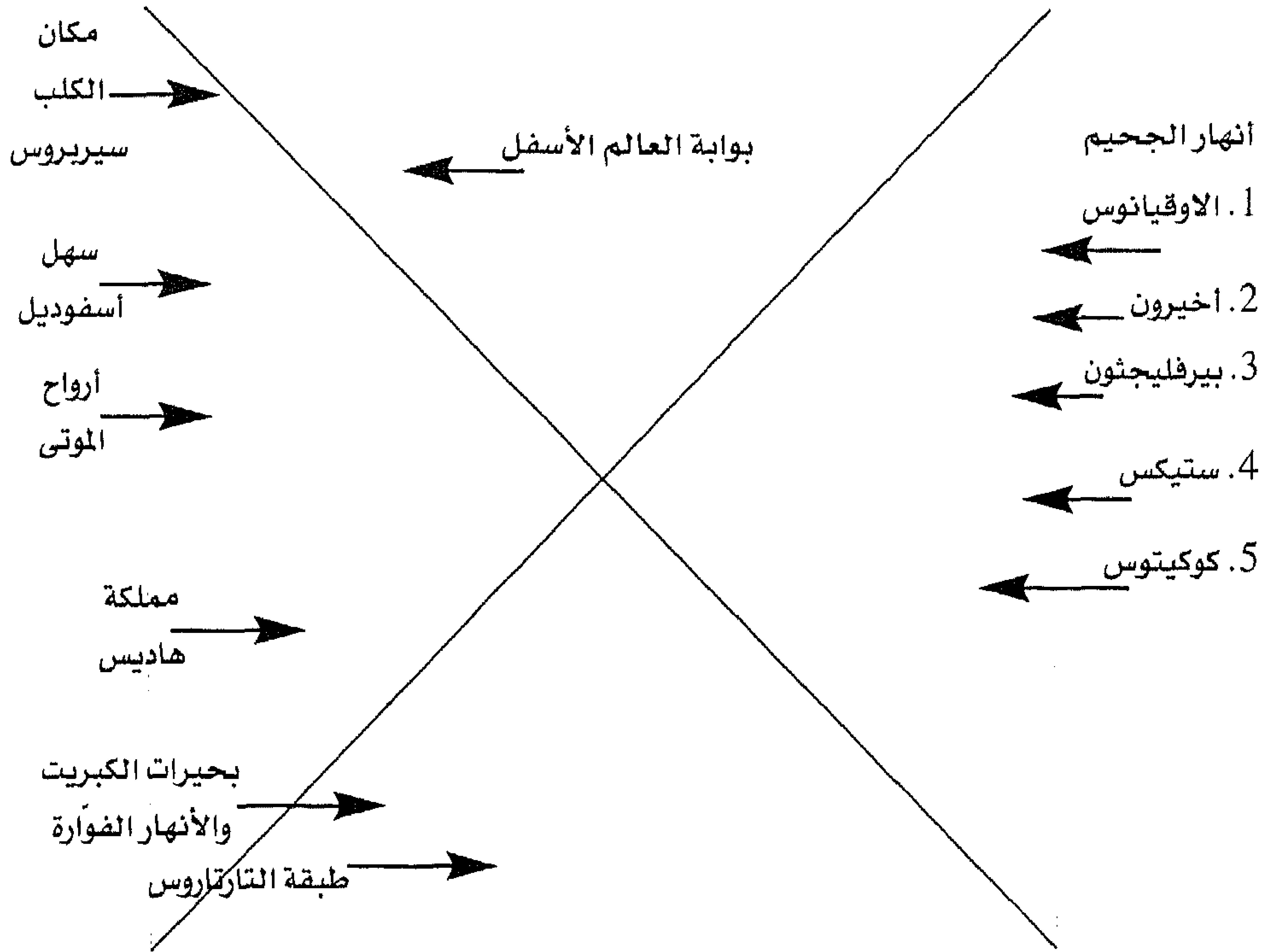
أ- الأوقيانوس Oceanus : الذي يجري في دائرة حول الأرض .

ب- أخيرون Acheron : ومعناه (الحزن) وهو يجري باندفاع باتجاه مضاد للأوقيانوس ، ويجري تحت الأرض في ربوع مجدبة حتى يصبّ في بحيرة أخيروزيا التي تذهب إلى شواطئها أرواح الناس حيث يدركهم الموت وقد يلبثون قصيراً أو طويلاً لتحل أرواحهم في أجسام الحيوانات .

ج- بيرفليجثون Pyriphlegethon : الذي ينبع من بين الاثنين السابقين وهو (نهر النار) الذي يقوم فيه الإله (شارون) بنقل أرواح الموتى إلى ما وراء نهر الستيكس في زورق ضيق ، ويغلي من الماء والطين .

د- ستيكس Styx : وهو نهر بلون أزرق قاتم ويصب في بحيرة ويسمى (نهر الكراهية) وبعد أن يصب في البحيرة يجري تحت الأرض دائراً حولها في اتجاه يضاد نهر بيرفليجون(115) .

هـ- كوكيتوس Cocytus : وهو (نهر التأوهات) ويتكون من دموع الأشرار ويرى سقراط في محاورة فيدون لأفلاطون أن بعض هذه الأنهار لها وظيفة محددة ونوع محدد من الموتى ، فقاتل النفس يقذف به إلى نهر كوكتيس ، وأما قتلة الآباء والأمهات فإلى نهر بيرفليجثون ويحملون إلى بحيرة أخيروزيا حيث يرفعون عقائرهم صائحين بضحاياهم القتلى أو بمن نالتهم منهم إساءة عسى أن تأخذهم بهم رحمة فيتقبلنوهم ويسمحون لهم بالخروج من النهر إلى البحيرة .



مخطط (5)

العالم الأسفل عند الإغريق (مقترح مخطط)

بيت هاديس (آييد)

تظهر في الوسط مملكة هاديس:

في الوسط يجلس هاديس وبيرسيفونا. وإلى يمينها يظهر قضاة مملكة الموتى - تريبتوليم، اياكس ومينوس، وظهر فوقهم ريس وميرتيل وتحتهم ثلاث من الدانايات ظهرت إلى يسارهن إلهة تمتطي ظهر وحش خرافي كما ظهر هرقل وهو يقمع الكلب الجهنمي سيربروس، ومن بعده ظهر سيزيف يدفع الصخرة وفوقه الديوسكوران واورفيوس حامل القيثارة. وأخيراً ظهرت في الأعلى ميغارا والهرقليدات.

رسم: أسماء الجازوي

الإليزيون (الفردوس):

الفردوس الإغريقي هو الإليزيون (Elusion) ويسمى أيضاً باللاتينية (Elysiume) الإليزيوم ، وهو مكان يشبه الجنة أو الفردوس أو الأرض الطاهرة التي يسودها الهناء التام والنعيم الأبدي وتسمى أيضاً جزر المباركين (Makaritai) كما يسميها هيسيود ويعني بالمباركين الراحلين أو الموتى(116) . (علي : 236) .

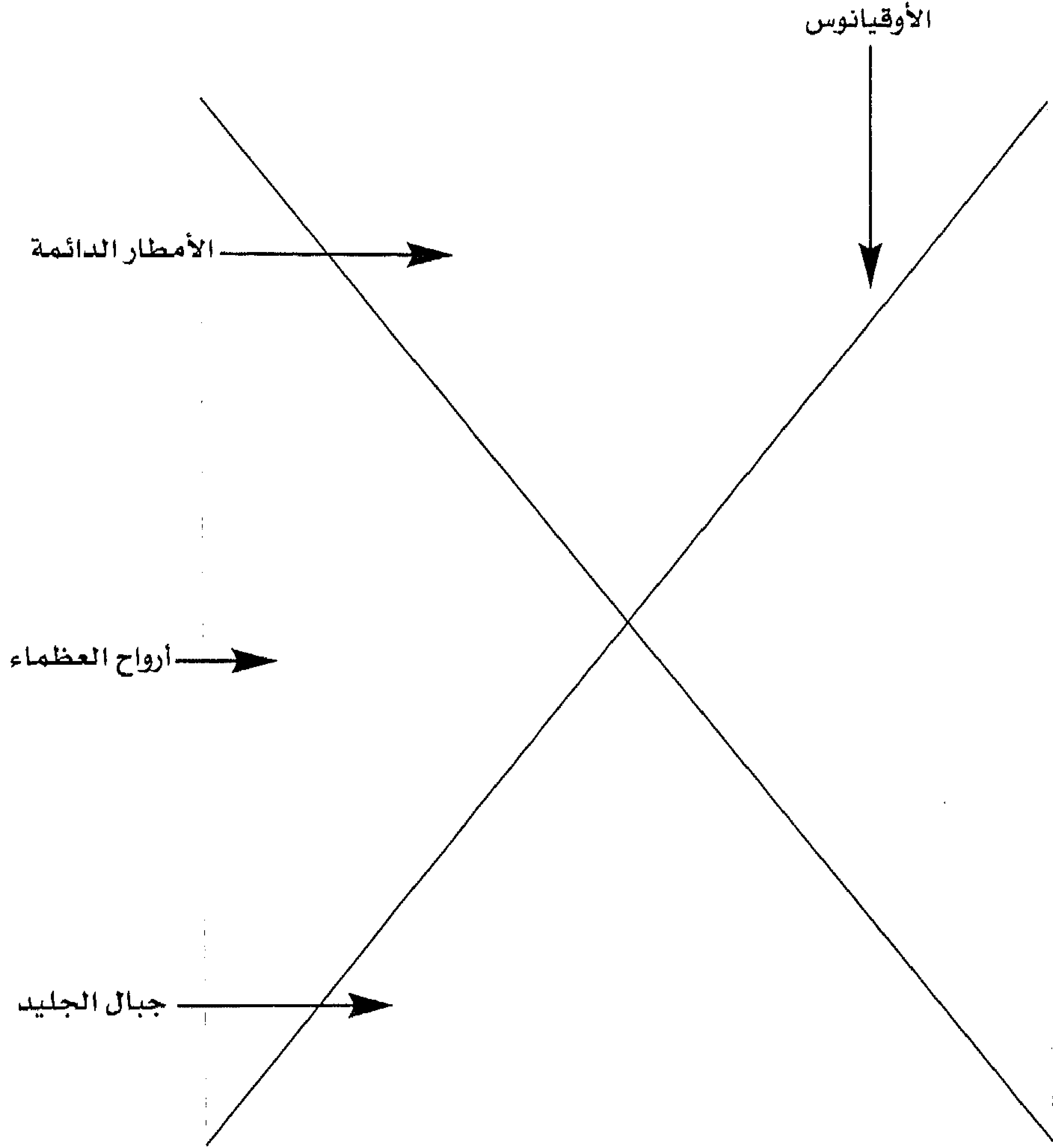
وقد تباينت آراء الإغريق حول مكان وطبيعة الإليزيون فقد تصوروه أحياناً أنه منفصل عن بيت هاديس ، فهو فوق الأرض (لا تحتها) في أقصى جهة الغرب ، لكن أرسطوفاينس رأى أنه تحت الأرض ولكنه منعزل عن عالم الموتى وعن عالم الأحياء بنهر من أنهار العالم الآخر .

أما هوميروس فرأى أنه دار الأبطال المنتخبين مثل قدموس وأخيل وديوميدس ومنلاوس وأجاممنون وغيرهم من أبطال الإلياذة ومع الأبطال الذين ثاروا ضد الطغاة من الحاكمين (علي : 237) .

أما الشاعر هسيود فرأى أنها دار المباركين وهو الذي أطلق عليها هذا الاسم ، أما الشاعر بنداروس فقد رأى أنها دار الأتقياء وأصحاب مرتبة الفضيلة العالية .

وكذلك رأى فرجيل أنها تقع تحت الأرض ولكنه اقترح أن سكان الفردوس الإغريقي هم الفلاسفة والكهنة والشعراء ، ومنه أخذ دانتي اليجيري الشاعر الإيطالي الكبير فكرته عن الفردوس في الكوميديا الإلهية ولذلك اختار فرجيل مرافقاً له في هذه الرحلة .

ويحتوي الإليزيون على الحقول الزاهية وهي التي تسمى (الإليزية) والتي فيها قصر الإليزية ، وفي الإليزون جبال الجليد والأمطار التي لا تنقطع عن الهطول وأرواح الشعراء والعلماء والحكماء والفلاسفة .



مخطط (6)

الإليزون (الفردوس) عند الإغريق (مقترح مخطط)

رسم: أسماء الجازوي

البرزخ (خثيون):

الحياة البرزخية Chthionian أو (الخثيون) مشتقة من كلمة خاثونيوس وكانت كلمة خاثونيوس Chthoios تدل على الإله المرتبط بالعالم السفلي وهي تعاكس كلمة أولمبيوس Olympios التي تدل على الإله المرتبط بالعالم العلوي والسمائي تحديداً . وكان كلّ إله مزدوج الوجود في العالم السفلي والسمائي يسمى (خاثونيوس) أي الإله البرزخي الذي يتردد بين السماء والعالم الأسفل وهو بذلك يختلف عن الإله الذي يستقر إلى الأبد في العالم العلوي لوحده أو العالم السفلي لوحده .

ولم يكن البرزخ الإغريقي مكاناً وسطاً محايداً بين السماء والأرض السفلى أو بين الفردوس والجحيم بل هو جزء لا يتجزأ من عالم الجحيم حيث يتصل بعبادة آلهة الظلمة والخوف في العالم الثاني تحت الأرض ومنها الإيرينيس (ربات العذاب) اللائي يلبين دعاء المظلومين ، ولا سيما دعاء الذين قتلوا ظلماً ، ومع عالم من الأشباح ، وربما من الأرواح المنتقمة التي قد تنشر الخبث أو الريح اللافحة المبيدة بين الأحياء ، وتحدث تلك التخلجات وألوان الفزع التي هي مصدر الجنون ، ومن الواجب توقي هذه بطقوس زارية (Apotropaeic) مقبضة ، ويجدر بنا أن نلمّ بهذا العنصر البرزخي في جملته[117] .

ويرتبط البرزخ بصلة قوية مع الأديان السريّة الإغريقية التي تبجل آلهة العالم الأسفل مثل (هاديس وبرسفونه) والتي تزور هذا العالم مثل (ديمتر) والتي تموت فيه مثل (دونزيوس) .

وهكذا نلاحظ أن كل العبادات السرية في بلاد اليونان كانت ملحقة بالألهة السفلية التي كان الأعضاء يرغبون في مخالطتهم مخالطة خاصة ، كذلك كان تمام كماله رؤية بعض الأشياء المباركة أو الأمور المقدسة التي كان منظرها يجعل العضو في حالة وئام مع هذه القوى ، أو في حالة اتصال روحي بها ، ولذا كان ثمة خطر مزدوج ، فلقد كان الجو داخل النطاق المقدس جواً سفلياً ، ولهذا كان الجو مخوفاً ممتلكاً بالأشباح . وكان مثل هذا الاتصال الوثيق بمثل هذه الأرواح خطيراً في ذاته ، وكان المبتدئون في تلقي مبادئ هذه الطقوس في حاجة إلى ما يقيهم من التأثيرات التي قد تلفح الدخيل الطارئ أو الذي لم يأخذ لهذا الأمر أهبته[118] .

وهكذا صار البرزخ منطقة للعقائد السرية التي غلب عليها التفكير في الإله الميت في الأسفل والحي في الأعلى ، ومن موت الإله ونشوره ظهر المنشأ الإلهي للإنسان كما نرى وتبعه الاعتقاد بالخلود أو خلود الروح في الأقل . وقد تبع ذلك تقلب الإله (أو روح الإنسان) في أطوار متتابعة من التناسخ في العالمين العلوي والسفلي وظهرت بقوة فكرة (الحياة الأخرى) التي هي غاية هذه الأديان السريّة .

أما في الحياة فظهرت الجمعيات الدينية الخاصة التي تدعو لذلك والتي تسمى (ثياسوي Thiasoi) التي كان في وسع أفراد مخصوصين أن يطلبوا الانضواء إليها بمحض اختيارهم والتي كانت تؤاخي بين أعضائها من طريق المؤاكلة ، بتعهدهم بالولاء لإله بعينه ممن يقع عليه اختيارهم فيظلون متصلين به اتصالاً ممتازاً ، فإذا كان هذا الإله أحد آلهة العالم السفلي ضمن لهم مركزهم من السعادة بعد الموت[119] .

ثانياً: عالم الروح عند الإغريق:

يرى الإغريق أن الجسد فانٍ وأنه ينتمي إلى عالم المادة الشرير ، وترى الطوائف السرية كالأورفية والديونسيوسية وغيرها أن كفاح الروح الأبدي هو ضد وجودها في سجن الجسد لأن الروح نفحة إلهية وعليها أن تعود إلى عالم الألهة ، ولذلك يرى الحكماء الإغريق أن علينا في الحياة أن نكافح ضد وجودنا الجسدي وننظف أرواحنا من نزوات ورغبات الجسد التي تكبلها لتمسَّ عالم الآلهة الذي ترقى إليه ، أما بعد الموت فإن الروح التي تدربت أثناء الحياة على أعمال الفضيلة والتخلص من شرور الجسد فإنها ستعرف طريقها إلى عالم الاليزيون ، أما الروح الشريرة التي انغمست في الشهوات فستذهب إلى بيت هاديس لتذوق الجحيم .

يقول سقراط في محاورة فيدون ما يلي[120] :

- إذن فحين يهاجم الموت إنساناً ، فقد يتعرض هذا الجزء الفاني منه إلى الموت ، وأما الخالد فينأى عن طريق الموت حيث يحفظ مصوناً سليماً .
- حقاً .
- إذن ياسيبيس فالروح خالدة بغير شك ، هي مستعصية على الفناء وستحيا أرواحنا حقاً في عالم آخر!

ثم يكمل سقراط في فقرة أخرى فيقول :

- أما إن كانت الروح يا أصدقائي خالدة حقاً ، فما أوجب العناية بها ، ليس في حدود هذه الفترة من الزمن التي تسمى بالحياة وكفى ، بل في حدود الأبدية! وما أهول الخطر الذي ينجم عن إهمالها بناءً على هذه الوجهة من النظر ، لو كان الموت خاتمة كل شيء لكانت صفقة الأشقياء في الموت راجعة ، لأنهم سيغتبطون بخلاصهم ، لا من أجسادهم فحسب ، بل من شرهم ومن أرواحهم ، أما وقد اتضح في جلاء أن الروح خالدة ، فليس من الشر نجاة أو خلاص إلاّ بالحصول على الفضيلة السامية والحكمة العليا ، لأن الروح لا تستصحب معها شيئاً في ارتقائها إلى العالم الأدنى ، اللّهم إلاّ التهذيب والتثقيف ، اللذين يقال عنهما بحق إنهما ينفعان الراحل أكبر النفع أو يؤذيانه أكبر الأذى إذا ما بدأ حجّته إلى العالم الآخر .

ويرى سقراط أن الروح على نوعين هما[121] :

1- الروح الحكيمة المنظمة التي تكون عالمة بموقفها وتسير ، في العالم الآخر ، في سبيلها على هدى .

2- الروح الراغبة في الجسد والتي لبثت أمداً طويلاً ترفرفُ حول الهيكل الذي لا حياة فيه ، وحول عالم الرؤية فيحملها شيطانها الملازم لها في عنف وعسر ، وبعد عراك متصل وعناء كبير ، حتى تبلغ ذلك المكان الذي تجتمع فيه سائر الأرواح ، فإن كانت روحاً دنسةً خبيثة الصنيع بأن انغمست في الفتك المنكر ، وفي أخوات الفتك من الجرائم الأخرى ، وتلوثت بهذه السلسلة من الآثام - فإن كل إنسان يفر من تلك الروح وينصرف عنها ، فلن يكون أحد لها رفيقاً أو دليلاً ، بل تظلّ تخبط وحدها في أرذل الشر ، حتى ينقضي أجل معلوم ، فإذا ما انقضى ذاك الأجل ، حُملت خانعة إلى مستقرها الملائم ، كذلك لكل روح طاهرة مستقيمة ، مضت في حياتها مرافقة للآلهة مترسمة خطوهم ، مقامها الخاص .

ويبدو أن لكل روح كائنًا خاصًا مرافقًا لها يسميه الإغريق (Genius) ومعناه روح طيبة أو خبيثة تسيطر على الإنسان وتملي عليه كل أعماله منذ ولادته حتى يأتيه الأجل[122] .

وهذا الجينيس (الملاك أو الشيطان الحارس) طائر صغير يرف حول جسد الشخص في حياته وحول روحه في مماته ، ويبدو أن الأرواح حين تجتمع في مكان الحساب ، الذي لا

هوية مميزة له عند الإغريق كما عند المصريين ، تصنف إلى أرواح شريرة يحملها أحد آلهة العالم الأسفل المسمى (شارون) أو (خارون) الذي هو بمثابة سفّان العالم الأسفل ويذهب بها في قاربه في طريق متعرج وملتو إلى سهل الاسفوديل المليء بالزنبق البري حيث تهيم هذه الأرواح عاطلة عن أي عمل أو رغبة أو إحساس حتى تقف أمام إله الموت ثنتالوس ثم قضاة العالم الأسفل مينوس وإياكوس ثم إله العالم الأسفل هاديس وزوجته كوري ثم يقذف بها إلى ربات العذاب (الإيرينيات) اللائي يعذبنها ثم ترحل في أنهار الستيكس أو الكوكيتوس إلى بحيرات الكبريت ومياه النار ثم تدخل قعر العالم الأسفل في التارتاروس وتسجن مع التيتان المسجونين هناك إلى الأبد .

أما الروح الخيّرة فتذهب إلى حقول الإليزيون وتقابل هناك إله الجّنة (رادامانثيس) وتسرح وتمرح مع أرواح الأبطال والشعراء والفلاسفة والأخيار وتصادف جبال الجليد أو الأمطار أو حقول الفردوس الغنّاء الجملية .

هذه الخلاصة رحلة الروح ، بعد الموت ، عند الإغريق ، وهي شبيهة إلى حدّ كبير برحلة الروح عند المصريين القدماء ، وربما احتجنا إلى بحث مقارن تفصيلي للمقارنة بين عالم الآخرة عند المصريين وعالم الآخرة عند الإغريق ، ويقينًا أن مصر كانت ملهمة الإغريق ، في تصور هذا العالم كما كانت ملهمة الأديان السماوية في تصوره .

وتسمى حقول الفردوس المصرية بحقول القرابين أو (حقول البوص) ، أما عالم الجحيم فيسمى إجمالاً (عالم الدوات) الذي يحتوي على تفاصيل أشد تماسكاً وتركيباً مما هو عليه (عالم هاديس) الإغريقي .

هوامش ومراجع الفصل الثاني

(1) ميرز ، ج . ل : "المينويون والمسينيون . . بلوغ الحضارة أوربا" ، الفصل 25 من كتاب "تاريخ العالم" للسير جون . أ . هامرتون ، المجلد الثاني ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د .ت ، ص 60 .

(2) توكاريف ، سيرغي أ : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ترجمة د . أحمد . م . فاضل ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق 1998 ، ص 404 .

(3) ميرز ، ج . ل : مرجع سابق ، ص 60 .

(4) علي ، عبد اللطيف أحمد : التاريخ اليوناني (العصر الهيلادي) ، ج 1 - 2 ، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1971 ، ص 678 .

(5) توكاريف ، سيرغي أ : مرجع سابق ،ص 678 .

(6) المرجع نفسه ، ص 405 .

(7) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 678 .

(8) إيمار ، أندريه وجانين أبواويه : الشرق واليونان القديمة . بإشراف موريس كروزويه ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، ترجمة فريد . م . داغر وفؤاد ج . أبو ريحان ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، 1981 ، ص 244 - 245 .

(9) الشيخ ، حسين : اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2000 ، ص 216 .

(10) فارنل ، لويس . ر : "ديانة اليونانيين" ، الفصل الرابع والأربعون من المجلد الثاني من كتاب "تاريخ العالم" للسير جون . أ . هامرتون ، ترجمة وزارة المعارف المصرية ، القاهرة ، د .ت ، ص 705 .

(11) عبد الغني ، محمد السيد محمد : بعض ملامح الفكر اليوناني القديم ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1999 ، ص 156 .

(12) المرجع نفسه .

(13) المرجع نفسه ، ص 157 .

(14) المرجع نفسه ، ص 158 .

(15) المرجع نفسه ، ص 159 .

(16) المرجع نفسه ، ص 166 - 167 .

(17) المرجع نفسه ، ص 183 - 184 .

(18) كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة اليونانية ، طبعة جديدة ، دار القلم ، بيروت ، د .ت ، ص 54 .

(19) مرحبا ، محمد عبد الرحمن : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، منشورات عويدات ومنشورات البحر المتوسط ، ط2 ، بيروت - باريس ، 1983 ، ص 109 .

(20) ياسبرس ، كارل : فلاسفة إنسانيون ، ترجمة عادل العوّا ، ط3 ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، 1988 ، ص 43 .

(21) المرجع نفسه ، ص 43 - 44 .

(22) ديوارنت ، ول وايريل : قصة الحضارة ، ج7 ، حياة اليونان ، ترجمة محمد بدران ، دار الجيل ، بيروت ، تونس ، د .ت ، ص 197 .

(23) المرجع نفسه .

(24) الشيخ ، حسين : مرجع سابق ، ص 353 .

(25) بلفنش : عصر الأساطير ، ترجمة رشدي السيسي ، مراجعة د . صقر خفاجة ، سلسلة الألف كتاب (564) . دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1966 ، ص 21 .

(26) إيمار ، أندريه وجانين أبواويه : مرجع سابق ، ص 295 .

(27) جيمسون ، مايكل . هـ :"أساطير اليونان القديمة" من كتاب "أساطير العالم القديم" ، نشر وتقديم د . صموئيل نوح كريم ، ترجمة د . أحمد عبد الحميد يوسف ، مراجعة د . عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974 ، ص 231 .

(28) توكاريف ، سيرغي أ : مرجع سابق ، ص 430 .

(29) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 332 .

(30) المرجع نفسه ، ص 334 .

(31) المرجع نفسه ، ص 335 .

(32) البهنسي ، عفيف : موسوعة تاريخ الفن والعمارة ، المجلد الأول (الفنون القديمة) ، دار الرائد العربي ودار الرائد اللبناني ، بيروت ، 1982 ، ص 184 .

(33) المرجع نفسه ، ص 188 .

(34) المرجع نفسه ، ص 190 .

(35) عكاشة ، ثروت : الفن الإغريقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982 ، ص 239 .

(36) ريختر ، جيزيلا : مقدمة في الفن الإغريقي ، تعريب الدكتور جمال الحرامي ، دار أماني للطباعة والنشر والتوزيع ، طرطوس ، 1987 ، ص 51 - 52 .

(37) فارنل ، لويس . ر : مرجع سابق ، ص 698 .

(38) المرجع نفسه ، ص 708 .

(39) جيمسون ، مايكل . هـ : "أساطير اليونان القديمة" ، عن كتاب "أساطير العالم القديم" ، نشر وتقديم د . صموئيل نوح كريمر ، ترجمة د . أحمد عبد الحميد يوسف ، مراجعة د . عبد المنعم أبو بكر . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974 ، ص 222 .

(40) حاتم ، عماد : أساطير اليونان ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1988 ، ص 36 .

(41) المرجع نفسه ، ص 40 .

(42) النيهوم ، الصادق وجماعته : "العلم اليوناني" موسوعة بهجة المعرفة . المجلد الأول (مسيرة الحضارة) ، المجموعة 3 ، مراجعة الدكتور شاكر مصطفى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، 1982 ، ص 166 .

(43) المرجع نفسه .

(44) سنجر ، تشارلز : "الإغريق والكشف العلمي" ، الفصل 48 من كتاب "تاريخ العالم" للسير جون . أ . هامرتون ، المجلد الثالث ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ب .ت ، ص 94 .

(45) توكاريف ، سيرغي . أ : مرجع سابق ، ص 413 .

(46) المرجع نفسه ، ص 412 .

(47) المرجع نفسه ، ص 410 .

(48) المرجع نفسه ، ص 409 .

(49) المرجع نفسه ، ص 410 .

(50) المرجع نفسه ، ص 411 .

(51) علي ، أحمد عبد اللطيف : مرجع سابق ، ص 719 .

(52) إيمار ، أندريه وجانين أبواويه : مرجع سابق ، ص 365 .

(53) توكاريف ، سيرغي أ : مرجع سابق ، ص 413 .

(54) إيمار ، أندريه وجانين أبواويه : مرجع سابق ، ص 366 .

(55) غريمال ، بيار وجماعته : موسوعة تاريخ أوربا العام ، الجزء الأول . . أوربا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر ، ترجمة أنطوان أ . الهاشم ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، 1995 ، ص 139 .

(56) الشيخ ، حسين : مرجع سابق ، ص 225 .

(57) المرجع نفسه ، ص 231 .

(58) المرجع نفسه ، ص 232 - 233 .

(59) فارنل ، لويس . ر : مرجع سابق ، ص 721 .

(60) إيمار ، أندريه وجانين أبواويه : مرجع سابق ، ص 364 - 365 .

(61) برنال ، مارتن : أثينة السوداء (الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية) ، الجزء الأول : تلفيق بلاد الإغريق (1785 - 1985) . تحرير ومراجعة وتقديم د . أحمد عثمان ، ترجمة مجموعة من المترجمين ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، 1997 ، ص 167 - 168 .

(62) غريمال ، بيار وجماعته : مرجع سابق ، ص 216 .

(63) الماجدي ، خزعل : المعتقدات الكنعانية ، دار الشروق ، عمّان ، 2001 ، ص 159 - 169 .

(64)عكاشه ، ثروت : الإغريق بين الأسطورة والإبداع ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 ، ص 124 - 125 .

(65) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 339 (هامش) .

(66) المرجع نفسه ، ص 338 (الهامش) .

(67) الشيخ ، حسين : مرجع سابق ، ص 240 .

(68) توكاريف ، سيرغي . أ : مرجع سابق ، ص 435 .

(69) إيمار ، أندريه وجانين أبواويه : مرجع سابق ، ص 297 .

(70) المرجع نفسه ، ص 297 .

(71) برنال ، مارتن : مرجع سابق ، ص 168 .

(72) المرجع نفسه ، ص 169 .

(73) كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة اليونانية ، طبعة جديدة ، دار القلم ، بيروت ، د .ت ، ص 14 .

(74) المرجع نفسه ، ص 18 .

(75) برهييه ، أميل : تاريخ الفلسفة . الفلسفة اليونانية ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة

والنشر ، بيروت ، 1982 ، ص 78 .
(76) المرجع نفسه ، ص 63 .
(77) المرجع نفسه ، ص 22 .
(78) الماجدي ، خزعل : موسوعة الفلك عبر التاريخ ، دار أسامة للنشر ، عمّان ، 2001 ، ص 118 .
(79) كرم ، يوسف : مرجع سابق ، ص 26 .
(80) برهييه ، أميل : مرجع سابق ، ص 81 .
(81) كرم ، يوسف : مرجع سابق ، ص 36 - 37 .
(82) ديورانت ، ول وإيريل : مرجع سابق ، ص 209 .
(83) برهييه ، أميل : مرجع سابق ، ص 92 .
(84) كرم ، يوسف : مرجع سابق ، ص 42 - 43 .
(85) برهييه ، أميل : مرجع سابق ، ص 96 .
(86)مرحبا ، محمد عبد الرحمن : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، ط3 ، منشورات عويدات ومنشورات البحر المتوسط ، بيروت-باريس ، 1983 ، ص 90 .
(87) برهييه ، أميل : مرجع سابق ، ص 126 .
(88) ياسبرس ، كارل : فلاسفة إنسانيون . ترجمة عادل العوّا ، ط3 ، منشورات عويدات ، بيروت-باريس ، 1988 ، ص 45 - 48 .
(89) مرحبا ، محمد عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص 127 .
(90)ديورانت ، ول وايريل : مرجع سابق ، ص 235 .
(91) كرم ، يوسف : مرجع سابق ، ص 88 .
(92) المرجع نفسه ، ص 178 - 180 .
(93) المرجع نفسه ، ص 84 .
(94) برهييه ، أميل : مرجع سابق ، ص 182 .
(95) مرحبا ، محمد عبد الرحمن :مرجع سابق ، ص 129 .
(96) كرم ، يوسف : مرجع سابق ، ص 90 .
(97) مرحبا ، محمد عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص 137 .

(98) أبوريان ، محمد علي وحربي عباس عطيتو : دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 1999 ، ص 84 .

(99) المرجع نفسه ، ص 151 .

(100) المرجع نفسه ، ص 153 .

(101) كرم ، يوسف : مرجع سابق ، ص 181 - 182 .

(102) المرجع نفسه ، ص 149 .

(103) أبو ريّان ، محمد علي وحربي عباس عطيتو : مرجع سابق ، ص 139 - 143 .

(104) كرم ، يوسف : مرجع سابق ، ص 174 .

(105) برهييه ، أميل : مرجع سابق ، ص 257 .

(106) أبو ريّان ، محمد علي وحربي عباس عطيتو : مرجع سابق ، ص 142 .

(107) برهييه ، أميل : مرجع سابق ، ص 284 .

(108) أبو ريّان ، محمد علي وحربي عباس عطيتو : مرجع سابق ، ص 158 .

(109) المرجع نفسه ، ص 160 .

(110) المرجع نفسه .

(111) برهييه ، أميل : مرجع سابق ، ص 295 .

(112) عكاشة ، ثروت : مرجع سابق ، ص 195 .

(113) المرجع نفسه .

(114) حاتم ، عماد : مرجع سابق ، ص 69 .

(115) أفلاطون : "محاورة فيدون" عن كتاب محاورات أفلاطون ، ترجمة زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1966 ، ص 202 .

(116) المرجع نفسه ، ص 203 .

(117) فارنل ، لويس ر : مرجع سابق ، ص 720 .

(118) المرجع نفسه ، ص 721 .

(119) المرجع نفسه ، ص 722 .

(120) أفلاطون : مرجع سابق ، ص 194 - 195 .

الفصل الثالث
المثولوجيا الإغريقية

(دراسة في الآلهة والأساطير اليونانية)



أثينا تهاجم العملاق إنسليدس (من نقش على مزهرية)

تمهيد

تبدو لنا الأساطير الإغريقية من أكثر أساطير العالم القديم انتظاماً وتساوقاً ، إذ يندر وجود هذه التفصيلات الدقيقة عن كلِّ إله وعن أنسابه وتحدّره ونسله ، ولكنها من ناحية أخرى تموّه علينا الحقائق لاتصال أساطير الآلهة بملاحم الأبطال وقصص الناس فنكاد نفقد الخيط الدقيق الواهي بين الآلهة والبشر . . وبذلك ينفرط عقد الدراسة المثولوجية في مناطق غير مخصصة لها .

ولا شك أن هوميروس ثم هسيود ثم عمالقة المسرح الإغريقي هم الذين أنقذوا الأساطير الإغريقية من الضياع فقد أودعوا في تراثهم قصص الآلهة وأنسابها وتركوا لنا ذلك التراث النابض بالحيوية والذي عمل علماء الأساطير على تحليله وشرحه .

لقد حاولنا تنظيم شجرة أنساب الآلهة الإغريقية التي تشتمل على أغلب الآلهة الإغريقية ووضعناها في أجيال متسلسلة ، لكننا بسبب سعة هذه الشجرة لم نستطع وضعها في ورقة واحدة أو اثنتين ، ولذلك آثرنا تقسيمها إلى أجيال ، كلُّ جيل في شجرة ، يمكن أن تتصل ببعضها لتكون الشجرة الكاملة ثم تناولنا زوس وأخوته وأولاده كلّ واحد على حدة في شجرة مفصّلة .

وتتيح لنا هذه الشجرة الكبيرة (والمفصلة إلى أشجار صغيرة) تتبّع ظهور الآلهة وأساطيرهم وصفاتهم ورموزهم وأسمائهم وهو ما حرصنا على عرضه بما استطعنا من إيجاز وتركيز يسمح لنا المرور على الكم الهائل من الآلهة والأساطير .

وقد أعطتنا دراسة الأساطير الإغريقية مجموعة من الصفات المشتركة بين الآلهة الإغريقية ، ناقشنا بعضها في دراسة المعتقدات واللاهوت ، ونودّ أن نشير إلى ما ستمنحنا إياه بطون الأساطير مباشرة من صفات تلازم آلهة الإغريق وهي :

1 . **التحول** Metamorphosis :

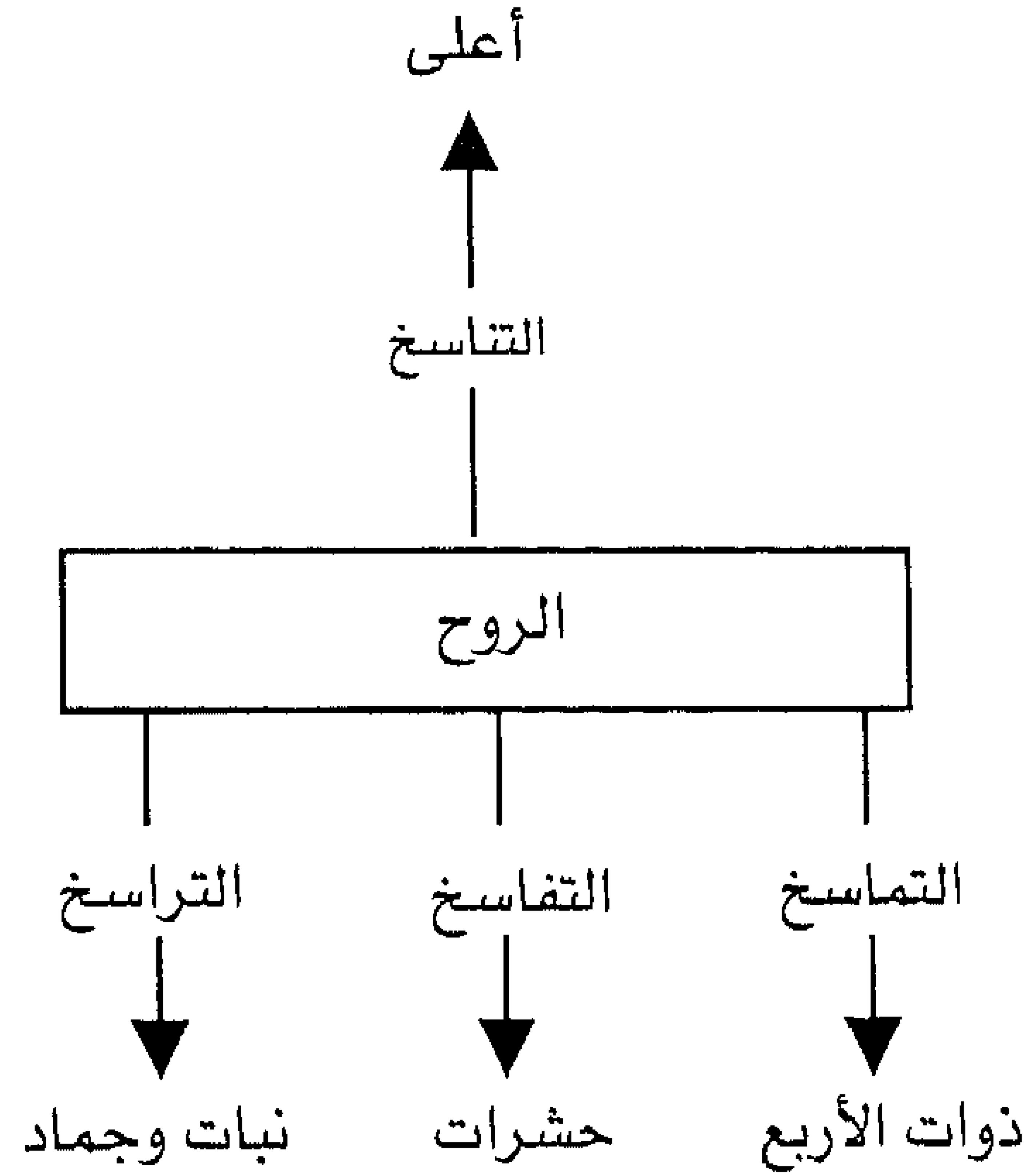
كانت صفة التحول هي واحدة من أهم صفات الآلهة الإغريقية والكلمة تعني حرفيا : الانتقال من حال إلى حال ، لا يُشترط فيه حال دنيا ولا حال عليا ويغلب عليها طابع التحول من مرتبة عليا إلى مرتبة دنيا .

الآلهة لا تموت بل تتحول وتتغير إذا هي ارتكبت فعلاً مشيناً يقضي بدفعها إلى التحول ، ولكن هذا التحول قد يظهر في الآلهة أو في ما تفعله مع غيرها من آلهة أو أرواح أو بشر أو حيوان بصور مختلفة ، ولذلك توجب توضيح أربعة من المصطلحات القريبة من بعضها وهي (التناسخ ، التماسخ ، التفاسخ ، التراسخ) فالتناسخ لوحده هو رفع الروح من مرتبة إلى أعلى كأن تكون آلهة أو أنصاف آلهة .

أما الثلاثة الأخرى فكلها هبوط بالروح إلى ذوات الأربع والتفاسخ خفضها إلى حشرات والتراسخ خفضها إلى نبات وجماد وقد ظهرت هذه العمليات الأربع في الأساطير الإغريقية .

إن زوس (كبير الآلهة الإغريقية) خير مثال على التماسخ فهو يتحول إلى ثور ونسر وأفعى من أجل الحصول على ما يريد وتنفيذ نزواته الجنسية بشكل خاص .

وتتحول بعض الإلهات والآلهة إلى بشرٍ في زي رجالٍ أو عجائز أو نساء لتنفيذ خططهم .



2 . بنية العناصر الأربعة :

لقد كشفنا عن البنية الخفية في تسلسل أجيال شجرة الآلهة الإغريقية ، واخترنا هذا المنهج خلافاً لكل ما عرف من معالجات مثولوجية لأساطير الإغريق لإيماننا الراسخ بأن الإيقاع الخفيّ الذي يحرك تناسل ونمو كلٍّ جيل من الآلهة كان يجري وفق ظهور العناصر الأربعة (التراب ، الماء ، الهواء ، النار) حيث تنتظمُ الآلهة في أجيالها وفق هذا الإيقاع وتسهل علينا دراسة صفاتهم وتفسير أساطيرهم وفق ميلهم إلى هذا العنصر أو ذاك .

ونرى أن الإغريق هم من أكثر الشعوب القديمة تمسكاً بفكرة العناصر الأربعة التي تسربت إلى فلسفتهم وعلومهم لأنها لم تكن فكرة إغريقية خالصة ، فقد كانت أساطير الشرق الأدنى تجري

وفق هذا الإيقاع أيضاً ، لكن الإغريق ، بوعي وبدون وعي ، طوّروا هذه الفكرة في أساطيرهم وفلسفتهم وعلومهم .

إن الإله الواحد الهوائي الأصل مثلاً يتصل ، في الغالب ، بأناث من طبائع مختلفة (ترابية ، مائية ، هوائية ، نارية) وينجب أبناءً تكون ميولهم وأساطيرهم وفق خلط الهواء مع هذه الطبائع وهكذا تمكنا من الإمساك بجواهر هذه الآلهة ومعرفة سلوكها وطباعها وخصال أنسالها .

وقد قدّمت لنا هذه المعالجة نتائج مدهشة لم تكن تخطر على بال فهي تقودنا من جيل إلى آخر بنسق صحيح متوافق ، وإننا لنعزو هذه البنية الخفية للعناصر الأربعة إلى النضح اللاواعي للروح الجماعي الإغريقي وإلى ما يمكن أن نسميه باللاشعور الجمعي الذي يخفي البنى والرموز الأولى .

3 . تلازم الأضداد في شخصيات الآلهة :

تنشطر شخصية الأرباب الإغريقية في مناوشة جدلية بين قطبين هما :-

الحب والحرب : الحب الذي يكون طابعه الجنسي أساساً والحرب التي تستوجب حضور القتل والتدمير .

لا هوادة مع الآلهة الإغريقية فأغلبها يسلك هذا السلوك وأغلبها يملك هاتين الصفتين ، فمرةً تظهر صفات الحب وتختفي صفات الحرب تحتها ، ومرة تظهر بالطريقة نفسها صفات اللين وتختفي صفات البطش تحتها ، وهكذا الشر والخير ، والقحط والخصب ، والأعلى والأسفل .

إن تلازم الأضداد ممثلة بالحب والحرب بشكل خاص هو أحد أهم صفات الآلهة الإغريقية ، والحقيقة أن السبب الرئيسي الذي يقف خلف هذه الظاهرة ، كما نراه ، هو الجذور القديمة الوافدة لهذه الآلهة من خارج بلاد الإغريق ثم تكيفها بل انقلاب صفاتها في بلاد الإغريق .

إن أغلب الآلهة الإغريقية ذات منشأ شرقي (رافديني ، كنعاني ، مصري) وإن الطريق الذي قطعته ثم وصلت إلى بلاد الإغريق حرّك صفاتها المضادة ثم أظهرها في بلاد الإغريق ، لكن الصفات الأولى لم تختفِ بل ظلت مستترة تحت الصفات الظاهرة وهذا ما يجعل ازدواج الصفات وتلازم الأضداد صفةً هامة من صفات الآلهة الإغريقية .

المبحث الأول

الكوزموغونيا Cosmogony

(أساطير خلق الكون)

تكوّن أساطير خلق الكون (الكوزموغونيا) عند الإغريق ما يمكن أن نسميه بظهور الآلهة ما قبل الأولمبية (Pre- Olympeic) وهي التي تبدأ بوجود الخواء (الكاؤوس) وتنتهي بظهور زيوس ملك الآلهة . ويمكننا من حيث المبدأ تقسيمها إلى قسمين رئيسيين هما :

1- أساطير آلهة الهيولى .

2- أساطير آلهة العناصر الأربعة .

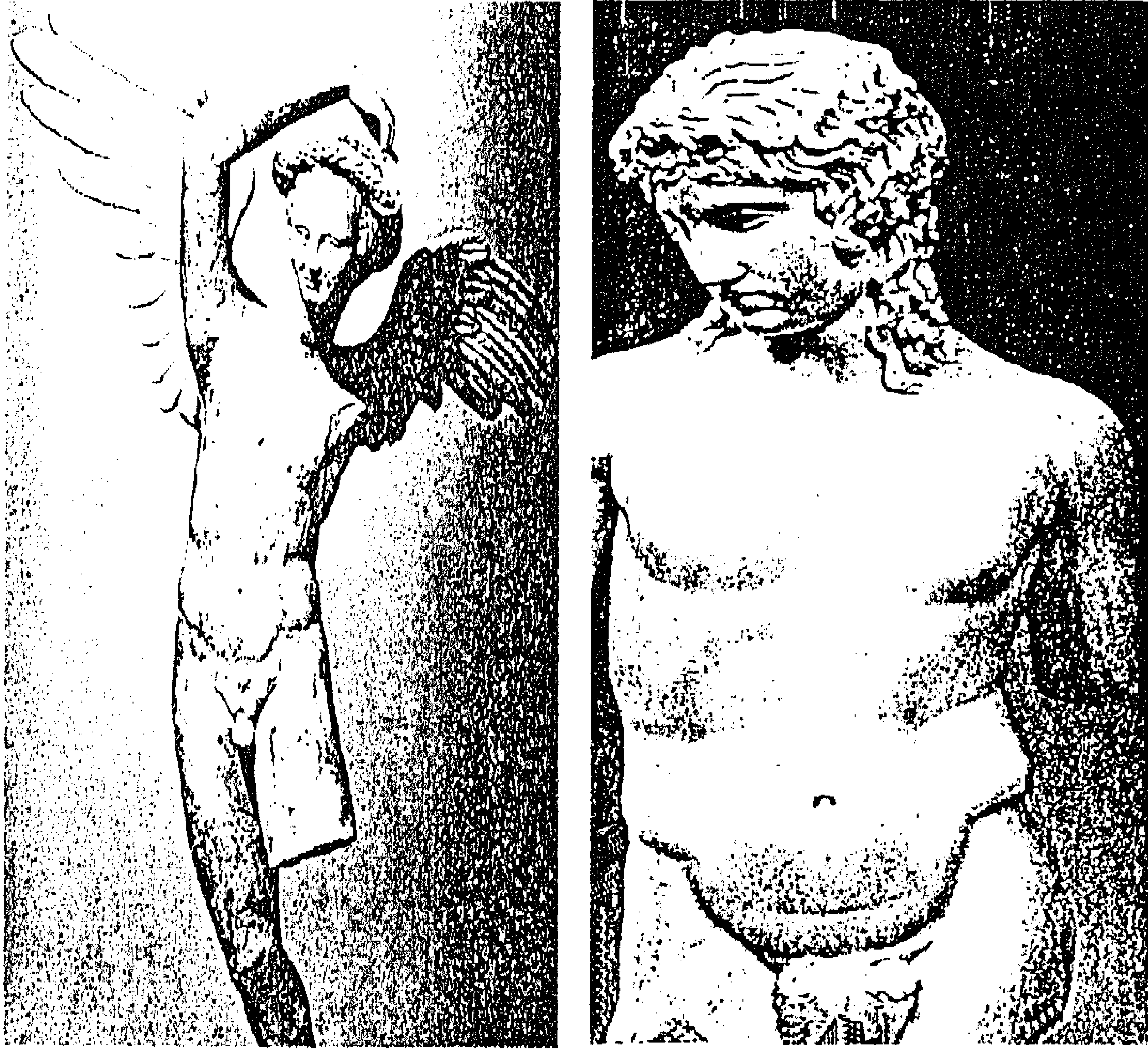
أولاً: أساطير آلهة الهيولى:

1- تظهر هيولى الكون الأول على شكل سديم أو فراغ أو عماء يسمى الخواء (كاؤوس Chaos) ويبدأ خلق الكون من حركة هذا الخواء وانفصاله إلى قسمين الأول علوي أنثوي هو الليل (Nyx) والثاني سفلي ذكري هو الظلام (Erobos) (انظر المخطط 7) .

2- تجوفت إلهة الليل وصارت كرةً كبيرة في الفلك وكوّنت قبة الفضاء العلوي وانقسمت إلى قسمين العلوي هو الضوء أو النهار (هميرا Himera) والسفلي هو النور أو الأثير (ايثير Aether) .

ونزل الظلام (إريب أو أوربوس) إلى الأسفل وكوّن نصف الكرة السفلي الذي هو الأرض التي تتكون من قسمين الأرض الأنثى (جيا Gia) وهي قرص الأرض والأرض السفلى أو ظلام أعماق الأرض الذكري الذي هو (تارتاروس Tartarus) .

وولد الحب أو الرغبة (إيروس Erose) الذي ربط قبة الفضاء العليا مع نصف الكرة السفلى . وكان لابد من ظهور ايروس لأن الكون ستنفصم عراه ويتبعثر من دون هذا الحب ولذلك فهو يربط الأعلى بالأسفل ويجعلهما ينجبان .

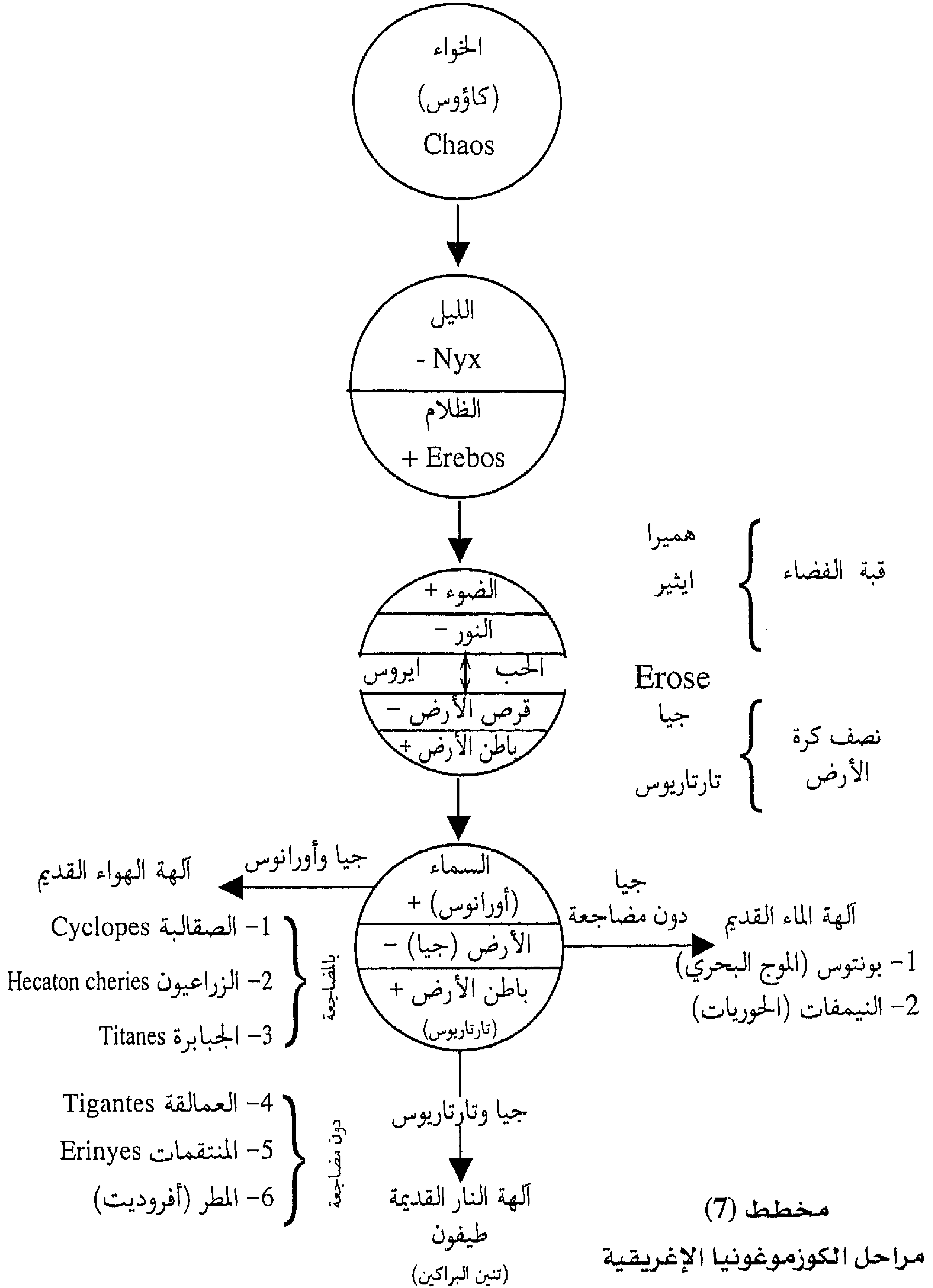




شكل (47)

منحوتات مختلفة لإيروس

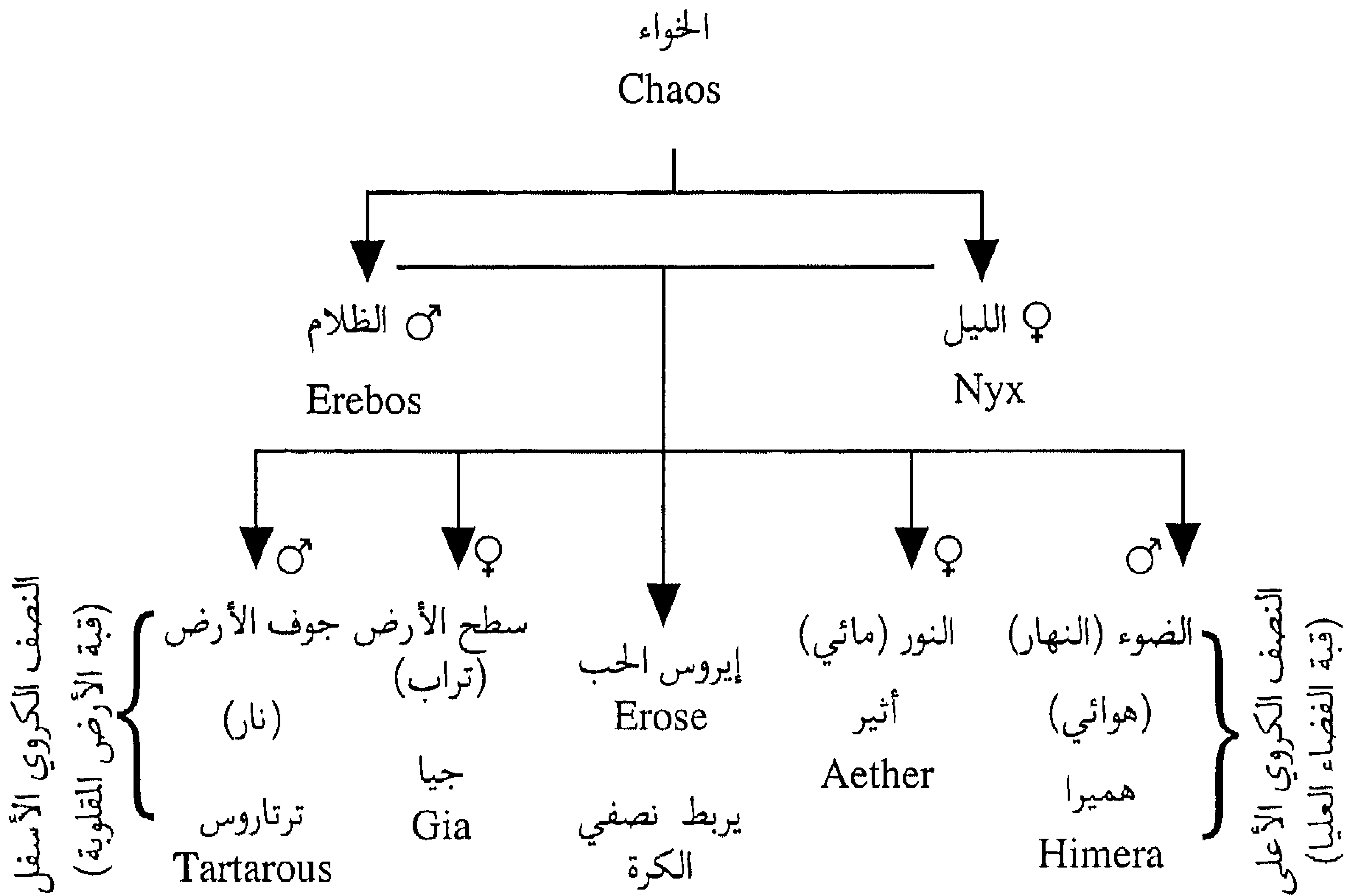
الفتي، الطائر، النائم



مخطط (7)

مراحل الكوزموغونيا الإغريقية

ويمكننا تنظيم هيكل خاص بآلهة الهيولي يتكون من ثلاثة مستويات يقع الخواء على قمته ثم يظهر في المستوى الثاني إلهان هيوليان هما الليل والنهار وفي المستوى الثالث خمسة آلهة هم (الضوء والنور) اللذان يربطهما الحب أو الرغبة أو العشق (ايروس) بـ(قرص الأرض الترابي وعمق الأرض الناري) ، بينما يُظهر الضوء ميلاً إلى طبيعة الهواء الذكورية ويُظهر النور ميلاً إلى طبيعة الماء الأنثوية .



مخطط (8) آلهة الهيولى

♀ أنثى

♂ ذكر

وإذا كان هسيود قد أعطانا هذه الصورة النشكونية المعقولة عن بداية الكون فإن أونومقريطس المتوفى عام 527 ق .م يعطينا صورة مشوهة عن هذه النشكونية ويتبعهُ (هيلانيقوس) الذي يرى أن الزوجين الأولين ، الماء والأرض ، ولدا كرونوس أو هيراقليس وهو تنين مجنح ثلاثي الرؤوس وله وجه إله بين رأس ثور ورأس أسد وقد ضاجع (أنانكيه) أو (أدرستيا) لينجب في الأثير والإيريف والخاوس بيضة منها سيخرج العالم . "وفي جملة هذه التخريفات يعزو أودامس (تلميذ أرسطو) إلى فرقة الأورفيين الدينية (الرابسوديات الأورفية) بوجه خاص تخريفاً مفاده أن كرونوس ، الكائن الأسمى ، هو الذي أنجب الأثير والخاوس الذي منه خرجت بيضة العالم والإله المجنح فاينس ، وهو تخريف لا يتميز عن سواه من ضروب الهذر"[1] .

ثانياً: أساطير الكون والعناصر الأربعة:

أصبحت الأرض مركز الكون وظهرت العناصر الأربعة في مراحلها البدائية وكان لابد من ظهور جيل كوني وعناصري جديد تتخلص به الآلهة من هيولها القديم لتظهر هي ومادتها واضحة .

ورغم أن الأرض (أي عنصر التراب) كانت مركز العمليات التحولية الجديدة فإن بنية العناصر الثلاثة الأخرى كانت تحلّ في كل ولادة آلهة أو تحولاتها . وسنرى ذلك ليس في هذا الجيل فقط بل في الأجيال القادمة أي إن بنية العناصر الأربعة ستكون جوهر كل مجموعة من الآلهة الجديدة وسنرى ذلك في هذه الأجيال المتلاحقة .

ظهرت من جيا (الترابية) ثلاثة أجيال كبرى ، الجيل الأول كان دون مضاجعة وطبيعته مائية والثاني كان من مضاجعة جيا وأورانوس وكانت طبيعته هوائية والثالث كان من مضاجعة جيا وتارتاروس وكانت طبيعته نارية . أما أورانوس oranos ابنها أو (أوران) فقد ولد من انحناء الفضاء على الأرض ليكون كفواً لها فيتزوجها بعد ذلك .

1. آلهة الماء الأولى:

ظهرت من (جيا) دون مضاجعة آلهة الماء الأولى التي تتفرع إلى ثلاثة أنواع يحملُ كلّ نوعٍ طبيعة عناصرية أخرى كالتراب والهواء والنار (ارجع للمخطط) :

1- آلهة الماء الترابية : وهي الجبال والوديان والوهاد التي ظهرت على سطح الأرض والتي عادة ما تكون عرضة للمياه البحرية أو النهرية أو الأمطار أو الندى . وخرجت (الأورياديات) وهن حوريات الجبال وكذلك (الدراوادیات) وهن حوريات الأشجار والغابات .

2- آلهة الماء الهوائية : وهي النيمفات (Mymphs) أو الحوريات ويسمين أيضاً عذارى الماء وهن إلهات جميلات فاتنات هوائيات الطابع ، كن يعشقن البشر ويخدمن الآلهة الذين كانوا يتخذون منهن محضيات ، وكن مغرمات باللهو والرقص والغناء وكان الإغريق يصورونهنّ صبايا عاريات أو في ثياب شفافة ملونة .



شكل (48)

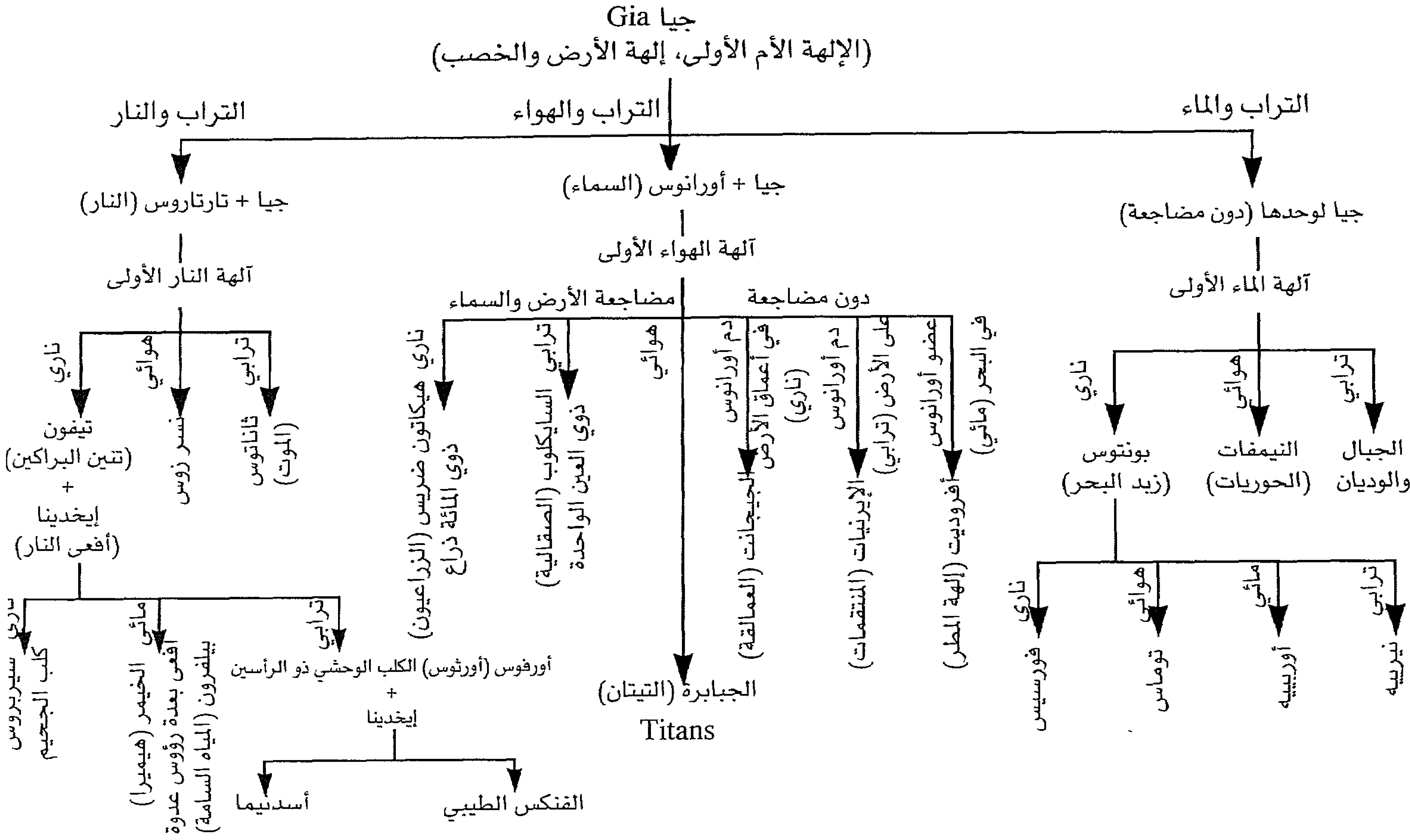
نيمف "عذراء" على حيوان بحري



شكل (49)

نيمف أرثيوس على عملة في سراقوسه

مخطط (9) آلهة الكون والعناصر الأربعة



3- آلهة الماء النارية : ويمثلها (بونتوس) إله البحر الذي يمثل بدقة زبد البحر الذي أنجب أربعة آلهة كل واحد بطبيعة مخالفة وهي :

أ- **طبيعة ترابية** : نيريه (نيروس) ويسمى عجوز البحر وقد تزوج من دوريس (إحدى نبات أوقيانوس) فأنجب (النيريايديس) أو (النيرياديات) بنات نيريوس حوريات البحر المتوسط وهنّ بنات الموج . وكان نيريه حكيماً يعرف كل الأسرار وجميع النبوءات لكنه كان يأبى البوح بها ويتهرب من ذلك بهربه إلى الهيولى التي كان يتمتع بنعمة تحولاتها . وقد صار فيما بعد خادم بوزيدون والمكلف بحراسة قطعان عجول البحر التي يملكها الإله الأكبر .

ب- **طبيعة مائية** : الإلهة أوربية التي تزوجت الجبار (التيتان) المتوحش كريوس وكان خلودها نجمياً . وأنجبت منهُ :

1- استرايوس الذي تزوج ايوس (الفجر) ونتجت منه العاصفة ونجمة الصباح وسائر الكواكب .

2- بالاس : العملاق تزوج ستيكس وانجبا قوى رمزية هي (الحسد والنصر والقوة والعنف) .

3- إيوس : تزوج استريا (بنت كويوس وفوبييه) فولدت هيكات الإلهة الجهنمية ذات الأشكال الثلاثة .

ج- **طبيعة هوائية** : الإله (توماس) الذي تزوج الكترا (البنت الثانية لأوقيانوس) وأنجب منها :

1- إيريس : رسولة الآلهة وتجسيد قوس قزح .

2- الهاربيّات : آييلو وأوسيبتيه وسيلايينو (العتمة) وهن عبقريات العاصفة الطائشة ولذلك فهن مغتصبات ، يملكن أجنحة ولهن أطراف حادة ويسكنّ قلب البحر الأيوني في جزر ستروفاد .

د- **طبيعة نارية** : الإله خورسيس الساكن في (سيفالينيا) على الضفة الغربية لليونان ، وقد أنجب :

1- الغريات : وهن نساء البحر العجوزات : إينيو ، بفريدو ، دينو وكنّ يعشن في الغرب الأقصى الذي تغيب عنه الشمس تماماً .

2- المسخات الثلاث : ستينو ، أوريالين ، ميدوزا (التي تموت) وكنّ مرعبات المنظر رأسهن محوط بالأفاعي وهنّ مسلحات بواقيات كما عند الخنازير البريّة ، أيديهن من برونز وأجنحتهن من ذهب وأعينهن تلتمع يخرج منها تحديق ثاقب إذا أصابَ أحداً حوّله إلى حجر ، ولذلك نفين إلى أقاصي الأرض في الزوايا المعتمة ولا أحد يتجاسر على الاقتراب منهن .

تزوج بوزيدون ميدوزا فولد منها :

1- بيغاز الحصان

2- إيليه الحصان

3- كريزايور الذي أنجب كل من :

أ- جيرون : العملاق ذو الأجساد الثلاثة الذي قتله لاحقاً هيراكلس

ب- ايخدينا : الأفعى النارية زوجة طيفون .

ويبدو أن هذه الآلهة المائية القديمة كانت كلها من معبودات الأقوام القديمة لليونان وربما قبل مجيء الأقوام الإغريقية ، فعندما جاء الإغريق حوّلوها إلى كائنات مائية ومسخية وحوريات وغيرها . . وهذا ينطبق على الآلهة النارية .

2. آلهة النار الأولى:

وهي الآلهة التي أنجبتها الأرض (جيا) من زواجها بـ (تاتاريوس) إله النار البركانية في داخلها وهي على ثلاث طبائع :

1- الطبيعة الترابية : ويمثلها الإله (ثاناتوس) إله الموت .

2- الطبيعة الهوائية : ويمثلها الإله النسر (ويسمى نسر زوس) .

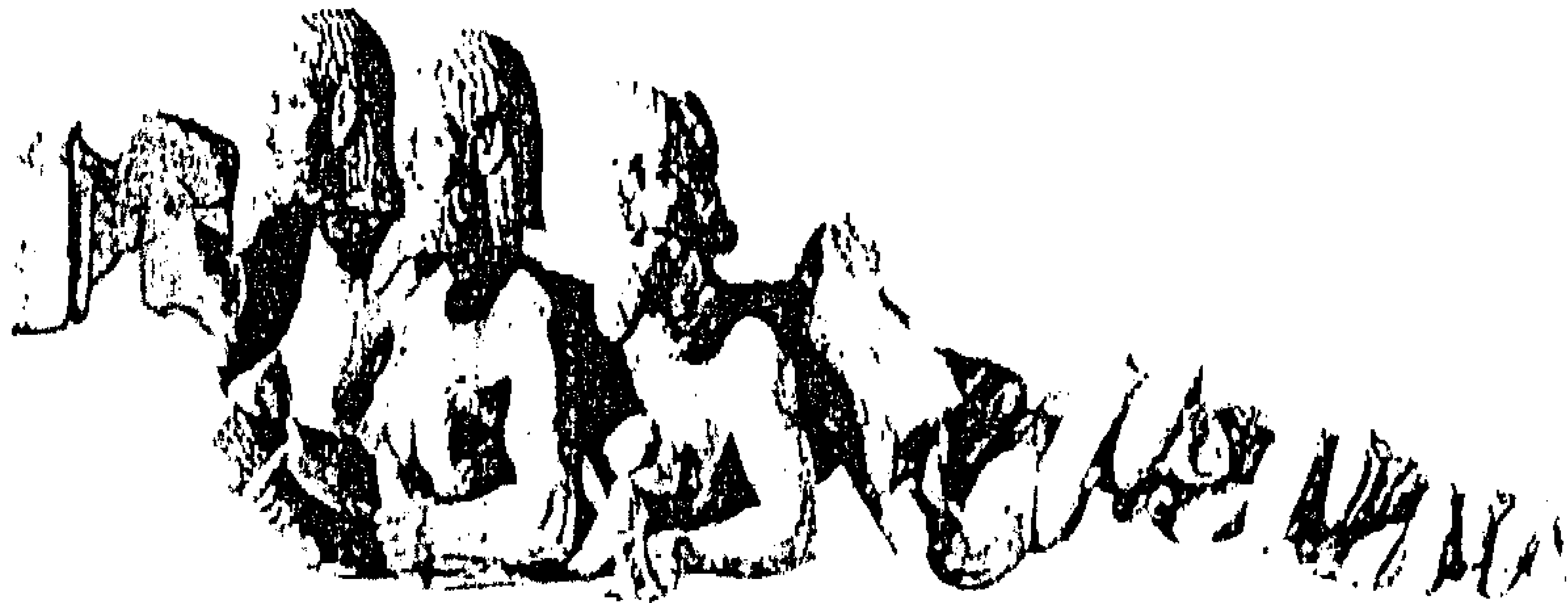
3- الطبيعة النارية : ويمثلها الإله تيفون (Tuphon) وهو تنين مخيف له مائة رأس ومائة ذراع وصوته يهدر بأصوات كل الوحوش وله مائة قدم ، ويسمى أيضاً تيفويوس (Tuphoeus) أو تيفوس (Typhos) أو تيفاون (Tuphaon) والأخير غير (تيفاون) دلفي أنجبته هيرا .

ولا شك في أن (تيفون) هذا من أصل كنعاني حيث يظهر في الأساطير الكنعانية يقاتله ملكارت (وهو مقابل هرقل الإغريقي) وهو في طريقه إلى ليبيا . ويظهر هذا التنين في أسطورة بعل وأقهات الأوغاريتية . وتطابق كلمة (يطفن) و (طفن) معنى (قتل) وربما كان تيفون هو جذر الأفعى في الأسطورة التوراتية[2] .

ويبدو أن تيفون سيقتل من قبل زوس ويعود إلى أحضان أبيه ترتارتوس أي إلى أعماق الأرض المظلمة ، وقيل إن ثورة بركان جبل آيتنا (Aetna) في صقلية يرجع إلى تلك المعركة الرهيبة بينهما حيث دفن تيفون تحت هذا البركان الهائل .



شكل (50) الإلهة جيا (إلهة الأرض)



شكل (51) الشيطان تيفون ابن جيا ممثلاً بجسد تنين ينتهي برؤوس ثلاثة من الرجال، يمسك طيوراً وناراً

3. آلهة الهواء الأولى:

أنجبت الأرض (جيا) من زواجها من ولدها السماء (أورانوس) آلهة الهواء القديمة التي يمكن أن نصنفها إلى ستة أنواع أنجب أورانوس نصفها من المضاجعة المباشرة للأرض والنصف الآخر من سقوط دمه أو أعضائه على الأرض أو الماء وهي :

أ- الآلهة التي أنجبتها الأرض دون مضاجعة :

1- من دم أورانوس (بعد أن يضربه ابنه كرونوس) حيث يتسرب الدم إلى رحم (جايا) وتنبت منها الإلهات المنتقمات ربات الغضب (الإرينيات Erinyes) .

أ- المنتقمات (الإرينيات Erinyes) ربات الغضب (ذوات طبيعة ترابية) .

ب- العمالقة (الجيجانت Gjigantes) البناؤون (ذوو طبيعة نارية) وهم يسكنون أعماق الأرض .

2- من عضو تناسل أورانوس (بعد أن قطعه ابنه كرونوس) حيث سقط في البحر واختلط به زبد الموج (aphors) الذي انبثقت منه أفروديت (Aphrodite) ربة المطر التي صارت فيما بعد ربة الحب والجمال وهي ذات طبيعة مائية .

ب- الآلهة التي أنجبها أورانوس من مضاجعة الأرض مباشرة :

1) الطبيعة الترابية : الصقالبة (السايكلوب Cyclopes) وهم من ذوي العين الواحدة المستديرة في وسط الجبهة ، وكانوا وحوشاً يعيشون في المراعي النائية وكانوا صناعاً ماهرين للصواعق ويشتركون أحياناً في بناء المدن ، وهم :

أ- أرجيس : البارق (ومضة البرق) .

ب- سيتروبيس : غيم الزوبعة .

ج-برونتيس : الراعد (قصف الرعد) .

2) الطبيعة النارية : الذراعيون (هيكاتون خيريس Hecaton cheires) وهم من ذوي المائة ذراع وكانوا ضخاماً شرسين وهم :

أ- كوتوس Cottus .

ب- بريريوس Briareus .

ج- فيكوروس Vigorous .

3) الطبيعة الهوائية : الجبابرة (التيتان Titanes) : وهم الأكثر حيوية من بين أبناء السماء والأرض وعددهم اثنا عشر ، وهم الحكماء ومعلمو البشر الذين علموهم الفنون والسحر ، ونتناولهم بالتفصيل كجيل ثالث منتصر .



شكل (53)
أفروديت
Heyl



شكل (52)
أفروديت
البحرية

4. آلهة الهواء المنتصرة التيتان (الجبابرة) Titans :

كانت جيا (الأرض) ملكة الكون لكنّ ابنها الذي ولدته ذاتياً من انحناء الفضاء عليها وهو أوران أو أورانوس (السماء) كبر فتزوجها فأصبح هو سيد الكون بلا منازع وهذا يشير إلى الانقلاب الذكوري الذي حصل مع عصر الكالكوليت حيث الابن ثم الزوج يتحول إلى مركز العائلة البشرية أو الإلهية . ورأينا كيف ولد لأوران وجيا تلك المجاميع المختلفة من الأبناء لكن ذريته الهوائية الطابع والتي ورثته بحق كانت في مجموعة التيتان الجبابرة الذين كان ينظر إليهم بريبةٍ ويخشى أن يسيطر أحدهم على عرشه .

كانت ذرية أوران وجيا المائية والترابية والنارية قد دفنت في باطن الأرض جيا ، فهم يعيشون في أعماقها . أما ذريته الهوائية المكونة من (12) ذكراً وأنثى فيعيشون على سطح الأرض . ضجرت الأم جيا من ثقل أولادها المحبوسين في أعماقها ولذلك استنجدت بأولادها الهوائيين وفي مقدمتهم كرون (كرونوس) وأخته (ريا) وكانوا الأصغر سناً وسلمت لهما منجلاً مسنوناً ليقتلوا أباهم ويخلصوها من إصراره على دفن أولادها في أعماقها .

انقضّ كرونوس بالمنجل وخصى أباه قاذفاً بعضوه الذكري (phallus) إلى البحر حيث اختلط به زبد الموج (aphros) الذي انبثقت منه أفروديت (Aphrodite) إلهة المطر التي صارت بعد ذلك عندما نُسبت إلى زوس كابنة له إلهة للحب والجمال . أما دم أورانوس الذي نزف في الأرض فقد تسرب إلى رحم (جايا) وحملت بربات الغضب والانتقام (الإيرينيات Erinyes) والعمالقة (الجيجانت Gjigantes) وقد تحدثنا عنهم . وبعدها قتل كرونوس أباه وحرر أخوته من بطن أمه وأصبح هو سيد الكون .

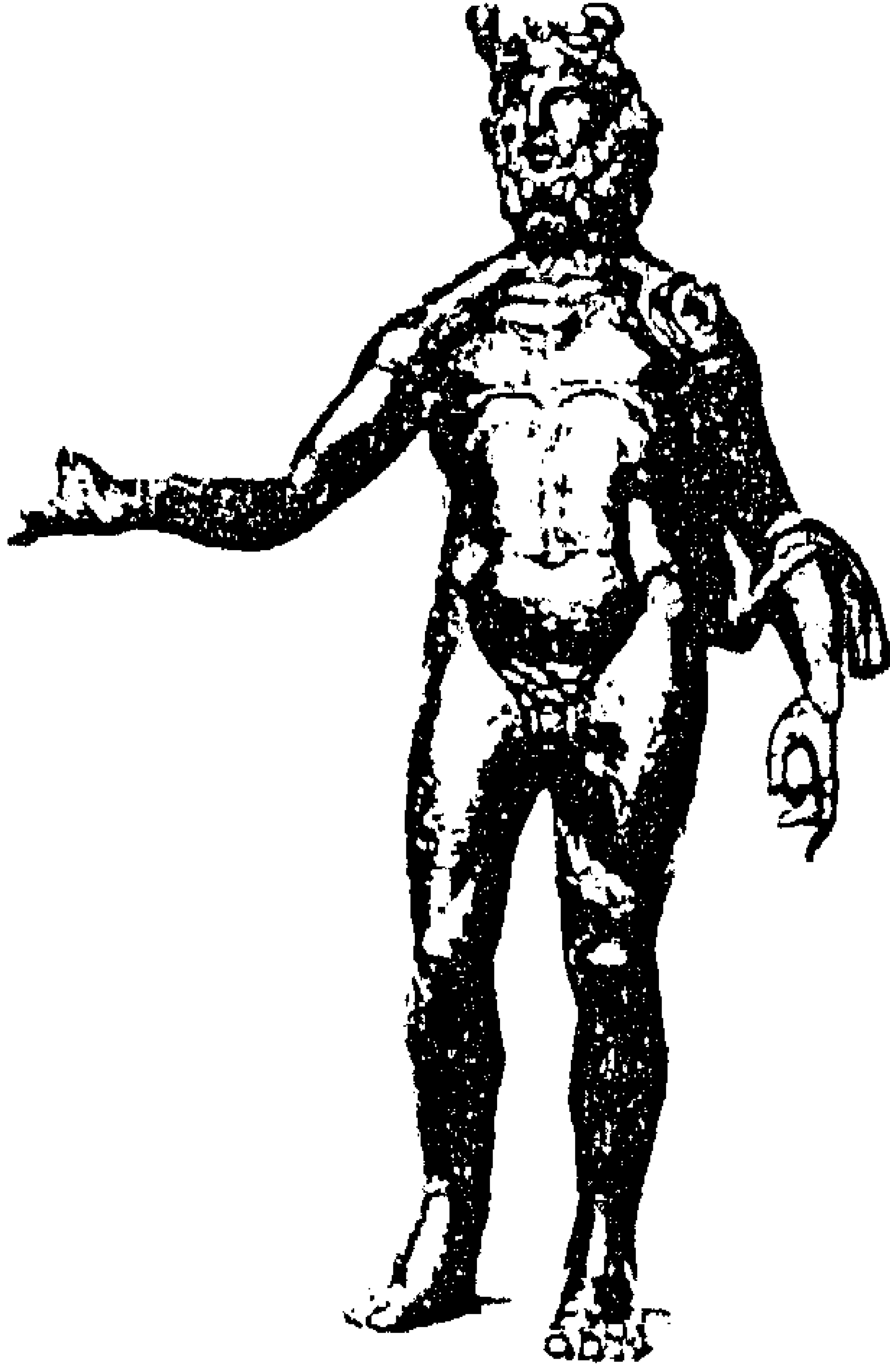
والآن لنفحص هؤلاء الآلهة الهوائيين (أخوة كرونوس وريا) ونتعرف إلى طبيعتهم . ونرجّح أن اسم كرونوس هو ترجمة إغريقية لأصل كروتوس الكنعاني فقد كان كرونوس يقابل (إيل) الإله الكنعاني الأكبر ولعلّ أهم اسمائه هو (أبو السنين = أب شنم) وربما دلت على أب القرون (الزمن) الذي هو اسم ودلالة كرونوس وهو إله هوائي نتج من الأرض السماء وكذلك إيل .



شكل (54)

كرونوس يجلس على عرشه

(نسخة رومانية لتمثاله)



شكل (55)

أوقيانوس

(النهر المحيط)

يتكون التيتان (الجبابرة) من اثني عشر إلهاً هم كما يلي :

الجبابرة الذكور			الجبارات الإناث	
1- كريوس ( )	لم يتزوجا من جبارات		1- ثيمس (العدالة)	لم تتزوجا جبابرة تزوجتا زوس
2- جابت ( )			2- منيموسين (الذكاء)	
3- هيبريون (اللهب الكوكبي)		+	3- تيا	
4- كويووس ( )		+	4- فويبيه (النور)	
5- أوقيانوس (النهر المحيط)		+	5- ثيتس (البحر)	
6- كرونوس (الزمان)		+	6- ريّا (الأرض)	

ونستطيع إعادة ترتيبهم وفق نظريتنا حول الطبائع العناصرية الأربع بالشكل الآتي :

1- **الآلهة الترابيون** : وهم لم يتزوجوا من جبابرة باستثناء (ريّا) التي أصبحت إلهة الأرض بعد جيا أي ورثت أمها ولذلك نعدّها بمثابة الإلهة الأم الثانية عند الإغريق . وهؤلاء الآلهة هم :

أ- يابت (جابت) الذي تزوج الأوقيانيدا كليمينيه .

ب- كريوس الذي تزوج يوريبا (Eurybia) وانجب منها (أستراوس ، فالاس ، بيرسس) .

ج- منيموسين إلهة الذكاء } اللتان تزوجتا لاحقاً الإله زوس

د- ثيمس إلهة العدالة

هـ- ريّا وريثة إلهة الأرض وزوجة كرونوس .

وكالعادة تتنازع هؤلاء ، من وجهة نظرنا ، طبائع أربع موضحة في الجدول .


2- **الآلهة المائيون** : وهما أوقيانوس إله النهر المحيط بالأرض وثيتس إلهة البحر الذين تزوجوا وأنجبوا الأوقيادينات وعددهم 3000 من الذكور هم آلهة الأنهار و 3000 من الإناث هن الإلهات الحوريات (النيمغات) ومنهن إلهة البحر ثيتس Thetis ، وأنجب آلهة أخرى مثل متيس (الحكمة) وتايكي (الحظ) وستايكس (نهر العالم الأسفل) .

وأوقيانوس هو ذلك النهر المحيط الذي يحتضن العالم ويدور حول أطرافه التي تشرق منها الشمس والنجوم ثم تعود فتغرب فيها ، وهو الذي يحوي أسراراً وغوامض في أعماقه التي ينبثق منها الآلهة والبشر . كان الإغريق يصورونه أحياناً في هيئة شيخ مسنّ قوي البنيان رحيم ذي لحية كثة وشعر طويل تحيط به مخلوقات البحر وأحياناً بقرون تعلو رأسه ، وكان إلهاً رقيقاً لم يشترك في حرب الجبابرة بل تعهد هو وزوجته بأمر الإلهة هيرا الصغيرة بالرعاية والحماية من الحروب[3] .



شكل (56)

ثيمس إلهة العدالة (300-250) ق.م (المتحف الوطني أثينا)


مخطط (10) آلهة التيتان (الجبابرة)
الجبابرة (التيتان)
(آلهة الهواء المنتصرة)
ناري
هوائي
مائي
ترابي
آلهة لم يتزوجوا من جبابرة
1- يـابـت (تـراب) تـزوج كليمينيه
2- كريوس (هواء) تزوج أوريبيه
3- تيمس (نار)
4- نيموسين (ماء)
تزوجتا زوس
♂ أوقيانوس (النهر المحيط)
♀ ثيتس (البحر)
الأوقيناوات
3000 ولد هم الأنهار
3000 بنت هن الحوريات (النيمفات)
1- ميتس (الحكمة)
2- تايكي (الحظ)
3- ستايكس (النهر الأسفل) يتزوج بالاس وينجب نايكي (إلهة النصر)
كرونوس (هواء)
ريّا (إلهة الأرض)
(الإلهة الأم الثانية)
♂ الكرونيديون ♀
تراب
هواء
نار
♂ يابت (تراب)
♀ كليمينيه (حورية)
♂ هيبريون (اللهب الكوكبي)
♀ تيا
♂ كويوس
♀ فويبيه (النور)
هواء
ماء
تراب
أطلس
+
?
الثريا والقلاص
مينويتيوس
بروميثيوس (حامل النار)
+
دوكاليون (نوح)
أبيمثوس (الإله الرجل)
+
باندورا (الإلهةالمرأة)
بيرا (زوجة نوح)
هيلوس (الشمس)
سلين (القمر)
أيوس (الفجر)
جميع النجوم
الرياح الأربع
1- الشمالية
2- الشرقية
3- الجنوبية
4- الغربية
ليتو
استراليا



2



1



3

شكل (57)

الإلهة نايكي إلهة النصر ابنة

(ستايكس وبالاس)

1- مع قرن الخصب / تارنتم متحف انتكين - بازل

2- مع اسلحتها / لندن المتحف البريطاني

3- مع عربتها / بوسطن متحف الفنون الجميلة

3- الآلهة الناريون ويقسمون بحسب طبائعهم الدقيقة إلى ثلاثة أزواج هم :

أ- يابت (جابتوس) : والذي تزوج من خارج الجبابرة ، حيث كانت الحورية كليمينيه (إحدى الأوقيانيدات) زوجته ، وهناك آراء تقول إن زوجته هي آسيا (Asia) ، وقد أنجب منها :

1- أبيمتوس وهو بمثابة الإله الرجل .
2- برمثيوس وهو حامل النار .
} سنتحدث عنهما مفصلاً عند خلق الإنسان

3- مينتيوس الذي كان عملاقاً .

4- أطلس : وهو عملاقٌ أنجب كواكب كثيرة منها الثريات والقلاص وله أسطورة معروفة حيث تمرد على الآلهة وشتمها فعاقبته الآلهة بأن يحمل على كتفيه قبة السماء حيث تنحني نحو الأوقيانوس في الغرب الأقصى من العالم وسنجده في ملاحم برسيوس بعد أن قتل ميدوزا يذهب إلى أطلس ليأخذ التفاحات الذهبية فيواجه رفض أطلس لكن برسيوس حالما يريه رأس الميدوزا يتحول أطلس إلى حجر وتستحيل لحيته وشعره إلى غابات وأذرعه وأكتافه إلى شواطئ صخرية ورأسه إلى قمة جبلية وعظامه إلى صخور ، وله حكاية مشابهة مع هرقل حول التفاحات الأربع .

ويظهر لنا أن جيل أبناء يابت يمتازون بميزة أساسية وهي أنهم متمردون على الآلهة مثلما حصل مع أطلس وبرومثيوس وأنهم لابد من أن يعاقبوا بعقاب صارم . فهل يعكس هذا زواج يابت من خارج العمالقة أي من كليمينيه؟ ثم إنهم يشكلون الآلهة الآباء للإنسان كما سنرى فمنهم تحدّر نسل البشر حيث أبيمثوس (الإله الرجل) وزوجته (باندورا) الإلهة المرأة وهما بمثابة آدم وحواء قبل الطوفان ، أما بعد الطوفان فهناك آدم وحواء جديدان هما بيرا ودوكاليون اللذان يتحدران أيضاً من نسل ابيميثوس وبرومثيوس على التوالي . . وهل يمكننا قراءة اسم يابت بطريقة أخرى هي (يافث) فيكون بهذا المعنى الجدّ الحقيقي للبشر كما تورد ذلك الأساطير الكنعانية والعبرية . . وهو ما يتماثل مع خلق الإنسان في الأساطير الكنعانية باعتبار أن الإنسان هو مقابل لآلهة معروفة .

ب- هيبريون : وهو اللهب الكوكبي ومعنى اسمه (الذي ينحو إلى فوق) وهو الذي تزوج الإلهة تيا وأنجب منها ثلاثة أولاد هم :

1- هيلوس : كوكب الشمس وهو إله الشمس الذي يصعد إلى السماء فوق مركبته المشدودة إلى الخيول المجنحة ، شكل رقم (59) .

2- سيلين : إلهة القمر .

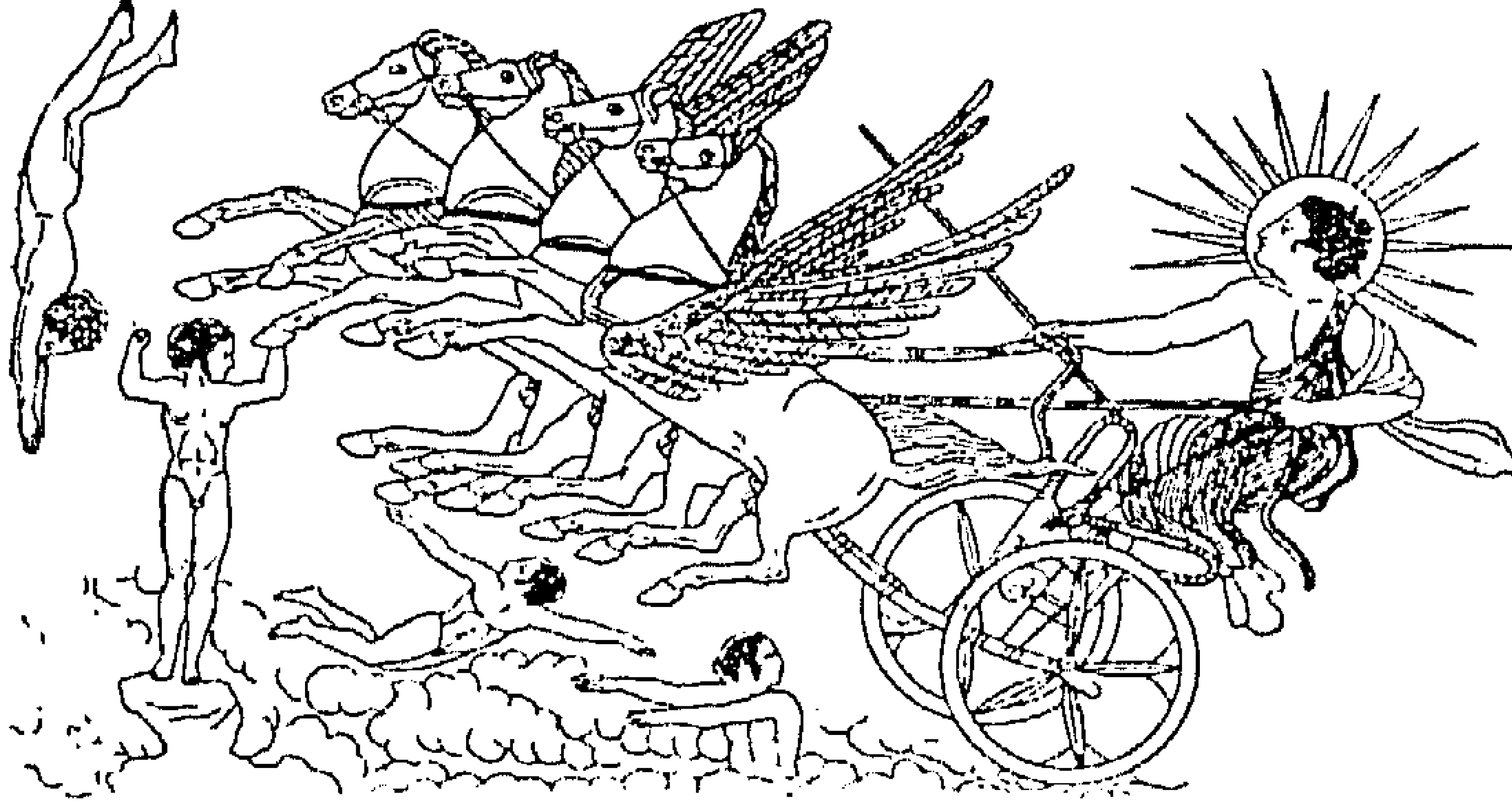
3- إيوس : إله الفجر الذي تزوج من الإلهة استريا وأنجب منها جميع النجوم والرياح الأربع (الشمالية : بوريوس) و(الشرقية : إيفر) و(الجنوبية : نوت) و(الغربية : زيفير) .

ج- كويوس : وهو الجبار المتوحش الذي تزوج من التيتانة (فويبيه) وهي إلهة النور وانجبا ليتو (إلهة الضوء) واستريا (النجمة) .

د- كرونوس وريّا : وهما أصغر التيتان وقد تعرّفنا إلى أسطورتهما وكرونوس إله الهواء ، من وجهة نظرنا ، وقد أصبح لاحقاً إله الزمان لأنه كان يبتلع ذريته ويدفنهم في أعماقه فبدا كما لو أنه الدهر الذي يفني المخلوقات خصوصاً أن معنى كلمة كرون باليونانية هو (الزمن) الذي يطوي كلّ شيء ،لكننا نرى أن حقيقة كرونوس هو أنه إله الهواء الذي ورث وظائف أبيه أورانوس ومنها أن يكون إله السماء تلقائياً ، وإله طقس ويقابل الإله إيل في المثولوجيا الكنعانية وأساطيره هي نفس أساطير إيل الكنعاني وريّا هي نفسها ريّا في الأساطير الكنعانية التي تعني الأرض(4) كانت ريّا إلهة الأرض وريثة أمها (جيا) ويعبر زواجها من كرونوس عن اتحاد الأرض بالهواء .



شكل (58)
رأس الإله هيلوس منحوتاً



شكل (59)
الإله هيلوس يقود عربة الشمس صاعداً إلى السماء (رسم على مزهرية)

لكن كرونوس ، كما هو موضح في المخطط الخاص به ، تزوج من أمه جيا بعد أن قتل أباه (أوران) . وتزوج من ريا أخته وتزوج من فليرا :

أ- زواجه من أمه (جيا) يشير إلى اتحاد الهواء بأعماق الأرض حيث جيا هي أم الأرض الأولى (القديمة) التي ظهرت على قشرتها ابنتها ريا ولذلك نجد أن نسل كرون وجيا كان مؤلفاً من ست إلهات هنّ من آلهة الظلام والنار المدفونين في أعماق الأرض وهم :

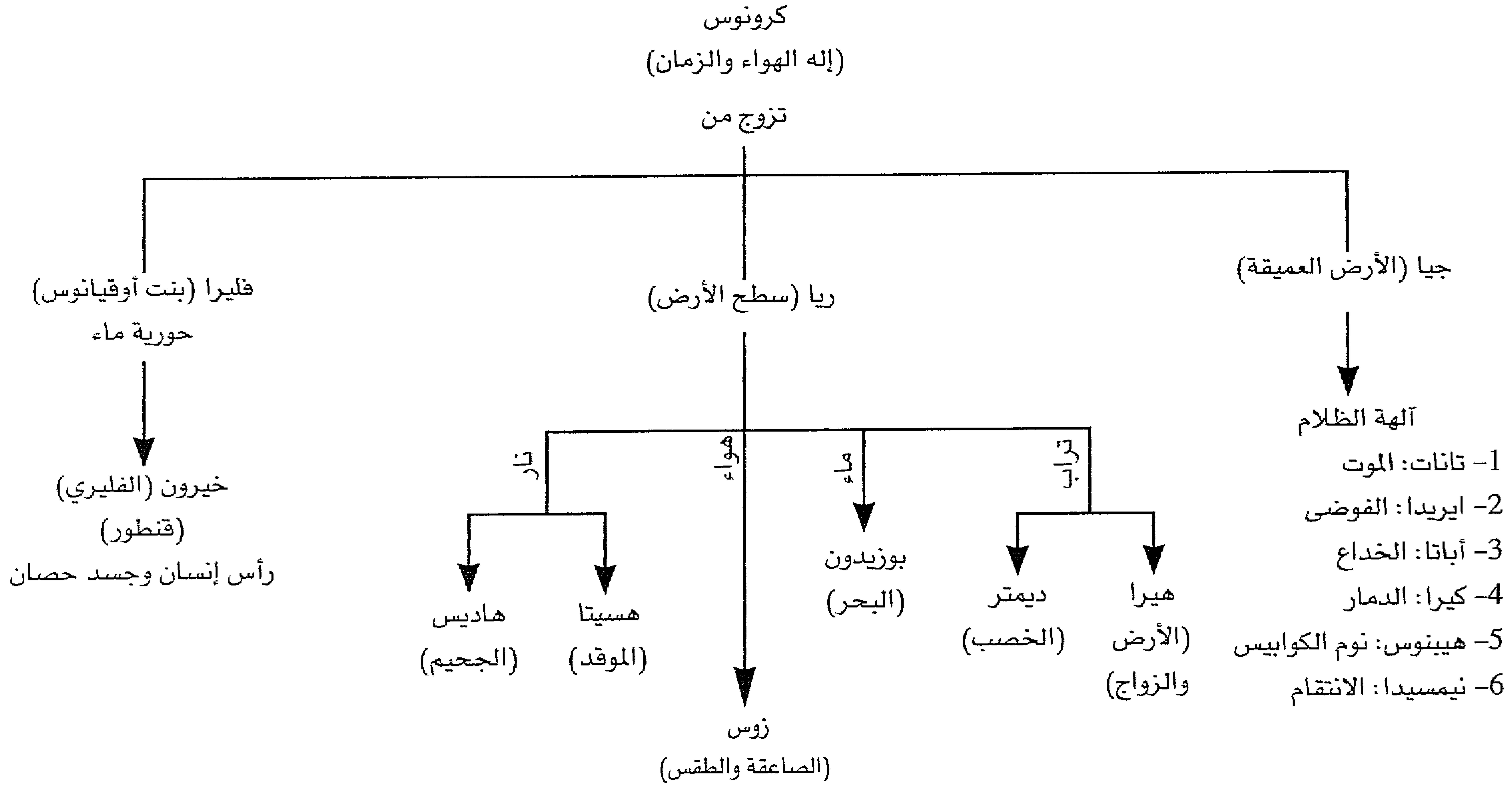
1- تانات : إلهة الموت .
2- إيريدا : إلهة الفوضى .
3- أباتا : إلهة الخداع .
4- كير : إلهة الدمار .
5- هيبنوس : إلهة النوم المصحوب بالكوابيس .
6- نيميسيدا : إلهة الانتقام .

ب- زواجه من أخته (ريا) يشير إلى اتحاد الهواء بالتراب والأرض حيث ينجب منها الأبناء الكرونيديين الستة وهم :

1- هيرا : إلهة أرضية ترابية أصبحت فيما بعد زوجة زوس .
2- ديمتر : إلهة أرضية عميقة وهي إلهة الخصب والبذور .
3- بوزيدون : إله البحر .
4- زوس : إله الهواء والطقس .
5- هستيا : إلهة النار المقدسة وربة نيران المواقد وحامية المدن والحكومات .
6- هاديس : إله الجحيم .

وصار هؤلاء الستة فيما بعد الجيل الأول من آلهة جبل الأولمب حيث يشكل الجيل الثاني أبناء زوس الستة أيضاً .

مخطط (11) نسل الإله كرونوس



ج- زواجه من فليرا وهي إحدى بنات أوقاينوس التقاها في ثساليا حين كان يبحث عن زوس حيث ظهرت الحورية فليرا لكرونوس فأعجبته ولكنها هربت منه في شكل فرس ، فما كان من كرونوس إلاّ أن يقلب نفسه حصاناً ويلحقها ويضاجعها فولدت منه ولداً ذكراً هو خيرون ويسمى أيضاً (فليري) الذي هو القنطور نصفه الأعلى بشري ونصفه الأسفل على شكل حصان . وقد قامت فليرا لاحقاً بالطلب من زوس أن يغير من صورتها إلى صورة شجرة ليمون .

ويعتبر عصر كرونوس العصر الذهبي للعالم حيث ساده الرخاء والعدل واختفاء الحروب والصراعات والخصب والنماء .

لكن جيا (أم كرونوس وزوجته الأولى) كانت قد تنبأت بأن كرونوس سينحّى عن عرشه ويقتل على يد أحد أبنائه كما فعل هو بأبيه . وقد حصل هذا فعلاً على يد أصغر أبنائه زوس .

وأهم ما خُلّد به كرونوس هو المهرجان الذي كان الناس يحتفلون به في بلاد اليونان وهو مهرجان (كرونيا) الذي كان منتظم الانعقاد في أثينا ورودس وطيبة ، ابتهاجاً بالحصاد حيث تزول أثناءه الفوارق الاجتماعية والامتيازات الطبقية ، ويستمتع بالعيد السيد والخادم جنباً إلى جنب (ربما لأن عصر كرونوس هو العصر الذهبي للعالم حيث تسود العدالة ، وكان هذا العيد غير مألوف بالنسبة إلى الأعياد الأخرى وأحياناً كان يتضمن التضحية بإنسان تقرباً إلى الإله كرونوس[5] .

سيبيل Cybele

ولابد قبل أن نختم حديثنا عن (ريا) من معرفة مقابلتها الفريجية التي صارت أكثر شهرة منها وهي الإلهة سيبيل Cybele وتلفظ أحياناً كيبيلي ويسميها هيرودوت كيبيبي Kybebe وهي الإلهة أم الجبل أو ربة الجبال Meter Oreia ، وتقابل من وجهة نظرنا الإلهة السومرية الأم الثانية ننخرساج التي معنى اسمها إلهة الجبل . وهي الإلهة الأم الكبرى أو أم الآلهة أو الأم الكبرى للآلهة عند الفريجيين وهم قبائل شبه إغريقية سكنت الساحل الآسيوي لبحر إيجه من ناحية الشمال وكانت تلقب بعدة ألقاب منها :

1- دندي مين (Dindymene) نسبة إلى جبل ديديموس في غرب فريجيا .

2- أرتميس الكبرى إلهة البراري وحيواناتها المفترسة كالأسود وتبدو مطابقة هنا لأرتميس ربة الصيد ، ولذلك تسمى أيضاً (أرتميس الكبرى) .

3- أجدستس (Agdistis) : نسبة إلى صخرة في بلدة بسيوس بين فريجيا وجلاطيا ، حيث كانت المركز الرئيسي لعبادتها التي انتشرت في ليديا في وقت مبكر .

ولعلّ لفظة سيبيل التي تلفظ كسيبيل قريبة جداً من لفظة المدينة الكنعانية/الفينيقية جبيل التي تلفظ في اللغتين الإبلية والأكدية باسم جبلم وفي العبرية جبال والعربية جبيل .

ومن هذه الألفاظ حوّر الإغريق اسمها إلى بيبلوس (Biblos, Byblos) ويفترض برنال أن هذا الاسم كان معروفاً في منطقة بحر إيجه قبل أواسط الألفية الثانية ق .م وبما أنه من المعروف أن (gi) كانت تتحول في أغلب الحالات إلى (bi) بعد سقوط الأصوات الشفهية الحلقية ، فيبدو من المعقول أن نقترح أن الاسم (Gebal) كان مستخدماً في الإغريقية بصورة (Gibi) في الوقت الذي كانت فيه هذه اللغة لا تستخدم الأصوات الشفهية الحلقية ، ثم أصبحت ببلوس (Biblos) أو (Byblos) بعد ذلك تبعاً للتحولات الصوتية(6) .

أشهر أسطورة لسيبيل كانت مع أتيس (Attis) الذي يناظر دموزي السومري وتموز البابلي وأوزيريس المصري وأدونيس الفينيقي ولعله صورة منهم تحورت مع الزمن فقد كان إله الخضرة وقد قدّسه الفريجيون تحت اسم الأب (باباس papas) . تقول الأسطورة إن سيبيل أجد ستيس كانت كائناً مزدوج الجنس أي ذكراً وأنثى وكانت شرسة ومتوحشة عاثت في الأرض فساداً ، فقررت الآلهة الإبقاء على صفتها الأنثوية فقط ولذلك استأصلوا عضو الذكورة فيها وسالت دماء من منطقة الاستئصال وسقطت على الأرض فنبتت شجرة لوز جميلة .

رأت الحورية نانا ابنة الإله سنجاريوس (وربما يكون أصلها السومري إنانا) هذه الشجرة فقطفت ثمرة منها وأخفتها في حجرها ، وبعد زمن حبلت نانا فقررت التخلص من وليدها برميه في العراء . ومرّ جديٌ فوجد الطفل فرعاه ، وسمي الطفل (أتيس) الذي يعني باللغة الفريجية (جدي) وباللغة الليدية (صبي جميل) .

ولما رأت سيبيل أجد ستيس الفتى الوسيم أتيس أحبته بجنون وكانت لا تفارقه وتأخذه معها إلى رحلات صيدها ، لكن أتيس وقع في غرام إحدى الحوريات ولعلها نانا أمهُ ابنة إله النهر سنجاريوس (ولنلاحظ وقوع الأم الأولى ثم الأم الثانية في غرام أتيس) فما كان من سيبيل إلاّ القيام بمعاقبته وإصابته بلوثة عقلية فلما رأته مجنوناً أشفقت عليه وأشفته لكنه كان على وشك أن يقتل نفسه فحوّلته سيبيل إلى (شجرة نار) . وفي رواية ثانية أنه قتل نفسه فطلبت سيبيل من زوس أن يعيده

إلى الحياة كي لا يتعفن جسده الجميل فمسخه زوس إلى شجرة صنوبر (وهي شجرة أتيس المقدسة) . وفي رواية ثالثة أن زوس الذي كان شديد الغيرة منه أرسل له حيواناً متوحشاً وقتله .

ولعل مفردات هذه الأسطورة تشبه إلى حدّ كبير أسطورة أدونيس وعشتروت وهذا يعني أن الأسطورة دمجت بين أسطورتي الإلهة الأم والإلهة العذراء في قصة واحدة . كان قبر أتيس في بسينوس ومع بداية كل سنة بفصل الربيع تقام الاحتفالات الخاصة بأتيس وعلى مدى خمسة أيام تجري فيها الطقوس الآتية(7) :

1- اليوم الأول : صباحاً وفي ذروة العويل تشعل النار المقدسة وتحمل حزمٌ صوفية في الشوارع .
2- اليوم الثاني : يقوم كهنة سيبيل الذين يسمون (كالي Galli) بأعمال وحركات درويشية محمومة بمرافقة موسيقى وحشية .
3- اليوم الثالث : يجرحون أنفسهم بعمليات بتر وتشويه دموية (ومن ضمنها عمليات إخصاء للكهنة الجدد) .
4- اليوم الرابع : رقصات فرحة ترافق بعث أو عودة آتيس إلى الحياة .
5- اليوم الخامس : مخصص للراحة .

لم تنتشر عبادة سيبيل وطقوسها في بلاد اليونان بل ظلت في فريجيا وليديا وكانت طقوس ديونسيوس في اليونان شبيهة بها ، لكنها انتشرت بشكل واسع في روما وأجيزت رسمياً عام 205 ق .م وتحورت بعض الشيء طقوسها ودخل عليها طقس يسمى الثوروبوليوم (Taurobolium) ويتضمن نزول المتعبد في حفرة واغتساله بدم ثور كان يذبح فوق رأسه ، وانتشرت عبادة سيبيل في أوروبا في بلاد الغال وفي شمال أفريقيا حتى القرن الرابع الميلادي(8) .

وكان الأمبراطور الروماني كلوديوس يحتفل بعيدها كل ربيع وتنحر الكباش بدلاً من الثيران . (Crio) أو في اليونان فقد اختلط أتباع سيبيل المعروفون باسم (كوريبانتس) مع الصبيان الذين رافقوا زوس في طفولته في جزيرة كريت عندما ولدته أمه هناك بعيداً عن أعين كرونوس وكانوا يسمون (كوريتس) وترتبط المجموعتان بالرقص الشعائري والطقوس الدينية السرية .

ولا شك في أن عبادة سيبيل وأتيس هي إحدى العبادات السرّية في فريجيا وربما كانت مصدر العبارات السرية في اليونان لأن كل طقوسها تشير إلى أنها كانت عبادة خلاص وتعتمد على

الاعتقاد بالخلود من خلال الاتحاد بالإله أتيس الذي تحول إلى إلهٍ في العالم الأسفل . . وكانت كل طقوس الإخصاء والتجريح والنحر تقدم له لكي تضمن شفاعته وتساعده على القيام من الموت أملاً في حياة جديدة له أو في حياة هانئةٍ لاتباعه بعد الموت .

اقترنت سيبيل بملك فريجيا (غورديوس) الذي أنشأ (الملّة الغوردية) وأنجب منها ولداً هو الملك (ميداس Midas) الذي اعتلى عرش أبيه وشرع في ممارسة شعائر سيبيل السريّة الغامضة ، وشعائر زوس أدا العظيم ، ولميداس أسطورتان مع ديونسيوس وأبولو سنذكرهما فيما بعد .

المبحث الثاني

أساطير آلهة الأولمب الآباء

(زوس وأخوته)

تتكون آلهة الأولمب من (12-15) إلهاً يسكنون قمة جبل الأولمب المذهل حيث يجلس زوس ملك آلهة الأولمب على عرشه محوطاً بالآلهة من أخوته وأبنائه وإلهات خادمات يحرسن المدخل المؤدي إلى الجبل ولهن جمال فائق ، عددهن ثلاث يقمن برفع الغيمة السوداء التي تخفي البوابة عندما يهبط الآلهة نحو الأرض أو يصعدون إلى السماء .

ويتكون آلهة الأولمب من جيلين هما :

أ- جيل زوس وأخوته : وهم الآلهة الكرونوديون الستة أبناء كرونوس وريّا (زوس وهيرا وهاديس وبوزيدون وهستيا وديمتر) .

ب- جيل أبناء زوس وهم : وهم ثلاث أناث أرتمس وأفروديت وأثينا وثلاث ذكور (أريس وأبولو وهرمس) ويضاف إليهم أحياناً ابن هيرا الذي أنجبته دون مضاجعة وهو هفايستوس . وانبازوس ديونسيوس وهرقل .

أولاً: زوس Zeus:

كان كرونوس (الزمان) يشعر في أعماقه أن ما فعله مع أبيه السماء (أورانوس) قد يتكرر معه ، وكان يخشى أن يتمرد أبناؤه عليه ويودون بحياته ، فاتخذ قراره بأن يبتلع أولاده حالما يولدون ، وهكذا أخبر زوجته (ريّا) بأن تحمل إليه كل ابن تنجبه منه إليه حتى يبتلعه بلا رحمة ، وولدت ريّا أولادها الخمسة على التوالي وهم :

1- هيستيا : إلهة النار المقدسة ، ونار المواقد وحامية المدن والحكومات .

2- ديمتر : إلهة الخصب الأرضي والسنابل .

3- هيرا : إلهة الزواج والولادة والخصب .

4- هاديس (آييد) : إله العالم الأسفل .

5-بوزيدون : إله البحر .

وهكذا قام زوس بابتلاعهم جميعاً ، لكنّ (هيرا) عندما أوشكت على إنجاب طفلها السادس (زوس) لم ترض بفقده مثل أخوته فمضت إلى أبويها (السماء والأرض) (أورانوس وجيا) واستشارتهما فأوصياها بحيلة تخلّص (زوس) فقامت بإخفائه في كهف في جزيرة كريت وجلبت إلى زوجها حجراً ملفوفاً بخرقة فابتلعها ظاناً أنه ولده . وهكذا نشأ (زوس) بعيداً عن عيون كرونوس وأشرفت الحوريتان (أدراستيا وايديا) على العناية به فأرضعتاه حليب العنزة المقدسة (أمفاليا) وكانت جموع النحل تأتي إليه بالعسل من سفوح جبل ديكتا ، وكان الفتيان (الكوريت) يقفون عند مدخل الكهف ليضربوا على المتاريس بالسيوف عندما كان الطفل زوس يبكي حتى يشوشوا على مسامع كرونوس فلا ينتبه لصوته ويبتلعه .

وكبر زوس واشتد عوده وجاء وقت الانتقام وفكر في خلع والده وتوصل ، بحيلة ، إلى تجريع والده مخدراً جعله يعيد أولاده الذين كان قد افترسهم ، وبذلك عاد زوس والتقى أخوته ، وشنّ حرباً على والده كرونوس ، فانتصر له أخوته الجبابرة ، واستمرت الحرب عشر سنوات ، حتى كشفت جيا لزوس أنه لن يربح الحرب إلاّ إذا استعان بالعمالقة الذين أسرهم كرونوس في جوف الأرض[9] .

وساعد الصقالبة زوس ثم قام بتحرير الزراعيين (هيكاتون خيريس) ذوي المائة ذراع لكل واحد واستصرخهم لنجدته (وكانوا قد سجنوا في أعماق الأرض) فخرجوا من الأعماق بسحنات رهيبة وبقامات طويلة وكسّروا الصخور ورموا في كل رمية من أحدهم بمائة ذراع مائة صخرة ، وتساقطت الصخور على أعوان كرونوس من العمالقة الطامحين نحو جبل الأولمب وأصيب تارتاريوس بالرعب وأخذ زوس يقذف بالصواعق والرعود فتحركت الأرض بنيرانها وغلت مياه البحار وانتشر الدخان فوق كل شيء وكأنه يوم خليقةٍ جديد .

انتصر زوس على أبيه وعمالقته فقيدهم أهل الأولمب بالحديد وزجّوا بهم في الترتار (أعماق الأرض المظلمة) ووقف الزراعيون على أبواب الترتار النحاسية ليحرسوها .



شكل (60)
زوس يقاتل العمالقة، حجر
كريم من الجزع، القرن (3-2) ق.م
نابولي، المتحف الوطني



شكل (61)
زوس وهيرا نحت خشبي بارز من ساموس
(مفقود)

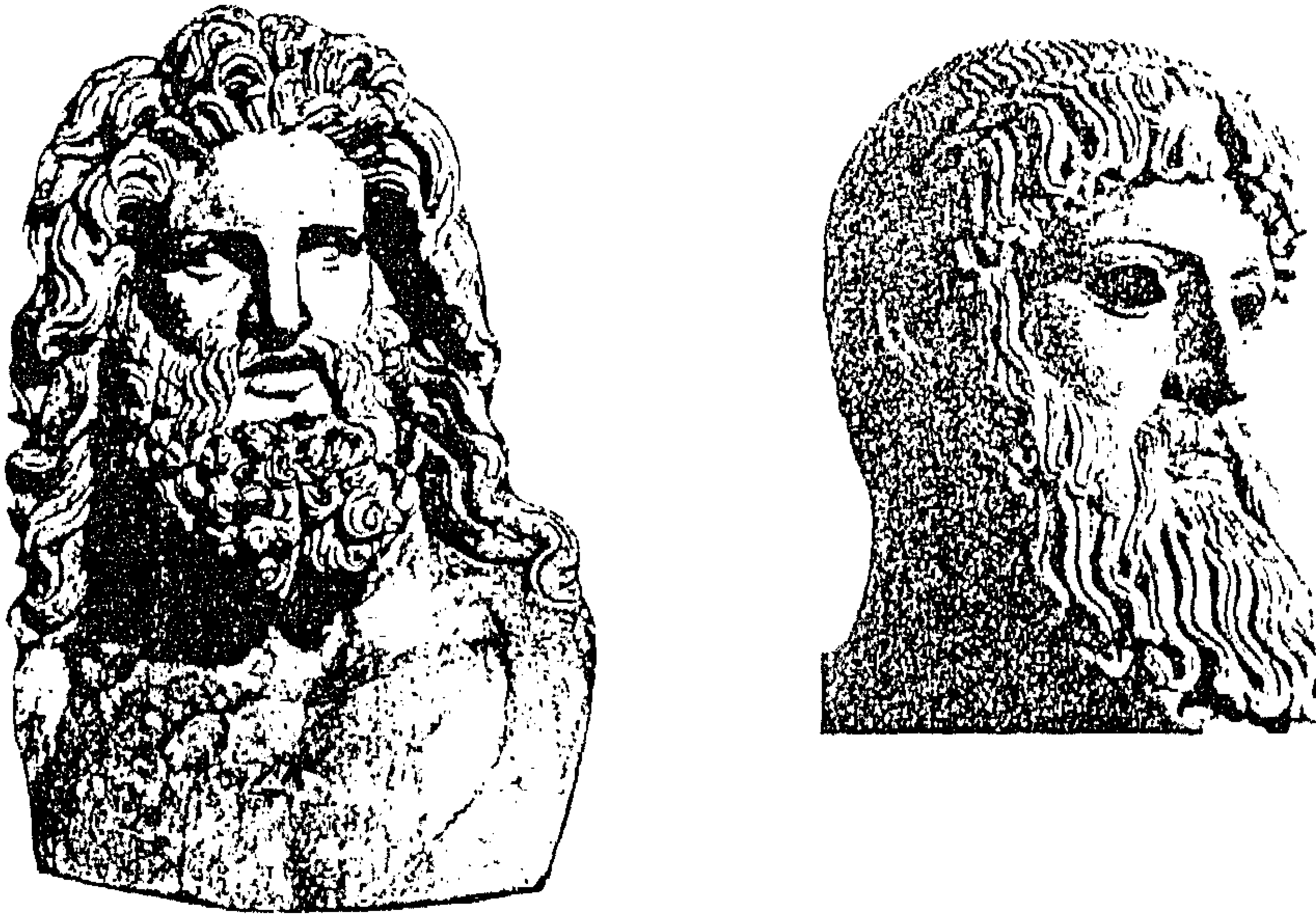
أما المرحلة الثانية من الصراع فقد كانت مع التنين (تيفون) ، فقد غضبت الأرض (جيا) من زوس لأنه قتل أباه ولأنه بطش بالعمالقة أبنائها ، فحرضت تيفون ذا الرؤوس المائة وخرج هذا من أحشاء الأرض بعنف وهو يلوح برؤوسه وحلم الهواء صوته الوحشي الذي يحوي صوت نباح الكلاب وصراخ البشر وخوار الثور وزئير الأسد ، واللهب يتصاعد من حوله والأرض تهتزّ تحت أقدامه فرماه زيوس بصواعقه ورعوده فأحرق رؤوسه بعد صراع عنيف وطعنه وألقى جسده في غياهب الترتار المظلم من حيث جاء ، لكنه لا يزال يهدد الآلهة والأحياء من هناك هو وعائلته الذين يثيرون العواصف والخراب ، وكان قد تزوج من إيخدينا (التي نصفها امرأة ونصفها أفعى) ومعها أولادها الثلاثة .

وهكذا انتصر زوس على الطبيعة العتيقة ممثلة بعمالقة الهواء والأرض وتنانيهم ووحوشهم ، وصعد إلى الأولمب مع أخوته وأخواته وتقاسموا من هناك العالم الجديد فكانت السماء لزوس والبحار لبوزيدون والعالم الأسفل لهاديس ، أما الأرض فأصبحت ملكاً مشتركاً لهم ومقرهم عليها هو جبل الأولمب ويتزعمهم زوس ملك الآلهة .

تعني كلمة أوليمبيوس Olympos (الجبل) وهو ما يؤكد ارتباط زوس بالجبل والحقيقة أن صراع زوس مع العمالقة وتيفون يشبه صراع بعل مع يم (الإلهة الكنعانية الأم الأولى في صورة إله البحر) ويشبه صراع مردوخ مع تيامت (الإلهة البابلية الأم الأولى) وبطريقة تكاد تكون متشابهة بل إن تربع زوس على جبل الأولمب يشبه تربع بعل على جبل صفون أو تربع مردوخ على جبل (دوكو) وبناء قصريهما هناك وهو ما يؤكد الجذور الكنعانية والبابلية والسومرية للمثولوجيا اليونانية وخصوصاً في أساطير الخليقة .

ويرى جميع الباحثين أن اسم زوس (Zeus) مشتق من لفظ بمعنى الضياء واللمعان أو السماء أو السماء الصحو ، فهو إله السماء أو هو السماء نفسها أو يسكن السماء التي يرسل منها المطر والبرق والرعد .

وينزل الصاعقة ويسيطر على الظواهر الجوية وعلى الطقس كله ، فهو أيضاً ربّ الجو ، ويصفه هوميروس بأنه جامع السحب . وبصفته محركاً للرعد والصاعقة المخيفة فقد خُلعت عليه ألقاب يتفق جرسها ورنينها مع هذه الصفة[10] .



شكل (62)

الإله زوس (أب الآلهة والبشر) الإله القومي للإغريق نحت من القرن الرابع ق.م

لكننا نودّ أن نطرح فرضية جديدة حول اسم زوس وأصله إذ نرى أن اسم (زوس) ما هو إلاّ اللفظ اليوناني لاسم الإله الرافديني (زو) وهو (الطائر العاصفة) الذي كان لقباً بابلياً للإلهة القديمة (إمدوكد) إلهة الريح القاسية والتي نرى أنها تمثل بقايا الإلهة الأم الأمورية (إم)[11] .

(زو) تعني طائر الصاعقة عند البابليين وهو وجه من وجوه أو أحد خدّام إله الهواء السومري (إنليل) وهو له بمثابة الرسول المجنّح والذي تذكره المثولوجيا البابلية في أسطورة معروفة هي (أسطورة إنزو) ، (إنزو = إن بمعنى السيد الإله وزو هو طائر الصاعقة) ، التي توضّح لنا كيف أن هذا الإله التابع لإنليل سرق ألواح القدر من إنليل ليتمكن من السيطرة على الكون لكن (ننورتا) إله العاصفة المحارب يتصدى له ويقطع له أجنحته .

إن (زو) هو أحد رموز إله الهواء عند السومريين والبابليين وإن صورة (زو) المتمثلة بالنسر عند البابليين انتقلت من طريق الأموريين الذين وصلوا إلى كريت وبلاد اليونان في وقت مبكر يصل إلى بداية العصر البرونزي وظل الاسم محافظاً على لفظه ودلالته ورموزه عند أهل اليونان الأصليين (البلاسيجيين) أو عند الإغريق (الهيلينيين) أو عند الكريتيين (المينويين) فهو (زوس) ويدل على إله الهواء والعاصفة والصاعقة ، وهذه رموزه إضافة إلى رمزه الرئيسي وهو النسر .

ونرجح أن معنى (زو) في اللغات السامية القديمة هو (ضوء) الذي يلفظ (زو) لعدم وجود حرف الضاد (باستثناء العرب الساميين) أي إن اللفظ يطابق المعنى تقريباً لأن (زو) هي (ضوء) وهو ما يؤيد نظريتنا حول الأصل الرافديني لـ (زو) ، ولكي نعزز ذلك نقول إن الديانة المندائية (وهي ديانة آرامية سامية) تحمل اسم الكائن النوراني (هيبل زيوا) الذي يعني اسمه (سيد الضوء) حيث (زيوا) تعني ضوء .

والإله (زو) يمتد بجذوره إلى الأموريين فقد كان إلهاً قومياً لهم يناظر (أمورو) لأنه يشير إلى جذور الإلهة الأم الأمورية وهو ما ناقشناه طويلاً في كتابنا (المعتقدات الأمورية) .

وخلاصة القول إن الإله (زو) هو مصدر (زوس) بل هو نفسه من حيث الصفات والرموز والفرق الوحيد بينهما أنه أصبح عند اليونان والإغريق أعظم وأكبر الآلهة في حين أنه كان كذلك عند الأموريين ، بصورة أو بأخرى ، لكنه أصبح في كنف أعظم وأكبر الآلهة السومرية . فهو إله عريق ولأنه كذلك ولأنه نزح من أصول أمورية قديمة فقد عوقب بالتهميش وقصّ الأجنحة عند البابليين وهو قانون جرى على الأم المغلوبة أو المتوارية خصوصاً إذا عرفنا أصله الأنثوي الذي يمثل (إم) الإلهة الأمورية الأم ولابد من إزاحة ذكورية له من طريق (إنليل) الذي ورث صفات إم كلها .

ولا نشك مطلقاً في أن الأموريين قد أوصلوا إلههم هذا إلى بلاد بعيدة كاليونان ولنا في حركة الكنعانيين والفينيقيين البحرية (وهم ورثة الأموريين وأشقاؤهم) إشارة إلى إمكانية نقل هذا الإله وأساطيره إلى اليونان . خصوصاً أن بلاد اليونان ، بجبالها ومرتفعاتها ، ترى في الريح والصاعقة والبرق والرعد أقوى ما في الطبيعة وأن (زو) الإله الذي يمثل الريح والصاعقة وقوى الجو يمكن أن يناسب تصوراتهم تلك .

كان زوس يمثل بالنسر وبرأس الميدوزا (وهي متوحشة مجنحة) وكان (زو) و(إمدوجد) يمثلان بجسد لبوة مجنحة ، وكانت شجرة البلوط مقدسة في عبادته فهي تشير إلى زوس وكانت الإلهة (إمدوجد) تفضل شجرة الخلاف (الصفصاف) القريبة الشبه من شجرة البلوط فهي تسكن فيها (راجع أسطورة إنانا وشجرة الخلاف السومرية) .

وهكذا فإننا لا نرى أي شك في اعتبار (زوس) صورة يونانية إغريقية من (زو) ويشي تشابه الاسمين بذلك تماماً ويتعزز ذلك بصفاتهما ورموزهما المشتركة .

ترد إشارة في إحدى أساطير زوس إلى القوة الخفية التي هي (القدر Moria) بأنها أقوى من زوس ، حيث تسأله زوجته (هيرا) في خبث أو استخفاف إن كان في وسعه أو نيته أن ينقذ من

الموت رجلاً كتب عليه أن يموت في لوح القدر ، وهذا يشير بشكل خفي إلى الأسطورة البابلية التي ترى أن قوة (إنليل) و (زو) تكمن في لوح القدر الذي يسرقه (زو) ليحكم به الكون .

كان معبد زيوس الرئيسي في بلدة (دودونا) في (أيبيروس) وهو أقدم مركز للنبوءة في بلاد اليونان . وكانت الإجابات على أسئلة السائلين تتم من طريق تفسير حفيف الرياح في شجرة البلوط القديمة الموجودة هناك أو في هديل اليمام في الأغصان أو خرير المياه في الينابيع ، وتلقب كاهنات معبد (دودونا) بـ (اليمام Peleiai)[12] .

ورغم أن الأسطورة تشير إلى ولادة زوس في كريت مما يرجّح المكان الذي دخل منه إلى بلاد اليونان من الشرق ، لكنّ القبائل الإغريقية الهابطة إلى اليونان كانت تتعبد إلهاً سماوياً دمجت صفاته الطقسية والهوائية مع إله كريت الخصبي والذي كان الفأس المزدوجة والثور من رموزه ، ولنلاحظ أن هذه الرموز هي نفسها رموز الإله إنليل السومري إله الهواء الذي كان معه (زو) .

ويرى هوميروس أن إله السماء الذكر الذي جاء مع الغزاة الآخيين قد نجح تماماً في فرض نفسه كشريك مسيطر في الزواج ، لكن الغزاة لم يتمكنوا من طمس معالم المعتقدات أو الآلهة القديمة . فظلّ (زوس) ذا طبيعة ثنائية أو مزدوجة ، أي يجمع بين عنصرين متناقضين تماماً : طبيعته كرمز للخصب التي تتضح من الأسطورة الكريتية عن مولده إذ تمثله كطفل أو شاب أو ثور تتجسد فيه روح الخصب والنماء والدورة النباتية وهي الأسطورة الوحيدة التي تتحدث عن موته (في كل عام ثم بعثه من جديد) ، وأما طبيعته كإله للسماء فقد أتى بها مع الإغريق الأوائل[13] .

الأسطورة الكريتية جعلت زوس الطفل شبيهًا بدموزي أو تموز حيث يرمز إلى روح النبات ودورته (ولادته ونموه وموته) كل عام في جزيرة كريت ، ولذلك فإنه حين كان طفلاً في كهف الجبل كان يسمى الصبي أو (أعظم الصبية) والصبي (كورتيس Kouretes) قد تشير إلى (كور) أي الشرق أو الجبل في اللغة السومرية ، أما ألقاب زوس فهي :

1- أب الآلهة والبشر (Pater - Patroos) أي راعيهم الروحي .

2- حامي المتوسلين Hikesios (أو الضارعين) .

3- راعي الغرباء Xenois .

4- إله فناء المنزل Herkeios أي المحيط بالمنزل لحمايته .

5- إله الأسرة وحامي ممتلكاتها Ktesios .

6- الإله الأعلى لدولة المدينة Polieus .

7- المحرر Eleutherios .

8- المخلّص Soter .

رموز الإله زوس :

1- النسر .

2- الصولجان .

3- الصاعقة (الزوبعة) Kataigis .

4- الدرع Aegis : يرسم كجلد الماعز ويزين في وسطه برأس ميدوزا .

5- شجرة البلوط .

6- شجرة الصفصاف .

زوس وزوجاته وعشيقاته :

أساطير (زوس) كثيرة جداً ولكن أهمها أساطير كزوج متقلب خائن وغير وفي وكعاشق سهل الإغواء يفتتن بالجميلات من الإلهات والحوريات والنساء البشريات فيما بعد .

ويمكننا أن نصنف نساءه كما يلي :

1- زوجاته :

أ- الأولى : ديوني (وهي الاسم المقابل لديون أي الإله) وهي إلهة قديمة كانت معه في دودونا وأنجبت منه أفروديت .

ب- الثانية : هيرا وأنجبت منه إله الحرب أريس .

2- أخته ديمتر (إلهة خصب الأرض) وأنجبت منه برسفوني إله العالم الأسفل وتعتبر هيرا وديمتر أخواته من الكرونيديات .

3- الجبارات القديمات وهن :

أ- ثيمس (العدالة) أنجبت منه الموريات ربات القدر والهوريات ربات الفصول .

ب- منيموسين (الذكاء) أنجبت منه الميوسيات ربات الفنون التسع .

4- بنات الجبابرة وهن :

أ- ليتو (الضوء) أنجب منها أبولو وأرتميس .

ب- مايا (ثريا) أنجب منها هرمس .

ج- يودينومي (   ) أنجب منها الخاريتات ربات الحسن الثلاث (ربات النعم) .

د- ميتس (   ) كانت سبباً في إنجاب أثينا من رأسه .

5- من النساء البشريات وهن :

أ- سيميلي (ابنة قدموس) أنجب منها ديونسيوس .

ب- الكميني (زوجة أمفتريون) أنجب منها هرقل .

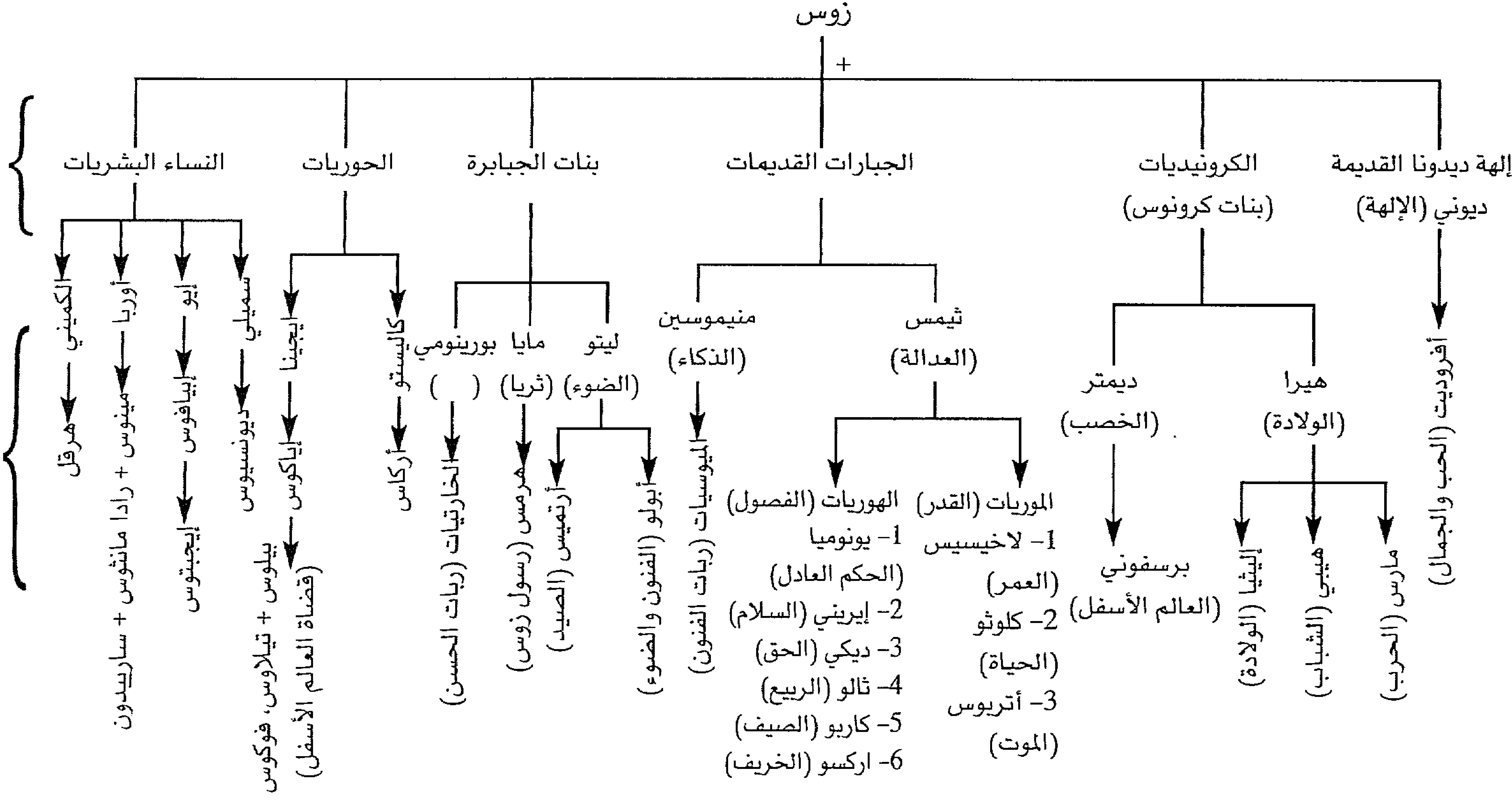
وتثير قضية زواج زوس من إلهات مختلفات الطبيعة والأجيال وحتى من نساء بشريات قضية قابلة للنقاش ، فهل كان (زوس) بحكم مركزه كملك للآلهة وزعيم للأولمب قادراً على ربط أغلب الإلهات به والإنجاب منهن لكي يحكم سيطرته على مظاهر الطبيعة من خلالهن ومن خلال ذريته منهن .

إن زواجه من إلهات الأرض مثل ديمتر وسميلي وبرسيفوني له ما يفسره ، فهو إله السماء الذكر القوي الذي يزيد الأرض إخصاباً بزواجه منهنّ . وكانت إلهات الأرض قديماً ، أو في أول الأمر ، يعبدن في أماكن مختلفة متباعدة . كانت أرجوس تعتقد أن هيرا هي قرينة (زوس) ، وإليوسيس تعتقد أن قرينته هي ديمتر بينما كانت طيبة تعتقد أنها سيميلي . وقد أدى ذلك إلى صعوبات بمجرد أن بدأت محاولة التوفيق أو التنسيق بين مختلف الأساطير المحلية[14] .

أما الزواج من النساء البشريات فيمكن تفسيره إما بتأليه هؤلاء النسوة قبل زواجهن من (زوس) بمعنى إيجاد جذر إلهي لهن أو لأسباب سياسية "فعندما كانت عبادة (زوس) تنتشر في مدينة كان يوجد فيها من قبل إله أو حاكم مؤلّه ، امتزج الاثنان تدريجاً في إله واحد . وعندئذ كانت زوجة الإله المحلي أو الحاكم المؤلّه تؤول إلى (زوس) . وعلى ذلك فإن نزعة التفاخر الأسري تفسر لنا كثيراً من قصص غرام (زوس) بآدميات وعلائقه النسائية التي لم ترق في أعين إغريق العصور التالية . ومع هذا فينبغي التنبيه إلى أن بعض النساء الآدميات اللائي عاشرهن (زوس) لم يكن أصلاً من البشر بل كنّ أنفسهن إلهات أو مؤلّهات"[15] .

ينجبُ (زوس) من جميع نسائه أبناءً ذوي صفات تشير إلى الجمال والحب والفنون والحياة إلاّ من زوجته الحقيقية الملازمة له (هيرا) فهو لا ينجب منها سوى (مارس) إله الحرب من عائلة الأولمب وابنتين هما (هيبي) إلهة الصبا و(إيليثويا) إلهة الولادة وهما إلهتان ثانويتان . أما كل أبنائه من آلهة الأولمب فكانوا من زوجات أخريات (كما هو موضح في المخطط) ويثير هذا الموضوع استغراب الباحثين ، فلماذا صارت الأمور هكذا . .؟!

مخطط (12)
تصنيف سلالة زوس بحسب أصل زوجاته



لقد كان (زوس) رب القبائل الإغريقية الأولى (التي نرى أنها أخذته من الإله البابلي زو) إلهاً للسماء والطقس ولا علاقة له بالأرض والخصب، أما (هيرا) فكانت إلهة الأرض والخصب القديمة، وكان لابد من اصطناع الزواج بينهما، ومع طغيان شخصية زوس تهمش دور هيرا خصوصاً أنها كانت إلهة الأرض المحلية لسكان اليونان القدامى، وهكذا كان لابد من أن تشير علاقة زوس بهيرا إلى علاقة الغازي بصاحب الأرض الأصلية وهي علاقة تهميش الآخر خصوصاً أن الصعود القوي للآلهة الذكرية كان قد توطد نهائياً إزاء الإله الأنثوي الأم القديمة وهكذا أصبحت هيرا مجرد زوجة تابعة لزوس وكان لابد من أن يظهر ذلك على أبنائها منه، أما ابنها الذي انجبته لوحدها وهو هنستايوس فيمثل القبح والدمامة وقد أنزل من آلهة الأولمب ليكون إله العالم الأسفل.

لكن الغزاة لم يتمكنوا من طمس معالم المعتقدات أو الآلهة القديمة، فظلّ زوس ذا طبيعة ثنائية أو مزدوجة أي يجمع بين عنصرين متناقضين تماماً: طبيعته كرمز للخصب التي تتضح من الأسطورة الكريتية عن مولده إذ تمثله كطفل أو شاب (Kouros) أو ثور تتجسد فيه روح الخصب والنماء والدورة النباتية، وهي الأسطورة الوحيدة التي تتحدث عن موته (في كل عام ثم بعثه من جديد). وأما طبيعته كإله للسماء فقد أتى بها مع الإغريق الأوائل(16).

يميل زوس إلى اختطاف زوجاته وعشيقاته، حتى (هيرا) اختطفها من أعماق الأرض وتزوجها وهو ما يفسر طبيعة (زوس) الهوائية الصاعقية الميّالة للاختطاف بسرعة الهواء.

هيرا Hera:

إلهة قديمة من آلهة اليونان والاسم (هيرا) هو اسم يوناني إغريقي بمعنى (السيدة) فهو مؤنث هيروس (Heros) بمعنى السيد أو الفارس، ولا يعرف اسمها القديم. وقد جعل الإغريق منها أختاً لزوس وزوجة شرعية له.

ونرى أن اسم (هيرا) له علاقة باسم (إر) أو (إرا) الذي هو الاسم الأموري القديم لإلهة الأرض حيث كان الاسم القديم للسماء هو (مر) وزوجته الأرض (إر) وكان (مر) يمثل إله طقس وعاصفة مثل (زوس) وإله سماء، وهكذا نعتقد هنا أيضاً أن اسم إلهة الأرض هذه (هيرا) هو اسم أموري قديم نزح إلى بلاد اليونان بصورة مبكرة.

وليس هناك فرق كبير بين (هيرا) و (ريّا) إذ يرجع كلاهما إلى اسم (إر) الأموري، أما اسم الأرض (جيا) فهو اسم سومري الأصل يقترب من اسم (كي) أي الأرض.

واستقرت الأساطير على جعل هيرا ربة للزواج وراعية للنساء وكل ما يتصل بحياتهن الجنسية كالحمل والولادة والرضاعة. وقد اكتسبت وفق هذه الوظيفة المتشعبة ألقاباً كثيراً منها:

1- زوجيا Zugia : ربة الزواج (الزوجة) .

2- جاميليا Gamelia : (الجميلة) : راعية الزواج الشرعي المصحوب بالمراسم الدينية ومنه شهر جاميليون عند الأثينيين الذي يصادف تقريباً بداية السنة (يناير أو كانون الثاني) ولذلك سمي الشهر الأول من السنة يناير على اسم مرادفتها الرومانية يونو (جونو) .

3- الفتاة Pais .

4- الأرمل Chera .

5- إلهةالنير Zeuxidia (الخشبة التي تشير إلى الثيران) .

6- الغنية بالثيران .

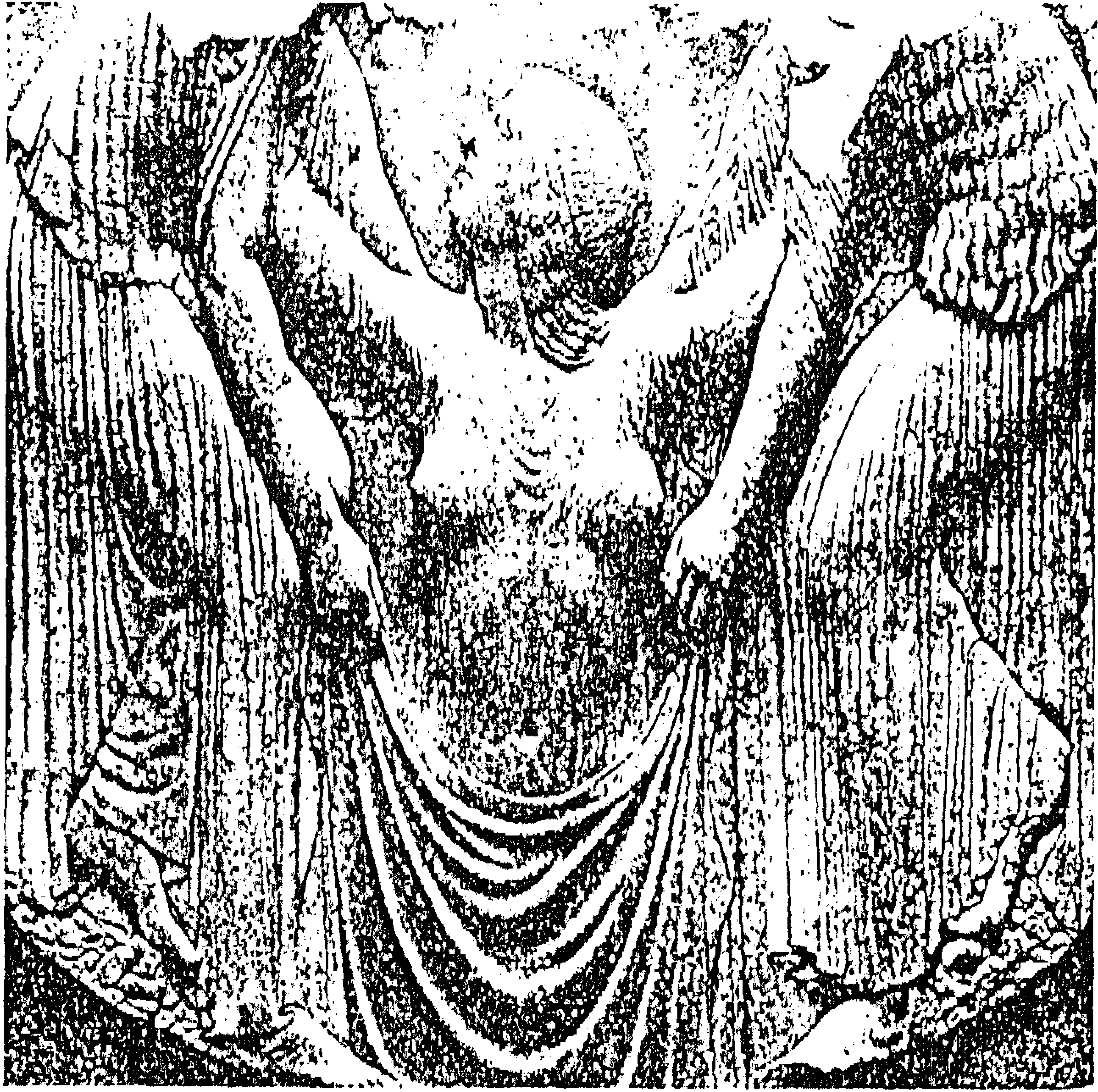
7- ذات عيني البقر (وأحياناً المها) .

8- ربة الزهور (إكليل زهور السوسن) .



شكل (63)

رأس الإلهة هيرا ذات العينين البقريتين



شكل (64)

الإلهة هيرا وهي تستحم

وتقول الأساطير إنه بعد أن هزم (زوس) أباه (كرونوس) وجعله يلفظ من بطنه أخوته قام بإبعاد أبيه وأمه نحو أقاصي الأرض ، فحملت الأم (ريّا) ابنتها (هيرا) معها إلى هناك لتعمل على تربيتها (وهو ما يفسر كون هيرا إلهةً للأرض في أصلها) وقامت الإلهة (فيتيدا) بتربيتها وهناك عاشت بعيداً عن الأولمب . لكن (زوس) شاهدها ذات مرة فأحبها واختطفها من فيتيدا وعلى الأولمب احتفل الآلهة بزواجها احتفالاً كبيراً وكلّ إله وإلهة قدّم لها خدمة فقد ألبستها (إيريدا) ثوبها وأهدتها (هيبيا إلهة الأرض) شجرة تفاح من أعماقها ذهبية الثمار ، وجلست (هيرا) على العرش متألقة وزاهية .

و(هيرا) شديدة البأس ، لا تجاريها في ذلك أيّ إلهة من الإلهات . إنها تنحدر من على جبل الأولمب فوق مركبةٍ يجرها حصانان خالدان باديا القوة ، ترفل في ملابسها الطويلة التي حاكتها (أثينا) بيديها ، عربتها مصنوعة من الفضة تتألق دعائمها بالنحاس أما عجلاتها فمن الذهب الخالص ، ويفوح عطر الروائح فوق الأرض التي تلمسها (هيرا) ويحني كل مخلوق رأسه إجلالاً لها(17) .

كانت مدينة (أرجوس) أقدم مكان عبدت فيه (هيرا) وتلقبت بـ (هيرا الأرجية Hera Argeia) ، وكان أشهر معبد لها في بلدة باسمها هي بلدة (هيرا) يوم (Heraeum) شمال (أرجوس) بستة أميال ، ولها مركز عبادة آخر في (ساموس) (حيث ولدت هيرا) حيث كان يقام فيها احتفال سنوي يقوم فيه الناس بنقل تمثال (هيرا) سراً من معبدها ويخفونه قرب الشاطئ .

وفي جزيرة (يوبويا) عاشت (هيرا) فترة شبابها وهربت مع (زوس) من هناك ليتزوجا عند جبل كيتايرون (قرب بلاتيا) في بويوتيا وهو ما يناقض فكرة زواجهما على جبل الأولمب ، وقد ادعت عدة مدن ولادة أو نشأة أو زواج (هيرا) فيها لإضفاء القداسة عليها .

وقد كانت (هيرا) تعاني من مكر وألاعيب وخداع وخيانة زوجها (زوس) لها ، ولذلك كانت شديدة الغيرة وكرست كل حياتها للكيد لزوجاته وله ولأبنائه منهن مثل ليتو التي أنجبت أبولو وأرتميس ، وسميلي التي أنجبت ديوتسيوس وحتى أثينا التي أنجبها زوس من رأسه .

لكن (هيرا) لم تخن (زوس) مع غيره ولكنها نكايةً بزوس أنجبت دون مضاجعة مع أحد (أي من نفسها) ثلاثة من الآلهة قدّر لهم أن يؤدوا أدوارًا كبيرة في الأساطير الإغريقية وهم :

1- آريس (مارس بالرومانية) الذي يرجّح أنه لم يولد من (هيرا) و (زوس) كما هو شائع ، إذ حملت به أمه هيرا إثر لمسها زهرةً غريبةً من زهور الربيع وهو ما جعله في البداية رباً لإخصاب الحيوان والنبات قبل أن يصبح إلهاً للحرب ، أي بكلمات قليلة أن (هيرا) لم تنجب من (زوس) أي إله ذكر أولمبي ، وهذه مفارقة كبيرة تشير إلى معانٍ عميقة منها أن الكهنوت الإغريقي أقصى (هيرا) تماماً عن أن تكون صاحبة ذرية مهمة من (زوس) ويكمن هذا في اعتقادهم بأنها إلهة أرض قديمة غير هيلينية الأصل .

2- هيفايستوس (فولكان بالرومانية) وهو إله بشع دميم صار حداد الآلهة وحاكم النار الجبار ، وقد أنجبته من الريح أو النار انتقاماً من زوس لأنه أنجب أثينا من رأسه .

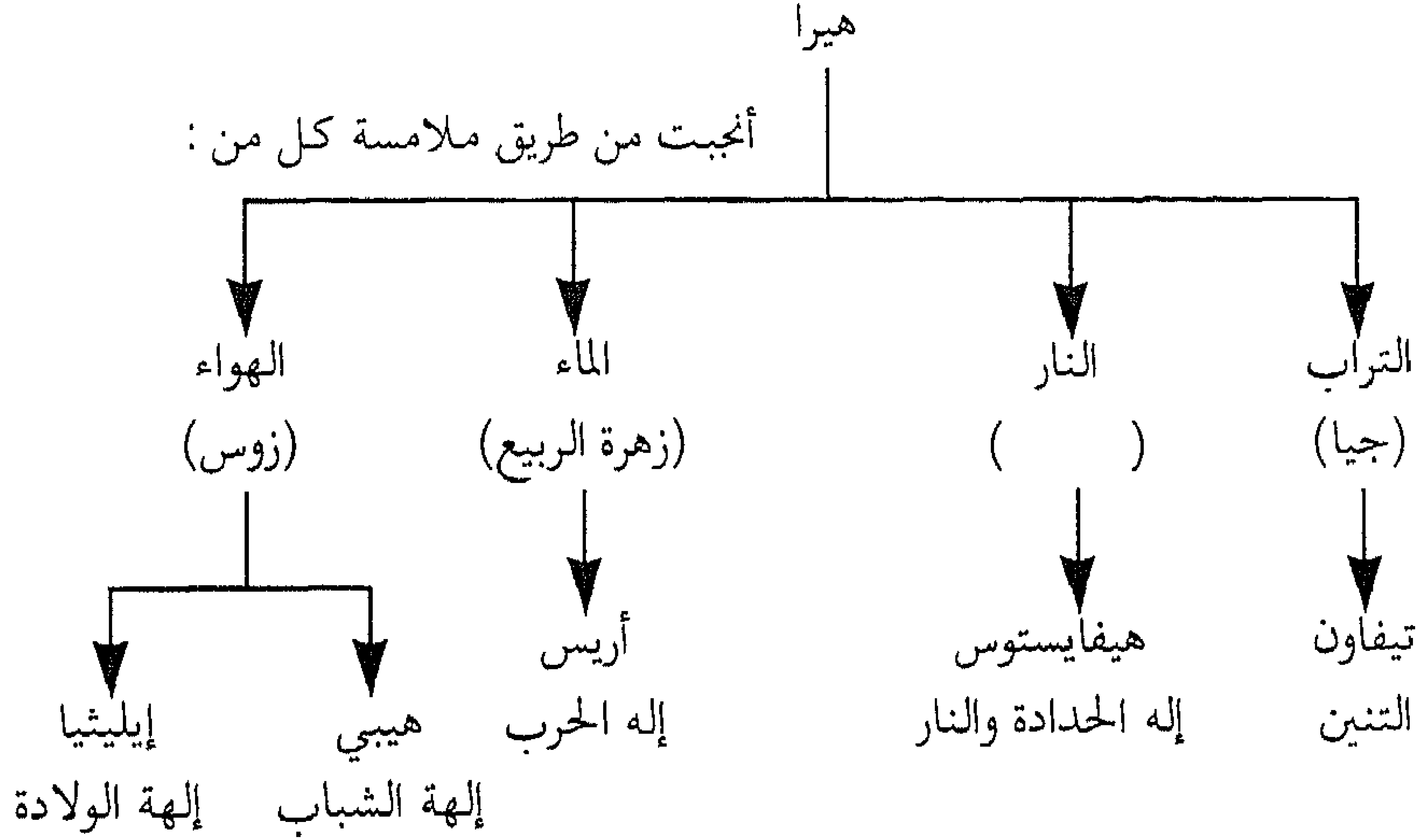
3- تيفاون Typhaon (وهو ليس تيفون ابن جيا وتارتاريوس) فقد أنجبته عندما توسلت الآلهة القديمة وضربت الأرض بيدها القوية فسرت رعدة في أوصال جدتها (جيا) مصدر الحياة كلها وحملت به ، وهو تنين رهيب كان وبالاً على البشر حملته (هيرا) إلى دلفي حيث عهدت به إلى التنينة بيثون (Python) تلك الأفعى الهائلة التي قتلها أبولو بسهمه .



شكل (65)

تيفاون ابن هيرا: نصفُه الأسفل مكون من ثعبان ملتف ونصفُه الأعلى مكون من نصف أعلى لرجل بجناحين شمسيين.

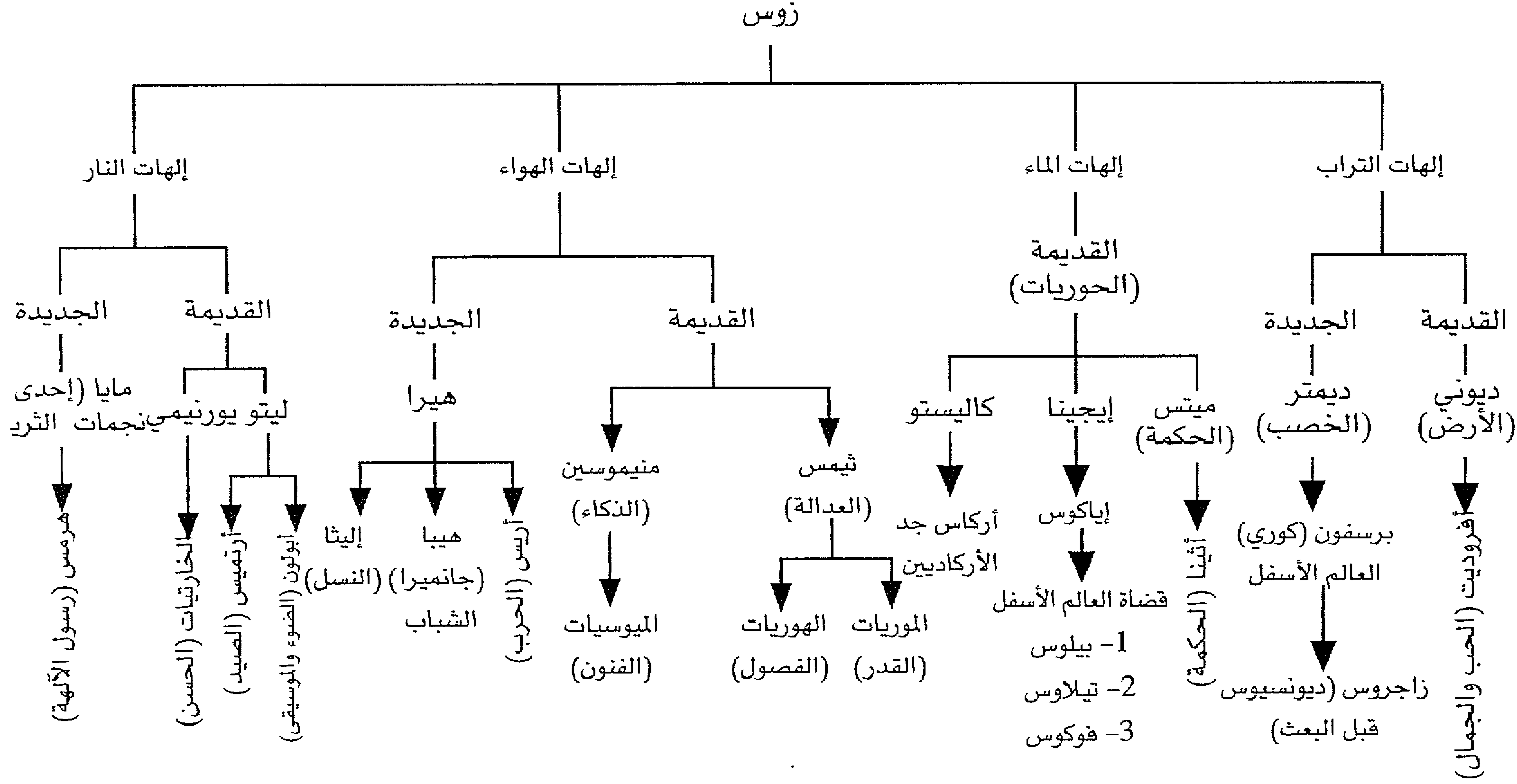
وهكذا يتضح لنا ، بشيء من التفكير العميق ، أن (هيرا) أنجبت من اتصاله بالعناصر الأربعة أو بآلهة العناصر الأربعة (التراب والهواء والنار والماء) آلهة يمثلون طبيعة هذه العناصر :



وهكذا نرى في الجدول أعلاه أن (هيرا) تنجب آلهة قاسية مدمرة (آلهة الموت) من ذاتها عندما تلامس التراب والنار والماء ، أما عندما تلامس الهواء (زوس) فتنجب آلهة الحياة وهو ما يرجّح تحليلنا السابق حيث وصمت هذه الآلهة بالجفاء من قبل كهنة الإغريق الذي تجلى في الجفاء الذي واجهته من قبل كبير الآلهة الإغريق (زوس) .

مخطط (13)

تصنيف سلالة زوس حسب طبيعة زوجاته



سلالة زوس من زوجاته الترابيات:

1- من الإلهة الترابية القديمة (ديوني) :

لعل أقدم إلهة اقترن بها (زوس) هي الإلهة (ديوني) الموجودة في دودونا في أبيروس وهي واحدة من إلهات الأرض القديمات ومعنى اسمها (الإلهة) الذي هو مؤنث (ديون) لقب (زيوس) . ونرى أن ديون هو (ديو) القريب من لفظ الضوء الدال على (زوس) ، ولذلك ظهر في دودونا معبد (زوس) الذي كان أقدم مركز للنبوءة (Araculum) في اليونان . وكانت الشجرة المقدسة للإلهة ديوني هي شجرة الصفصاف التي يتم من خلال حفيف أوراقها التنبؤ بالغيب ، أو أن حمامتها المقدسة (اليمامة) كانت تنبئ بذلك أو خرير نبعها المقدس هناك .

وتلقب كاهنات دودونا بـ (اليمام Paleiai) . وقد أنجب (زوس) من ديوني الإلهة أفروديت إلهة الحب والجمال ، في حين رأينا أن أفروديت ظهرت من سقوط العضو الذكري المقطوع لأورانوس (إله السماء) في زبد مياه البحر لكنها كما يبدو كانت إلهة الأمطار هناك . أما (أفروديت) ابنة (زوس) و (ديوني) فكانت إلهة الحب والجمال . ويبدو أن تحول (أفروديت) من إلهة سماء ومرسلة أمطار وإلهة بحر إلى إلهة الحب والجمال كان تدريجاً وبتأثير عبادة الإلهة الشرقية (عشتار) و (عشتروت) في بابل وكنعان .

2- من الإلهة الترابية الجديدة (ديمتر) :

يمكننا اعتبار (هيرا) إلهة ترابية جديدة ولكنها تحولت بسبب اقترانها بزوس إلى نظيرة له أي إلى إلهة هوائية واختصت برابطة علاقة الزواج ولذلك سنتناولها مع الهوائيات .

أما أختها الإلهة (ديمتر) فإلهة أرضية ترابية اختصت بنفخ الخصب في الأرض ، وهي إلهة الزراعة والبذور المعبودة من قبل الفلاحين .

كان اسمها القديم هو ديو (Deo) وربما كانت مطابقة لديوني ثم أضاف إليها الإغريق لفظ ميتر (Meter) أي الأم . «وأما معنى (ديو) أو (دي) فهو موضع خلاف بين علماء اللغة . يقول بعضهم إنه مرادف للمقطع جي (ge) بمعنى الأرض وأصل (ge) في السومرية (ki) وفي اللغات السامية الغربية بمعنى الوادي وأصبحت تلفظ دي (de) في اللغة الإغريقية . وإن اسم الربة بذلك يكون (أم الأرض) أو (ربة الأرض) ، ويقول بعضهم الآخر إن معناه نوع من القمح بحيث إن اللفظ تحريف لكلمة زيا (Zeia) ، ويرى فريق ثالث أنه يقابل لفظ (deai) في لهجة أهل كَريت وأن معناه الشعير . ويميل بعض العلماء إلى ربطه بفعل في اليونانية بمعنى (يعطي)»[18] .

ونرى أن جميع هذه التفاسير صحيحة إذا نظرنا إليها من خلال تسلسل تاريخي له علاقة بهجرة هذا الاسم من أصوله الأمورية - الآرامية فهو (زيا) بمعنى ضياء ومقابل (زو) بمعنى ضوء (وزو هو أصل اسم زوس كما بيّنا وهو إله الريح القاسية البابلي) . ولأنه يمكن أن يلفظ أيضاً ضياء ، أو دياء ودو أو ضوء فيكون معناه إله أو الإلهة بابلياً والشعير في لهجة كَريت وله علاقة بـ(جيّا) إلهة الأرض والدية هي العطاء ولذلك يأتي معناه بمعنى يعطي . ويسلط اسم ديمتر الضوء على الأصل السامي للإلهة الأم ولإلهة الهواء الأكبر (زوس) .

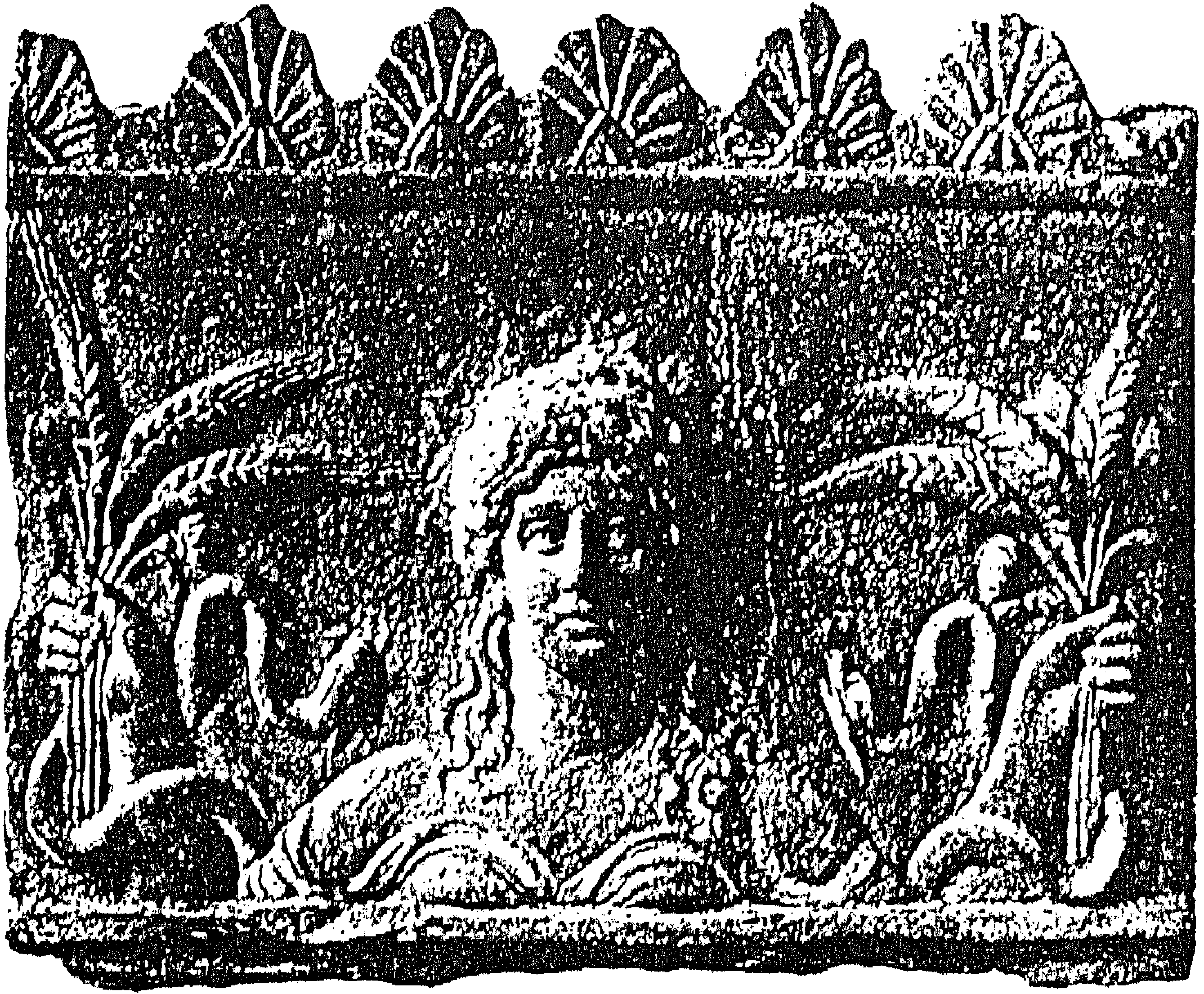
تعتبر ديمتر امتداداً لجيا وريا (سيبيل) ورغم أن المعنى الحرفي لاسمها يشير إلى أنها (أم الأرض) لكنها في الحقيقة تمثل قوة الخصب فيها ، رغم أن بعض الباحثين رأى أنها تمثل (ربة القمح) فقط . لكنها مسؤولة عن الخصب وتعليم الزراعة ولذلك تعتبر أم الحضارات وجالبة نواميس الحضارة ومن هنا جاء عيدها المسمى (ثيسموفوريا) الذي يعني جالبة الكنوز .

وهي أيضاً مانحة الخلود من طريقين ، إما من طريق ممارسة الطقوس الإليوسية التي تضمن للمتعبد خلود روحه بعد الموت وإما أن لها علاقة بالحقول الإليزية الفردوسية بعد الموت .

ترجع أصول عبادتها إلى كَريت ثم نجدها في بلدة إليوسيس (Eleusis) بإقليم أتيكا قرب أثينا ، حيث عثر على قاعة الأسرار الدينية لها والتي تشبه مسارح ومدرجات قصري كنوسوس وفايستوس في كَريت .

رموز ديمتر :

1- السنبلة
2- كوز الذرة
3- المشعل
4- رأس الفرس (في أركاديا) تماثلاً مع بوزيدون
5- الثروة
6- الحقول
7- الحمامة
8- الأفعى



شكل (66)

ديمتر وهي تمسك أغصان الذرة وأفاعي الخشخاش. طين محروق. متحف تيرم. روما

الرجال الذين ارتبطت بهم :

1- إياسون (ياسوس) : ربما كان تراقي أو كَريتي الأصل (أخ دردانوس الجد الأول للطراويين) ، وربما كان إلهاً زراعياً قديماً ، وقد جامعته ديمتر في حقل محروث ثلاث مرات ولما سمع زوس بذلك قتله بصاعقته .

2- تربتوليم (ترابطليموس) : علمته الزراعة وجهزته بعربة ذات أفاع مجنحة وهو ابن ملك إيليفسين (المدينة التي حلّت فيها ديمتر سابقاً) وقد ذهب تربتوليمٌ باكتشاف الزراعة إلى الملك لينخ في بلاد السكيف البعيد الذي حاول انتزاع هذا الاكتشاف ونسبه لنفسه وقتل

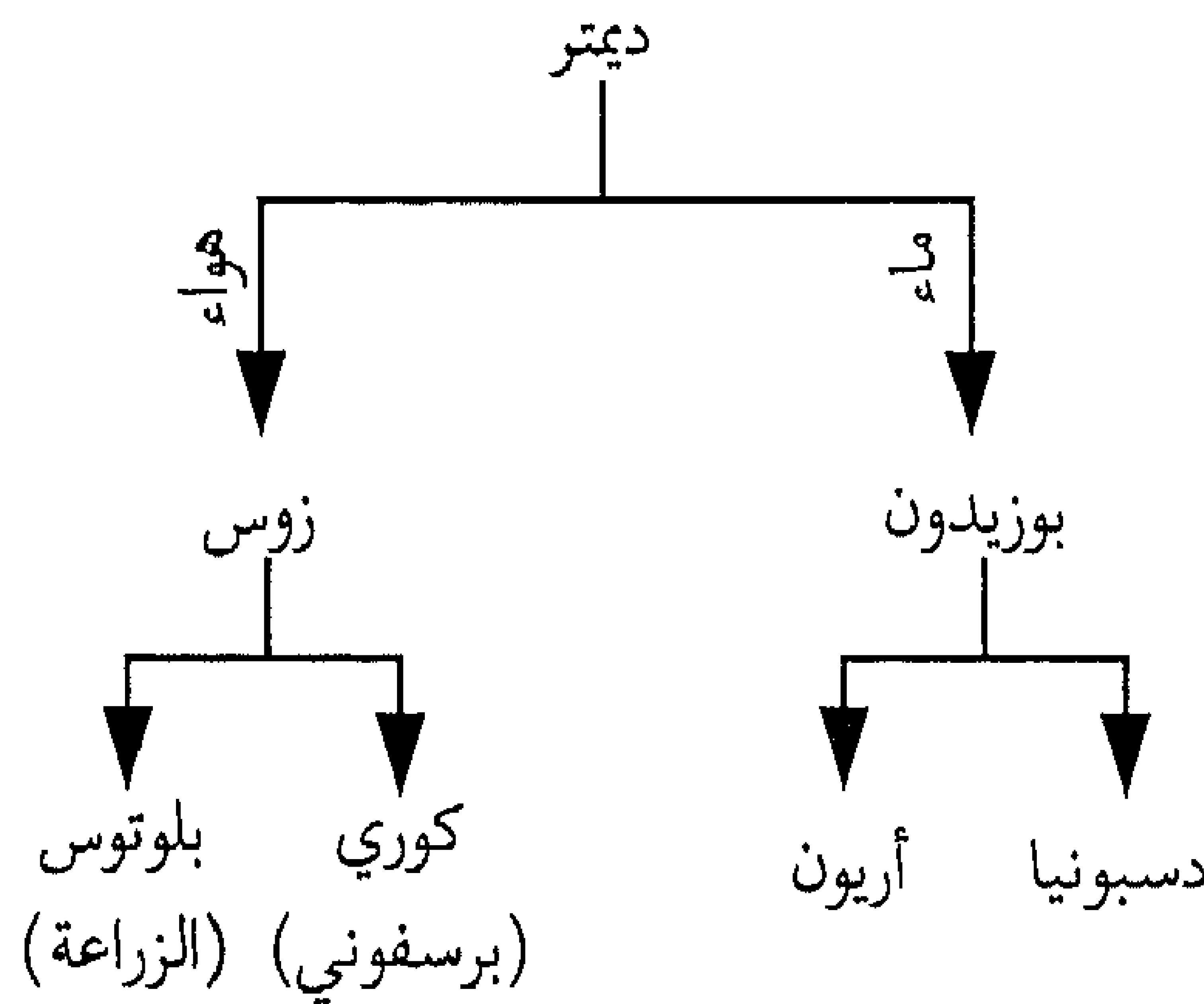
تربتوليم لكن ديمتر مسختة إلى قط بريّ ورمته في الأدغال ، وغادر تربتوليم السكيف في عربته من بلد إلى آخر وعلّم الناس الزراعة .

3- أريسيختون : وهو ملك فيساليا الذي حاول إهانة ديمتر بقطع البلوطة القديمة في غابة الآلهة وهي مقر ضيفة ديمتر (الدريادا) حيث قطع البلوطة والدريادا ومن اعترضه فقامت ديمتر بتسليط إلهة الجوع على أريسيختون فنفثت فيه جوعاً أبدياً يزداد كلما تناول طعامه فباع كل ما يملك حتى ابنته (التي أنقذها بوزيدون بقدرتها على التحول من أيدي البائعين بمسخ نفسها إلى طائر ، أو حصان أو بقرة) ونهش الجوع في أريسيختون حتى مزق جسده بأسنانه ومات صريع آلامه .

الآلهة الذين ارتبطت بهم :

1- بوزيدون : أنجبت منه الإلهين دسبونا وأريون وهما حصانان جامحان .

2- زوس : أنجبت منه كوري (برسفوني) التي صارت إلهة العالم الأسفل و(بلوتوس Ploutos) وهو غير هاديس بلوتون ، فهو مسؤول عن الثروة الزراعية وربما كان هو أصل تسمية بلوتون (الثروة) التي ارتبطت بهاديس .



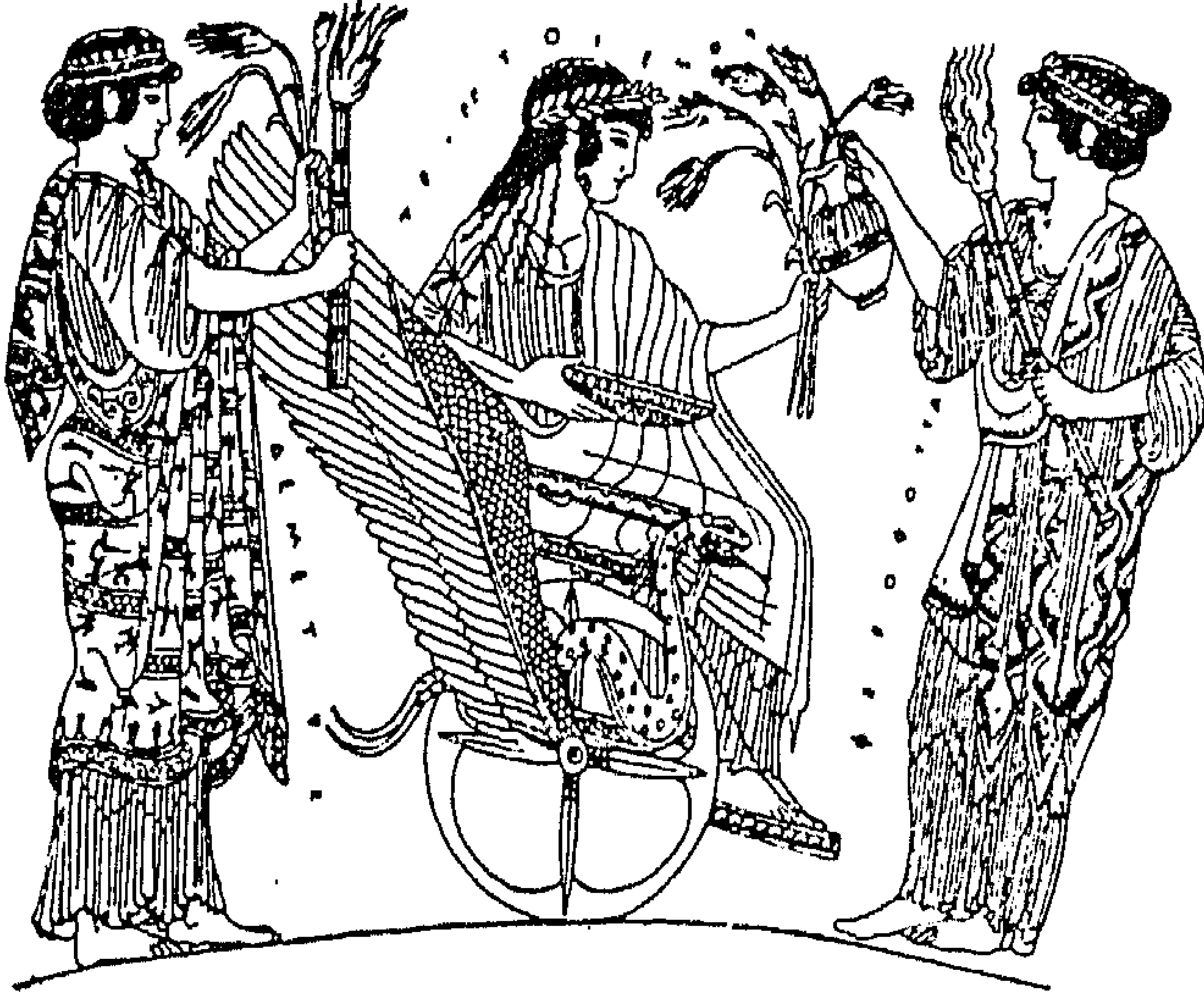
اسطورتها المركزية (البحث عن كوري) :

كنّا قد مررنا سريعاً على أسطورة ديمتر هذه عند حديثنا عن الإليوسية والحقيقة أن هذه الأسطورة تشير إلى أن ديمتر هي أول من علّم الإنسان الزراعة فهي تشير إلى أنها أعطت ترابطليموس بذور الحنطة ليضعها في التراب ثم يجني محصوله منها ثم أمرته بنشر هذا الاكتشاف

في العالم كله بعد أن هيأت له مركبة أسطورية شدّت إليها الأفاعي المجنحة ليذهب إلى أطراف الأرض ويعلم الناس الزراعة . كذلك تفسر هذه الأسطورة دورات الفصول وسبب حلول الشتاء والصيف والربيع حيث يشير غياب ابنتها برسفوني (كوري) إلى حلول الخريف والشتاء عندما تذهب إلى العالم الأسفل ، أما عندما تصعد كوري لزيارة أمها في العالم الأرضي فإن الأرض تخضرّ ويحلّ الربيع .



شكل (67)
تريتوليم
(ترابطليموس)
بين ديمتر وكوري



شكل (68)
تريتوليم
(ترابطليموس)
فوق مركبته ذات الثعابين المجنحة وعلى يساره الإلهة ديمتر تمسك بمشعل وسنابل، وعلى يمينه الإلهة برسفوني (كوري) تحمل جرة وشعاراً
(رسم على مزهرية)

تبدأ الأسطورة (بحسب أحد أناشيد هوميروس) بظهور برسفوني ابنة (ديمتر) من (زوس) وخروجها إلى وادي نيس (في منطقة ميجارا) لتعلب مع صاحباتها ، وهناك يلمح آييد (هاديس) هذه الفتاة فيحول نفسه إلى زهرة ويخطفها عندما تحاول قطفها ويذهب بها إلى العالم الأسفل ، تعرف ديمتر بذلك وتبحث عنها لعشرة أيام ثم تذهب إلى إله الشمس هيليوس فيخبرها بأن زوس قد زوَّجها لأخيه هاديس وتوّجها هناك .



شكل (69)
تتويج هاديس وبرسفوني في العالم الأسفل، طين محروق من لوكري حوالى 470-450 ق.م متحف تورنتو

غادرت ديمتر جبال الأولمب وتخفت بصورة امرأة بسيطة متشحة بالسواد تبحث عن ابنتها وحين وصلت إلى مدينة (إيليفسين) حيث تشاهدها بنات الملك كيليوس فتسمي نفسها(ديو) وأنها من كَريت فيطلبن منها أن تذهب معهن إلى والدتهن (ميتانيرا) لتربي أخاهن (ديموفونت) ، وربت الطفل وأرادت أن تمنحه الخلود في طقوس تضعه فوق موقد النار ملفوفاً بالأقمطة فلما رأت ذلك والدة الطفل خافت على ولدها وطلبت من ديمتر أن تكفّ عن ذلك وهو ما اضطر ديمتر للكشف عن شخصيتها والقول لها بأنها كانت تريد منحه الخلود فخشع لها الجميع وأمرت أن يبنى له معبد في إيليفسين عند نبع كاليخورا حيث أقامت فيه لكن حزنها ظلّ ملازماً لها فأجدبت الأرض ، ولذلك قام زوس بإرسال (ايريدا) رسول الآلهة لها لتعود إلى جبل الأولمب ثم أرسل غيره لكنها رفضت قبل أن تعود ابنتها إليها . أرسل زوس رسوله (هرمس) إلى هاديس ليقبل بالسماح لبرسفوني والخروج إلى أمها ففعل هاديس ذلك ،لكنه أعطاها حبّة رمان (رمز الوثاق الزوجي) فابتلعتها قبل خروجها ، فخرجت برفقة هرمس إلى أمها . فاحتضنتها أمها وعادت معها إلى جبل الأولمب وهكذا قضى زوس أن تقضي ثلثي العام مع أمها (حيث يكون الربيع على الأرض) وأن تعود إلى زوجها في العالم الأسفل في الثلث الأخير (حيث يكون الخريف على الأرض) حيث تغرق ديمتر مرة أخرى في أحزانها ويحلّ الجدب .



شكل (70)

ديمتر (الجالسة) وبرسفوني التي تعود إلى أمها في الربيع بعد سباتها الشتوي في العالم الأسفل حيث تحمل ديمتر ثلاث حزم من الذرة بينما تحمل برسفوني مشعلين ملتهبين وتبدو برسفوني وكأنها الشكل الآخر (السفلي) لديمتر. اليوسيس /القرن الخامس قبل الميلاد.

زاجريوس ابن برسفوني :

هناك أسطورة أورفية مأخوذة عن إحدى أساطير تراقيا أو فريجيا تقول بأن زوس عشق ابنته برسفوني وفكر في طريقة للاقتران بها ، ولجأ كعادته إلى التناسخ أو التماسخ (Metamophosis) فقلب نفسه إلى إفعوان ودخل إلى مغاور العالم الأسفل وأغواها وضاجعها فولدت منه ولداً هو زاجريوس (أو زاغروس أو زاجروس) وكان جميلاً جداً ، ويبدو أن هذه الحادثة ذات أصل كَريتي أيضاً بدليل وجود مدينة زاجروس في شرق كَريت . ولا أدري إن كان من حقنا أن يطفح بنا الخيال فنقول إن سلاسل جبال زاجروس شمال شرق العراق لها علاقة بهذا الإله أم لا؟

لكنّ الإلهة هيرا الزوجة الغيور لزوس أكلتها الغيرة وقررت التخلص من هذا الإله الجميل زاجريوس فحرضت الجبابرة (التيتان) على أكله فأغروه باللعب بمرآة حتى أخذوه وقتلوه ومزقوه والتهموه ، وحين علمت الإلهة أثينا (ابنة زوس) بذلك خلّصت قلبه من بين أيديهم قبل أن يلتهموه وحملته إلى زوس الذي نفخ في قلبه النابض وأعاد خلق زاجريوس باسم جديد هو (ديونسيوس) . وفي العقيدة الأورفية أن بقايا زاجريوس دفنت عند قدم جبل برناسوس وأصبح أحد آلهة العالم الأسفل يستقبل أرواح الموتى ويساعدها على التطهر . وهو ما آمنت به العقيدة الأورفية ولذلك يجب ألاّ نستغرب من وجود الإله ديونسيوس في العقيدة الإليوسية حيث يشكل ديونسيوس أحد أعظم القوى التي تبعث الحياة في العالم .

أما (التيتان) الذين التهموا جسد زاجريوس فقد صعقهم زوس ببروقه وأحرقهم ، ومن رمادهم خلق زوس البشر ولذلك حمل البشر في أجسادهم بقايا التيتان المحترقين (وهو ما يفسر الشر في جسد الإنسان) ، وحملوا في أرواحهم بقايا جسد الإله زاجريوس (وهو ما يفسر الخير في روح الإنسان) وهذا ما ذهبت إليه العقيدة الأورفية التي ترى أن روح الإنسان مادة إلهية محبوسة في جسد شيطاني مادي ويجب أن تتحرر هذه الروح أثناء الحياة بممارسة الطقوس والشعائر الخاصة . أما بعد الموت فتجد لها شفيعاً يلحقها بالآلهة التي هي أصلها .

سلالة زوس من زوجاته المائيات:

1- من الإلهة المائية ميتس (الحكمة) :

كانت ميتس Metis (ابنة أوقيانوس وثيتس) قد اشتهرت بالحكمة وأعجبت الإله زوس لكنها تنكرت بصور مختلفة هرباً منه ، ثم تمكن منها في آخر الأمر وحملت منه . لكن المويرات (إلهات القدر) كشفن لزوس نبوءة مفادها أن ميتس ستلد منه ذكراً وانثى وسيقوم الذكر بإزاحته عن العرش كما أزاح هو أباه وكما أزاح أبوه جده ، فخاف زوس واستدرج ميتس حتى ابتلعها ليأمن شرّ ولادتها . ومرّ زمنٌ نسي فيه الحادث حتى شعر ذات يوم بصداع مؤلم في رأسه وأحسّ بأن رأسه على وشك الانفجار فأخذ يعوي كالمجنون فهرع إليه هرمس ثم هيفايستوس الذي هرع بفأسه واقترح هرمس أن يخلّص هيفايستوس أباه من عذابه فيهوي على رأسه بالفأس ليخرج سبب الألم ، ففعل هيفايستوس ذلك فظهرت أثينا من رأس زوس المشجوج وهي مدججة بدرعها وخوذتها وسلاحها ، وسنتناول أثينا في فقرة قادمة . والمهم أن نرى في هذه الأسطورة أن الحكمة تلد من الماء (الإلهة المائية ميتس) وأنها لا تلد بشكل مباشر بل من طريق زوس نفسه من رأسه ومن عقله . . إذ لابد لها من أن تمر بحكمته هو وهكذا روّض فعل ابتلاع ميتس وجنينها نبوءة المويرات ولذلك خرجت أثينا بعدتها الحربية مستعدة للقتال لكن تآلفها مع أحشاء وجسد زوس منعها من أن تكون قاتلة له ، ولذلك أصبحت فيما بعد أحب أبناء زوس إلى قلبه .

2- من الحوريات (النيمفات) : **ارتبط زوس بعلائق مع الحوريات العذراوات منهن :**

إيجينا : التي أنجب منها إياكوس الذي أنجب قضاة العالم الأسفل ، وهم (بيلوس ، تيلاوس ، فوكوس) .

كاليبستو : التي أنجب منها أركاس جد الأركاديين .

سلالة زوس من زوجاته الهوائيات:

1- من إلهات الهواء القديمات (الجبّارات) :

ثيمس : كانت ثيمس من جيل أقدم من جيل زوس ولم تتزوج من أحد الجبارين هي وأختها منيموسين ، وكانت ثيمس تمثل (العدالة) فقام زوس بالاتصال بها وأنجب منها مجموعتين من الإناث هن الموريات (ربات القدر) والهوريات (ربات الفصول) :

الموريات (ربات القدر الثلاث) وهن :

1- كلوتو التي تنسج خيط الحياة .

2- لاخيسيس التي تحدد طوله .

3- أتروبوس التي تقطعه .

الهوريات (ربات الفصول الثلاث) وهن :

1- ديكي .

2- يونوميا .

3- إيريني .

وسميت الهوريات بربات الساعات أيضاً وأوكلت إليهنّ مقاليد الجوّ بما فيه من تغيرات ونظام الفصول ، واستمرارية الإخصاب بين النبات والحيوان والإنسان وكان هؤلاء الربات يصورن في هيئة فتيات فاتنات عليهن ثياب فضفاضة طويلة وفي أيديهنّ زهرات أو فاكهة أو سنابل القمح ، وقد وقفن على أبواب الأوليمبوس يحرسنها ، وهي الأبواب التي ينطلق منها الآلهة إلى عالم البشر في تطوافهم . وكنّ جد موصولات بأفروديت وديونسيوس وأبولو وديمتر . وإليهنّ كان الناس يتضرعون ويبتهلون إذا أراد أحدهم أن يتزوج ، وإذا حان لإحداهنّ أن تلد ، أو إذا كان ثمة أمل يريدون أن يتحقق[19] .

منيموسين : إلهة الذكاء التي أنجبت لزوس ربّات الفنون التسع (الموساي) أو (الموسيّات) وهن :

1- أوراني : ربة الفلك

2- كليو : ربة التاريخ

3- يوتيربي : ربة الموسيقى

4- تيربسيخوري : ربة الرقص

5- ميلبوميني : ربة التراجيديا

6- إيراتو : ربة المراثي

7- بوليمني : ربة الشعر الغنائي

8- كاليوبي : ربة الشعر الحماسي

9- تالي : ربة الكوميديا

ولأن إلهات الفنون من أصل مائي فكنّ يرتبطن بالأنهر والشلالات ويتنبأن (مثل الموريات) عن المستقبل "وغدا ارتشاف جرعة من مياه ينبوع كاسّوتيس جزءاً من طقوس العيد البيثوي ، ولما كان النبي أو العرّاف شاعراً عادة ، فقد آمن البعضُ بأن ربات الفنون يلهمن من يخترنه ليلقي منظومات الوحي الإلهي بل وليقرض الشعر أيضاً . وقد اتخذت ربات الفن صورة البشر ، واتصفن بالحكمة والإلمام بالقصص كافة وإلهام من يخترنه لروايتها ، وهكذا أصبحن راعيات لفروع الفنون والآداب"[20] .

وتركزت عبادتهن في مناطق الماء النهرية والينابيع مثل منطقة بييرا قرب جبل الأولمب في تيساليا وسمين (البيريات) ، وجبل هلكون في ببويتا فسمين (الهلكونيات) وفي أماكن أخرى كثيرة .

2- من إلهات الهواء الجديدات (هيرا) :

(هيرا) زوجة زوس الحقيقية وما عداها كنّ عشيقات له ، لكن هيرا كانت إلهة ترابية تعنى بالأرض وهي وريثة أمها (جيا) لكننا نراها هنا إلهة هوائية لأنها تخلت عن وظيفتها قبل الزواج وأصبحت إلهة الزواج والعلاقة الزوجية واكتسبت الصفات الهوائية تدريجاً وتركت لأختها (ديمتر) وظيفتها القديمة .

والحقيقة أن علاقة هيرا بزوس محيّرة فهي بقدر ما كانت زوجته لكنه لا يحبها كثيراً ولا يتصل بها ولذلك كانت غيرتها مشتعلةً عليه . وقد قلنا إن ولدها الوحيد منه هو (أريس) لكن أسطورة أخرى تقول إنها أنجبته لوحدها بعد أن لامست زهرة غريبة من زهور الربيع ، وهو ما جعل أريس في البداية ربّ إخصاب الحيوان والنبات قبل أن يصير إلهاً للحرب .

ونرى أن أريس كان فعلاً في بدايته إله إخصاب لكن انتسابه اللاحق للإله زوس من هيرا هو الذي أكسبه صفاته الحربية والعسكرية لأن مثل هذه الصفات هوائية وكان يمتلكها زوس .

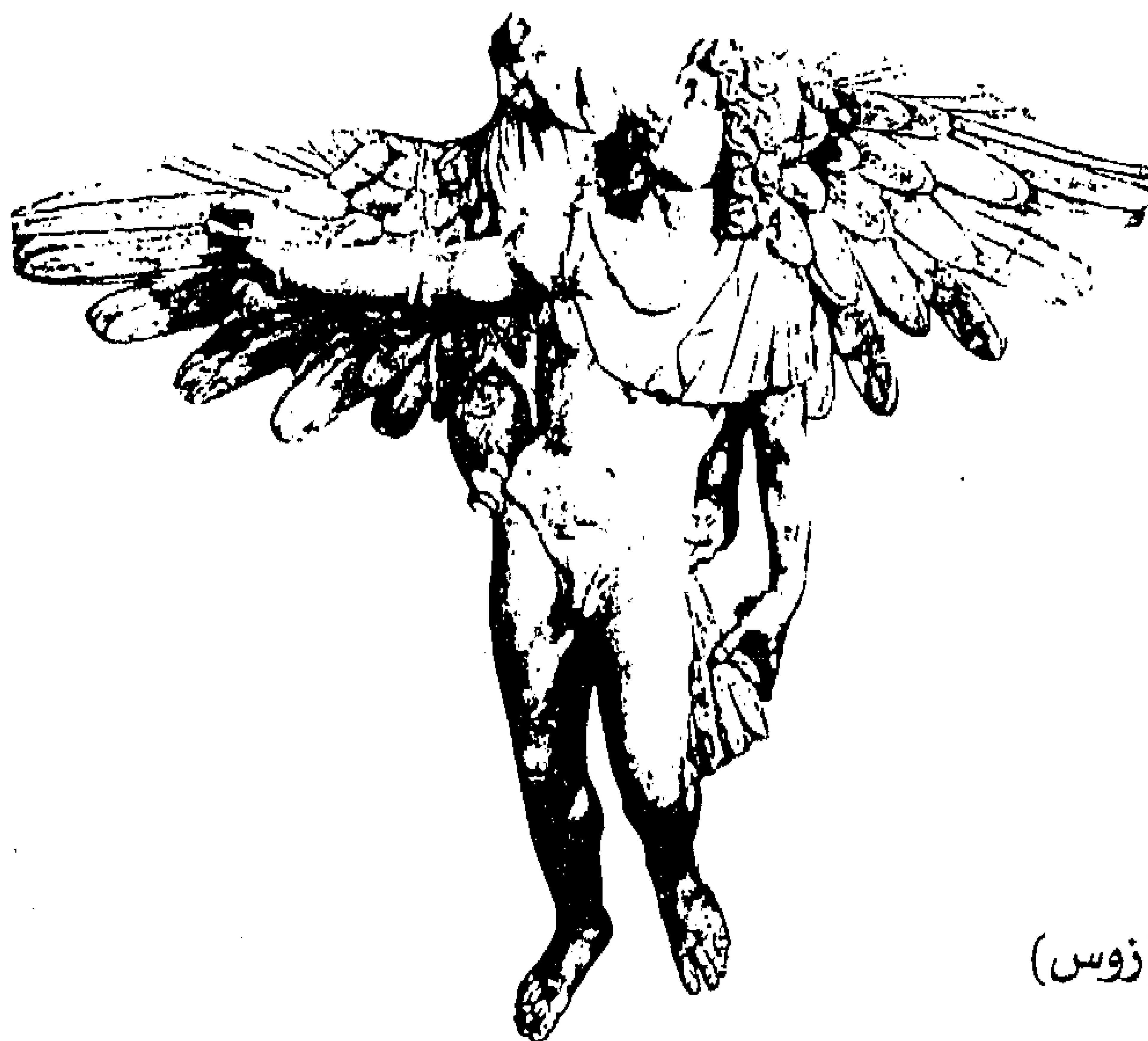
أما بنات هيرا من زوس فهن :

1- هيبا (هيبي) وتسمى أيضاً جانميدا وهي إلهة الشباب وهي ساقية زوس التي جلب معها جانميد ذلك الغلام الفريجي الذي عشقه زوس فقلب نفسه إلى نسر وقام باختطافه وجلبه إلى مخدعه وغدا هو الساقي الأول والخاص لزوس الذي يسقيه النكتار (شراب الآلهة) والعشق معاً . (وكان زيوس أو نسره قد عضه حين كان جانميد يرعى القطيع مع والده) .

2- إليثا : وهي إلهة النسل والولادة .



شكل (71)
هيبي (هيبا) (جانميدا)



شكل (72)
جانميد يخطفه النسر (زوس)

سلالة زوس من زوجاته الناريات:

1- من إلهات النار القديمات :

أ- ليتو (لاتونا) : كانت ليتو (لاتونا) إلهة الضوء مع أختها (استرايا) من أبوين ضوئيين ناريين . فعندما عشقها زوس عرفت بذلك زوجته هيرا واشتعل غضبها وأرسلت التنين بيفون ليعرف مكانها الذي ستلد فيه . لكن زوس أخفى ليتو في جزيرة ديلوس وولدت هناك أبولون وأرتميس ، وارتفعت في الجزيرة العمدان الهائلة من أغوار البحر لكي تخفي الوليدين ، فلم تكن سوى الطيور والإلهات المحتشدات فوق الجزيرة يشاهدن الإله الضوئي المشع (أبولون) مع أخته (أرتميس) ويحملون إليهما الأمفروزيا والنكتار .

كان أبولون إله الضوء وكانت أرتميس إلهة الصيد وسنتحدث عنهما مطولاً .

ب- يورينيمي : أنجب زوس من يورينيمي (يورنوي) أخته فأنجب منها ربات الحسن الثلاث (الخاريتات Charites) ويسمين ربات الحسن (Graces) وهنّ أرواح النبات في الربيع أساساً :

1- يوفروسين

2- ثاليا

3- أجلاي

وهن إلهات طبيعة ونباتات في البداية وربما كان عددهن أكثر من ثلاث لكنه ثبت على ثلاث وكنّ يوحين بالورع ثم غيرت تقاليد العصر الهيلنستي ، بشكل خاص ، طبيعتهن ، وظهرن عاريات ، اثنتان منهن بمنظر أمامي والوسطى بمنظر خلفي .

2- من إلهات النار الجديدات (مايا) :

كانت (مايا) صغرى نجمات الثريا السبع (بلياد) اللائي فشلن في زيجاتهن فانتحرن وتحولن إلى نجوم ، وقد حاول زوس إغواء إحداهن وهي (استرايا) إلهة العدل لكنها انهزمت منه فتحولت إلى طائر سلوى فلاحقها فقفزت إلى البحر وصارت جزيرة عائمة هي جزيرة (ديلوس) . ثم لاحق أختها (تايجيتي) واغتصبها عنوة فأنجب منها (لاكديمون) فشنقت نفسها على قمة جبل سمي فيما بعد باسم (تايجيتوس) وقيل إنها هربت من زوس بمساعدة أرتميس التي مسختها إلى غزالة . ولكن يبدو أنه قد نجح مع صغراهن وهي (مايا) فولدت له (هرمس) الذي صار رسولاً من زوس إلى الآلهة والبشر وإلهاً للتجارة والأسواق وحامياً للمسافرين وإلهاً للمعرفة . . . إلخ .

سلالة زوس من زوجاته البشريات:

1- سلالة الآلهة :

تزوج زوس من نساء بشريات أنجبن آلهة كباراً مثل ديونسيوس وهركليس اللذين كانا يحسبان على آلهة الأولمب .

سيميلي : كانت سيميلي ابنة قدموس (مؤسس طيبة وأخو أوروبا) وعندما أحبها زوس حملت منه ، فعلمت هيرا زوجة زوس بذلك وتحولت إلى امرأة عجوز تشبه (ببيروى) مرضعة سيميلي وتحدثت إلى سيميلي حديثاً طويلاً وحذرتها من أن الذي ضاجعها لا يكون هو الإله زوس وإلاّ فدعيه يتجلى كإله ويرتدي ثياب ربوبيته ، ففعلت ذلك سيميلي وطلبت منه ذلك فاستجاب لها مجبراً وبأقل عدد ممكن من عدته الإلهية ، لكنه مع ذلك صعق الفتاة البشرية سيميلي واحترقت وأصبحت رماداً ، وأسرع الإله فانتزع جنينها وأخرجه من بطنها ثم شق فخذه هو وأدخله فيه ليكمل بقية عدتّه من الحمل ، ثم خاط فخذه حتى انتهت أشهر الحمل فولد من فخذ زوس ، ولذلك يسمى ديثرامبوس أي (المولود مرتين) مرةً من أمه ومرةً من أبيه ، ثم قامت خالته إينو بحضانته وعهدت به إلى حوريات ينسا اللائي خبأنه في غار وأخذن يرضعنه ، ذلك هو الإله ديونسيوس .

وقد صادفتنا رواية أخرى عن ولادته في العقيدة الأورفية ، فقد ضاجع الإله زوس ابنته برسفوني ابنة ديمتر فأنجب منها الطفل زاجريوس الذي حرضت هيرا التيتان على أكله ، لكن أثينا انقذت منهم قلبه فأعاده زوس إلى الحياة باسم ديونسيوس وخلق من رماد التيتان الإنسان . وفي الحالتين نجد أنه يولد مرتين ، لكن اختلاف القصة يوحي باختلاف الأصل .

ألكميني : كانت ألكميني زوجة أمفتريون الذي تزوجها مكفراً عن قتل أبيها خطأ ، واعداً إياها بالانتقام لها من قتلة إخوتها فذهبت معه إلى طيبة ، وحين خرج أمفيتريون للحرب تسلل لها زوس متنكراً في صورة زوجها فحملت منه هركليس (هرقل) ولما علمت هيرا بذلك حاولت قتل الكميني ولكنها فشلت فلجأت إلى تأخير ولادة هرقل سبعة أيام (أو يوم واحد في بعض الأساطير) وأمرت ابنتها ايليثويا ربة الولادة لتؤخر ولادته ، وأخذت القسم على زوس أن يؤول الحكم إلى سليل برسيوس الذي يولد في اليوم المعلوم والذي كان يحسب أن ألكميني ستضع فيه مولودها ، وكان وقتها ملك أرجوس حفيد برسيوس ينتظر من زوجته نيكيبي مولداً في اليوم نفسه . وهكذا انجبت نيكيبي مولودها (يوريستيوس) قبل أن تنجب ألكميني ابنها هيراكليس ، وآل عرش أرجوس إلى يوريستيوس وحرمت هرقل من الحكم الذي كان زوس يريد أن يخصه به . وظلّ هرقل تابعاً

ليوريسثيوس الذي فرض عليه القيام بطائفة من الأعمال الشاقة التي عرفت بـ(أعمال هيراكلس الاثني عشر) . وسلطت عليه هيرا ، بعد ولادته ، ثعبانين فخنقهما الطفل بقبضتيه ولذلك سمي هيراكليس أي (الذي تغلب على حقد هيرا) .

2- سلالة الملوك :

تزوج زوس من نساء بشريات أنجبن له أبطالاً أو ملوكاً عظاماً أصبحوا آباء للكثير من الأقوام الإغريقية مثل الدويين الذين حمل ثلثهم اسم هيلوس المتحدر من هيراكليس المتحدر من زوس . ويتحدر الطرواديون من دردانوس ابن زوس من الثريا إلكترا . والبطل آرجوس من نيوبيه الأرجيه ، ويتحدر الأتريديون من طنطال ابن زوس من بلوتو وهكذا بقية الملوك . . .

ومعروفة قصة اختطاف أوروبا ابنة الملك الفينيقي (أغينور) ملك صيدا من قبل زوس الذي اتخذ صورة ثور واختطفها في البحر حتى وصل بها إلى كَريت وأنجبت له ثلاثة أبناء هم (مينوس ، رادامانت ، ساربيدون) ولا شك في أن أوروبا منحت اسمها لكل قارة أوروبا فيما بعد .



شكل (73)

أوروبا تقطع البحر ممتطية ظهر الثور، فوقها يطير ايروت وإلى اليمين يظهر أبوها الملك أغينور (رسم على مزهرية).

أما قدموس أخو أوروبا فتبع أخته يبحث عنها دون جدوى حتى ذهب إلى دلفي وسأل كاهنها فنصحه بأن يتبع بقرة بيضاء ويؤسس في مكان إقامتها مدينة (بيوتيا) ثم أسس (طيبة) في مغامرة لا مجال لذكرها هنا انظر الشكل(74) .

واتخذ زوس مع ليدا صورة أوزة ، وتنكر في صورة نسر واختطف ابنة إله النهر أسوبوس وأنجب منها إياكوس الذي حارب النمل الذي أرسلته هيرا عليه . . وتنكر زوس في هيئة ساتير وانقضّ على أنتيوبي ابنة نيكيتوس ففرت إلى سيكيون وتزوجت الملك إيوبيوس ليستر عارها وولدت منه أمفيون وزيثوس أبطال حرب طروادة .

ولا تنتهي قصص زوس ومعاشرته وخطفه للحوريات والنساء الجميلات وتحتاج إلى مبحث خاص وتحليلات خاصة نتركها لفرصة أخرى .



شكل (74)

الصراع بين قدموس والثعبان. على الرسم من اليسار إلى اليمين يظهر الإله بوسيدون يحمل خطافه المثلث الشعب. وتليه هارمونيا، زوجة قدموس، ومن بعدها قدموس وقد جرد سيفه وظهرت فوقه ربة النصر وأمامه الإلهة أثينا، وقد ظهرت وراءها الإلهة ديمتر وابنتها كيرا (برسيفوني) وظهرت تحت ديمتر حورية طيبة التي ظهر عند قدميها ايروت إله الحب يحمل اكليلاً. (رسم على مزهرية)

ثانياً: بوزيدون:

بوزيدون أو بوسيدون أو بوصيدون (Poseidon) إله فينيقي/كنعاني الأصل ، ويرجع إلى الإله الكنعاني سيتون وهو إله الصيد البحري والبري ومن اسمه جاء اسم الإله صيدا وصيدون وكذلك المدينة اللبنانية ، وكان هذا الإله يأخذ الموقع التقريبي الذي يأخذه بوزيدون الإغريقي فهو أخ الإله إيل الذي يقابل كرونوس أب زوس ، أما بوزيدون فهو ابن كرونوس وأخ زوس(21) .

ويرى روبرت جريفس أن أصل بوزيدون من ليبيا الذي قدسوه هو ورمزه الحصان الذي هو خالقه إلاّ أن ريّا تنازعه في ذلك ، أما الذي لا يخاصم فيه أنه أول من نظم سباق العربات وهذا ما يحمل إشارة خفيفة إلى أن فكرة سباق العربات في حد ذاتها فكرة ليبية ، وأن اليونان قد عرفوها عن الليبيين(22) .

وهناك من يرى أنه من أصل إغريقي ومعنى اسمه (زوج الأرض) ويقابل المقطع الأول من كلمة بوتامرس بمعنى النهر أو بوسيس (Posis) بمعنى الشراب وكان شعاره حربة الصيد ذات الأشواك الثلاث ، حيث قام السحرة أو الأرواح التلخينس في رودس بتربية بوسيدون ووضعوا له هذه الحربة(23) .

ويرى مارتن برنال أن الأصل اللغوي لاسم بوسيدون هو P_3(w)sidon أو Pr sidion بمعنى (ذلك الذي من صيدون) (صاحب صيدون) ، أو (بيت صيدون) وقد كان صيد Sid هو الإله الراعي لمدينة صيدون واسمه مشتق من الجذر swd بمعني يصيد ، وكان إلهاً للقنص وصيد السمك والعجلات الحربية والبحر وهكذا نجد التطابق كاملاً من ناحية دلالات الألفاظ ، ويطابق برنال صيدًا مع الإله المصري (ست) بطريقة تعسفية .

ونرى أصل بوصيدون (بوزيدون) من فينيقيا فهو إله كنعاني قديم لمدينة صيدون البحرية في لبنان وقد رحل إلى الإغريق وأخذوه كما هو ومعناه (إله صيدون) أو (خادم صيدون) الذي هو البحر ، ولا علاقة له بالإله (ست) المصري إله الصحراء بل هو يناقضه تماماً .

وبوزيدون إله البحر بلا منازع وهو وريث أوقيانوس وبروتيوس إلهي البحر القديمين من جيل الجبابرة والتيتان .

أما ألقابه فهي :

1- محرك الزلازل Ennosigaions فهو يصنع الزلازل .

2- مزلزل الأرض Enosichthon فهو يميد الأرض .

3- إله الخيول Hippios كان قديماً في هيئة حصان .

4- إله الينابيع Hippos إله مياه الينابيع العذبة كينبوع هيبي وأجاينبي وهيبوكريني (ينبوع ربات الفنون التسع) فوق جبل هليكون .

5- الهليكوني Heliconius إله جبل هليكون الذي فيه ينبوع ربات الفنون التسع .

6- الحصان المجنح بيجاسوس Pegasus وهو ابن بوزيدون على الأكثر .

7- زوج الأرض Posisdas .

8- زوج جيا Gaiachos .

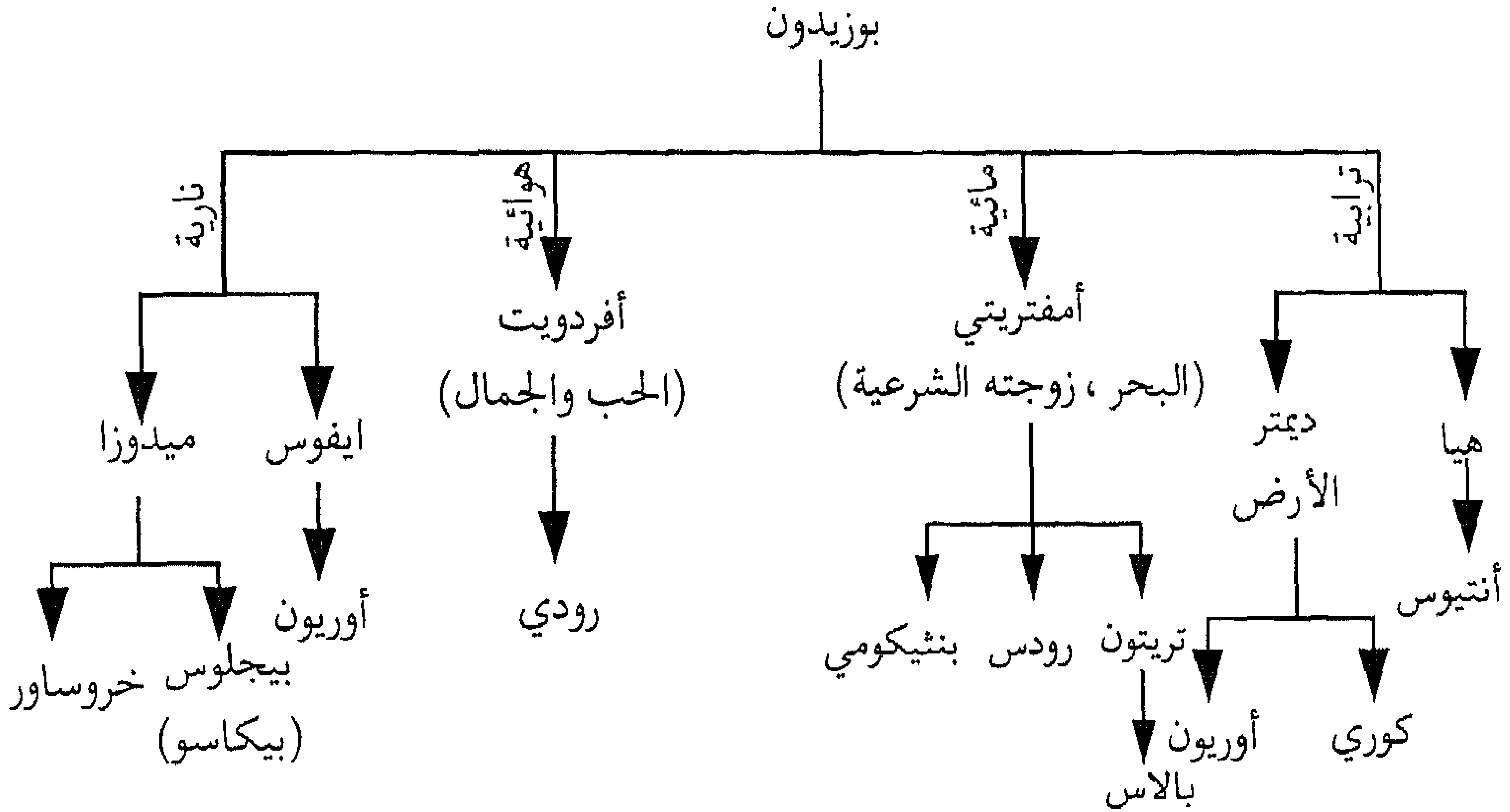


شكل (75)

بوزيدون من ميلوس (200) ق.م، أثينا/المتحف الوطني

زوجاته :

اقترن بوزيدون بزوجات أو إلهات من مختلف الطبائع فمنهن الترابية مثل ديمتر ومنهن البحرية مثل امفتريتي ومنهن الهوائية مثل أفروديت ومنهن النارية مثل ميدوزا كما في المخطط الآتي :



1- ديمتر :

يبدو أن لقب (رب الخيول) هيبيوس قد لصق ببوزيدون بسبب عبادته في ثساليا التي كان أهلها مشهورين بتربية الخيول وهم الذين أطلقوا عليه هذا اللقب ، ولذلك صوّرت ديمتر برأس فرس لاقترانها به فقط .

كان الحصان يعني فيما يعنيه الخصب والاندفاع حيث يمثل اقتران بوزيدون بديمتر تغلغل الماء في الأرض ، وكذلك يوحي بذلك لقب الثور الذي كان يتصل أيضاً ببوزيدون حيث كانت تقدم له الثيران قرابين .

كان بوزيدون يشارك ديمتر في معبدها بسبب تلازمهما القديم . ويرى العالم الإنجليزي كوك أن اسم بوزيدون يعني (زوس السيد) وأن زوس وبوزيدون كانا شخصاً واحداً ، وهو رأي غير دقيق .

وقد أنجب من ديمتر ابنة لا ينبغي البوح باسمها خارج قاعة الأسرار الدينية وربما كانت ترمز إلى شخصية كوري (برسفوني) ، وأنجب منها الحصان الغريب (أريون) وهو بعرف أسود وبقدمي أماميتين بشريتين وهو قادر على الكلام استخدمه أبوه في جرّ عربته عبر البحر .

2- إمفتريتي :

وهي زوجته الشرعية التي أصبح بزواجه منها سيد البحر ، ونود التنويه هنا إلى أن بوزيدون عشق الكثير من الإلـهات المائيات من النيريديات (عرائس البحر) والنياديات (حوريات الينابيع) والنيمفاوات (عذراوات البحر) وأنجب منهن الكثير من مخلوقات البحر المتوحشة مثل السيكلوب (بوليفيموس) الذي سمل أوديسوس (بطل الأوديسه) عينه الوحيدة فعاقبه بوزيدون بوضع العراقيل في طريق عودته إلى وطنه .

بدأت أسطورته مع إمفتريتي عندما رآها وهي ترقص مع عرائس البحر من بنات نيروس في جزيرة ناكسوس فاغتصبها عنوةً لكنها فرّت منه إلى جبال أطلس الذي يحمل السماء على ذراعيه وقد قاده الحوت إليها وكافأه بوزيدون فرفعه إلى برج الحوت ، وبعد زواجه منها أصبح بوزيدون سيد البحر بعد الإله القديم نيروس وهو ما حصل مع بروتيوس وقبله مع فوريكس . وأصبح لقب بوزيدون (زوج إمفتريتي ذات المغزل الذهبي) وكان عرسهما مثيراً اشتركت فيه حيوانات برية وبحرية كثيرة حاملة عرائس البحر على ظهورها .

وأنجب منها عدة أبناء منهم (تريتون) و (رودس)

كان تريتون مخلوقاً غريباً نصفه إنسان ونصفه حوت كان يسكن قصراً ذهبياً في قاع البحر مع أبويه وكان جامح الشهوة مغتصباً للنساء والغلمان ، وكان يملك بوقاً من المحار يرعب به الناس . وسرعان ما تكاثر تريتون وأصبح مثله عدد كبير بعضهم ذكور وبعضهم إناث . وكان الذكور يشاهدون في صحبة عرائس البحر من بنات نيريوس وهن يسبحن في مواكب الزفاف(24) .

أما (رودس) التي سميت الجزيرة على اسمها فمعناها (الوردة) التي تزوجها إله الشمس (هيلوس) بعد أن ظلم الآلهة هيلوس ولم يعطوه نصيباً في الكون ، وأنجب هيلوس منها عدة أبناء ، وقد عبد في رودس الإله بوزيدون باسم (أسفاليون) أي مثبت الأرض وواقيها من الهزات .

أفروديت :

هناك من يرى أن بوزيدون غازل أفروديت وأنجب منها رودس ، أما ابنه أو ابنته من إمفتريتي فكان اسمها رودي وليس رودس .

ميدوزا :

أنجب من الإلهات الناريات ومنهن إيفوس الجواد أوريون الذي ينسب إلى ديمتر ، لكنه من المؤكد أنه قد تزوج من الأنثى المتوحشة (ميدوزا) أو (جورجو) التي كان شعرها من الأفاعي ، وذات

أجنحة ضخمة ووجه مستدير ذي لحية وكانت تمسخ من تراها حجراً ، وأنجبت منه حصاناً مجنحاً هو (بيجاسوس) أو (بيقاسو) وكان شرساً وجموحاً ويحمل صاعقة زوس ، روضه البطل بلّيروفون وهو أشهر الخيول الأسطورية في تاريخ الإغريق ، فهو الذي حمل بلّيروفون وساعده على قتل الـ(خميرا) الكائن المركب من رأس أسد وجسم جدي وأطراف تنين وزفيرها من لهب ، وكانت مكافأة بيجاسوس من قبل الآلهة هو ارتفاعه إلى السماء مع النجوم وتحوله إلى رمز للعبقرية الشاعرية .

الآلهة الذين أنجبهم بوزيدون من نفسه :

تنازع بوزيدون مع أثينا على سيادة أثيكا والوصاية على مدينة أثينا ، فطلبت الآلهة ، حسماً لنزاعهما ، أن يأتي كلٌ منهما بهدية إلى المدينة ليفصلا بين قيمة الهديتين فقام بوزيدون بضرب الصخر بحربته المثلثة الأسنان فانفجرت عين من الماء وقيل انبثق حصان منها ، لكن أسطورة أخرى تقول إن بوزيدون نام فسال لقاحه على الصخرة فأنبتت هذا الحصان الذي سمي بـ(سكيرونيتس Skironites) أو وليد الصخرة أو (الملتوي) وهو نتاج مني بوزيدون مع الصخرة . أما أثينا فضربت الأرض بقدميها فأنبتت شجرة الزيتون لأول مرة . وحكم الآلهة بأن الزيتون أنفع للإغريق من الحصان ولذلك أوكلوا سيادة المدينة لأثينا .

وكانت أشهر الجياد من أبناء بوزيدون هم (بيقاسو ، خروساور ، أوريون ، بوليفيموس ، أنتايوس ، بركروستيس ، بيلياس ، ساربيدون .... إلخ .

أساطير بوزيدون مع البشر :

1- أنجب بوزيدون من نساء بشريات مثل (لوسياناسّا) وأنجب منها (بوزيريس) الذي يقال بأنه حكم مصر . وكان من عادة بوزيريس قتل كل غريب يأتي إلى مصر حتى جاء هرقل إلى مصر فقبض عليه وكاد يقتله لكن هرقل تمكن من قتل بوزيرس وابنه .

2- كان بوزيدون على علاقة بأقوام قديمة هم الميناسيون (نسبة للملك الأسطوري ميناس) في بويوتا وثساليا ، وبالأيونيين وغيرهم من الأقوام الإغريقية القديمة الذين عبدوه وأجلّوه كثيراً .

ثالثاً: هاديس:

هاديس (Hades) هو إله العالم السفلي المليء بأرواح الموتى ، ولأنه كان يسكن ذلك العالم البعيد ولا يزور الأولمب إلاّ قليلاً لم يحسب ، في أحيان كثيرة ، من آلهة الأولمب ، وكان إلهاً قاسي الملامح والصفات ، وقد كان يحكم الموتى بصرامة لئلا يدعهم يخرجون إلى عالم الأحياء ، وكان يعبد في مدينة (إيليس) تحديداً حيث تقدم له القرابين هدية لاستعطافه وكانت قرابينه من الخراف السوداء "وكان على من يتقدم بالقربان أن يشيح بوجهه عن مذبح الإله لأن أحداً لا يجسر على التطلع إلى وجهه . ونجد رأس هاديس مرسومًا على إناءٍ فخاري وهو مدار إلى الخلف لأنه رأس لا ينبغي لأحد أن يمعن فيه النظر ، رأس الإله الرهيبُ الذي يوري الأحياء ويحجبهم عن الأنظار"(25) .

وكان يشبه زوس في شكله بل هو يمثله في العالم الأسفل وأحياناً كان زوس يتطلع إلى حكم ذلك العالم البعيد .

أسماؤه وألقابه :

1- أئيدس Aides : ومعناه الخفي (أو غير المنظور) ويلفظ أيضاً (آييد) و (آيديس) .

2- بوليديجمون Polydegmon : معناه مضيف الأرواح الكثيرة .

3- أوركوس Orcus .

4- بلوتون أو بلوتو Pluto : هكذا عرفه الرومان ومعناه (الغني ، الثري) لأنه مالك باطن الأرض حيث الثروة .

5- برسيوس Perseus : معناه ملك العالم الأسفل ومنه جاء اشتقاق اسم زوجته برسفوني .

6- ديس Dis : إما مأخوذ من Dives أي الثري باللاتينية وأما من Diues أي المقدسات .

7- ثناتوس Thanatos : إله الموت .

وتسمى مملكة الموت (بيت هاديس) ويجلس وسطها على عرشه الملكي هاديس وبجانبه زوجته برسفوني وتخدمه ربات الانتقام (الإيرينيات) .

أسطورة هاديس :

الأسطورة الوحيدة لهاديس هي أسطورة اختطافه لـ(كوري) وزواجه منها حيث كانت ابنة ديمتر اسمها (كوري) Kore ومعناه الفتاة أو الصبية ، وكانت ترمز للحياة الزهرية المتفتحة ، ويبدو أن

هاديس كان إله خصب أيضاً فهو يرمز لثروة باطن الأرض النباتية وخصبها العميق . . ولذلك جاءت الأسطورة لتعبر عن لقاء خصب الأرض مع زهوره المتفتحة وارتباطهما .

وتقول الأسطورة أن الإله هاديس ، الذي كان من النادر خروجه من مملكته ، خرج ذات يوم ليبحث له عن زوجه فشاهد العذراوات الثلاث (أثينا وأرتميس وكوري) يلعبن قرب بلدة (إنّا) وسط جزيرة صقلية وكن يقطفن الزهور ، وكانت كوري تحب زهور السوسن فابتعدت عن صاحباتها تقطف هذه الزهور ، وفجأة انشقت الأرض عن هاديس راكباً عربته التي تجرها الخيول السوداء الداكنة ، وكان هاديس يرتبط بالخيول لارتباطها بالموت ، فانقض عليها وحملها عنوةً في عربته إلى العالم الأسفل وهناك تزوجها وأطلق عليها لقب برسفوني (Persephone) حيث مقطع Perse, Persis, perseus تدلّ على ملكة العالم السفلي أو عالم الموتى . وبقية الأسطورة معروفة عن ديمتر .



شكل (76)
برسفوني وهاديس



شكل(77)
الإلهة برسفوني (كوري)

رابعاً: هستيا:

هي الأخت الكبرى لـ(زوس) وهي عذراء (مثل أثينا وأرتميس) لا أساطير لها تقريباً ، فقد اختارت أن تكون بعيدة عن الحروب والمنازعات والشهوات ، وأن تتخذ لها مكاناً ثابتاً في كل بيت عند الموقد ، وبذلك صارت تعرف بـ (إلهة الموقد) ولا شك أن الموقد رمزها وهو رمز الحياة العائلية .

كذلك كانت كل مدينة لها موقد عام توضع فيه الذبيحة الأولى من كل عام وتكون من نصيب هستيا ، وكان لها موقد عام في مجلس شيوخ المدينة (بولي) ولذلك تسمى (بوليا) أي المشيرة أو صاحبة الرأي السديد[26] .

أسطورتها:

تكاد الأسطورة الوحيدة لهستيا تدور حول محاولة (بريابوس) اغتصابها وهي العذراء ، وكان بريابوس هذا ابن هرمس أو ديونسيوس أو أدونيس أو زيوس من أفروديت ، وكان مشوهاً طويل اللسان منتفخ البطن وكان إله مدينة بربابوس (الدردنيل) حيث دعي إلى حفل أقامته الآلهة فثمل وحاول التسلل إلى مكان هستيا لكن حماراً نهق فأيقظها ففزعت وهرب بريابوس ، وظل الناس ينحرون الحمير ، بهذه المناسبة ، قرباناً لبريابوس في أماكن عبادته[27] .

المبحث الثالث

أساطير آلهة الأولمب الأبناء

(أبناء زوس)

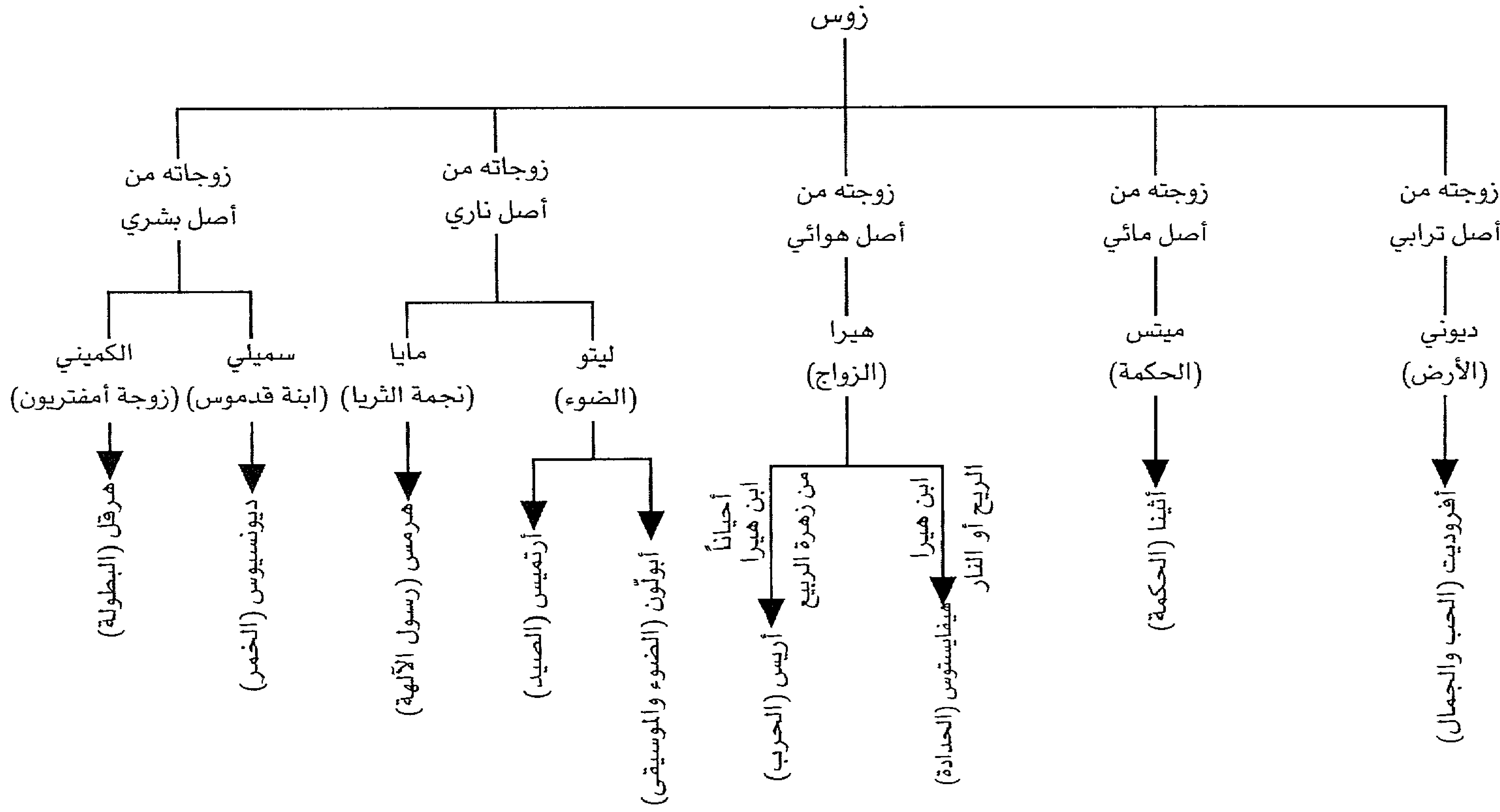
يشكل أبناء زوس من آلهة الأولمب الجيل الأكثر نشاطاً والذي ورث الكون بعد زوس وأخوته ، ورغم حضور أساطير زوس وأخوته وفاعليتها فإنها تبدو شاحبة أمام أعمال وأساطير أبنائه الستة من آلهة الأولمب وأحياناً التسعة منهم عندما يضاف إليهم ثلاثة آخرون ، أبناء زوس الأصليون من آلهة الأولمب يتكونون من ثلاثة ذكور يقابلهم ثلاث إناث وهم (أبولّون ، أريس ، هرمس) و(أفردويت ، أثينا ، أرتميس) ويضاف لهم ثلاثة من الذكور هم هيفايستوس ابن هيرا وليس ابن زوس وديونسيوس وهرقل ابنا زوس من نساءٍ بشريات .

وكعادتنا سنضع جدولاً مبسطاً يبين تحدُّر آلهة الأولمب الشباب من زوس ونسائه المختلفات وهم الستة الأصليون والثلاثة الإضافيون الذين كانوا يوضعون أحياناً في العالم الأسفل ولذلك يحذفون من عالم الأولمب (يرجى مراجعة مخطط أنساب آلهة الأولمب من أبناء زوس) .

وجيل آلهة الأولمب الشباب جيل نشيط جداً ويحتل أغلب مساحة المثولوجيا الإغريقية . . رغم أن أصول بعض آلهتهم ترجع إلى أماكن آسيوية أو إفريقية فإن الإغريق استطاعوا صقلهم بصفات إغريقية داخلية ميّزتهم وجعلتهم وكأنهم يبدون آلهة جلبتها الأقوام الإغريقية معها . وسنتحدث عن الأصول السامية والمصرية لآلهة الإغريق كل في مكانه .

ولا شك في أن الإله المركزي الذي ورث عن زوس قوته ومكانته بين أبناء زوس كان (أبولّون) الذي يشكل الإله المركزي الجديد لجيل أبناء زوس . ولذلك سنبدأ به لتحليل شخصيته وأساطيره .

مخطط (14)
آلهة الأولمب الأبناء (الآلهة التسعة وأصولهم)



أولاً: أبولّون (أبولو):

وهو الإله أبولّون Apollon ويسميه الرومان أبولّو Apollo وهو أكثر آلهة الأولمب تجسيداً للروح الهيلينية (الإغريقية) إذ كان يمثل كلّ ما يميز نظرة الإغريق عن نظرة الشعوب الأخرى الذين كانوا يطلقون عليهم (البرابرة) مثل نظرتهم إلى الجمال في الفن والموسيقى والشعر والشباب والاتزان والاعتدال(28) .

لا يمكننا دراسة أصل أبولّو دون التعرف إلى وظائفه وصفاته وأسمائه ثم نتناول أصله وحياته وأساطيره .

وظائف وصفات وأسماء أبولّون:

المقدمة التي سنسوقها هنا ، والمعززة بجدول في غاية الأهمية ، تكشف لنا الطبيعة الشمولية للإله أبولو الذي يبدو وكأنه الوريث الحق لزوس وربما لسلسلة الكثير من الآلهة التي سبقته .

بعد دراسة معمقة في وظائف وصفات وأسماء أبولّو وجدنا أن هذا الإله جمع في شخصيته كلّ الطبائع التي كان الإغريق ، بوعي أو بلاوعي ، يكوّنون بها شخصيات آلهتهم ونعني بهذه الطابع والأمزجة (الترابية ، الهوائية ، النارية) ورغم أننا ندرك ، كل الإدراك ، بأن أبولو يتحدر من سلالة هوائية تميل إلى نسل ناري (ضوئي) فإنه عاد واحتوى على كل الصفات الأخرى ليس من خلال زواجه واقترانه بإناث من طبائع مختلفة ، وهو ما سنتناوله ، بل من خلال تجسد صفاته هذه ، ولذلك وجدنا أن أنسب تحليل لشخصيته هو تحليل جزيئاته الترابية والمائية والهوائية والنارية والإنطلاق منها لوظائفه وصفاته وحتى أسمائه .

1- الصفات والوظائف والأسماء الترابية :

العمق الترابي (الأرضي) للإله أبولّو يتجسد في الشكل المادي لاسمه الذي قد يعني اشتقاقه (حظائر الغنم ، ولهذا أصبح إله الرعاة (Nemios) ويتجسد في شخصيته الراعي الأمين للحيوانات والغنم بشكل خاص ، ويرى بعض العلماء أن لقبه (Lykeios)مشتق من كلمة ليكوس (Lukos) بمعنى الذئب ، فهو كحامي القطعان والرعاة معاً ولذلك قد يكون الذئب طوطم هذا الإله .

أما من مملكة النبات فيرتبط بشجرة الحور والغار الذي يعرف بسرعة نموه واستقامة جذعه وهو ما يفسر جذره الزراعي القديم ويفسر قصة غرامه مع (دافني) حورية الغار . وعلى هذا يكون إكليل الغار

رمزه النباتي حيث نراه ، دائماً ، وهو يعتمر إكليل الغار .

ولا نجد ما يدل على الأرض إلاّ ينابيع أبولّو التي تشير إلى أصله الأرضي والمائي معاً .

2- الصفات المائية :

لا نملك لأبولوّ من تجسيد مادي سوى الينابيع . أما التجسيد المعنوي لصفة الماء فنراه بوضوح في صفات جسدية مادية مثل التطهير والوقاية والشفاء وفي صفات روحية مثل الفن والشعر والموسيقى ولذلك فهو من ناحية إله الطهارة والشفاء تحيط به ربات السحر ، وإله الفنون من ناحية أخرى تحيط به ربات الفنون . وذلك لارتباط جميع هذه الوظائف بالماء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ولذلك نجد الأسماء الآتية له :

1- الإله الواقي من الشر Apotropaios .

2- إله التطهير Katharsios .

3- إله النبوءة (الوحي) Manteion .

4- إله البراءة (من الدنس والجرائم) Phoebus(المضيء ، المنير ، النقي) .

5- إله الشعائر السرّية Telatai .

6- إله الفن والشعر والموسيقى Arts .

والحقيقة أن الماء يمثل جوهر شعائر التطهير والشفاء والنبوة والبراءة لأنه يستعمل فيها ، وكذلك يشكل الماء جوهر الفنون والشعر والموسيقى لأن طبيعته اللطيفة ومرجعيته كعنصر أساسي للحياة والروح تجعله هكذا وسيتضح لنا ذلك من خلال أساطير أبولّو . أما رموزه فهي المقعد الثلاثي القوائم (مقعد الوحي) والناي والعود والقيثارة أدوات الموسيقى .

مخطط (15)

وظائف وصفات وأسماء أبولّو بحسب الطبائع الأربع

الطبيعة	تجسدها المادي	تجسدها المعنوي	أسماء أبولّو	رموزه
الترابية	حظائر الغنم، الخصب الذئب (ليكوس) شجرة الحور، الغار	الراعي الذئب (حامي القطعان ،الرعاة) النبات والزراعة	إله الرعاة (Nomios) الإله الذئب (Lukos) الإله الكبش	عصا الراعي القوس، السهام، الكبش إكليل الغار
المائية	الينابيع	التطهير، الوقاية، الشفاء الفن، الشعر، الموسيقى	الإله الواقي من الشر Apotropaios إله التطهير Katharsios إله النبوءه (الوحي) Manteion إله البراءة (من الدنس والجرائم) Phoebus إله الشعائر السرية Telati إله الفنون Ars	المقعد الثلاثي القوائم المزمار، العود، القيثارة
الهوائية	المدن	الحكم، الحماية تأسيس المدن تأسيس المستعمرات	إله أبيلا Apella (الجمعية الشعبية الدورية) إله ديلوس(الديلي) إله بيثو (دلفي) (البيثي) إله ليكيا (الليكي) إله قورينا، أبولونيا ... إلخ	الأبواب
النارية	الضوء	العدالة	الإله المضيء Phoebus، إله النور Luk الإله المعتدل (غير المفرط) Peras إله الشرائع Patrios exegetes ، إله السنة Patrios noms الإله البرزخي Cthonions إله التناسخ Ekstasis إله تناسخ الأرواح Metapsychosis	هالة أشعة الشمس

3- الصفات الهوائية :

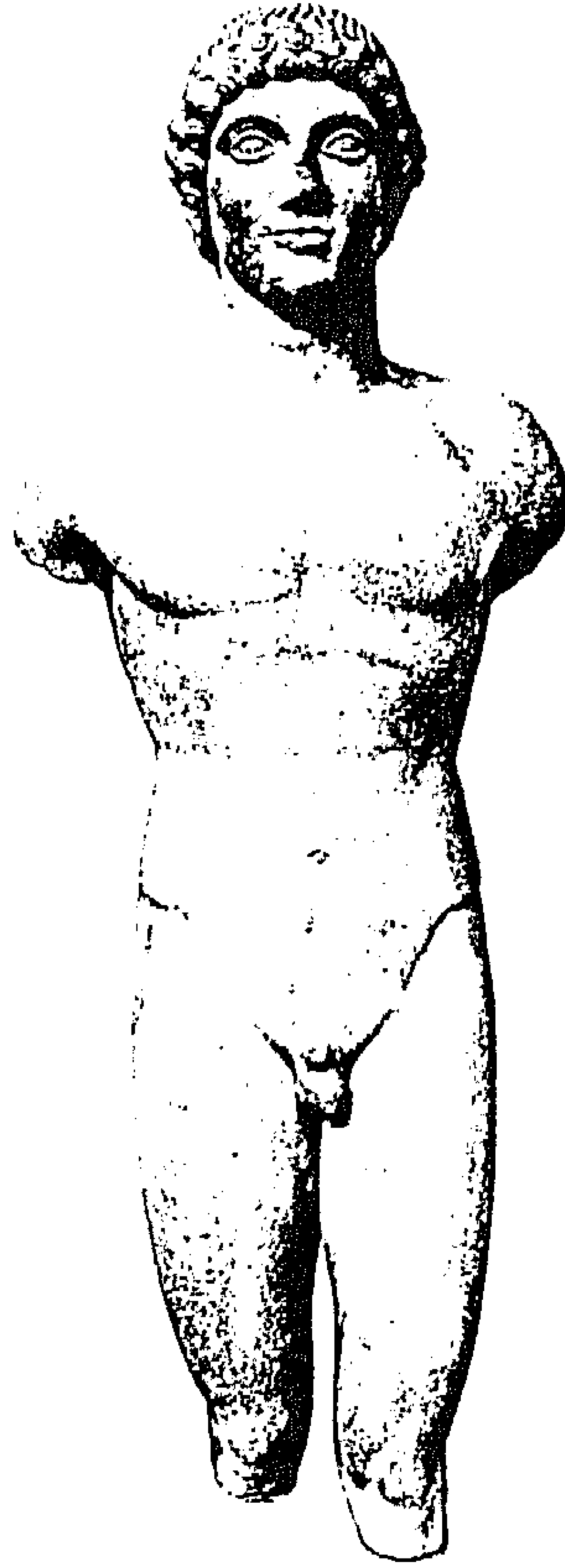
لا شك في أن أبولّو هو الابن الأفضل الذي ورث صفات زوس الهوائية (الصاعقة ، الغيوم ، البرق) وهو بسبب ذلك أصبحت له سدّة الزعامة والحكم وحماية المدن ومؤسس المدن والمستعمرات خارج بلاد اليونان .

وصف أبولّو بأنه إله (أبيلاّ Apella) وكان تشابه هذه الكلمة مع اسم أبولو قد أوحى لبعض العلماء بأصله الدوري ، بحيث إن هذه الكلمة أطلقت على الجمعية الشعبية عند الدوريين وبخاصة الإسبارطيين ، فقد أرسله أبوه زوس إلى دلفي كي يضع الشرائع للإغريق ، لكن ابولّو لم يذهب إلى دلفي مباشرة بل ركب عربته التي تجرها البجعات وطار بها إلى بلاد الهيبوريين ، حيث أقام عاماً كاملاً عاد بعده إلى دلفي استجابة لنداء أهل دلفي الذين ناشدوه العودة لحضور عيد أو احتفال كان الشبان يتغنون فيه بنشيد النصر ويؤدون رقصات معينة حول مقعد ثلاثي الأرجل(Tripous) (29) .

كان أبولّو يلقب بـ (البيثي) نسبة إلى بيثو وهو اسم آخر لدلفي ، حيث قتل فيها الأفعى (بيثون) التي سميت باسمها المدينة وتضمنت المهرجانات الرياضية البيثية .

وكان يلقب بـ (الليكي) نسبة إلى إقليم ليكيا بآسيا الصغرى وهو ما يخلط نسبته إلى الذئب لأن (ليكوس) كان يعني الذئب وهو أحد ألقاب أبولو لأنه يحمي الرعاة والقطعان في البراري من هذا الحيوان المفترس .

وأبولّو إله دلفي المعروفة بالتنبؤات والتي فيها جبل برناسوس الذي يشكلّ (سرة العالم) بحسب الأساطير .



شكل (78) أبولو إله الضوء

وأهم جزر أبولو هي ديلوس التي ولد فيها ولذلك يسمى (الديلي) .

وهو كذلك إله المستعمرات الإغريقية خارج بلاد الإغريق مثل قورينا (وهي مدينة شحات في إقليم برقة الليبية) وكان يطلق اسمه على الموانئ البحرية مثل أبولونيا (وهي مدينة سوسة الليبية ، المطلة على البحر المتوسط) ومدينة أبلاّ القديمة وهي البصرة الحالية في جنوب العراق والواقعة على الخليج العربي . . وغيرها كثير .

4-الصفات النارية :

لم يأخذ أبولو من النار إلاّ أخفّ أشكالها وهو النور فهو إله النور (Luk) وهو الإله المضيء (phoebus) ولذلك فهو إله العدالة والشرائع لأن النور والضوء ينفذ إلى الظلام باستقامة ولا يعرف المراوغة ولذلك فهو نظير القانون ولهذا السبب كان أبولو يسمى الإله المعتدل (غير المفرط) Peras . وكانت هالة الشمس أحد رموزه رغم أنه ليس بإله الشمس مطلقاً فهي من اختصاص

هيلوس (إله الشمس) . وبسبب علاقته بالنور الذي يبدد الظلام فهو إله الشرائع (Patrios exe-getes) أو المفسر القومي للقوانين وإله الأعراف والتقاليد وسنَّة السلف (Patrios nomos) ولذلك كان لأبولو في مدينته دلفي نبيّة اسمها (بيثيا) وكان له كهنة يعرفون بالمفسّرين أو الشراح (exegetai) ومشورتهم مسموعة في الأمور الداخلية لمدن اليونان .

أما في أسبارطة فقد كان كلّ من الملكين اللذين يحكمان المدينة يستعين بشارحين (أي فقيهين) يفسران لهما معنى نبوءات بيثيا كاهنة أبولو ، ويوصف هؤلاء الأربعة بالأنبياء أو العرّافين (Theopropoi) يشبهون المفسرين أو الشراح في دلفي .

أما جانب العالم الأسفل الذي في أبولو (ويتصل بصفاته النارية) فقد كان أبولو يتردد بين العالم الأعلى (الأولمب) والعالم الأسفل (هاديس) ولذلك كان بمثابة إله مطهر أو إله برزخي (Cthionios) .

وكانت من صفاته الخاصة بالعالم الأسفل أيضاً أنه كان إله التناسخ (Ekstasis) وخصوصاً في علاقته مع ديونسيوس ومع أورفيوس وكان بسبب ذلك مهتماً بتناسخ الأرواح (Metapsycho-sis) عند الفرق الأورفية والفيثاغورية التي كانت هذه العقيدة من صلب مبادئها السرية .



شكل (79)
أبولّو كإله للشمس

هكذا إذن جمع لنا أبولون هذه الصفات الشاملة التي عكست طباعه الفيزيائية الكاملة ولكننا نلاحظ أن تجسداته المادية أقل بكثير من تجسداته المعنوية والرمزية ويعكس هذا النزعة التجريدية في عبادة هذا الإله بل ويعكس شموليته التي نرى أنه ينافس فيها زوس إن لم يتفوق عليه ، فهو أكثر كمالاً من زوس وأرقى منه في كل شيء فحتى أصله الهوائي بدأ يتراجع أمام صوره المعنوية التي رشحته لأن يكون (ربّ الإغريق) القومي الحقيقي الأول خصوصاً في عصرها الكلاسيكي ، لذلك نرى أن زوس كان إله الإغريق القومي في العصر الآرخي (العتيق) لكن أبولو أصبح بجدارة إله الإغريق القومي في العصر الكلاسيكي الذي هو أبهى عصور الإغريق .

أصل أبولّون:

تعتبُر مسألة أصل أبولّو واحدة من أعقد المسائل المثولوجية التي شغلت العلماء والباحثين "وترجع صعوبة تحديد الموطن الأصلي لأبولّون إلى كونه إلهاً متعدد الاختصاصات . كان أبولون إلهاً مختلطاً كالشعب اليوناني نفسه فهو يمثل مزيجاً من عدة عناصر متباينة وخليطاً من عدة عبادات مختلفة . وقد تجمعت فيه هذه العناصر المختلفة فبدت متناقضة بل متضاربة . ومن العسير أن نتخذ من عنصر أو صفة واحدة من صفاته نبراساً يهدينا إلى موطنه الأصلي" (علي 295) . تقسم نظريات أصل أبولّو إلى قسمين رئيسيين أولهما داخلية أي ترى أن أصله من خارج بلاد الإغريق ، وكلّ واحدة منهما لها ثلاث نظريات فرعية . . أي إننا أمام ست نظريات سنستعرضها بإيجاز :







شكل (80) الإله أبولو

1- حوالى 700 - 680 ق.م

2- حوالى 465 - 455 ق.م

3- حوالى 355 ق.م

أ- النظريات الداخلية :

تُرجع هذه النظريات الثلاث أصل أبولّو إلى بلاد الإغريق واليونان وتنفي أنه وفد من خارجها وهي :

1-التشابه القائم بين اسم أبولو واسم إبيلا (Apella) الذي يطلق على الجمعية الشعبية عند الدوريين وبخاصة الإسبارطيين ، أي إنه أحد آلهة الدوريين وهم من الإغريق .

2- اسم أبولّو مشتق من كلمة بمعنى (حظائر الغنم) ولذلك كان أبولّو إلهاً للرعاة وكان الكبش رمزه وعصا الراعي والقوس والسهام ، وهذه الكلمة إغريقية تماماً ولذلك فهو إغريقي .

3- يذكر هوميروس أن لقب أبولو هو (Phoibos Apollon) أي (فويبوس إله شجرة الحور) واسم شجرة الحور الإغريقية هو فويبوس ولذلك توجب أن يكون إغريقياً ، ويعزز هذا أسطورته مع الإلهة دافني (وهي من أشهر أساطيره) التي تتحول إلى شجرة حور في نهاية الأسطورة وهو ما يفسر أصل شجرة الحور أسطورياً .

ب- النظريات الخارجية :

تُرجع هذه النظريات الثلاث أصل أبولّو إلى مكان ما يقع خارج بلاد الإغريق ويختلف موقع هذا المكان بحسب كل نظرية ، وترى هذه النظريات أن أبولّو إله وافد إلى بلاد الإغريق من مكان خارجها :

1- من شمال أوروبا وتحديداً من شعب الـ (هايبر بورياني Hyperboreani) ومعناه (سكان المنطقة وراء الريح الشمالية) . وكان الإغريق يعتقدون أن هناك شمالاً على مسافة بعيدة شعبًا غامضًا اعتاد أبولو أن يعيش معهم قبل أن يذهب إلى دلفي . وقد رأى هيرودوت قبر عذراوين هايبر بورينيتين في ديلوس(30) .

وقد وصفهم آخرون بأنهم شعب سعيد لا يعرف المرض أو الشيخوخة ويمضون حياتهم في حفل دائم مع أدوات الموسيقى والمآدب البهيجة ويزيّنون رؤوسهم بإكليل من أوراق الغار (وهو رمز أبولّو) .

وربما كان مكانهم الحقيقي شمال شرق آسيا أو شمال البحر الأسود أو قزوين أو جنوب القوقاز . . . الخ .

ويناقش العلماء أصل أبولّو الهايبربوريني من خلال طقوس احتفال أو عيد يطلق عليه عيد (ستبترياStepteria) أو (عيد الإكليل) الذي كان يحتفل به في دلفي كل ثماني سنوات مرة واحدة وأنه يختتم بتقديم هدايا أكاليل الغار وأدوات العزف كالقيثارة من مناطق شمالية يرجّح أن تكون من (هايبر بوريني) عبوراً بأقاليم ومدن أخرى .

2- من شمال آسيا : وتحديداً من سيبيريا ثم انتقلت عبادته إلى آسيا الصغرى ومنها إلى أيونيا ثم بلاد الإغريق .

3- من آسيا الصغرى (الأناضول) : يرى بعضهم أن لقب أبولو الليكي (Lykeios) هو نسبة إلى إقليم ليكيا في آسيا الصغرى ، وربما كانت منطقة أركاديا ذات صلة بإقليم ليكيا لأنها كانت تعرف بـ (ليكاونيا) وربما كان اسم (لادا) معبودة (ليكيا) هو أصل اسم (ليتو) والدة أبولو ، كذلك اشتركت ليتو مع أبولو وأرتميس (ولديها) في معبد واحد في طروادة .

ج- أبولو هو بعل (بل) السامي :

النظرية السابعة التي نقترحها هنا والتي تنتمي إلى الأصول الخارجية تقوم على أسس أكثر إقناعاً (كما نرى) وهي أن الإله أبولو هو الإله السامي (بعل) .

عبد البابليون الإله مردوخ تحت اسم (بل) وكان يعني (السيد) وانتقل هذا اللقب كاسم لإله عند الكنعانيين بشكل خاص باسم (بعل) ولو تحرينا ملياً في شخصية الإله بعل لوجدنا أنها تطابق الكثير من صفات أبولو ، صحيح أن شجرة الآلهة الكنعانية تضع بعلاً في مقام ابن إيل أو داجون ، أي إنه يوازي زوس ابن كرونوس ولكن ظهور (بعل) كابن وريث لكل الآلهة التي سبقته جعلت من صفاته ومكوناته شاملةً حتى إنه أصبح يطلق على كل الآلهة ولذلك نجد الكثير من الآلهة البعول[31] .

ونرى أن الإله (بعل) أو (بل) رحل من وادي الرافدين إلى بلاد الأناضول أو إلى بلاد الشام ثم بلاد الأناضول وربما كانت ليكيا محطته الرئيسية هناك مرتبطاً مع أمه إيلات وأخته أرتميس في أسطورة ولادتهم في ليكيا وفي معبد واحد في طروادة .

ثم انتشرت عبادته على الساحل الآسيوي الغربي في مدن مثل باتارا (في ليكيا) وديريما (في كاريا) وكلاروس (في أيونيا) وجرينيوم في (أيوليس) حيث أصبحت هذه المعابد مراكز للنبوءة.

ويمكننا وضع النقاط الآتية التي تدعو إلى التشابه بين بعل وأبولو :

1- اسم أبولو يشبه اسم بعل أو بل خصوصاً أن حرف العين لا ينطقه الإغريق ويستبدل بالألف فيتحول إلى بال ، وكان اسم بعل ينطقُ عند الأوغاريتيين تحديداً بـ (بعلو) الجبار وبذلك يكون اسم (بالو) قريباً جداً من اسم (أبولّو) .

2- أن اسم أم أبولو هو (ليتو) واسم أم بعل هو (اللات) الذي يعني (الإلهة) وهناك اتفاق لفظي بينهما أيضاً .

3- أن اسم أخت أبولو هو (أرتميس) الإلهة الصيّادة والتي ترتدي دائماً بزة الحرب والصيد وكذلك فإن أخت بعل وزوجته هي (عناة) التي كانت رمزاً للحرب وهي ترتدي عدتها الحربية دائماً .

4- يرمز أبولو للرعاة ولحظائر الغنم ولكل ما هو مخصب وكذلك يرمز بعل للخصب ، ورموز أبولو هي القوس والسهام وعصا الراعي ورموز بعل هي الرمح والفأس . وتعتبر شجرة الحور أو الغار رمزاً لأبولو وتعتبر شجرة المر رمزاً للإله أدونيس القريب من بعل وهو بمثابة الأخ له .

5- تظهر صفات التطهير والشفاء والموسيقى على أبولو وكذلك تظهر مثل هذه الصفات على بعل وتتركز بصورة أوضح في أخوته أشمون (التطهير) شدرافا (الشفاء) وبعل مرقد (الرقص) .

6- أبولو سيد الأماكن والمدن التي عبد فيها وكذلك بعل الذي يظهر في المدن المختلفة مثل بعل بقاع (بعلبك) وبعل كرم اللوز (كرمل) وبعل روليخ وبعل صفون (جبل صفون) وبعل لبنان وبعل صور وبعل معون . . . الخ ، وتظهر صفات الحكم الهوائية في أبولو وبعل حيث يوصف بعل بأنه ألين أي البطل والقوي وهدد وجمر وراكب السحاب والعليّ . . . الخ .

7- يرتبط أبولو بالضوء والنور وكذلك بعل بالبرق فهو إشارة على ظهوره .

8- يعتبر أبولو إلهاً برزخياً أي يوجد في العالم الأعلى والأسفل وكذلك بعل الذي تمثل دورة حياته انتقالاً من الأرض إلى العالم الأسفل بشكل دوري .

وعلى أساس هذه الأمور نرى أن أبولّو هو نفسه الإله بعل خصوصاً إذا عرفنا أن زوس (الذي يقابل بعل) قد أخذ صفات الطقس والقوة والرهبة من بعل وبقيت الصفات الجمالية والبديعة له في أبولو ، وبمعنى آخر أن بعل وصفاته انقسمت بين زوس وابنه أبولو وطغت على زوس صفاته الإنليلية الرافدينية القديمة ، أما أبولو فقد أخذ صفات البعل البديعة في الجمال والإخصاب والفنون وغيرها .

وكذلك نودّ أن نشير ، بكثير من الأهمية ، إلى ارتباط الإلهين أبولو وبعل برقمي 7 و 8 حيث "يقول نيلسون تعزيزاً لرأيه في أن أبولون شرقي الأصل . إن هذا الإله يرتبط برقم سبعة إذ ولد في اليوم السابع ، وكانت أعياده تقام عادة في هذا اليوم ، ورقم سبعة مقدس عند البابليين كما يتبين من التقويم البابلي ويوم السبت" . (علي ص403) وبعل يرتبط بقيامته من الموت كل سبع سنوات ، وبعد سبع دورات تضاف سنة أخرى فتصبح ثماني سنوات ، وكذلك نجد أن احتفال أو عيد الإكليل (Stepteria) كان يحتفل به في دلفي كل ثماني سنوات .

أما إكليل الغار الذي يتوج رأس أبولو فلا نستبعد أنه كان في الأصل غطاء رأس مخروطي الشكل كما هو على رأس بعل ثم استبدل بالغار تيمناً بالرمح المورق الغاري الذي كان يحمله .

إننّا نرى أن موضوع دراسة أصل أبولّو البابلي/الكنعاني والذي يمكن أن نصفه بالأصل الأموري وهي نقطة الصلة بين البابليين القدماء الأموريين والكنعانيين الذين كان أصلهم أمورياً ، هذا الموضوع هو من أكثر الموضوعات إغراءً في البحث لوجود الكثير من نقاط الالتقاء بينهما وإننا على ثقة بأن تتبع انتقال بل أو بعل من المشرق القديم إلى اليونان قد وجد له ، في طريقه ، الكثير من محطات التقديس والعبادة . . وبذلك يكون بعل قد اكتسب صفات جديدة وتخلى عن أخرى وهو في طريق صعوده من الجنوب الشرقي إلى الشمال الإغريقي .

أساطير أبولّو:

يمكننا تصنيف أساطير أبولّو إلى خمسة أنواع من الأساطير هي :

1- أسطورة ولادته .

2- أساطير صراعه .

3- أساطير رحلاته .

4- أساطير انتقامه .

5- أساطير نسائِه وأبنائه .

أسطورة ولادته:

كانت (ليتو) إلهة الضوء قد عاشرت زوس وحملت منه ، وقبيل ولادتها هامت على وجهها في كل بلاد اليونان لتضع وليدها لكن هذه البلاد رفضت استقبالها إما خوفاً من النبوءة التي تقول بأنها ستلد إلهاً جباراً رهيباً يجلب المشاكل معه وإما لأن هيرا زوجة زوس حرضت مدن اليونان ضدها ، حتى وصلت إلى جزيرة ديلوس وهي جزيرة مجدبة ومهجورة في بحر إيجه فقبلت بها بعد أن أقسمت ليتو أنها ستقيم معبداً فيها لولدها المرتقب وتجعل من ديلوس محجاً عظيماً يجلب لها الثروة .

تعسرت ولادة ليتو وظلت تتوجع لسبع ليالٍ فأرسلت الرسولة إيريس إلى ربة الولادة إيليثويا (ابنة هيرا) واعدة إياها بعقد ثمين . فجاءت الربتان على شكل يمامتين إلى جزيرة ديلوس . ولمّا جاء المخاض أمسكت ليتو بجذع نخلةٍ (وفي رواية أخرى زيتونةٍ) ووضعت أرتميس ثم أبولو . وما إن أرضعته ثميس بالنكتار والأمبروسياً حتى دبت فيه القوة فتكلم وهو يخطف القيثارة والقوس ويعلن عن نبوءته وأنه سيكون المتنبئ الأعظم . وهكذا تألقت جزيرة ديلوس وقدّست شجرة الزيتون التي أمسكت بها ليتو ويقال بأن إحدى الحوريات كانت تسلي أبولو وهي مشدودة الأيدي إلى الخلف محاولة قضم لحاء شجرة الزيتون (وهي شعيرة انتقلت إلى متعبدي أبولون أثناء طقوسهم) .

تحولت جزيرة ديلوس إلى فردوس بعد مجيء أرتميس وأبولو وصدحت فيها الموسيقى والأغاني والضوء والزهور . . . الخ .



شكل (81)
ليتو مع أبولّو وأرتميس



شكل (82)
الثعبان بيفون يطارد لاتونا وولديها - ابولون وارتيميدا
(رسم على مزهرية)

أساطير صراعاته:

1- صراعه مع العملاق تيتوس (Tityos) : رحلت الأم مع ولديها إلى جزيرة دلفي وفي الطريق إلى هناك ظهر العملاق تيتوس (ابن زوس أو ابن جايا) وحاول تيتوس اغتصاب ليتو لكنّ أبولو (او أرتميس) صوب له سهماً فأرداه قتيلاً فهوى هذا العملاق إلى ترتاروس في أعماق العالم الأسفل وأخذ نسران كبيران ينهشان كبده الذي كان ينمو من جديد كلما ظهر القمر .

2- صراعه مع التنينة بيثون (Python) : عند وصول العائلة إلى دلفي (وكانت تسمى بيثو نسبة للإلهة الموكينية المينوية بيثو التي تقابل إلهة الأرض جيا وهي التي تحولت إلى تنين اسمه (بيثون) وكانت بيثون تسكن في كهف قرب أحد الينابيع ملتفة على شجرة الغار (وهي التي طاردت ليتو ومنعتها من الولادة) وبدأ صراع بين بيثون وأبولو حتى قتلها بنباله واستولى على معبد دلفي . وكانت دلفي تسمى سرّة الأرض (أومفالوسOmphalos) حيث قام زوس بإطلاق نسرين من شرق وغرب الأرض فالتقيا عند دلفي متوصلاً بذلك إلى تحديدها كمركز للأرض . وقام أبولو بغسل يديه في البحر من دنس بيثون فلمح على الشاطئ سفينة لبحارة كريتيين فتحول إلى دولفين ووصل السفينة وقادها إلى مدينة كريسا ثم وصل إلى دلفي وجعل بحارتها أول كهنة في معبده.

أساطير رحلاته:

1- رحلته إلى ثيساليا : ذهب إلى ثيساليا إما لكي يتطهر من دنس (بيثون) وإما لأنه قتل الصقالبة الذين حملوا الصاعقة إلى زوس (الذي قتل بها ابن أبولو إسكلابييس) فقرر الرحيل ، بأمر من زيوس ، إلى ثيساليا حيث صار يرعى قطعان الملك أدميت ، حيث قام برعي الماشية وأخذ يعزف بنايه القصبي لتجتمع حوله الوحوش وترق وحشيتها فتعاشر الغزلان والوعول مسحورة بألحانه ، وساعدت موسيقاه على الوفاء بشرط الملك بيليوس الذي

أراد أن يزوج ابنته إلى أدميت بأن يجر عربته أسدٌ ودبٌ دون عراك بينهما ، وبقي أبولو في خدمة أدميت ثماني سنوات عاد بعدها إلى دلفي بعد أن أدى هذا الواجب .

2- رحلته إلى بلاد الهيبربوريين : يرحل أبولو في كل شتاء شمالاً إلى بلاد الهيبربوريين (معناه سكان المنطقة وراء الريح الشمالية) حيث تكون الأرض ربيعية وحيث ترف السعادة على أهلها ولا يعرفون المرض والشيخوخة ويمضون كل وقتهم في الرقص والعزف على القيثارة والناي وإقامة المآدب ولبس أكاليل الغار . وكان الهيبريون يرسلون هدايا على شكل أشياء مقدسة ملفوفة في قش القمح إلى ديلوس من طريق الشعوب التي بين البلدين حتى تصل إلى ديلوس ، وذات مرة أرسلا فتاتين تحملان الهدايا والقرابين فقتلتا في ديلوس ودفنتا في قبرين يسميان (بيرفيريس) وظل أهل ديلوس يقومون بتقديم القرابين لهما وينشدون ترتيلة دينية مؤلفها (أولين) الليكي .

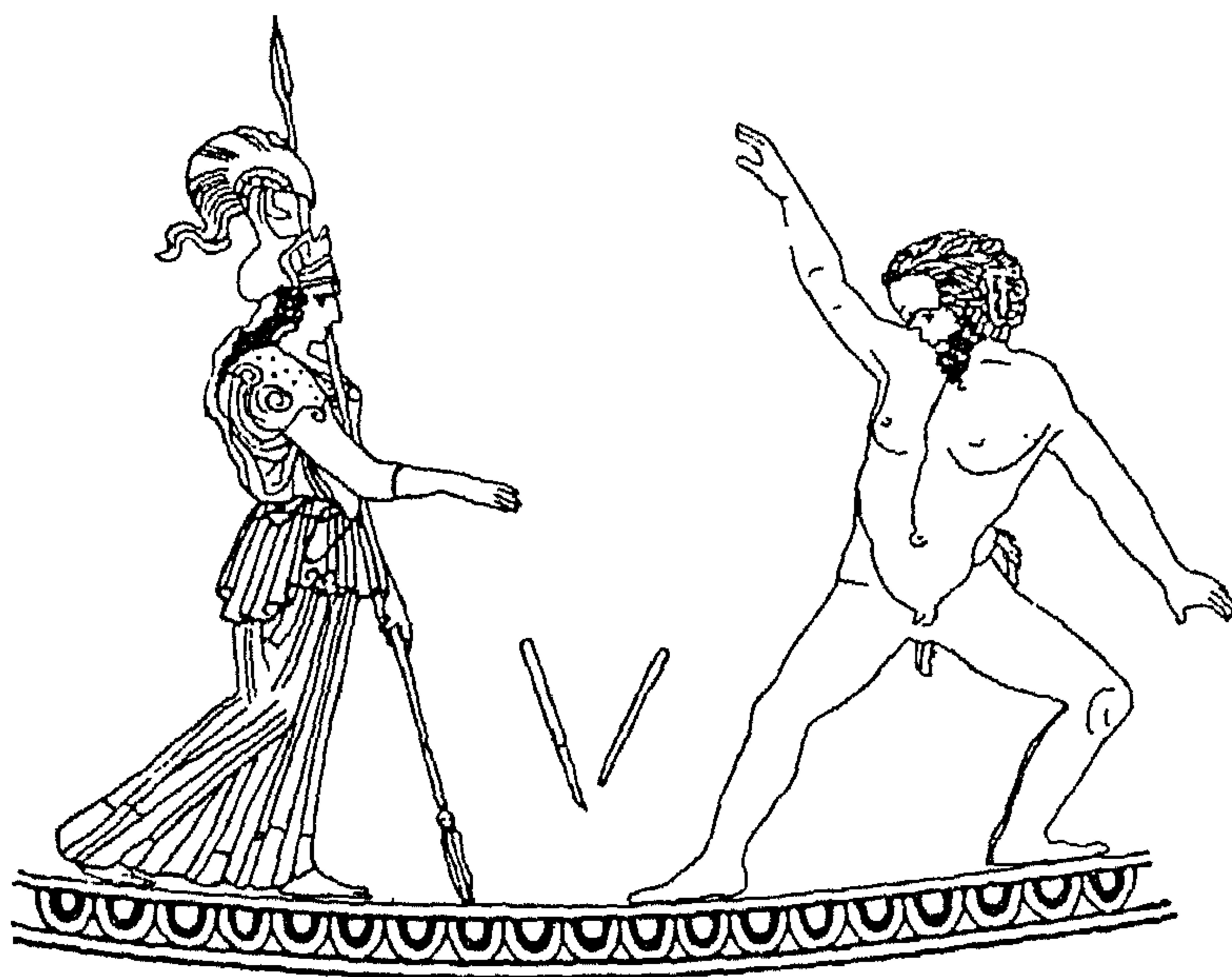
3- رحلته إلى هيليكون : يرحل أبولو في الربيع إلى سفوح هيليكون حيث يجري نبع هيبوكرينا وفوقه جبل برناس ومياه كاستاليا ليقيم مع ربات الفنون التسع وهن مرافقات أبولو الخالدات يرقصن حوله ويحطن به ، وخلال ذلك تهدأ آلهة الأرض وحروبها وتخبو صواعق زوس ونسوره وترقص الآلهات في ربيع كوني رمزه أبولو .

4- رحلته إلى طروادة : بعد أن فشلت المؤامرة التي حاكها أبولو مع بوزيدون وهيرا وأثينا للنيل من زوس ووضعه في قيود حديدية وتعليقه في الفضاء قرر زوس عقاب أبولو وبوزيدون بأن يذهبا إلى طروادة ويخدما لاومدون ملك طروادة ويعمرا جسور المدينة وبعد انتهائهما طالبا الملك بأجرتيهما فرفض وهددهما بقطع آذانهما وبيعهما عبيداً .

أساطير انتقامه:

1- انتقامه من أوتوس وايفيالتوس : وهما ابنا أوليوس اللذان غرّتهما قوتهما فتطاولا على الآلهة ، وهددا بتدمير جبال الأولمب وأسر هيرا وأرتميس ، وشرعا بتنفيذ ذلك فقيدا أريس إله الحرب بالسلاسل وحبساه ثلاثين شهراً في سجن نحاسي ثم خلّصه هرمس ، ثم قام أبولو بقتلهما بسهامه القاتلة .

2- انتقامه من الساتيرمارسيوس : كان الساتير الفريجي مارسيوس قد عثر على شبابة (ناي) صنعتها أثينا ثم رمتها بعيداً بعد أن رأت أن العزف عليها يأخذ من جمال وجهها ودعت أن ينزل العقاب بمن يعثر على هذه الشبابة ويستعملها ، فعثر عليها مارسيوس وأجاد العزف عليها فتحدى أبولو الذي سرعان ما قبل التحدي وعزف على القيثارة وهزم مارسيوس بسهولة وطلب عقابه بسلخ جلده حياً . وعلق جلده في مغارة قريبة في فريجيا وكان هذا الجلد يتحرك وكأنه يرقص عندما تمر نغمات الشبابة الفريجية ويجمد بلا حراك عندما تمر به ألحان القيثارة .





شكل (83)

مارسيوس يلتقط الشبابة التي رمتها أثينا

مارسيوس وأبولو يتباريان بالعزف

3- الانتقام من ميداس : تبارى بان وأبولو في عزفهما وحكّما الملك ميداس والجبل تمولوس فعزف بان على مزماره الريفي وعزف أبولو على قيثارته فأقرّ الجبل تمولوس ومعه الجميع بتفوق أبولو ما عدا الملك ميداس الذي رأى بان متفوقاً ، فغضب أبولو وقرر أن يحول أذني ميدياس إلى أذني حمار فتحولتا فخجل الملك ووضع له تاجاً كبيراً ليخفيهما ، لكن حلاّق الملك كشفهما وأدرك أنه من المستحيل عليه إذاعة هذا السرّ وحين ضاق صدره بكتمانه حفر حفرة في الأرض وهمس بالسر ثم أعاد التراب إلى الحفرة وسوّاها من جديد ونبتت أشجار الغاب على تراب الحفرة ، وأخذت تحكي سرّ أذني الملك كلما هبت ريح الجنوب كاشفة سرّ الملك (32) .

4- الانتقام من أبناء نيوبي : كانت نيوبي حفيدة أطلس وزوس ولها سبعةُ أبناء وسبع بنات وقد رأت نساء طيبة يتهافتن على محاريب ليتو وولديها أبولو وأرتميس فدبّت الغيرة فيها ومنعت النساء من ذلك مدعية أنها هي الأفضل في كلّ شيء . شكت ليتو ذلك لولديها فقرر أبولو الانتقام ورمى بسهامه أبناء نيوبي السبعة وهم على جيادهم أو راجلين . . فلما بلغ الخبر نيوبي وزوجها أمفيون قام أمفيون بقتل نفسه حزناً على أولاده السبعة ، أما نيوبي فظلت تفاخر ببناتها .

قرر أبولو الانتقام من بناتها وهنّ في لباس الحداد فرشقهن بسهامه حتى الموت ، وهكذا تحولت نيوبي إلى كتلة من الحجر يجري منها الدمع ونقلتها الريح فوق قمة الجبل . وأصيب الناس بالذعر من قوة ليتو وولديها فأقبلوا على عبادتهم خاشعين (33) .

أساطير زوجاته وأبنائه:

1- زوجاته من أصل مائي :

تندرج تحت هذا العنوان ثلاث زوجات مهمات لأبولو ينتهي الزواج إما بالمسخ وإما بذهاب الأبناء باتجاه العالم الأسفل .

أسطورة أورفيوس : تزوج أبولو من كاليوبي ربة الشعر وأنجب منها أورفيوس الذي ورث عن أبيه أهم صفاته وهي الموسيقى والشعر ولذلك استلم القيثارة وصاغ أعذب الأغاني والألحان ولما كبر أورفيوس أحب (يوريديكي) عندما كانت تلعب مع صاحباتها وكان يتابعها حين اعترضها أريستايوس وألحّ في مضايقتها حتى هربت منه ولدغتها حيّة وماتت فأطلق أورفيوس العنان لموسيقاه وأشعاره ليسمع الألهة مأساته دون جدوى ، ثم قرر الهبوط إلى العالم الأسفل وهبط واندفع بين أشباح الأرواح حتى وصل إلى إله وآلهة العالم الأسفل (هاديس وبرسفوني) وأوضح لهما مأساته

مفصحاً عن رغبته في أن يصطحب يوريديكي معه ويخرجان إلى العالم من جديد ، ويقال إن أورفيوس تحدث عن مأساته شعراً وغناءً وموسيقى حتى رقت له قلوب الآلهة وتوقف مذهولاً كل من كان في العالم الأسفل ورقت مشاعره لدرجة أن ربّات الانتقام والغضب تبللت وجناتها بالدموع . . فقبل إلها العالم الأسفل أن تخرج يوريديكي من عالم الأموات إلى الحياة شرط أن تمشي وراءه وهو يصعد إلى العالم الأعلى دون أن يلتفت إليها . وهكذا خرجا إلى الأعلى وما كادا يصلان إلى سطح الأرض حتى أراد أورفيوس التأكد من وجود حبيبته خلفه فالتفت نحوها ، وفي الحال هبطت يوريديكي إلى العالم الأسفل ثانية وهي تمدّ يدها إلى أورفيوس دون جدوى وماتت مرة أخرى . وحاول أورفيوس العودة لإنقاذها لكن طلبه رفض وقضى سبعة أيام عند حافة العالم الأسفل دون طعام أو نوم ثم راح يشكو بأغانيه حظّه العاثر وقرر هجران النساء وحاولت عذارى تراقيا إغواءه لكنه اتجه إلى حبّ الفتيان فقررن الانتقام منه وضربنه ثم مزقنه إرباً إرباً وألقين برأسه وقيثارته في نهر هبروس فطفا على مياه النهر يتمتمان بأنغام حزينة ، وسرعان ما جمعت إلهات الموسيقى أشلاءه ودفنّها عند (ليبثرا) حيث يصدح العندليب فوق قبره بأنغام عذبة ووضع زوس قيثارته بين النجوم .

ويقال إن شبحه هبط إلى العالم الأسفل فلقاها هناك وهما الآن يتجولان في الحقول السعيدة معاً .

ويبدو أن أسطورة أورفيوس هذه كانت أساس الشعر الغنائي من ناحية (حيث يعتقد أنه ظهر في جزيرة ليمنوس حيث دفنَ مع قيثارته بدلاً من ليبثرا) وكانت أساس النحلة الفلسفية والدينية المسماة بـ(الأورفية) التي يبحث أفرادها الخلاص بالروح من سجن الجسد عن طريق مجموعة من الطقوس وأن هذا ما يسبب لهم الخلاص بعد الموت بأرواحهم حيث يشفع لهم أورفيوس هناك .

أسطورة دافني:

دافني (أو الغار) أول أنثى أحبّها أبولّو وأمها هي جايا (إلهة الأرض) وربما كان أبوها إله النهر (لادون) في أركاديا ، أو (بينوس) في تساليا أو (أميكلاس) في لاكونيا . وهي تشبه أخته الصيادة أرتميس عذراء وقد أحبها قبله ليوكيبوس بن أوينوماوس ملك بيسا بعد أن تنكر بملابس فتاة لكن دافني اكتشفت حيلته بعد أن دعته للاستحمام وأصبح بعدها فريسة للصيّادات أو للحوريات .

ظلّ أبولو يتعقب دافني من مكان إلى آخر وذات مرة هربت منه وتوسلت بأمها (جيا) أن تنقذها منه فمسختها إلى شجرة غار حيث كان يهم أبولو بإمساكها وهكذا أصبحت شجرة الغار رمزاً من رموز أبولو وأخذ يزين جبينه بغصنٍ منها بصورة دائمة .





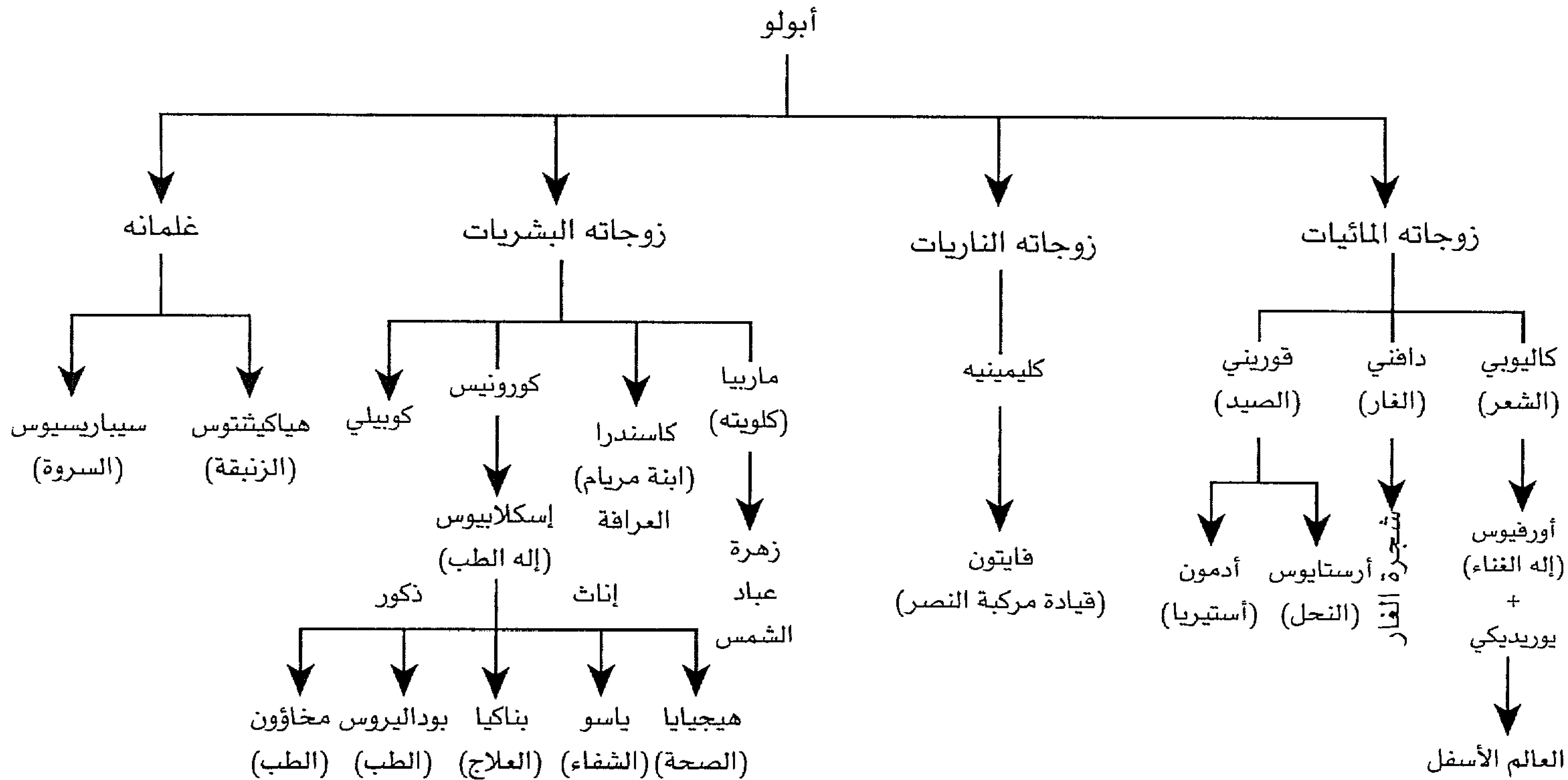
شكل (84)

الباخيات (عابدات ديونسيوس) يقتلن أورفيوس

الأعلى: رسم على آنية. الآنية: تخطيط مفصل، **470** ق.م / اللومز. باريس

مخطط (16)

أبولو وزوجاته وأبناؤه



أسطورة قوريني:

هناك روايتان في أصل قوريني فهي إما ابنة هيبيسيوس ابن النهر بنيوس وحورية الماء (كرويسا) ابنة الأرض وإما أنها ابنة ملك اللاتبيين المسمى إبسيوس والملكة كليدانوبيس. وقد نشأت قوريني Kyerene أو Cyrene في غابات جبال بيليون في شمال تساليا وكانت صيّادة تحرس أغنام أبيها من الوحوش المفترسة وتتسلح بالسيف والرمح والقوس، وذات يوم شاهدها أبولو وهي تصارع أسداً بيديها دون سلاح فأعجب بها واستدعى المارد (كيرون) الذي كان على شكل حصان وأعلن له عن رغبته في الزواج منها واختطافها فتنبأ كيرون لأبولو وقال له بأنه سيذهب بها إلى ما وراء البحار إلى ليبيا وسيخفيها، هناك بعيداً عن أعين الناس والآلهة. وحملها أبولو إلى ليبيا في موقع يسمى على اسمها (قورينا) (وهو الآن مدينة شحات) عن طريق عربته الذهبية، وكانت في استقبالهما أفرديت التي قادتهما إلى الحجرة الذهبية للإلهة ليبيا (وهي إلهة محلية رأى الإغريق أنها ابنة زيوس وإيو أو ابنة بوزيدون وتريتونيس إلهة البحيرة أو ابنة العجل إيبافو).

منح أبولو زوجته قورينا الخلود تلك الليلة ونام معها وتركها في حماية الآلهة إرميت (إلهة الولادة) وبناتها عرائس الزعتر (مرتو)، ووضعت قورينا طفلها الأول أرستيوس (إله النحل) والثاني أدمون الذي تروي أساطير أخرى أنه فتاة اسمها استيريا أو قورينا أيضاً. لكن قورينا ضاجعت بغياب أبولو، إله الحرب أريس وانجبت منه ديوميدس التراقي صاحب الخيول الآكلة للرجال(34).

ويرى روبرت جريفس، ويتفق معه مصطفى بازامه، أن لقورينا صلة بالحصان من جهة وبالنحل من جهة أخرى، فهي ذات علاقة بالحصان لأن أصلها من تراقيا حيث يُعبد الحصان ولها صلة بالقنطور وبكيرون وبنشأة ديوميدس التراقي، وهي ذات علاقة بالنحل لأن الإلهة (كِير) هي سيدة النحل وهي ذات علاقة بقورينا التي يرجح بازامه أن أصلها ليبي انتقل إلى مصر ثم إلى كَريت ثم إلى تراقيا وعاد مع أسطورة أبولو وقورينا إلى مدينة شحات التي هي مدينة ينتج فيها العسل ويُربى فيها النحل. وما أسطورة ابنها أرستيوس إلاّ الدليل على هذا، عرف أرستايوس بإتقانه عدة حرف كالرعي والحراسة وعصر الزيتون والصيد وتربية النحل وله أسطورة رواها فرجيل تشير إلى ملاحقته ليوريكي زوجة ابن أبولو أورفيوس مما تسبب في سقوطها ولدغ الحية لها فانتقمت منه أخوات يوريكي الحوريات حيث دمرن كل خلايا النحل، فنصحته أمه بأن ينحر العجول قرباناً للحوريات ويترك رؤوسها في الغابة حيث وجدها بعد ثمانية أيام مليئة بالنحل وعُبد هذا الإله في قوريني وكيوس وبويوتيا وغيرها.

2- زوجاته من أصل ناري :

هناك أسطورة فايتون ابن أبولو من كليمينيه (ابنة فيتييدا ربة البحر) ولكن كثيرين ينـ
فايتون إلى إيلوس (هيلوس) إله الشمس وهو الأرجح في رأينا . ولذلك ندعو إلى مراجعة أسـ
فايتون مع أساطير هيلوس .

3-غلمانه:

هيكايثنتوس : كان هيكايثنتوس معشوق زفيروس (نسيم الغرب) وقد كان أبولو يهيم ـ
ويصحبه إلى الجبال وكانا يلعبان رمي القرص فقد حاول هيكايثنتوس رمي القرص لكنه ارتدّ
وضربه بوجهه فخرّ صريعاً بين يدي أبولو وتحول إلى نوع من الأزهار هي (الزنابق) .

سيباريسيوس : الذي تحول في واحدة من الأساطير إلى شجرة السرو .

4- زوجاته البشريات:

تزوج أبولو أربع نساءٍ بشريات هن :

1- ماربيسا (كلوتيه) التي تحولت إلى زهرة عباد الشمس .
2- كاساندرا (ابنة بريام) التي تحولت إلى عرافة .
3- كوبيلي التي منحها أبولو عمراً طويلاً فكبرت بها هذه السنوات حتى تحولت إلى ضامرة صغيرة وضعت في قارورة وكانت تتمنى الموت .
4- كورونيس : وهي أهم زوجاته البشريات لأنها أنجبت له (إسكلابيوس) إله الطب ، كـ
ابنة فليجياس وتزوجها أبولو لكنها خانته مع الإنسان (أسخيس) فقام الغراب بإخبار
وكان ريش الغراب أبيض فرماها بسهمه ولكنه ندم على ذلك فحاول إنقاذها فلم يسـ
فحوّل الغراب إلى أبيض الريش وأنقذ حياة ابنها الذي كان في رحمها وهو اسكلابيـ
وسلّمه للقنطور الحكيم (خيرون) . . فأصبح هذا الإله أهم أبناء أبولو وتولى موضوع الـ
وإعادة الموتى إلى الحياة .

أسكلابيوس (Asclepius):

وهو الإله الطبيب وقد عبد كإله منذ العصر الكلاسيكي ، وقد نبغ على يدي القنطور (خير
الذي علمه فن الطب .

وقد تزوج أسكلابيوس وأنجب خمسة أبناء (3 إناث ، ولدان) :

1- هيجيايا(ygieia) إلهة الصحة .

2 -ياسو (Iaso) إله الشفاء .

3 -بناكيا (panacea) إله العلاج العام .

4- بوداليريوس (Podalirius) الطبيب .

5- مخاؤون (Machaon) الطبيب .

وقد تطوّر فن الطب على يدي أسكلابيوس لدرجة أنه استطاع أن يعيد الموتى إلى الحياة فقد طلبت إليه أرتميس أن يعيد الحياة إلى الشاب (هيبوليت) الذي قضى نحبه بعد أن هاجمه وحش البحر ، ولما رأى زوس أن إسكلابيوس جاوز حدّه البشري وتدخل في عالم الموتى أرسل عليه صواعقه وقتله . فغضب أبولو فقتل الصقالبة الذين سخّروا الصواعق لزوس ، فقضى زوس أن يقضي أبولو مدة عام في عالم البشر على الأرض وأن يخدم أدميتوس (ملك فيراي) الذي رأى في مقدم أبولو الخير (دون أن يعرف حقيقته) فقام أبولو بتقديم خدمة أخرى له بإطالة عمره فطلب من أحد أن يفتديه فافتدته زوجته (الكستيس) ففعلت ورمت بنفسها إلى المحرقة لكن هرقل أنقذها إذ طلب إلى ثاناتوس ملك الموت أن يعيدها إلى زوجها .

وبعد أن قضى أبولو مدة عقوبته عاد إلى جبل الأولمب واستعطف زوس كي يرفع أسكلابيوس إلى مصاف الآلهة فقبل زوس وعند ذاك أقيمت الطقوس والشعائر لإسكلابيوس في إبيداوروس قرب ينابيع المياه حيث يتم شفاء المرضى وكذلك في جزيرة كوس وكنيدوس وبرجامون وهذه هي أشهر معابد إسكلابيوس ، "وكان المرضى يفدون إلى المحاريب المقدسة فينامون بالقرب منها بعد تناول جرعة مخدّرة وينتظرون أن يزورهم الإله في رؤاهم ليرشدهم إلى طريقة شفائهم الناجعة ، وليس ببعيد أن الكهنة كانوا يهمسون في آذان المرضى المخدّرين فيتوهم هؤلاء أن الإله قد تحدث إليهم في نومهم"(35) .

كان الثعبان والكلب والديك رموز الإله أسكلابيوس ، الثعبان بسبب سمّه الذي قد يكون دواءً والكلب بسبب المادة التي تشفي الجروح على لسانه حين يلعقها وهي رموز لآلهة الطب في وادي الرافدين والديك لقدرته على الوقاية من السوء وطرد الأرواح الشريرة ومحاربة السحر الأسود" ووقد اقترنت صور الإله بعصا يلتف حولها ثعبان ويرجع ذلك إلى الاعتقاد بأن للثعبان خواص شفائية مثله مثل الكلب الذي يشاهد أحياناً برفقة أسكلابيوس"(36) .

وكان أسكلابيوس يلقب بالمنقذ (Soter) وقد دخلت عبادته أثينا عندما انتشر فيها وباء (لعله

الطاعون) عام 430 ق .م أي بعد سنة من قيام الحرب البلوبونيزية . وقيل إنه دخل المدينة برفقة ثعبانه المقدس ، وهذا معناه أن الأثينيين صنعوا تمثالاً لإله الطب في صورة ثعبان . ورحب الأهالي بمقدم إسكلابيوس ,ونظم بعض الشعراء أناشيد في تمجيده ، وقد شيد أول معبد له بالمدينة عام 420 ق .م(37) .

ثانياً: أريس Ares:

إله الحب عند الإغريق ، قدّسه الرومان أكثر وسمّوه مارس وجعلوه أبا لجده الأسطوري رومولس ، في الأساطير الإغريقية هو ابن زوس من هيرا ولكنه يكون أحياناً ابن هيرا حملت به من إثر لمسها زهرة غريبة من زهور الربيع وهو ما جعله في البداية رب إخصاب الحيوان والنبات قبل أن يصير إلهاً للحرب ، ويصور عدة حربية حاملاً الدرع والرمح(38) .

لم يكن هذا الإله محبوباً عند الإغريق حيث يندد به هوميروس فيصفه بالقاتل الملطخ بالدماء وأنه لعنة على البشر (ara) ويصفه بالجبان الذي يصرخ من الألم عندما يصاب بجراح وتظهر إيريس ، ربة الشقاق ، كأخت له في الإلياذة وتمشي ربة الحرب إنيو Enyo (وهي تقابل بلّونا Bellona عند الرومان) إلى جانبه في معظم الأحيان وفي ركابها يمشي الرعب والارتجاف والفزع [39] .

ويرى الباحثون أن اسم أريس ما زال مجهول الاشتقاق لكننا نرى أن اسمه مشتق من الإله (إيرا) البابلي وهو إله الحرب والطاعون وأحد آلهة العالم الأسفل الذي له أسطورة شهيرة مع الإله مردوخ .

وارتبطت الأسطورة الرئيسية له بالإلهة أفروديت الذي أنجب منها (هرمونيا) زوجة قدموس (الصوري الأصل) مؤسس طيبة . . وعلى أساس علاقته بها لقبت أفروديت أحياناً بـ (أريّا) .

وكانت أسطورته معها تدور حول خلوته بها في قصر زوجها هيفايستوس لكن هيلوس (إله الشمس) أخبر زوجها فقام هذا بنصب شراكٍ لهما في سرير خلوتهما من الحديد والشباك ، حتى إذا ما تظاهر بسفره إلى ليمنوس التقى العاشقان وسرعان ما أطبق الفخ عليهما وجمدّهما في مكانهما ، وكان هيفايستوس واقفاً عند باب الغرفة حيث نادى الآلهة جميعاً الذين استنكروا هذا العمل؟ ووعد بوزيدون الإله هيفايستوس أن يكفّر الآلهة عن عمل أفروديت وأن يعيدوا له هداياه لها وفكّوا أسر العاشقين فرحل أريس إلى تراقيا ورحلت أفروديت إلى معبدها في بافوس بجزيرة قبرص حيث استحمت وعادت بهية من جديد .

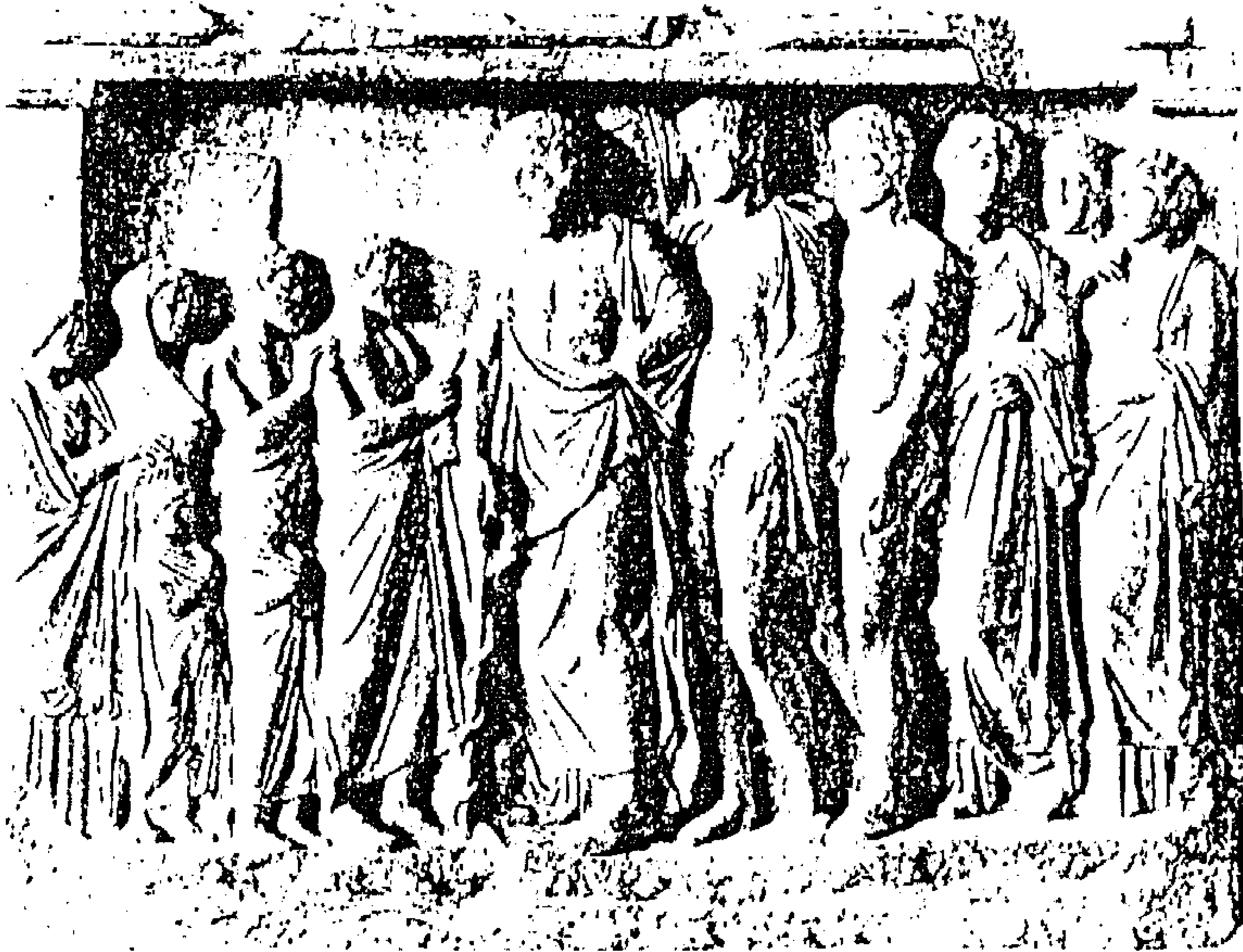




شكل (85) أسكلابيوس

1- المتحف الوطني في أثينا

2- من معبد أسكلابيوس في أبيداروس حوالى 400-380 ق.م/المتحف الوطني في أثينا



شكل (86)

أسكلابيوس كإله للخلاص ومعه زوجته (إبيون) وأولاده الخمسة المتحف الوطني/أثينا



شكل (87)

أسكلابيوس وهيجيا ابنته وعائلة تضحي بثور الإله





شكل (88)

1- هيجيا ابنة أسكلابيوس (إلهة الصحة)

2- أسكلابيوس يتكئ على جذع شجرة ويحمل تعاليم الطب في لفافة

ثالثاً: هيفايستوس Hephaestus:

كان هيفايستوس في الأصل إلهاً آسيوياً لنار البراكين ، وبعدئذٍ أصبح إله النار وبخاصة نار الحدادة ، وأخيراً إلهاً للحدادة ذاتها . ويوصف عند هوميروس بأنه ابن زوس وهيرا ووعند هسيود بأنه ابن هيرا التي أنجبته وحدها بمعجزةٍ انتقاماً من زوس الذي أنجب أثينا من رأسه ، وهو الإله الذي أصبح يعبد عند الرومان باسم فولكان(40) .

وأهم أساطير هيفايستوس هي أسطورة ولادته حيث ولدته هيرا من زوس في فترة خفاء علاقتهما ، التي امتدت لثلاثمائة سنة ، وقد حاولت إخفاء مولده وساءها منظره فألقت به من السماء إلى الأرض حيث ارتطم وظهر بركان (إتنا) وأصيب هيفايستوس بكسر في قدميه جعلته أعرج طوال عمره واتخذ من الحدادة صنعةً . وهناك روايات أخرى عن مولده حيث يقال بأنه سقط من السماء إلى البحر حيث تلقفته إلهة البحر ثيتس مع صاحبتها وربتاه تسع سنوات تعلم خلالها صياغة الحلي . ورواية أخرى تقول إنه منع زوس من ضرب أمه فأمسك زوس به ورماه فوق جزيرة ليمنوس حيث سبّب له العرج .

ومن أشهر ما صنعه هيفايستوس العرش الذي صنعه لإمه ثم غادر الأولمب حيث لم يستطع الخروج منه (لأنه كان يكرهها) حتى أسكره ديونسيوس وعاد للأولمب وخصها منه (شكل 88) وكذلك الفأس الذي شجّ به رأس زوس وخرجت منه أثينا ربة الحكمة في درعها الذهبي ، وكذلك درع أخيل وصولجان أجاممنون وقلادة هرمونيا ، وهو الذي صنع صولجان زوس وسهام أبولو وأرتميس ومنجل ديمتر وطاس هيليوس والنصب الذهبي الثلاثي القوائم ، والعذارى الذهبيات ذوات الحكمة وثيران أييتيس النارية الأنفاس والكلاب الذهبية والفضية حارسة قصر ألكيوس وبنى للآلهة قصورها .

وتقول إحدى الروايات إنه هو الذي خلق (بندورا) أول امرأةٍ في الوجود ، وتقول أخرى إنه خلق الإنسان وإن كان بروميثيوس سارق النار الأولى هو الذي صنعه . وقد تخيل شعراء الأجيال التالية هيفايستوس مقيماً تحت أحد البراكين وأنه هو السبب في ثورانها ، ولا عجب في ذلك فقد كان في الأصل إلهاً للنار التي في باطن الأرض ، وفي الواقع أن كلمة هيفايستوس قد تؤدي معنى النار بوجه عام(41) .



شكل (89) الإله أريس (مارس)

ونرى أن أصل الإله هيفايستوس كنعانّي فهو أوسوس (حاسس) الذي كان إله المعادن والصناعة مع الإله (كوثر) وتتضح علاقته بالنار إذا عدنا إلى أصله فهو (أوس) (أش) الذي يمثل النار السماوية والذي تحور اسمه إلى حساسيس وخاسيس الذي تحول بدوره إلى هيفاستوس وقد ناقشنا ذلك مفصلاً في كتابنا (المعتقدات الكنعانية)[42] .

وقد تزوج هيفايستوس من (أفروديت) التي خانته مع أريس وديونسيوس وهرمس ، وتزوج إحدى الخاريتات (ربات الحسن) واسمها (أجليا) وحاول الزواج من أثينا لكنها رفضت ، وبقي هيفايستوس مخلصاً لعمله في الصناعة المدنية وصناعة الأواني الفخارية وكان الإله المشرف على الاحتفالات الخاصة بدمج الشباب في هيئة مواطني مدينة أثينا .

ومع القصور التي شادها هيفايستوس في الأولمب للآلهة بنى الإله له مصنعاً يقضي فيه معظم وقته "ففي وسط المصنع يقوم سندان هائل الحجم وفي الزاوية بوق تتقد النار بداخله ومنفاخ عجيب يخضع لمشيئة صاحبه فلا حاجة لتحريكه بالأيدي فما إن يأمره هيفايستوس حتى يتحرك ليرسل النار إلى البوق شعلة وقّادة لامعة ، هيفايستوس يعمل في مصنعه وقد غطاه العرق وسوده الغبار والسخام وهناك تصوغ يداه الروائع الخارقة : الأسلحة الماضية والحلي الذهبية والفضية والكؤوس والأواني والعروش الذهبية والعجلات التي تتحرك من تلقاء نفسها فكأنها ذات روح" [43] .

رابعاً: هرمس Hermes:

هرمس هو رسول الآلهة وابن زوس من الحورية (مايا) وهي إحدى بنات أطلس السبع (البلياد أو الثريا) اللائي فشلن في زيجاتهن فانتحرن وتحولن إلى نجوم .

وأهم ما يمتاز به هرمس هو تعدد وظائفه ورموزه وأسمائه فهو كما يلي :

1- إله أكوام الحجارة والأنصاب (herma, hermaion) التي تستخدم كعلامات للمسافرين ، وربما كان إله الميغاليث الحجرية التي تعتبر من معالم العبادات القديمة ، وهي التي تسكب الأرواح عليها خمور القرابين .
2- إله الحيوانات المفترسة التي تشاهد برفقته ، أو الأرواح الغريبة ذوات الرؤوس الحيوانية التي تسير في ركابه .
3- إله الرعاة (Nomies) .
4- إله الطرق (Enodios) لإرشاد عابري الطرق والمسافرين .
5- إله اللصوص .
6- إله التجارة .
7- إله الأسواق (Agoraios) .
8- إله الحظ .
9- إله الحدود وحارس الممتلكات .
10- إله الوقاية من السوء (Aledxikakos) وصاحب الأعشاب السحرية .
11- إله الموتى (Psychopones) ومرشدهم في العالم الأسفل وهو الذي يملك عصا مرشدي الموتى .
12- إله عصا الطب (الكاديكيوس coduceus) وتسمى بالإغريقية (كركيون Kerykion) فقد رأى مرةً حيتين تقتتلان فأدنى منهما عصاه فالتفتتا إليه وصارتا من ذهب فغدت عصاه تلك رمزاً للسلام ورمزاً للطب أيضاً .

13-رسول الآلهة Diaktoros .

14- المعين (المكار) جالب الثروة Eriounions .

15- إله الآداب .

16- إله الشباب (إفيبوس) .

17- إله العصا السحرية ذات الأوراق الثلاث .

18- إله الأجنحة السريع الانتقال .



شكل (90)

هيفايستوس يعود إلى الأولمب

(متحف اللوفر)

أصل هرمس:

يرجّح العلماء أن هرمس إله قديم جداً وأنه ربما كان كَريتي النشأة ، انتقل إلى أركاديا في العصر البلاسيجي (قبل الإغريقي) .

ومن الأدلة التي تُساق على قدمه عبادته في صورة حيوانية وهامشيته في آلهة الأولمب وميله للسرقه وارتباطه بشخصيات قديمة مثل أوديسيوس وبرسيوس وآتوليكوس وعبادته في الكهوف وقمم الجبال مثل (جبل كيليني وجبل يوكاتوس في كَريت وغيرها من الجبال) وارتباطه بعبادة الأحجار والأنصاب والأعمدة القصيرة والأشجار والطيور(44) .

ونرى أن هرمس يعود إلى أصول شرقية قديمة فربما كان له علاقة بهرمس الحكيم في سومر الذي ظهر قبل الطوفان أو بـ (هرمس البابلي أو المصري) اللذين ظهرا بعد الطوفان وتنسب إليهما أعمال كبيرة منها بناء الأهرامات . . ولكننا لا نستطيع إقامة الأدلة القاطعة على ذلك بسبب تناوب شخصية هرمس بين الحكمة والألوهية والنبوة وربما ستتاح لنا فرصة قادمة لتناول هذا الموضوع بصورة موسعة .

أساطير هرمس:

1- أسطورة ولادته:

حين ولدته الثريا مايا من زوس كان الوقت فجراً في أحد الكهوف ، فخرج من الكهف وصادف سلحفاة برية فقطعها بيديه وصنع من صدفها قيثارة فقد شد الصدفة وربطها بسبعة أوتار جلدية من أحشاء الغنم وعزف عليها لحناً غنى به قصة حب والدته ووالده . ثم لمح قطيعاً من الماشية لأبولو فسرق منه خمسين بقرة ساقها معكوسة ، وصنع لنفسه نعلين كبيرين من الأغصان وفي الفجر ذبح منهما اثنتين قرباناً لآلهة الأولمب ولم يأكل منهما شيئاً . وهكذا تعلم السرقة وهو في المهد . وفي الصباح علم أبولو بالأمر فذهب إلى الكهف وقاده وذهب به لزوس (الذي تظاهر بعدم معرفة هرمس وأمرهما بالذهاب إلى مكان ذبح البقرتين وهناك عزف هرمس على قيثارته فأخذها أبولو وأعطاه عصاه كرسول ثم مركزه كراعٍ للماشية وسيطرته على الوحوش وإرشاده للأرواح ، وأعطاه عصا الثروة السحرية ، وكانت هذه الهبات هي التي عظمت مقام هرمس بين الآلهة بعد أن أعجب به أبولو وبقدرته على السرقة وذبح الأبقار بهذه القوة .

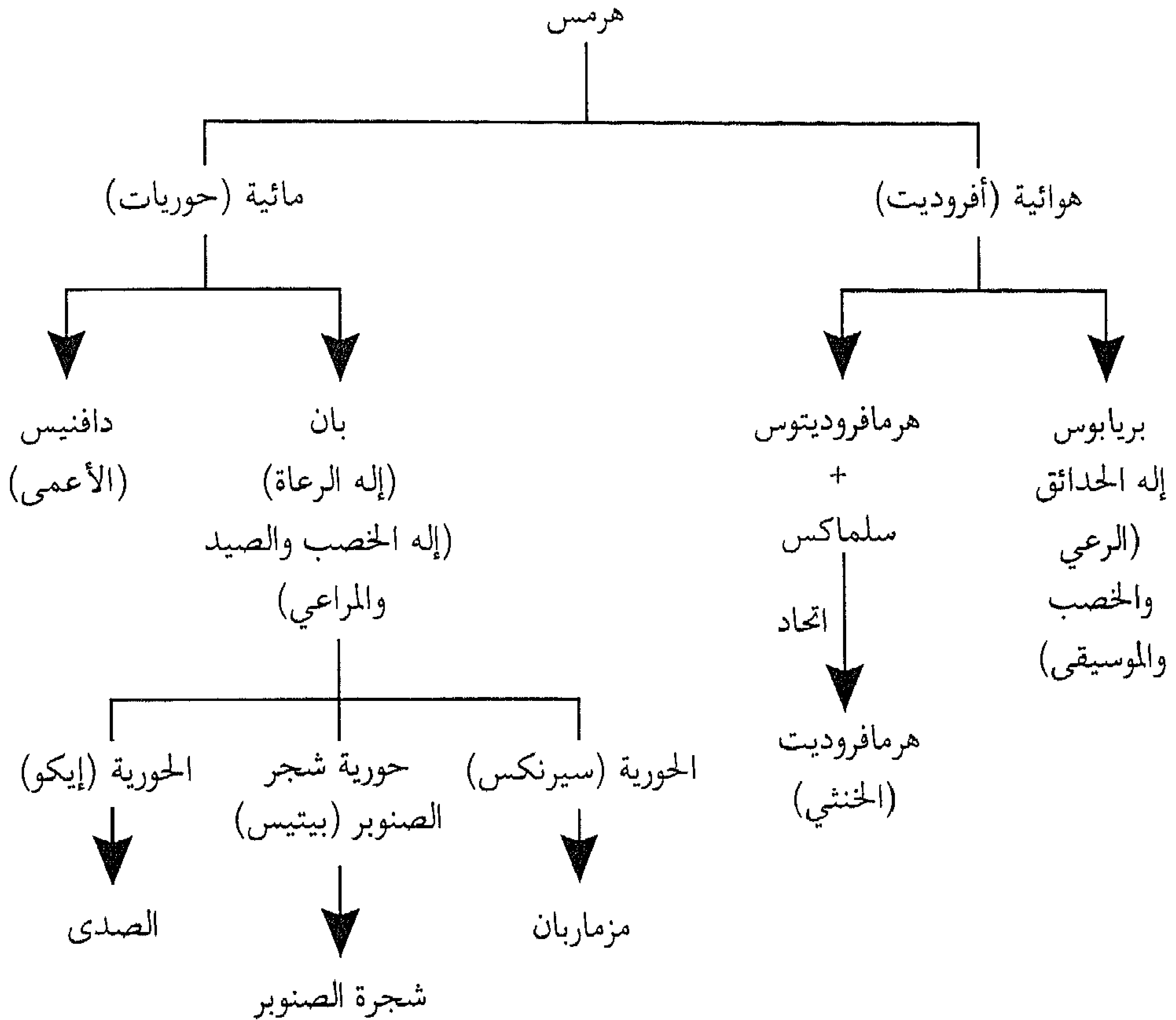


شكل (91)
هرمس (في وضع الراحة) تمثال برنزي
(متحف نابولي)



شكل (92)
هرمس والطفل ديونسيوس
(نحت براكستيل 330 ق.م)

2- أساطير عشيقاته وأولاده:



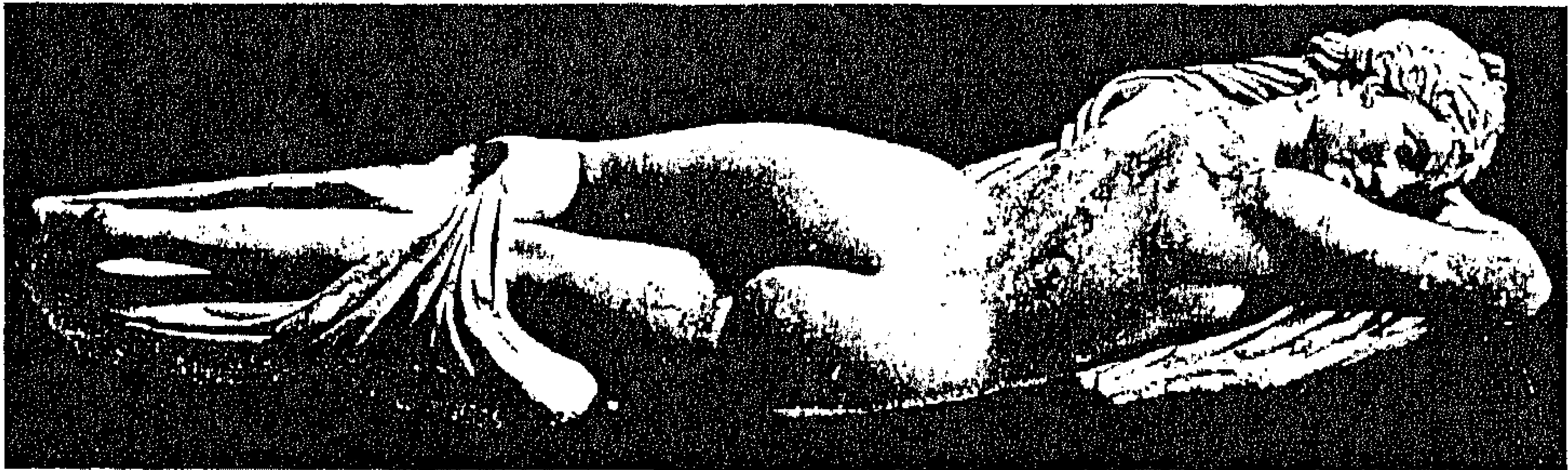
كان هرمس كثير العشق والزواج ولكن أولاده كانوا في الغالب ، مشوهين أو يعتريهم نقصٌ ما ، فقد عشق هرمس أفروديت الجميلة وربما أنجب منها بريابوس أحد آلهة الخصب والرعي والموسيقى (وهناك روايات تؤكد بأنه ابن أفردويت من ديونسيوس أو أدونيس أو زوس) وكان مشوهاً مثل هيفايستوس وبشعاً مثل (يانا) فهو طويل اللسان وكبير البطن وجامح الشهوة وقد تبرأت منه أفرودويت وكان أحد آلهة بلدة بريابوس (الدردنيل) وقد حاول ذات مرة اغتصاب الإلهة هستيا لكنه فشل ونحرت له الحمير قرباناً له .

هرمافروديت (Hermaphrodit):

وهو ابن هرمس الآخر من أفروديت و الذي يجمع بين اسمي هرمس وأفروديت (كانت أفروديتوس تعبد في جزيرة قبرص بهذا الاسم ومعناه أفروديت الذكر ورسمت صورتها هناك مقرونةً

بلحية حاملة عناصر الذكورة والأنوثة معاً) وقامت أفروديت بوضع ولدها الجميل هذا في رعاية حوريات جبل إيدا بجزيرة كَريت حيث شبّ في أحد كهوفها ، ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره خرج من كَريت وذهب إلى إقليم كاريا في آسيا الصغرى وحطّ عند ينبوع الحورية سلماكيس (Salmacis) التي كانت تعتني بنفسها كثيراً ، فلما رأت هرمافروديتس أغرمت به ودعته للاستحمام في نبعها فاستجاب واحتضنته وطلبت من الآلهة أن ترتبط به إلى الأبد فاتحدت به اتحاداً تاماً فأصبح هرما فروديتس منذ تلك اللحظة غلاما وأنثى وسمي هرمافروديت (Hrem-phrodite) الذي كان (خنثى) يجمع بين صفات الأنثى والذكر .





شكل (93)

هرمافروديت نائماً

كان هيرمس أصغر أبناء زوس وأكثرهم ميلاً للحركة وحب النساء الحوريات بشكل خاص فقد أنجب من إحداهن الإله (دافنيس) "الذي كان ضحيةً أخرى من ضحايا غرامه يعيش عيشة راع من صقلية ، عشقته حورية فصدّها أو فضّل عليها غيرها أو خانها معها ، فحلّت به الطامّة بانتقامٍ الحورية منه بأن أفقدته بصره ، فأمضى ما تبقى له من عمره القصير في ترديد أناشيده الحزينة يبكي ويولول على فجيعته ، وعنه نقل رعاة الدنيا أناشيده الباكية . وقيل إن هرمس قد رأف لحاله ، فرفعه إلى السماء بعد موته ، وأجرى نهراً حيث قضى نحبه عزاءً أو صدقةً على روحه المعذّبة[45] .



شكل (94)

هرمافروديت واقفاً

(متحف استنبول)



شكل (95)

الساتير يغازل هرمافروديت

(نسخة عن الأصل في دريسون، البرتانيوم)

بان:

ابن هرمس الآخر من حورية أخرى وهو الأشهر والذي أصبح إلهاً للرعاة والصيّادين في (أركاديا) ولكن عبادته عمّت اليونان فأنشئت له المعابد وأقاموا له الصلوات فيها وفي الغابات والكهوف وقدمت له قرابين اللبن والعسل والحملان .

كان بان يعزف على القيثارة والمزمار وكان يراقص الحوريات ويحمي المسافرين من الأخطار ويتنبأ ويفسر الأحلام ، وكانت صوره على شكل إنسان له قرنان قصيران ولحية كثة وساقا ماعز وتقترن به القيثارة وخطّاف الراعي وثمرة الأناناس وكان يقدّس شجرة الصنوبر والبلوط والسلحفاة .



شكل (96)
الإله بان (400 ق.م)



شكل (97)
ديونسيوس وبان وإحدى الباخيات في مشهد رقص وعزف (متحف نابولي)

لقد كان بان ماجناً شبقاً لكنه لم يكن موفقاً مع النساء وقد وقع في غرام الحورية (سيرنكس) التي هربت منه إلى ضفاف أحد أنهار أركاديا حيث تفيض المياه على الرمال وكان بان يمسك بالقصب الذي نقل أشجانه لسيرنكس فتحول هذا القصب إلى نوع من المزامير سمي (مزمار بان) (Syrnix) المكون من قصبات متفاوتة الطول مشدودة إلى بعضها بالشمع ومثقبة .

أما الحورية الأخرى التي أحبها فهي حورية الصنوبر (بيتيس) التي فزعت منه وهربت وتحولت إلى شجرة الصنوبر .

والحورية الثالثة هي (إيكو) التي هربت منه أيضاً فبث الجنون في عقول الرعاة فانهالوا عليها ضرباً حتى مزقوا جسدها ولم يبق سوى صوتها الذي يتردد في رجع الصدى (Echo) .

وهناك رواية أخرى لإيكو مع هيرا زوجة زوس فقد ألهتها ذات يوم عن التجسس على زوجها فقررت هيرا أن تعاقب تلك الثرثارة إيكو من طريق سلبها القدرة على الكلام ما عدا ترديد المقاطع الأخيرة من كلمات من يخاطبها ، ثم أحبت إيكو نرسيسوس (نرجس) الذي كان بارد العواطف وهكذا عادت إليها عبارات حبها حتى ذاب جسدها ولم يبق منها غير صوتها ، لكن نرسيسوس عوقب بسبب ذلك ، فقد رأى صورته في ينبوع ماء فانبهر إلى حدّ أنه عشق صورته وأخذ يتردد على الينبوع عاشقاً ولهاً فمات واستحال إلى زهرةٍ تحمل اسمه وهي زهرة (نرجس) .

وأهم أساطير بان هي أسطورة موته حيث أبحرت سفينة من اليونان من جزيرتين ظهر صوت منهما يخاطب الربان لكن الربان أهمل الأمر ثم عاد الصوت لأكثر من مرة فسمعه جيداً وهو يقول (عندما تصل إلى بالوديس أخبرهم بأن بان العظيم قد مات) وحين وصل الربان أذاع الخبر هناك وسمع له عويلاً وحشرجة فاستفسر الملك عن ذلك حتى أخبره مساعدوه بأن بان (الساتير) ابن هرمس وبنلوبي قد مات فارتاح الملك[46] .

سيطر هرمس على عقول الشباب الإغريق بين عمر السابعة عشرة والثامنة عشرة وكان يسمى (إفيبوس) ، وملأت تماثيله صالات ملاعب الشباب وخصوصاً تماثاله أو نصبه الرمزي المشهور باسم (هرماي) الذي كان على شكل نصب مربع الأضلاع أشبه بالعمود الذي يستدق من أسفله ، ويبرز من وسطه نحت لقضيب بشري ويعلوه وجهان ملتصقان من الخلف أحدهما لهرمس الشاب والآخر لهرمس الشيخ (شكل 99) .



شكل (98)

بان يعلم أولومبوس العزف على مزماره

(المتحف الوطني/نابولي)



شكل (99)

هرماي/متحف أثينا القومي

خامساً: ديونسيوس Dionysus

ديونسيوس (ويسمى عند الرومان باخوس) هو إله النبيذ (خمرة العنب) وهو إله أصله من تراقيا ووفد متأخراً على بلاد اليونان ، ويبدو من شخصيته وصفاته بأنه إله مشرقي وفد من فينيقيا وهو من المرجّح الإله أدونيس ثم تحور لفظه إلى ديونسيوس رغم أن هناك إلهاً منفصلاً عند الإغريق اسمه (أدونيس) وهو عشيق أفروديت . . لكن أدونيس وهو يتحول إلى ديونسيوس اكتسب صفات جديدة له فقد أصبح إلهاً للخمر والتهتك والمتعة والقصف في صورته الدنيوية وأصبح أيضاً إلهاً في العالم الأسفل يشفعُ لمريديه في صورته الأخروية وهو ما يؤكد ما ذهبنا إليه لأن أدونيس أصله من تموز وأوزيريس اللذين لهما صورتان دنيوية وأخروية قريبة من ديونسيوس .

ويؤكد هيرودوت أن هناك إلهاً آخر اسمه (زلموكيس Zalmoxis) ، كان عبداً لفيثاغورس ، هو صورة أخرى من صور ديونسيوس ليتم الربط بين العقائد الفيثاغورية والديونسيوسية والأورفية . (علي : 333) وحين رحل ديونسيوس من تراقيا إلى بلاد اليونان حلّ في دلفي قرب أبولون ونافسه وأخذ بعض صفاته كما سنرى .

أسطورة ولادته:

أحب زوس سميلا (سيميليه) ابنة قدموس ملك طيبة وأقسم لها بأن يحقق لها كل ما تريد فعرفت زوجته هيرا بذلك واستدرجت سميلا وطلبت منها أن تقول لزوس بأن يتجلى بكل عظمته الآلهية لها .

وافق زوس وجاء إلى قصر قدموس محفوفاً بعظمته فاهتزت الصواعق في يده واضطرب القصر وترنحت أركانه وولدت سميلا وهي في نزعها الأخير طفلاً هزيلاً عاجزاً عن الحياة هو ديونسيوس لكن شجرة لبلاب خرجت من الأرض واحتضنت الوليد وحمته من النيران ثم قام زوس بشق فخذه ووضعه فيه وخاط فخذه حيث اشتد وولد ثانية من فخذ زوس ثم أعطاه زوس إلى إينو وزوجها أتامانت ملك أورخومين (في بيوتيا على شاطئ بحيرة كابابيد) ليرعياه . فعاقبتهما هيرا فأرسلت الجنون إلى الملك وهربت الزوجة عن ولدها ورمت نفسها من صخرةٍ على البحر لتتحول هي وولدها إلى إلهين بحريين مازالا في البحر .

وقام هرمس برعاية ديونسيوس وأعطاه للجنيات فبذلن جهداً في تربيته فكافأهن زوس بأن رفعهن إلى السماء ثواباً لما قمن به وعرفن في السماء باسم (هياد) وهن نجوم بين مجموعة أوريون التي تعد واحدة من أكثر المجموعات تألقاً في السماء .

صباه وشبابه:

أتقن ديونسيوس في صباه الزراعة وخصوصًا زراعة الكروم وتقطير النبيذ من عصير العنب فأصبح إله الخمر وإله خصب الطبيعة معاً .

لاحقته هيرا بغضبها وجعلته لا يستقر في بلد فطاف بلدان العالم على مركبة تجرها النمور ويرافقه الساتير العجوز السكير (سيلينوس) راكباً جحشاً ومحوطاً بمجموعة من الخدم والمايناديس والمعربدين الذين لهم قرون الماعز والمعربدين الذين يحملون أغصان الكروم المتوّجةُ بثمار الصنوبر وحصلت له مجموعة من المغامرات والأساطير التي نذكرها هنا موجزةً :

1- **في فريجيا** : استقبله ميداس ملك فريجيا وطلب منه أن يمنحه القدرة على تحويل كلّ شيء إلى ذهب حال لمسه ، فاستجاب له لكنه لمس طعامه وشرابه فلم يستطع الأكل والشرب لتحولهما إلى ذهب وكاد يموت من الجوع والعطش فأسرع إلى ديونسيوس ليعطلّ هذه القدرة عنده فأرسله إلى نهر باكتولوس ليستحم به وتذهب عنه هذه القدرة(47) .

2- في تراسيا : لم يستقبله الملك ليسورغ وأراد أسره فهرب ديونسيوس إلى الإلهة البحرية (تيتيس) فأسرع ليسورغ موكب حراسته من إناث الشياطين فهربن بقوة سحرية فأصاب الملك الجنون فتناول فأساً وتوهم أنه يقطع دوالي الكرم ولكنه في الواقع ، يضرب فخذه ويبتر عضوه الذكري . ولدى صحوته من جنونه اكتشف أن البلاد أصيبت بالعقم فأمر العراف بقتل الملك وتقطيعه إرباً(48) .

3- **في الهند** : مغامراته تشبه فتوحات الاسكندر في الهند .

4- **في طيبة** : تضايق منه (بينتيه) إله طيبة ومن منظر العابدات الصارخات المذعورات فمنع عبادته ، وبينما كان يراقب على قمة سيثرون تحركات إناث الشياطين تناولته أمه وقطعته إرباً معتقدة أنه أسد . . وازدادت عبادة ديونسيوس .

5- **في أرغوس** : اتهمت بنات الملك بروتيوس ديونسيوس بالهذيان فرحن يتهن في الجبل معتقدات أنهن تحولن إلى عجلات حتى التهمن أطفالهن .

6- **في أرخومين** : رفضت بنات الملك مينوس في أرخومين الاعتراف بعبادة ديونسيوس فدخلن المنزل وانصرفن للغزل والحياكة ، وما إن بدأت احتفالات ديونسيوس ليلاً حتى استحالت خيوط الغزل في أيديهن أغصاناً من الكروم وتدلت منها العناقيد وظهرت في البيت أضواء المشاعل ودبّ الرعب وضمرت أجساد الفتيات واكتست بالوبر الأسود ونمت

فوقها أجنحة لزجة الجلد بدلاً من الذراعين واستحالت الفتيات إلى وطاويط تختفي في المغاور والكهوف الرطبة منذ ذلك اليوم .

7- في تيرينا : شاهد قراصنة تيرينا (الاتروسكيون في ايطاليا) ديونسيوس واقفاً على الشاطئ فاختطفوه كي يبيعوه دون أن يعرفوا بأنه إله فصفدوه بالسلاسل لكن السلاسل سقطت من يده فطلب منهم موجه السفينة أن يتركوه وشأنه لكن القراصنة أصرّوا على ذلك فتدفقت الخمور في السفينة فذعر القراصنة وتحول ديونسيوس إلى أسد ومزقهم ورماهم إلى البحر فتحولوا إلى دلافين وأكرم موجه السفينة بعد أن كشف له شخصيته .

8- في أتيكا : رحب ايكاريوس بديونسيوس في أتيكا فأكرمه بكرمة ليصنع من عنبها الخمر فصنع وأطعمها لرجاله فتصوّروها سماً فقتلوه ورموا جثته بين الجبال فقامت ابنته (بريغونا) وكلبتها بالبحث عنه ولما وجدته شنقت نفسها مع كلبها فرفعهم ديونسيوس إلى السماء وهم نجوم فولوباس والعذراء والكلب الأكبر .

أسطورة زواجه:

لم يكن ديونسيوس كثير المغامرات مع النساء ، مثل أبولّون وهرمس ، ولكنه أحب (أريادني) ابنة مينوس ملك كَريت عندما وجدها نائمة على شواطئ ناكسوس فتزوجها وقدّم لها هدية العرس تاجاً يضمّ سبعة أحجار كريمة ورفعها إلى السماء بعد موتها وصارت الكوكتة المعروفة باسم (الإكليل) .

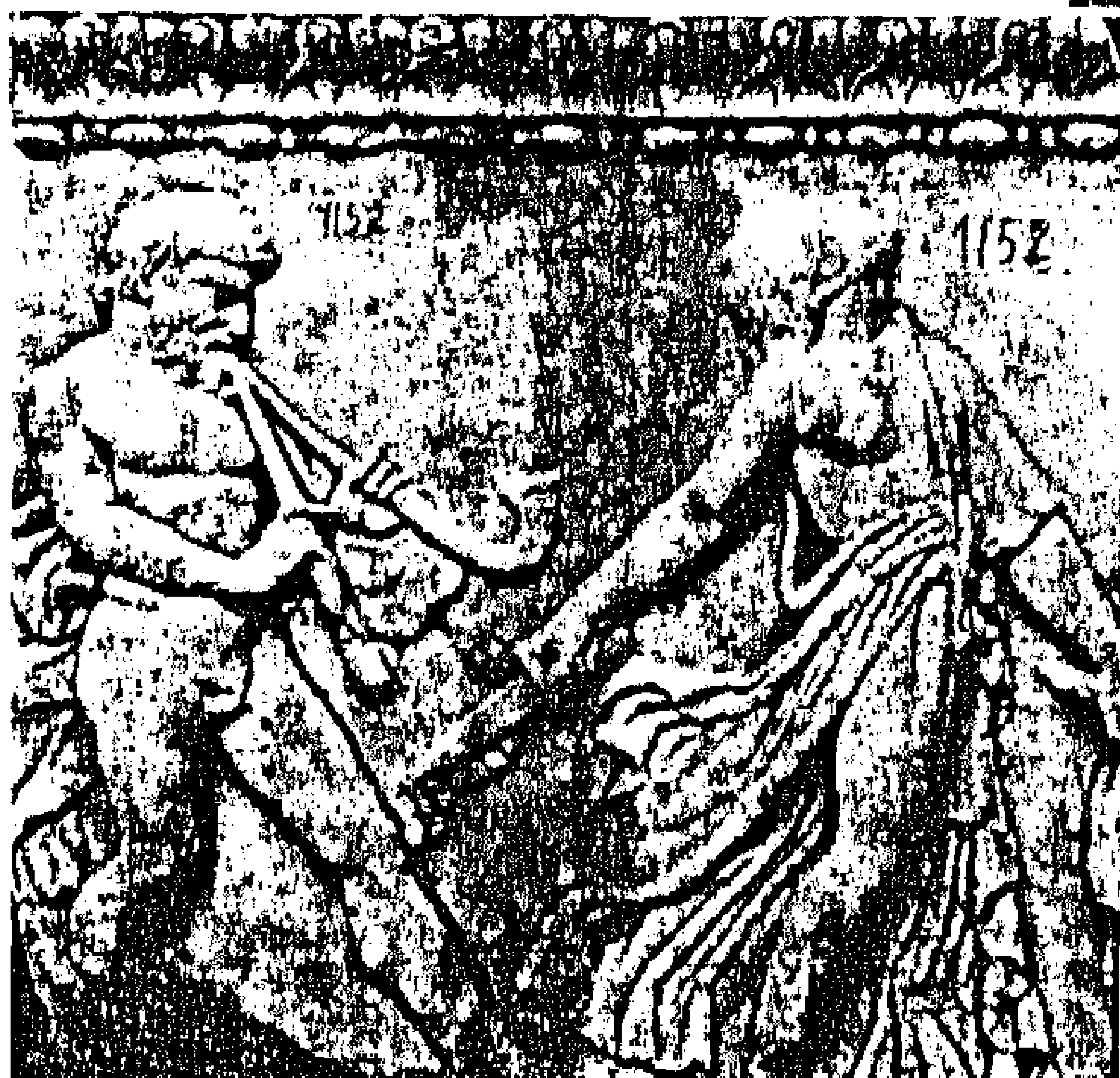
أما والدته سيميليه فقد هبط إلى العالم الأسفل ورفعها إلى الأولمب فغدت إلهة تعبد باسم (ثووني) .

ديونسيوس وأبولو:

وفدت عبادة ديونسيوس إلى دلفي ونافست عبادة أبولو من طريق كهانة النبوءة التي كانت تمارس من قبل المتعبدات اللائي يغبن عن الوعي بعد شراب النبيذ ويتصورن كأن روح الإله تملكتهن أو أنهن اتحدن بها تماماً فيصرن (مجذوبات) أو (مجنونات) . وكانت كاهنات أبولو يفعلن الشيء ذاته تقريباً . . وهكذا كان لابد من تصالح العبادتين وتعايش الإلهين سلمياً في دلفي "وقد ساعد ذلك على نشر عبادة ديونسيوس وعلى الأخص بين النساء والعبيد والفقراء ، هكذا لقي ديونسيوس ترحيباً في حرم دلفي المقدس بل أصبح شريكاً لأبولون في معبده حتى لقد قيل ، فيما بعد ، أن السرّة أو الحجر الموجود في قدس أقداس المعبد كان يضم رفات ديونسيوس"(49) .



شكل (100)
مايناديس يرقصن أمام ديونسيوس
(متحف تارنتوم)



شكل (101)
موكب ديونسيوس يمثل ساتير (عازف)
ومياديس (راقصته) (متحف أثينا القومي)



شكل (102)
الساتير والمايناديس في
موكب ديونسي

في كتاب نيتشه (مولد المأساة من روح الموسيقى) يتحدث عن الإلهين ديونسيوس وأبولو ويرى أن الفن والروح اليونانية يتجسدان في اتحاد المثالين الأعليين . . اتحاد القوة الرجولية القلقة المتبرمة قوة ديونسيوس والجمال الأنثوي الهادئ ، جمال أبولو ، فهو يرى أن ديونسيوس إله الخمرة والعربدة والمرح والحياة المتصاعدة والعنطة في الفعل إله الانفعال الانذهالي والوحي ، إله الغريزة والمغامرة والمعاناة الجسور ، إله الغناء والموسيقى والرقص والدراما ، أما أبولو فهو إله السلام والفراغ والطمأنينة والهجوع والانفعال الجمالي والتأمل الفكري ، إله النظام المنطقي والهدوء الفلسفي ، إله التصوير والنحت والشعر الملحمي . وكان ديونسيوس ملهم الجوقة في الدراما ، وأبولو ملهم الحوار ، وقد نمت الجوقة مباشرة من موكب المتعبدين لديونسيوس ذوي الألبسة الساتيرية ، أما الحوار فكان رأياً دبرياً ذيلياً تأملياً لخبرة انفعالية(50) .

ألقابه :

1- المولود مرتين (ديثرامبوس Dithrambose) ومنه اشتقت أغاني الديثرامب التراجيدية .

2- إله البهجة Polygethes .

3- إله السرور Charma .

4- إله الشعب Demotikos .

5- الإله المحرر Lusios .

أتباعه :

1- الساتير : وهو كائن خرافي نصفه الأعلى بشر له قرون ونصفه الأسفل يشبه الماعز ويدل على المجون والرغبة الجنسية العارمة ويسمى عند الرومان بـ(فارتوس) أي (جان الغاب) .

2- السيلينوي : وهو سايتر هرم علّم ديونسيوس الموسيقى والغناء .

3- مايناديس : الراقصات وهن حظيات (رفيقات) ديونسيوس .

4- الثياديات Thyiades : وهن النسوة المتفانيات في عبادته واللائي كن يطفن بمرتفعات جبل برناسوس وهنّ في حالة جذب من فرط السكر والعربدة خلال الاحتفالات التي كانت تجري (مرة كل سنتين) خلال ثلاثة أشهر الشتاء حيث يتغيب أبولو عن معبده في دلفي ليقضي هذه الفترة مع شعبه الغريب المختار المسمى بالهيبربوريين وكان يحل محله ديونسيوس(51) .

سادساً: هرقل Heracles

هو أحد أعظم الشخصيات الأسطورية التي عبدها الإغريق ، ويعتقد أنه كان شخصية حقيقية من أبناء شعب أرجوليس الذين كانت ربتهم الرئيسية هي (هيرا) وكان أشهر معابدها يقوم في بلدة هيرايّوم على بعد بضعة أميال من أرجوس ، وربما كان تحديداً من مدينة تيرينس وينتسب إلى النوع الأصغر من أسرة برسيوس المالكة في أرجوس أثناء العصر الموكيني المبكر (1550-1425) ق .م . وبذلك فهو ينتسب إلى بطل سابق عليه هو (بيرسيوس) الذي ينتسب إلى دناؤوس الأموري أو الهكسوسي الذي لجأ إلى بلاد الإغريق .

ونرى أن هرقل يشبه كثيراً الإله السومري البابلي نرجال (إله العالم الأسفل الذي كان إلهاً شمسياً قبل ذلك) ويشبه أيضاً البطل السومري جلجامش وفي سيرتيهما الكثير من أوجه التشابه وكذلك الإله الكنعاني الأخوري ملكارت الذي شبه بهرقل .

وفيما يلي سردٌ موجزٌ لأساطير هرقل التي قسّمناها إلى ثلاثة أقسام كبرى(52) :

1- أسطورة ولادته وبطولاته الأولى:

تزوجت الكميني من إمفيتريون بعد مقتل والدها ملك كوكناي ورحلا إلى طيبة ونزلا عند ملكها ، وبعد فترة جهز زوجها جيشاً لمحاربة قاتلي والد زوجته وبينما كان غائباً في الحرب عرف زوس زوجته ألكميني فأسرته بجمالها فأتاها في صورة زوجها الغائب فحملت منه وصار لها في بطنها توأمان أحدهما من زوس والآخر من أمفيتريون .

أذاع زوس خبر قرب ولادة ألكميني منه وأخبر آلهة الأولمب بذلك فاغتاظت زوجته هيرا ودبرت له مقلباً فقد أجبرته على أن يقسم أمام الآلهة بأن السيادة على (البيوسيوسيين) ستؤول إلى أول طفل يولد من تلك السلالة وكان زوس يعتقد أنها ستؤول لولده من ألكميني بسبب قرب ولادته .

لكن هيرا أسرعت إلى أرجوس وجعلت زوجة سيفينيل تضع ، وكان ولدها من سلالة بيروسوس ، قبل يوم واحد من وضع ألكميني لابن زوس .

وأجبر زوس على إعطائه زعامة ال (بيرسيوس) إلى الطفل (يوريثيوس) هذا لكنه غضب على هيرا ورماها من الأولمب ، وباتت تعيش مع البشر منذ ذلك الحين .

ثم ولدت ألكميني ولدين أكبرهما الكيد (ابن زوس الذي دعته عرافة أبولون فيما بعد هرقل) وايثيكليس ابن امفيتريون .

أرادت هيرا الانتقام من هرقل (بسبب ماحصل لها) فأرسلت له ثعبانين وهو صغير لكنه أمسكهما وخنقهما ، وهكذا تنبأ له العراف تيرزياس بأنه سيقوم بأعمال بطولة كثيرة سينال في نهايته الخلود وهكذا قام امفتريون بتربية ابن زوجته أفضل تربيةً وصقل مواهبه بالقراءة والكتابة والموسيقى ولكن بعلم الموسيقى لينوس (أخو أورفيوس) غضب منه فرمى القيثارة بوجهه فردها هرقلٍ عليه فقتله فحوكم هرقل وبُرِّئَ ، فأرسله أمفيتريون إلى كورنثا ذات الغابات ليرعى المواشي خوفاً من ارتكابه أعمالاً أخرى يحاكم عليها .

في طيبة : نشأ هرقل وشبّ على أعمال البطولة فقتل أسداً وسلخ جلده ولبسه وجعل فروة الرأس قبعةً وصنع لنفسه هراوةً من شجرة دردار قديمة ، وكان له سيف هدية من هرمس وقوس وسهام من أبولون ودرع من الذهب من هيفايستوس وملابس من أثينا .

وقتل هرقل يرغينوس ملك أرخومين الذي فرضَ ضرائب على طيبة فزوجه ملك طيبة من ابنته (ميغارا) وأنجب منها ثلاثة أبناء . وقد أصابته هيرا بالجنون فجعلته يقتل أبناءه بعد أن تطهر من رجس جريمته التي اقترفها سهواً فغادر إلى دلفي .

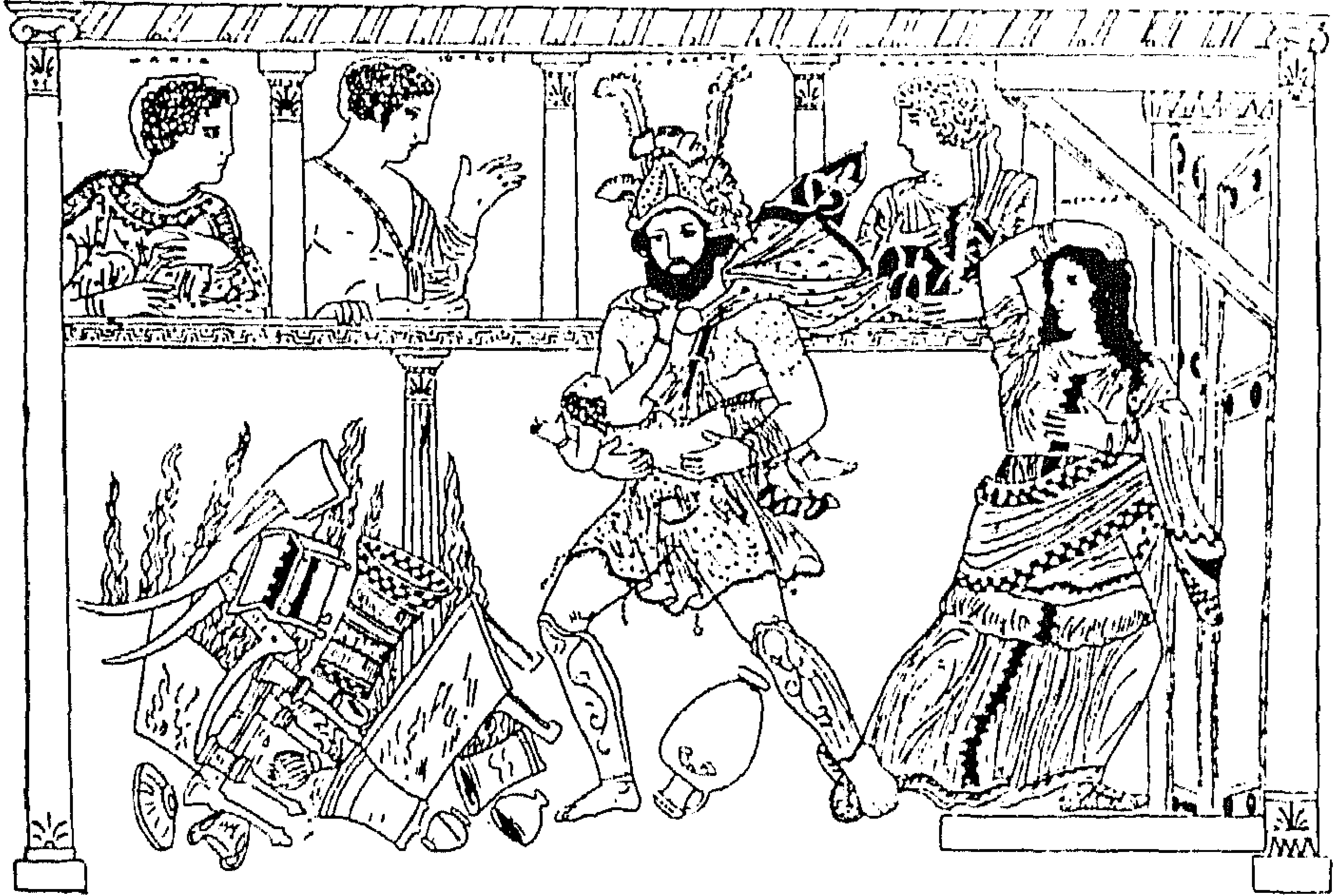
في دلفي : ذهب إلى كاهن أبولون ليسأله عما يجب أن يعلم فأمره أبولون بالعودة إلى وطنه في ترتيف وأن يخدم الملك يوريثيوس مدة (12) عاماً ليقوم بـ(12) عملاً بطولياً ينال بعدها الخلود .

في ترتيف (في أرجوس) : صار هرقل خادماً ليوريثيتوس الذي كان يخاف هرقل ويرسل له أوامره من طريق رسوله كوبريوس فقرر القيام بالأعمال البطولية واحدة بعد الأخرى تلك التي طلبها منه يوريثيوس :



شكل (103)

تمثال هرقل يتكئ على هراوته



شكل (104)

هرقل يقتل أولاده في نوبة من نوبات الجنون. إلى اليمين منه تظهر ميغارا وقد لاذت بالفرار خوفاً منه وظهرت ألكيمني فوقها، كما ظهرت ربة الجنون في الزاوية اليسرى وبالقرب منها ايولايس (رسم على مزهرية)

2- البطولات الاثنتا عشرة الكبرى:

1- قتل أسد نيما : هذا الأسد هو ابن تيفون وايخدينا وهو شرسٌ ومدمر فرماه هرقل بثلاثة سهام لم تنفع معه ثم ضربه بالهراوة وخنقه بيديه وحمل جثته إلى موكينا فذُعر يوريثيوس .

2- قتل ثعبان ليرنا : وهو ذو الرؤوس التنينية التسعة من تيفون وإيخدينا فحطم رؤوسه التي كان يظهر لها بديل فكواها بالنار وقتله ووضع عليه صخرةً وعاد إلى بلاده .

3- هزيمة طيور ستيمفال : التي كانت تهاجم الناس والحيوانات فخرج لها وأخرجها من أوكارها بقرع الصنوج وقذفها بسهامه فحلقت بعيداً وانهزمت وراء حدود اليونان . وعاد إلى بلاده لينتظر العمل الرابع .

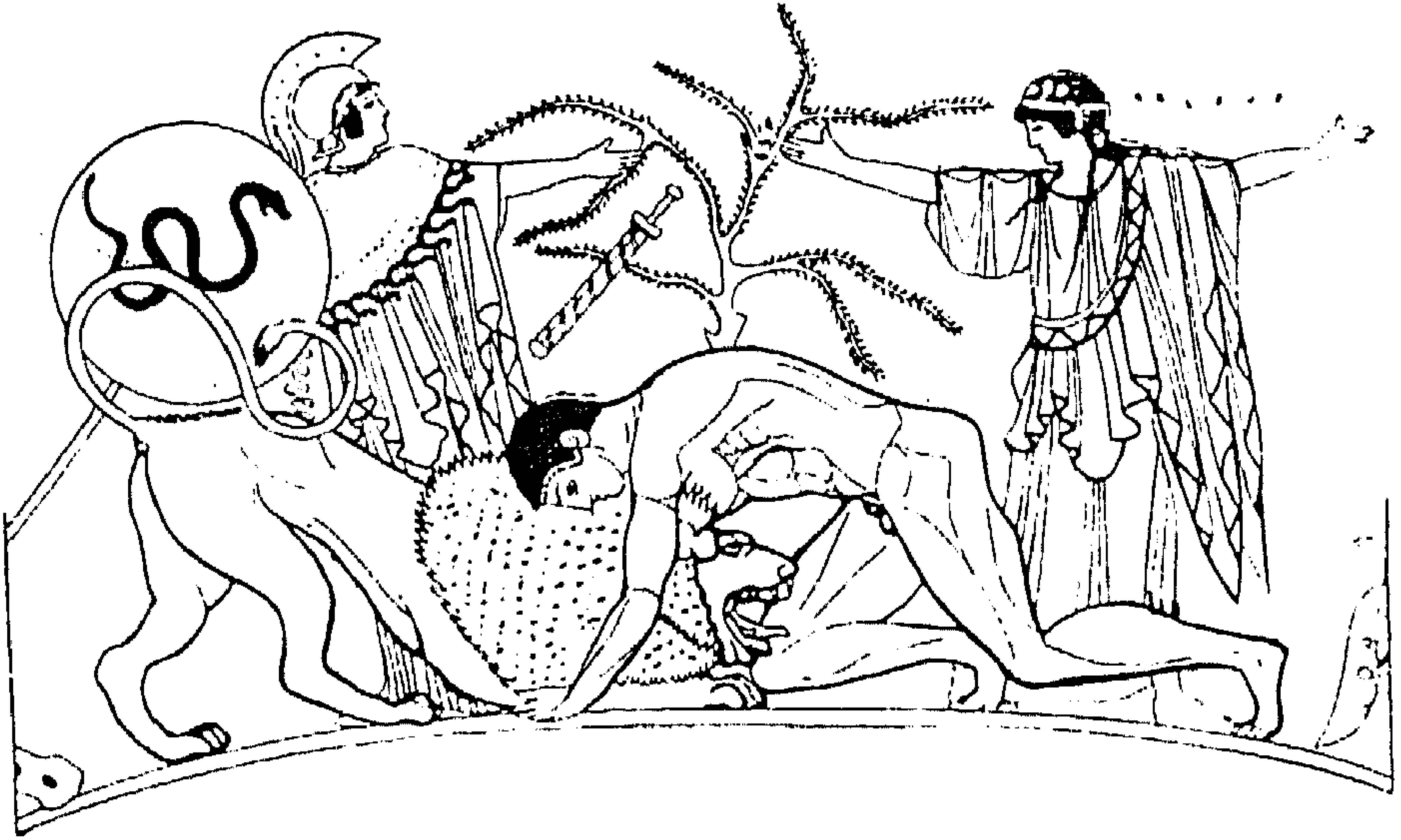
4- أسر مهاة كيرنا : كانت هذه المهاة جميلةً تعبث بالأراضي فطلب منه أن يأسرها . يأتي بها إلى أرجوس فحاول مسكها لكنها فرت ثم ضربها بسهم في ساقها وحملها وجاء بها يوريثيوس .

5- خنزير جبل إيرمانت والصراع مع القناطير : في طريقه إلى القضاء على الخنزير الوحشي لجبل إيرمانت قصد هرقل القنطور (نصفه حصان ونصفه الأعلى بشر) الذي اسمه فولوس وهو قنطور حكيم فعمل وليمة له وأشربه خمراً فاحت رائحته فجعلت من القناطير الآخرين يطالبون بهذه الخمرة التي كانت لهم أيضاً وهجموا على هرقل وفولوس فما كان من هرقل إلاّ مطاردتهم فانهزموا والتجأوا عند القنطور خيرون الحكيم وهو أحكم القناطير لكن سهام هرقل رشقت فخذ خيرون وكانت السهام مسمومة فمات خيرون ، وحزن هرقل لذلك وعاد ليطارد خنزير جبل إيرمانث الذي فرّ إلى قمة الجبل فتجمدت أطرافه وقبض عليه هرقل وعاد به حياً إلى موكينا فلما رآه يوريثيوس اختبأ في إناء برونزي كبير .

6- تنظيف حظائر الملك أفغيوس : وهو ملك إيليدا شمال غرب البلوبونيز وابن الإله هيلوس وكان له عدد هائل من الثيران ، فعرض هرقل عليه أن ينظف حظائره في يوم واحد لقاء عشر ما لديه من المواشي فقبل الملك لاستحالة ذلك ، فهدم هرقل جدار الحظائر وأرسل عليها مياه نهري الفيوس وبينوس فغسل الماء كل هذه الحظائر وأعاد بناء الجدار لكن الملك رفض أن يعطيه مكافأته فعاد هرقل إلى بلاده . ولكنه انتقم من أفغيوس بعد خلاصه من أوامر يوريثيوس فقتل أفغيوس وانتصر على جيشه واستباح مدينته وجمع أسلابها وأقام بعدها الألعاب الأولمبية حيث درج اليونانيون من بعده على إقامتها مرة كل أربعة أعوام وذلك فوق السهل المقدس المحوط بأشجار الزيتون التي غرسها هرقل بنفسه نذراً للإلهة أثينا .

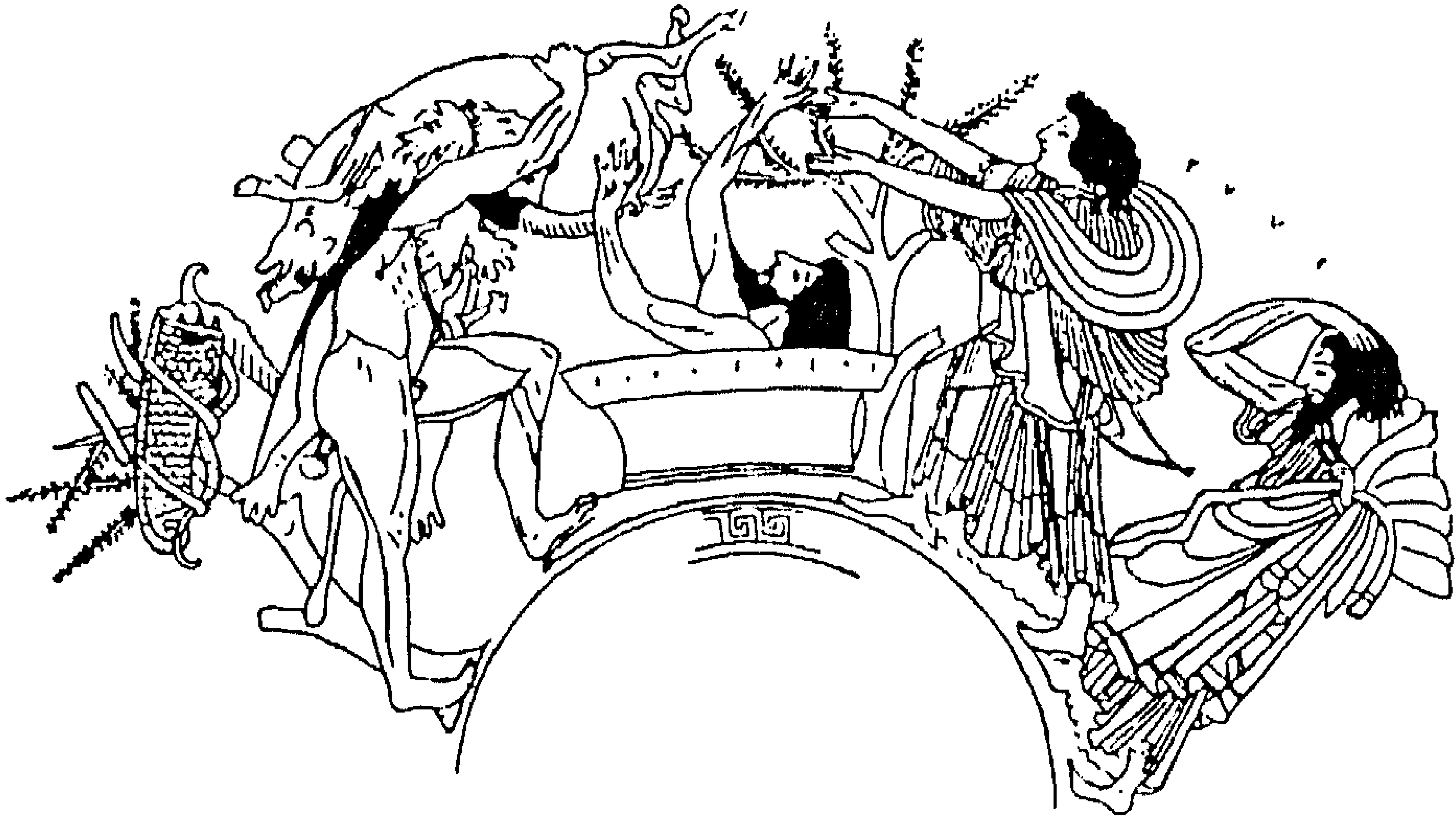
وقتل هرقل حلفاء أفيغيوس ومنهم نيليوس (ملك بيلوس) فقتله إلى جانب أولاده الأحد عشر ، وحاول ابنه الثاني عشر (بركليمين) أن يفلت من هرقل بتحوله إلى أسد فثعبان فنحلة بمساعدة بوزيدون لكن هرقل قتل هذه النحلة التي حطت على مركبته .

7- ثور جزيرة كَريت : أرسل الإله بوزيدون ثوراً إلى مينوس ملك كَريت (ابن أوروبا) ليذبحه قرباناً له لكنه راق في عيني مينوس فذبح غيره فغضب بوزيدون وجعل هذا الثور يهيج ويزبد ويدمر ما في جزيرة كَريت ، فوصل هرقل إلى الجزيرة وروض الثور وامتطاه وقطع عليه البحر من كَريت حتى البلوبونيز وذهب به إلى موكينا فخاف منه يوريثيوس وسرحه نحو الشمال فوصل إلى السهل المارفوني في أتيكا حتى قتله تيسيوس البطل اليوناني .



شكل (105)

هرقل يخنق أسد نيما. إلى يمين الصورة تظهر أثينا وتظهر إلى اليسار حورية الضواحي في نيما (رسم على مزهرية)



شكل (106)

هرقل يحمل خنزير ايريمانث إلى يوريثيوس الذي اختبأ من شدة خوفه في قدر برونزي كبير (رسم على مزهرية)

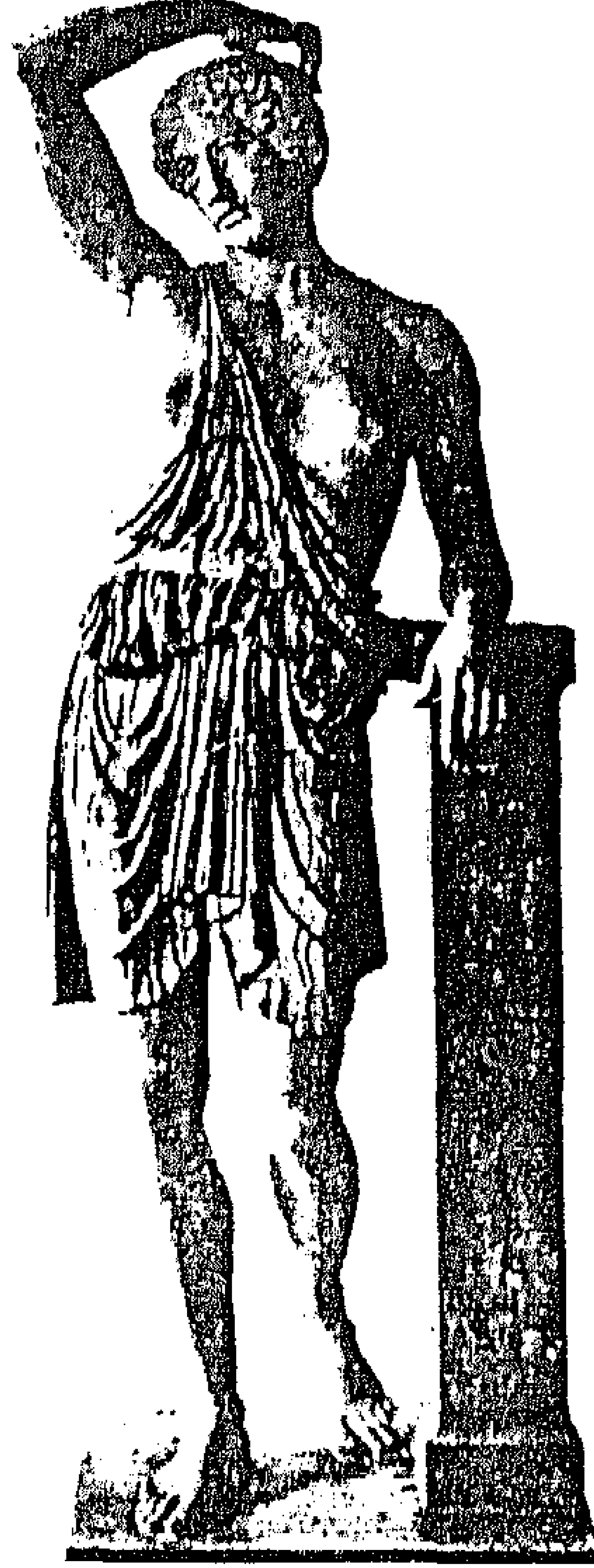
8- **أفراس ديوميد** : في تراقيا كان لملك البستونيين (ديوميد) أفراس لامثيل لها في القوة والجمال وكانت تعلف بلحوم البشر ، فقصدها هرقل وروضها وقادها إلى سفينة ليرحل بها لكن ديوميد لحقه بجيش كبير فهزمه هرقل وقتله وقدم لحمه لأفراسه وأسس مدينة باسم صديقه أبديرا بن هرمس الذي قُتل ، وساق الأفراس إلى يوريثيوس الذي أمر بفك أسرها فخرجت هائجة إلى جبال ليكيون (في البلونيز) وافترستها الوحوش الكاسرة .

* **استعادة الكستيدا من الموت** : لمّا كان هرقل في طريق عودته من تراقطيا ومعه أفراس ديوميد مرّ على صديقه (أدميت) ملك ثير (في فيساليا) وكانت زوجة أدميت واسمها (الكستيدا) قد افتدت زوجها أدميت لتذهب بدلاً عنه إلى الموت وتفتديه ووصل هرقل في ساعة موتها فأكرمه أدميت ولم يظهر له سبب حزنه لكنه عرف من الخدم وقرر انتزاع الكستيدا من إله الموت (تانت) بعد صراع مرير وأعادها لزوجها المفجوع الذي فرح بما فعله هرقل .

9- **هزيمة الأمازونات** : رغبت أوميتا ابنة يوريثيوس وكاهنة الإلهة هيرا في أن تحصل على حزام ملكة الأمازونات (هيبوليتا) الذي قدمه إليها إله الحرب آريس فطلب يوريثيوس من هرقل جلب الحزام فجمع هرقل بعض الأقوياء واتجهوا نحو بلاد الأمازونات في شواطئ بونت الايفكسيني وعاصمتها ثيميسكيرا ماراً بجزيرة باروس وميزيا حيث قام بأعمال بطولة هناك وصلت أخبارها إلى بلاد الأمازونات فلما وصل إلى هناك رحبت به ملكة الأمازونات وشعبها وطلبت منه أن يفصح عن سبب زيارته فقال : إن الملك يوريثيوس يرغب في حزام هيبوليتا لابنته فكادت الملكة تهديه الحزام ،لكن هيرا (التي تكره هرقل) ظهرت في شكل أمازونة وحرضت على قتال هرقل وجماعته فقتل منهن الكثير وأسر بعضهن ومنها قائدة جيش الأمازونات ميلانيبا التي افتدتها هيبوليتا بحزامها وأخذ أنتيوبا الأمازونة أسيرة وقدمها لصديقه تيسيوس جزاء شجاعته وعاد هرقل بحزام هيبوليتا وقدمه ليوريثيوس .

* **إنقاذ هيسيونا (ابنة لاوميدونت)** : في طريق عودتها اقتربت سفينة هرقل من مدينة طروادة وشاهد هرقل ومن معه هيسيونا ابنة لاوميدونت (ملك طروادة) مغلولة إلى صخور الشاطئ تنتظر خروج وحش البحر ليبتلعها بسبب رفض وتهديد لاوميدونت للإلهين بوزيدون وأبلون ، اللذين بنيا أسوار طروادة ، أجور بناء السور ، فغضبا عليه وأرسل أبولو الطاعون على طروادة وأرسل بوزيدون الوحش البحري ليدمر المدينة فضحى لاوميدونت بابنته هيسيونا ليدفع الشرّ عن المدينة ، فقرر هرقل إنقاذ الفتاة لقاء أخذه الأفراس التي كانت قد أحضرها لاوميدونت إلى زوس فداء ابنه جانميد الذي اختطفه زوس النسر ، وخرج وحش البحر

فطعنه هرقل بسيفه وخلّص الفتاة لكن الملك لاوميدونت لم ينفذ وعده وطرد هرقل الذي لم يرد عليه لأن عليه الإسراع بحزام هيبوليتا إلى ليوريثيوس .



شكل (107)

الأمازون نسخة رومانية من أصل إغريقي (440-430)ق.م

10- **أبقار جيريون** : ذهب هرقل ليجلب أبقار المارد جيريون ابن خريساوور والأوقيانيده كاليّرويا وكانت قرب اسبانيا فقطع هرقل البحر ثم صحراء ليبيا ووضع عمودين هائلين على شاطئ مضيق جبل طارق ليرفع السماء عليهما . وطلب من هيليوس أن يركب على عربته ليبلغ جزيرة إيريثيا حيث كان جيريون يرى أبقاره . ولما وصل إلى هناك هاجمه الكلب أرفوس ذو الرأسين والعملاق ايثريتيون راعي الأبقار فقتلهما وساق الأبقار إلى زورق هيليوس فتبعه جيريون ذو الرؤوس الثلاثة والجذوع الثلاثة والأرجل الست والأذرع الست والدروع الثلاث والرماح الثلاثة فقتله هرقل بعد صراع عنيف ولما قاد الأبقار نحو اليونان هربت بقرة وأخذها أحد الملوك واضطر لخوض صراع معه وقتله حتى يستعيدها ولما وصلت الأبقار أنزلت عليها

هيرا الجنون فتفرقت ولم ينجح هرقل بجمعها إلاّ في تراقيا وأخيراً ساقها إلى يوريثيوس فقدمها الملك قرابين إلى الإلهة هيرا .

11- **سيربروس كلب الجحيم** : ذهب هرقل إلى العالم الأسفل ليأسر كلب الجحيم (سيربروس) ذا الرؤوس الثلاثة والذي تلتف الأفاعي حول رقبته وذيله يحمل جمجمة تنين عملاق ، ووصل هرقل إلى لاكونيا ودخل الهوة المظلمة بجوار تينار لينحدر نحو السراديب المعتمة للعالم الأسفل ويشاهد تيسيوس وبيريفويوس (ملكاً فيساليا) وقد شدّا إلى صخرة على باب مملكة هاديس عقاباً لهما على محاولتهما اختطاف بيرسفوني من زوجها هاديس فاستنجدا به وخلّص هرقل تيسيوس ، وحاول تخليص بريفويوس لكن الأرض مادت تحته من غضب الآلهة فمضى في طريقه يهديه هرمس دليل أرواح الموتى في هاديس ، فرأى روح البطل مليلاجر ورأى الميدوزا ثم وصل إلى قصر هاديس ورأى ملك العالم الأسفل وإلى جانبه برسفوني ، فرحب به عمّه هاديس فسأله عمّا يريد فأوضح له فاشترط هاديس أن يأخذ الكلب دون أن يحمل سلاماً بوجهه ، فقبل هرقل فوجده على ضفاف أخيرونت فقبض عليه وكاد يخنقه ، فسقط الكلب وحملة إلى العالم الأعلى ، فلما شاهد الكلب النور ارتجف وأزبد وسقط زبده على الأرض حيث نبتت من كل قطرة عشبة من الأعشاب السامة ، ولما رآه يوريثيوس كاد يموت من الخوف وأمر هرقل بأن يعيده إلى هاديس فأعاده هرقل .



شكل (108)

هرقل يأسر سربروس ويقدمه إلى يوريثيوس 525 ق.م

باريس. اللوفر

12- تفاح الهيسبريد : توجه هرقل في أصعب وأطول مهمة له ليسأل عن مكان العملاق الجبار (أطلس) الذي يرفع السماء على منكبيه ويجيء بثلاث تفاحات من حدائقه التي تحرسها بناته الهيسبريدات ، والتفاحات من شجرةٍ ذهبية زرعتها إلهة الأرض القديمة رحيا (هيا) وأهدتها لابنتها هيرا في زفافها من زوس . وخرج هرقل ليسأل عن الطريق الذي يؤدي إلى أطلس فطاف آسيا وأوروبا دون جدوى حتى عثر على الشيخ العراف (نيريوس) وخاضا معا صراعاً طويلاً تحول فيه نيريوس إلى أكثر من شكل حتى غلبه وأسره وأخذ منه سرّ المكان فخلى سبيله وذهب يبحث عن مكان أطلس فقطع صحارى ليبيا (أفريقيا) والتقى الجبار أنتيوس إله البحر (ابن بوزيدون وإلهة الأرض هيا) الذي كان يستمد قوته من أمه كلما التصق بها وخاض هرقل معه صراعاً حتى عرف سرّ قوته فرفعه من الأرض وعلقه في الهواء على يده فخارت قواه وخنقه .

ثم توجه إلى مصر وعرف فرعون مصر (بوسيريس) وابنه أمه ايباف (ليسياناسا) وأمر الملك بأسر هرقل وتقديمه ضحية لزوس لكي يزيل به قحط السنوات التسع الذي كانت تمرّ به مصر (بحسب نبوءة العراف فراسيسو) وكان الملك قد قدّم فراسيوس أول ضحية لزوس لأنه كان أول غريب يأتي إلى مصر بعد القحط لكن هرقل ، عندما اقتيد إلى المذبح ، قطع الحبال وقتل الملك وابنه (أمفيدامانت) جوار المذبح وقدمهما قرباناً لزوس ، ثم توجه إلى أطلس فوجده وعرض عليه رغبته فاشترط عليه أطلس بأن يقف مكانه ويحمل السماوات على كتفيه حتى يجلب له التفاحات فوقف هرقل مكانه وضغطت السماوات على كتفيه وذراعيه حتى كاد يسقط ، وجاء أطلس وعرض عليه أن يذهب هو إلى الملك يوريثيوس ويوصل له هذه التفاحات ليتخلص من مهمته في رفع السماوات وإناطتها بهرقل ففطن هرقل إلى غرضه من هذا العرض وقال له بأنه موافق ولكنه يرغب في صنع وسادة يضعها على أكتافه ليتحمل ثقل السماوات وطلب منه أن يأتي مكانه قليلاً ليجلب الوسادة فوافق أطلس ، وأخذ هرقل التفاحات وسهامه وهراوته وودع أطلس الذي ظل يمارس مهمته في رفع السماوات ، ووصل إلى يوريثيوس وأعطاه التفاحات الذهبيات فردّها يوريثيوس فأهداها هرقل إلى أثينا - بالادا التي أعادتها إلى حدائق الهسبريدات لتظل في مكانها .

وهكذا انتهت الأعمال الكبرى الاثنا عشر التي تحرر بعدها هرقل من خدمة يوريثيوس فعاد إلى بلاده طيبة ذات البوابات السبع .



شكل (109)

أطلس يجلب التفاحات الثلاث إلى هرقل الذي يرفع السماوات على يديه

نحت بارز (450) ق.م

3- البطولات الأخيرة:

في طيبة قدّم هرقل زوجته ميغارا إلى صديقه أيولايس فتزوجها ، وعاد هو إلى تيرنيف من جديد ليقوم بالبطولات الجديدة (الصغرى) التي كانت هيرا تحاول النيل منه فيها دائماً :

1- إيفريت رامي السهام : كان الملك إيفريت ملكاً على مدينة أويخاليا في جزيرة إيثبيا وكان أحسن رام للسهام حيث علّمه أبولو رمي السهام وقد وضع هذا الملك رهاناً بأن من يغلبه في رمي السهام سيتزوج ابنته ، فشارك هرقل في تحديه وغلبه لكن الملك نكث بعهده بل طرد هرقل من الجزيرة كلها . وبعد زمن قام أتوليكوس (ابن هرمس الداهية) وسرق ماشية إيفريت فظن هذا أن هرقل هو الذي فعل ذلك ، فقام إيفيتوس (ابن إيفريت) ليثبت براءة هرقل وزار هرقل في تيرنيف لكن شجاراً تمّ بينهما اضطر هرقل أن يرمي إيفيتوس من السور فيموت ، فغضب زوس على هرقل وأنزل به مرضاً شديداً فذهب إلى مدينة دلفي فطردته العرافة باعتباره قاتلاً فسرق المقعد المثلث الأرجل للعرّافة فثار عليه أبولو وصارعه ففرق بينهما زوس بصاعقةٍ واصطلحا واقترحت عليه العرافة لكي يشفى من المرض أن يبيع نفسه عبداً لثلاث سنوات ويرسل ما يجنيه من مال إلى إيفريت تعويضاً عن قتل ابنه ، فباع

هرقل نفسه إلى أومفالا (ابنة ملكة ليدي) وأخذ هرمس المال إلى إيفريت لكن هذا رفضه متحدياً هرقل .

2- **زواج هرقل من ديانيرا** : حين خرج هرقل من جزيرة إيثبيا ذهب إلى كاليدون (في ايتوليا) ليطلب يد ابنة ملكها أوينيوس (ديانيرا) فقد وعد أخاها ملياغر (حين زار مملكة هاديس) لكنه فوجئ بخطابها الكثيرين ومنهم إله النهر (أخيلويوس) الذي تحدى الجميع بمنازلته فلم يقبل بذلك سوى هرقل فصرعه هرقل لكنه تحول إلى أفعى ثم ثور ثم هزمه نهائياً وتزوج ديانيرا وأقام في قصر الملك لكنه صفع غلاماً خادماً هناك فقتله فاضطر لمغادرة كاليدرو ، ووصل هرقل وزوجته فعبرت زوجته لكن القنطور طمع بها وحاول خطفها فرماه هرقل بسهم وصرعه فسال دم القنطور وأعطاه إلى زوجته قائلاً لها بأن تخضب به ثوب هرقل لتصبح لديه أغلى امرأة في الوجود . . . وخبأت ديانيرا دم نيسوس دون معرفة هرقل . ووصلا إلى تيرنيف وبعدها حصلت جريمة قتل إيفيتوس التي ذكرناها .

3- **هرقل وأومفالا** : كانت أومفالا ملكة ليديا متغطرسة أحبت النيل من كرامة هرقل فجعلته يعمل أحقر الأعمال ويلبس ملابس النساء ويعمل في النول والنسيج مع جواريها ، وكانت تلبس فروته وتحمل هراوته وسهامه وتتظاهر أمامه بالقوة والعظمة بينما هو يغزل النسيج . وأثناء فترة عبوديته لها زار هرقل مدينة إيثيس (على سواحل آسيا الصغرى) ونام فهاجمه أقزام الكيركوب فأسرهم وقيدهم في موكب ضاحك إلى المدينة لكنه أفرج عنهم ، وكذلك زار مدينة أفيلدا (في بيوتا) حيث كان ملكها يستعبد الغرباء فأجبره على العمل في بساتين ، لكن هرقل تمرد وقلع أشجار الروم ثم قتل الملك سيليوس ، وأخيراً اشترك هرقل مع الأرجوناوتيين في حملة حربية ، ثم انتهت فترة الثلاث سنوات وتحرر من عبوديته .

4- **هرقل يستولي على طروادة** : قام هرقل بتهيئة 18 سفينة لغزو طروادة لينتقم من ملكها لاوميدونت الذي نكث بوعده ولم يعطه الأفراس وجعل على حماية السفن أويكليس بينما ذهب هو إلى أسوار المدينة لكن الملك لاوميدونت هجم على أويكليس وقتله وتسلق أسوار المدينة ، وكان تيلامون قد فعل ذلك قبله فغضب عليه وأراد قتله لكن هذا تذرع بأنه سيبني لهرقل مذبحاً لتكريم بطولته ، وقتل هرقل لاوميدونت وأولاده جميعاً باستثناء (بودارك) وابنته (هيسيونا) التي زوجها للقائد تيلامون ، وأجاز لها أن تختار أحد الأسرى ليطلق سراحه فاختارت أخاها (بودارك) لكن هرقل طلب عنه فديةً فنزعت هيسيونا وشاحها عن رأسها وقدمته فديةً لأخيها فلقب منذ ذلك الوقت بـ(بريام) أي (المفتدى) ، وجعل هرقل بريام ملكاً على طروادة . ورحل هرقل عن طروادة لكن هيرا أرسلت لزوس إله

النوم (هيبنوس) فنام وغفل عن رعاية هرقل وحملت العواصف سفينة هرقل إلى جزيرة كوس (على شواطئ آسيا الصغرى) ورشق السفينة قراصنة البحر بالحجر فقام هرقل وقتل ملكهم (يوديبيل) ابن بوزيدون ودمّر الجزيرة . وحين أفاق زوس قرر معاقبة هيرا فقيدها بسلاسل ذهب وعلّقها بين السماء والأرض وربط رجليها بسندانين ثقيلين وعاقب كل من كان يقف في صفها في جبل الأولمب برميهم إلى الأسفل وبحث عن إله النوم ليعاقبه لكنه كان قد اختفى في أجفان هيرا .

5- هرقل يصارع العمالقة (الجيجانت) : وهم العمالقة البناؤون الذين ولدوا من قطرات دم أورانوس بعد أن ضربه ابنه كرونوس حيث تسرب الدم إلى رحم جايا فولدتهم في أعماقها وهم ذات طبيعة نارية ولهم بدل الأرجل ثعابين مخيفة وشعور مسترسلة .

وطالب هؤلاء بالاستيلاء على جبل الأولمب من زوس وأخوته وأولاده فأرسل زوس أثينا طالباً العون من ولده هرقل لمقاتلهم . وبدأت المعركة ورمى هؤلاء الآلهة بالصخور والأشجار واهتزّ الكون .

رمى هرقل بسهمه الأول زعيمهم الكونييوس وقتله ثم العملاق بورميزون الذي هجم على هيرا وهرقل لكن زوس طرحه أرضاً بصاعقته ثم رماه هرقل بسهمه . وقلع أبولو عين العملاق إينالت اليسرى بسهمه واليمنى بسهم هرقل . وضرب ديسيوس العملاق إيفريت بعصاه ، وقتل بالنيران هيغست العملاق كليتيوس وهوت أثينا بجزيرة سيسيليا على رأس العملاق إينكيلاد فهُزم وهكذا قضي على بقية العمالقة وهزموا .



شكل (110) هرقل يحمل أقزام الكيركوب

6- **موت هرقل** : قرر هرقل الانتقام من إفريت رامي السهام الذي رفض أن يزوج هرقل بابنته ، وقبل أن يودع زوجته ترك عندها ألواحاً سطرت عليها نبوءة كشف له في ديدونا تقول بأن هرقل إذا غاب ثلاث سنوات وثلاثة أشهر فهذا يعني أنه إما ميت وإما أنه سيعود بعدها ليعيش حياة وديعة هانئة .

وانقضت المدة فقلقت ديانيرا وطلبت من ولده الأكبر (هيل) أن يذهب فيتقصى أخبار والده فذهب ابنه ، لكنها استقبلت رسولاً منه فيما بعد طمأنها على صحته وأخبرها بأنه سيعود ولكن الرسول اصطحب معه ابنة إيفريت الذي قتله هرقل واسمها (إيولا) فعرف ديانيرا بأن هذه المرأة هي زوجة هرقل لأنه خطبها من أبيها من قبل . فتخرم دم السنطور نيسوس وتحوك رداءً لهرقل وتغمس به هذا الدم (عملاً بوصية السنطور بأن هرقل سيحبها أكثر من أي امرأة) وتبعثه مع رسول إلى هرقل في إيثيبا رغم أنها خافت من هذا الرداء لأنه كان يشع بالنار الغريبة .

ويعود (هيل) ليخبر أمه بأنها قتلت والده (هرقل) لأنه لبس هذا الرداء وهو يقدم الضحايا لزوس وهو الآن يحتضر فتنتحر ديانيرا ويعود هرقل محمولاً على خشبة وهو يحتضر ويتألم ويطلب الانتقام من ديانيرا لكنه يعلم ما حصل فيتذكر النبوءة حول موته بأنه لا يموت على واحد من الأحياء بل بمكيدة أحد الداخلين إلى مملكة هاديس . ويطلب هرقل من (هيل) أن يتزوج (إيولا) فيوافق ، ثم يحمل هرقل إلى قمة جبل أويتا الشاهق ويشعل فيلوكتيت النار حوله ليحرقه على ضوء طلبه وترتفع النيران ويحترق هرقل .

7- **هرقل يصعد إلى جبل الأولمب** : بينما كانت النيران تتصاعد على قمة جبل أوييتا أرسل زوس ابنته أثينا (وفي رواية أخرى نايكي إلهة النصر) ومعها الإله هرمس بعربته الذهبية وانتشلا هرقل من النيران ورفعاه إلى جبل الأولمب ليصبح واحداً من الآلهة الخالدين هناك ، حيث نسيت هيرا حقدها عليه وزوجته من ابنتها (هيبا) إلهة الشراب .



شكل (111)
ربة النصر تنتزع هرقل عن المحرقة لترفعه فوق العربة المشدودة إلى الخيول الأربعة وتصعد به إلى الأولمب
(رسم على مزهرية)

الهرقليد (أبناء هرقل) ومصير يوريثيوس:

قام يوريثيوس بطرد عائلة هرقل (أبناؤه وأمه) من تيرنيف كرهاً بهرقل وبطولاته وذهبوا عند إيولاس نسيب هرقل وصديقه الوفي ، فأرسل يوريثيوس إلى إيولاس بأن يسلمهم له وإلاّ فإنه سيغزو أثينا مدينة إيولاس ، فاستطلعوا الآلهة فأخبرتهم بأنهم سينتصرون إذا ما ضحّوا بعذراء منهم ، وهكذا ردّوا على تحدي إيلواس فالتقى الجيشان وضحت ابنة هرقل (ماكاريا) بنفسها قرباناً للآلهة قبل بدء المنازلة والتقى الجيشان فهزم جيش يوريثيوس وانطلق (هيل) وراءه فتوسل إيولاس إليه أن يتنازل له عن عربته ليلحق به وينتقم منه فلحقه ، وطلب من الآلهة أن يعود شاباً ليوم واحد فعاد إيولاس شاباً مفتول العضلات وأمسك بيوريثيوس وعاد به مكتفاً بالسلاسل فلم تصبر الكميني (أم هرقل) على مشاهدته مكبلاً فقط فقفزت إليه وسملت عينيه . . ثم مات ودفن في أتيكا قرب مذبح أثينا .

سابعاً: أثينا Athene:

رغم أن البحوث الحديثة ترجع اسم وأصل أثينا إلى كَريت وموكيناي فإننا نرى أن أصلها مشرقي كنعاني مشتق من جذور سومرية ومصرية وجذورها تمتد إلى الإلهة تانيت الإلهة التي انتشرت في شمال أفريقيا وعبدها البربر والبونيون معاً ، وهي رفيقة بعل حامون والتي أرجعناها إلى أصل كنعاني/مصري فهي نت (نوت) إلهة السماء المصرية وهي عنات وقد أفردنا فقرة طويلة لمناقشة أصل تانيت وتفرعات اسمها في كتابنا المعتقدات الكنعانية(53) .

البحوث الحديثة تؤكد أن أثينا كانت في الأصل إلهة أمومة (وليست عذرية) وأن صخرة الأكروبول في أثينا هي نصب أو حجرة أثينا وأنها كانت ربة من ربات الجبال وربة صخرة الأكروبول بوجه خاص قبل مجيء الإغريق وكانت كل النباتات والحيوانات في هذا المكان موضع تقديس بصفته آية من آيات الربة نفسها وبذلك يفسر اقتران أثينا بالزيتون والثعبان والبومة وكلها من سكان الأكروبوي وجحوره[54] .

أسماء وصفات أثينا:

1- بالاس pallas : ويعني فتاة أو شابة قوية وهو ما يعبر عن صفاتها الحربية القوية وأصلها الجبلي ، وله أسطورة سنذكرها في ولادتها .

2- بالادا Pallada : لقب مشتق من اسم صديقتها (بالادا) التي تقول الأسطورة إنها كانت تلعب معها فقتلتها غير متعمدةٍ وحزنت عليها ونحتت تمثالاً من الخشب لها ووضعته أمام

زوس فبعثه إلى طروادة حيث أقيم هيكل لها حتى سرقه أوديسيوس وديوميد فحلت الكارثة على المدينة ويسمى تمثالها هذا الذي سقط من السماء بلاديون Palladion .

3- العذراء Parthenos (بارثيوس) : ويعني البكارة المتحددة ونضارة الشباب والقدرة التي لا تنضب على الحمل والإنجاب ، ولكنه شاع عنها كعذراء غير متزوجة وخصوصاً في العصر الكلاسيكي .

4- كوري Kore : إلهة الأرض السفلى وهي ليست كذلك بل هو تكريم لها فقط .

5- جلاوكوبيس glaukopis : وتعني ذات العينين الشبيهتين بعيني البومة ، أو البراقتين ، أو الخضرواين خضرة الزيتون أو ماء البحر وتبدو أثينا هنا كربة أكَريتية في صورة طائر .

6- الفتاة Pais
7- الزوجة Teleia } وهي ألفاظ تذكر بأصلها القديم الأمومي (6-10) .
8- الأرمل Cherar
9- الأم Meter
10- ربة دولة المدينة Polias
11- ربة أثينا Athenai
12- ابنة البحيرة تريتون Tritogeneia
13- ربة المهن (إرجاني) Ergane
14- ربة الحكمة (صوفيا) Sophia التي ولدت عندها .

أسطورة ولادتها :

هناك أسطورة قديمة غير شائعة عن ولادتها تقول بأن والدها لم يكن زوس بل كان عملاقاً في هيئة الجدي يسمى (بالاس) وقد حاول اغتصابها لكنها تغلبت عليه وسلخت جلده وصنعت منه درعاً وأخذت اسمه وصار أحد ألقابها . والأسطورة الشائعة هي أن زوس أحب جبّارة اسمها (ميتس) كانت إلهة الحكمة (الذكاء) ، وظهرت نبوءة تقول بأن ميتس ستلد ولداً يقتل زوس فابتلع زوس ميتس ، وبعد شهور شعر زوس أن رأسه سينفجر فهوى هيفايستوس بفأسه على رأسه فانبثقت أثينا مدججة بالدرع وهي تصرخ صرخة الحرب ، وأصبحت أحب أولاده إليه وكان يثق بها لدرجة أنه يترك معها درعه وترسه وصاعقته وهي أخطر أسلحته . وقد أصبحت أثينا إلهة الحكمة وراعية أبطال الإغريق وهي التي تعلمهم الفنون والصناعات .

أساطيرها :

1- أسطورة بالادا صديقتها التي شرحناها .

2-أسطورة اريخيتيوس (Erechtheus) : أو هم بوزيدون هيفايستوس بأن أثينا راغبة فيه ، فحاول معها لكنها رفضته فحاول اغتصابها وسقط منه منيٌّ على ساقها فأبعدته بقطعة صوف فسقط على الأرض فأنبتت الأرض طفلاً تبرأت منه ربة الأرض فأخذته أثينا وتكفلت به واسمه أرخثيونيوس Erichthonios (Eris معناها صوف و Chthon معناها أرض أي صوف الأرض) وأخفته في صندوق وأعطته لبنات كيكروبس ملك أثينا ففتحن الصندوق .

وشاهدن طفلاً بذيل ثعبان فأصبن بالجنون وقذفن بأنفسهن من أعلى الأكروبول ولقين مصرعهن ولاذ الطفلُ بدرع أثينا ، وشب الطفلُ وصار ملك أثينا وأدخل عبادة أثينا إلى المدينة وعلّم الناس استعمال الفضة وابتكر العجلة الحربية ذات الجياد الأربعة ، ولهذا قيل إن صورته ظهرت في السماء بين الكواكب باسم أوريجا Auriga أي السائق(55) .

وأهم معابد أثينا على الأكروبول هما معبدا البارثنون والأرخثيون اللذان سبق شرحهما .

3- أسطورة أثينا مع بوزيدون التي شرحناها مع أساطير بوزيدون .

4- أسطورة أراخنا : كانت أراخنا نسّاجة ماهرةً من البشر أبهرت الناس والجنيات في ليديا فأتوا يتفرجون عليها إعجاباً وأصابها الغرور فتحدت أثينا في صناعة النسيج فجاءتها أثينا في صورة امرأة عجوز لتنصحها بعدم تحدي الآلهة والتواضع لكنّ أراخنا صرخت بها : لماذا لا تأتي أثينا إليّ؟ فكشفت العجوز عن حقيقتها وقالت لها : أنا هنا . فانبهر بها الناس وسجدوا لها أما أراخنا فقد تحدتها بصناعة نسيج يكون الآلهة حكماً عليه فحضر آلهة الأولمب وبدأت المسابقة فحاكت أثينا نسيجاً عن مدينتها وعن أسطورتها مع بوزيدون فراقت للآلهة أما أراخنا فقد صورت الآلهة في نزواتهم ومتعهم وكان جميلاً ، لكن الآلهة لم يرضوا عنه فقامت أراخنا بمحاولة شنق نفسها لكن أثينا منعتها من ذلك وسقتها عصارة حشيشية مسحورة تقلص جسمها وتساقط شعرها الكثيف عن رأسها واستحالت عنكبوتةً وظلت منذ ذلك اليوم تحوك شباكها بيديها ولا تفارقها .

5- أسطورتها مع صديقتها (بالاس) ابنة تريتون ابن بوزيدون وقد ذكرناها .



شكل (112)

مولد أرخثيوس، من اليسار إلى اليمين يظهر: كيكرويس، أرخثيوس على ذراعي هيرا إلهة الأرض، أثينا، هيفست، ابنتا كيكرويس الاثنتان فيريختيوس



شكل (113)

أثينا تحمل درعها الذي نقش عليه رمزها (البومة)

6- أسطورتها مع بيلّيروفون وبيكاسو : حاول البطل بيلّرفون ترويض الحصان الخالد المجنح بيجاسوس (بيكاسو) واستئناسه لكنه لم يستطع ، وكان بيكاسو ابن الميدوزا النارية من بوزيدون ، لا أحد يستطيع ترويضه ، فقامت أثينا بزيارة بيلّرفون في المنام وأرادت تحقيق حلمه فأعطته عناناً سماوياً ليروض به الحصان المجنح فاستيقظ ووجد العنان بيده ومضى إلى بيكاسو وروّضه .

7- أساطيرها مع هرقل وملازمتها له وقد ذكرناها .

8- أساطيرها في حرب طروادة ومناصرتها للإغريق .

9- أسطورتها في قتال العمالقة حيث قتلت العملاق بالاس وقشّرته وصنعت من جلده درعاً .

10- أسطورتها مع أوديسيوس (عوليس) في الأوديسّة حيث ناصرته دائماً بالحكمة والقرارات الحذرة حتى أعادته إلى بلاده سالماً .

كانت رموز أثينا ثلاثة هي (الدرع ، الحربة ، المجنّ) والبومة وكان على درعها رأس ميدوسا الذي أعاره لها بيرسين ومن نظر إليه تحول إلى حجر . لكن أثينا ، بتضادٍ عجيبٍ ، هي أيضاً إلهة السلام وهي تحمي الغازلات والحائكات ، وإذا هي اخترعت عربة الحربٍ فإنها ، في المقابل ، زرعت في اليونان زيتوناً وعلّمت الأيتكين (الأثينيين) استخراج الزيت من حبوبه(56) .

كانت ترعى المهن والصناعات فهي صانعة الفخار وصائغة الذهب وفن الحدادة والغزل والنسيج والخزف وأعمال المنزل وهي ربة الحكمة (صوفيا Sophia) منذ أن فسّر هسيود ، في القرن السابع قبل الميلاد ، أسطورة ولادتها من رأس زوس تفسيراً رمزياً لأنها خرجت من عقله ، وارتبطت أثينا بربة النصر (نايكي Nike) ذات الجناحين أشهر الربات اللائي سرن في ركابها(57) .

وكانت أكثر حكمة من أريس (إله الحرب) عندما تتولى أمور الحرب فهي محاربة بقدر ما هي إلهة سلم وحكمة ، وقد كانت إلهة جبال قبل أن تكون إلهة مدينة وهو ما يفسر صلابتها وقوتها .

ثامناً: أرتميس Artemis:

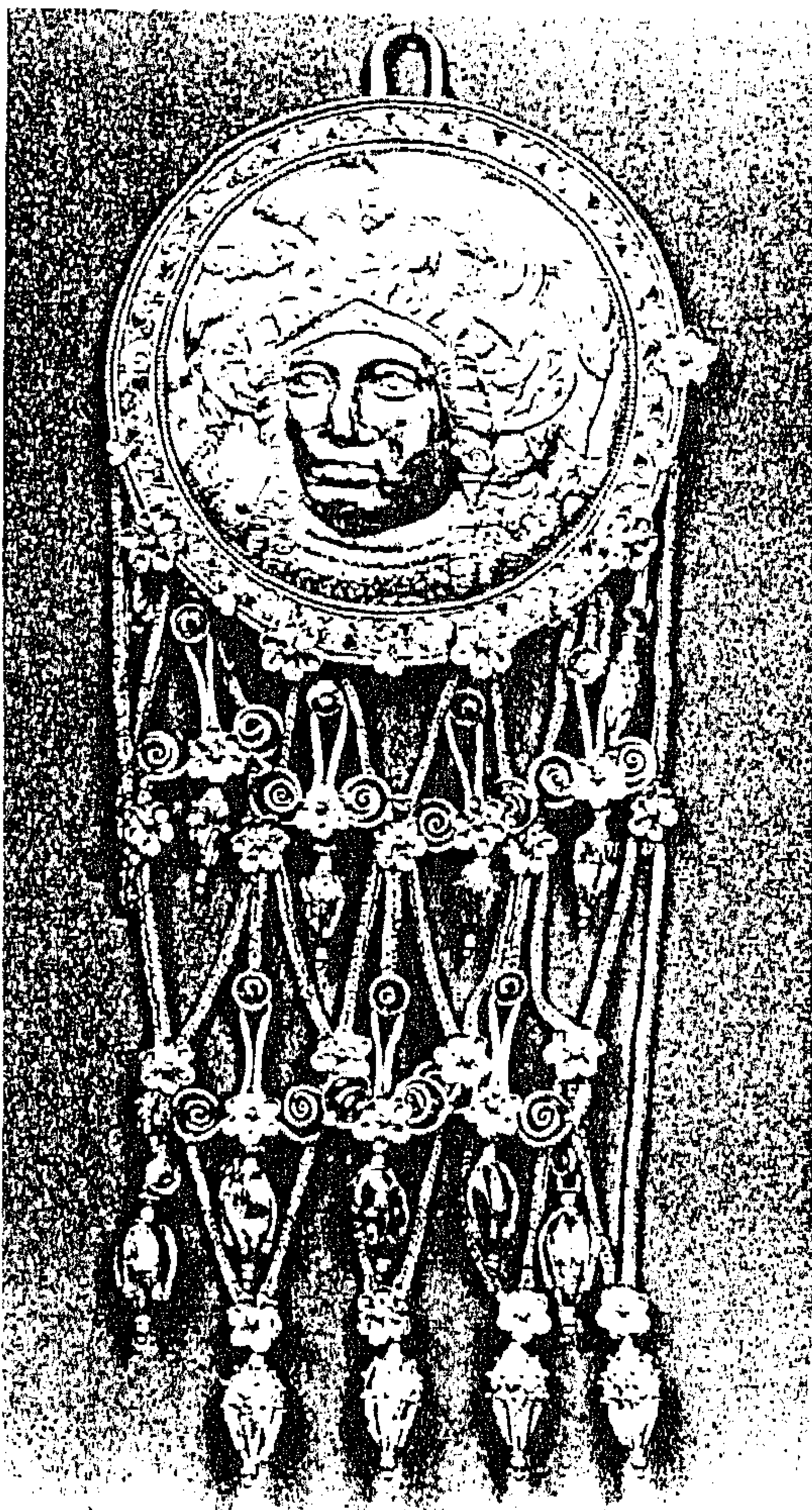
أرتميس هي إلهة الصيد وهي أخت أبولّو التوأم ، ويعتقد أنها إلهة قديمة جداً جاءت إلى اليونان قبل مجيء الإغريق وعبدها السكان المحليون من أهل البلقان والأناضول وكَريت . ونرى أن أصلها القديم قد يعود إلى بلاد وادي الرافدين فهي إلهة الأرض الأم (أرت إم) قبل أن تكتسب صفات الصيد والقنص ، فقد كانت ربّة خصوبة تستعيد ذكريات ربة الأرض الأم القديمة . وكانت رحيمة بحيوانات البرية قدر رحمتها بالصيادين .





شكل (114)

أثينا على عملات نقدية (صورتها)، البومة (رمزها)



شكل (115)

أثينا بارثنون (العذراء) على قلادة ذهبية

أقدم مراكز عبادتها هي أركاديا مرتبطة بديمتر وبرسفوني ثم في إفسوس . والأمومة صفتها القديمة (ربما قبل العصر البرونزي أو في بدايته) لكن صفة العذرية هي التي طغت عليها لاحقاً وتحولت أمومتها للحيوانات إلى رعاية لها ولصياديها فأصبحت إلهة صيد في حين أنها كانت أم وسيدة وملكة الحيوانات والصغار . ولم تتزوج قط وظلت ربةً للأرض القفراء والبراري حيث تكثر الحيوانات المفترسة كالأسود والدببة والظباء والأيائل والوعول . وكان لها مرافقات وحوريات عذارى لا يسمحن للرجال بمشاهدة خلقتهن .

أسماء وصفات أرتميس:

1- سيدة (ملكة) الحيوانات البرية Potnia theron كما ذكرها هوميروس .

2- كيبيلي (سبيلي) Cybele في فريجيا .

3- ما (Ma) في كبادوكيا .

4- بريتومارتيس (Britomartis) .

5- سيدة البراري (Agrotera) .

6- حاضنة الأطفال Paidotrophos .

7- مربية الأطفال kourotrophos .

8- محبة الصغار Philomeirax .

9- العذراء Parthenos أي غير مرتبطة برجل أو متجددة العذرية من طريق التطهير .

10- الإلهة القابلة Locheia .

11- كاليستي Calliste الإلهة الأجمل ، الإلهة المتناهية الجمال .

12- إلهة الدبّة .

13- إلهة براورون Brauronia .

14- بريتومارتيس Britomartis لقب كَريتي معناه (العذراء الجميلة) .

15- دكتينّا Dictynna : إلهة جبل دكتي Dicte شرق جزيرة كَريت . أو إلهة شبكة الصيد Diktuon (ذات الشبكة) .

16- الإلهة المختفية (أفايا Aphaiai) .

17- كارياتيس Caryatis إلهة القرية (كرياي) .

18- إلهة القمر Selene .

19- إلهة السحر والتعاويذ .

20- إلهة الحوريات .

وتوصف أرتميس (أرتميدا) بأنها مانحة الحياة لكل شيء فهي ترعى النباتات والحيوانات وتشرف على ولادات النساء وتشفي من الأمراض وترسلها أحياناً وتبارك الأعراس والزواج . وكانت تظهر دائماً والقوس في يدها وكنانة السهام على ظهرها وكلاب الصيد ترافقها "وكانت تصور شابة بارعة الحسن تنتعل حذاءً طويلاً وترتدي الخيتون القصير إلى ما فوق ركبتها وتحملُ قوسيها وجعبة سهامها ، ويصحبها عادة وعلٌ أو أي حيوان آخر ، وعلى رأسها قرون هلالية كانت ترمز في أزمنة لاحقة إلى القمر فطابقوا بينه وبين شخصيتها . وكان شعارها إلى جوار الحيوان والسلاح مشعلاً يرمز بوجه عام إلى ربة الخصوبة والربط بين الضياء والحياء والانجذاب"(58) .

أساطيرها:

1- مع أكتيون : بعد أن خرج أكتيون للصيد في غابات كيثرون أراد أن يرتاح قليلاً في مكان بارد فالتجأ إلى كهف ينضح ماءً كان لأرتميس وكانت فيه تتهيأ للاستحمام في نهرٍ كان في الكهف فأطل من بابِ الكهف عليها عاريةً فصرخت واجتمعت حورياتها حولها فنظرت إليه نظرة غضب وأحالته إلى وعلٍ تشعبت قرونه على رأسه وهرب فانطلقت الكلاب خلفه ومزقته .

2- مع كالّيستو : كانت كاليستو صاحبة أرتميس ترتدي ثياباً مثل ثيابها وتصيد معها ، وقد رآها زوس ، ذات يوم ، وأعجبته فأغواها متنكراً في صورة أرتميس أو الدب وضاجعها فحملت منه ولّما اكتشفت هيرا ذلك مسختها إلى دبّةٍ ودفعت بها إلى طريق أرتميس فرمتها بسهامها وقتلتها دون أن تدري أنها صاحبتها وقد انتزع زوس طفلهُ منها قبل أن تموت وسمي (أركاس Arcaz) وهو الجد الأسطوري للأركاديين ، ويبدو أنها دفنت تحت كوم ترابي وأقيم فوقه معبد لأرتميس يسمى كالّيستي ومعناه الأجمل أو المتناهية الجمال وهو لقب من ألقاب أرتميس .



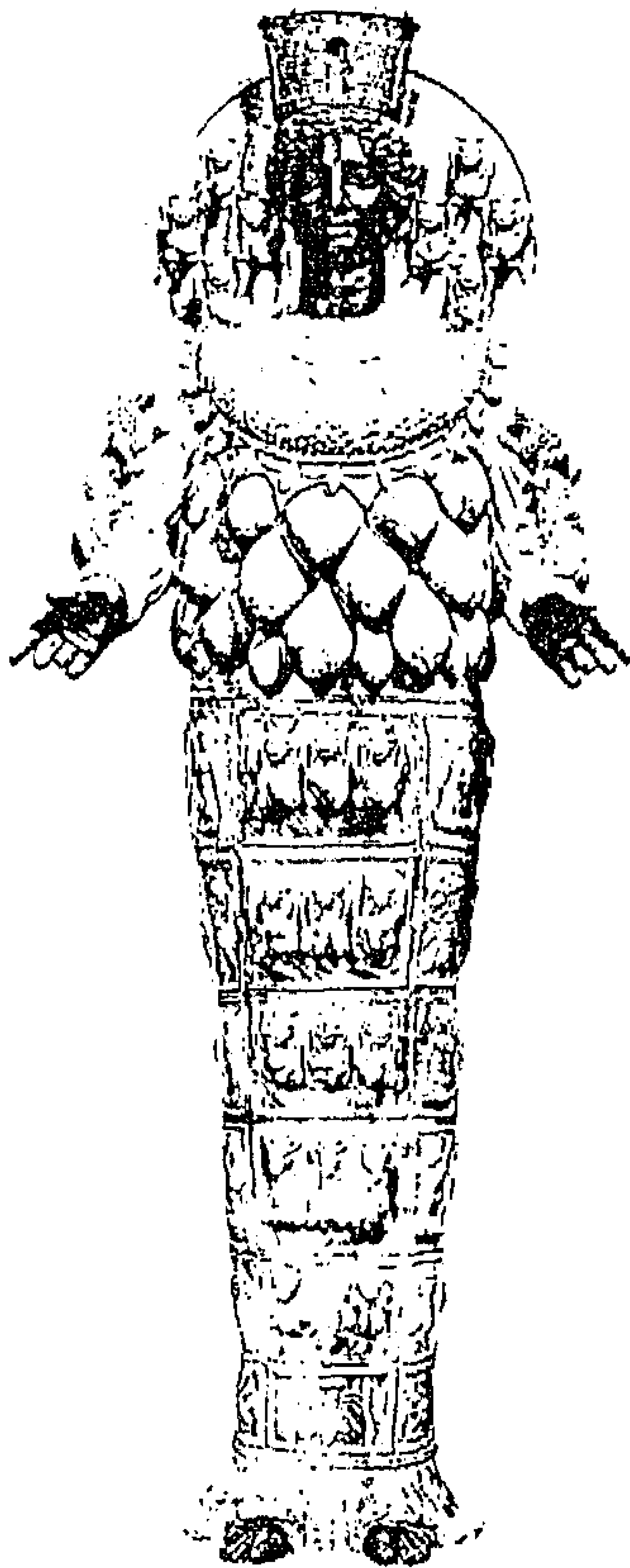
شكل (116)

أرتميس منحوتة على قطعة ذهبية

(لندن - المتحف البريطاني)

شكل (117)

أرتميس الإيفيسية الكثيرة الأثداء إلهة الخصب في آسيا الصغرى تظهر كإلهة أم





شكل (118)

أرتميس العذراء الصيّادة إلهة الصيد، تظهر كإلهة عذراء

3- مع بريتومارتيس : وهي ابنة زوس من فتاة عادية من كَريت ولما كبرت صارت حورية تهوى الصيد فأحبها مينوس ملك كَريت وطاردها في الجبال ووسط غابات البلوط تسعة أشهر وحين وصل إليها ألقت نفسها من قمة جبل (ديكتي) إلى البحر حيث تلقفتها شكبة صيادٍ ونجت . وكانت بريتومارتيس هذه صديقة أرتميس ومعها ديكتينا وربما كانتا وجهاً آخر من وجوه أرتميس .

4- هيكاتي Hecate : وهي إلهة من إلهات الخصب في إقليم بريتوريا وكانت كارية الأصل من الأناضول وهي تشبه أرتميس في صفاتها ولذلك وجد لها الناس صلة بها حيث جعلوا من (أستيريا) كانت أختا ليتو أمّا لهيكاتي وارتبطت هيكاتي بالعالم الأسفل ملكة للظلام والأشباح وللسحر الأسود ، وكانت تمثل بثلاثة وجوه أو أجسام متلاصقة الظهر لتعبر عن قدرتها على النظر في آن إلى جميع الاتجاهات وهي واقفة عند ملتقى الطرق وتقدم لها وجبات لحوم كلاب وأسماك وضأن وعسل النحل ويقال إنها كانت تخرج في الليل في صورة عفريتة مخيفة حاملةً في يدها مشعلاً وفي رفقتها كلاب نابحة مسعورة ، وكان يخلط بينها وبين أرتميس ويبدو أنها وجهها السفلي(59) .

5- أسطورتها مع نيوبي وقد ذكرناها في أساطير أبولو .



شكل (119)

أكتيون تمزقه كلاب أرتميس

(المتحف الوطني/باليرمو)

تاسعاً: أفروديت Aphrodite:

إلهة الحب والجمال عند الإغريق (ڤينوس عند الرومان) .. وهي إلهة إخصاب الحيوان التي تقدس الزهور، وهي ليست إلهة عذراء بل إلهة ممارسة الحب والجنس فهي التي تحرك قلوب العشاق وتصل بينهم وهي التي تعطي جمال الجسد البشري وتفتن به الآخرين .

ورغم الحديث عن أصلها القبرصي أو الكيثيري (نسبة إلى جزيرة كيثيرا) ورغم أن اسمها يوحي بزبد البحر (افورس) لكن أفروديت من أصل رافديني عراقي قديم فهي عشتار التي صارت عشتروت عند الكنعانيين ولأن الإغريق لا يلفظون حرفي (ع) و (ش) تحوّل اسمها إلى أفروديت . وصفاتها وأساطيرها تطابقُ تماماً أساطير عشتار بل إن حبيبها المفضل أدونيس هو نفسه تموز أو أدون الذي أشتهرت أسطورته . والراجح أن عشتار أو عشتروت الكنعانية أو الفينيقية انتقلت إلى قبرص ومنها إلى بلاد اليونان .

تناولت الروايات أفروديت على أنها عاشقة لا زوجة تعددت صلاتها بمن هم أدنى منها مرتبةً على غرار مغامرات الربّات الشرقيات اللاتي كن أمهات لا زوجات . وكان مظهر أفروديت هذا ينعكس في اليونان على (أورانيا) السماوية التي كانت تعبد أحياناً وفق طقوس لا أخلاقية من بينها إقامة معبد للعاهرات، كما حدث في كورنثة، على أن اليونانيين هذّبوا من تلك الطقوس على مرّ الزمن حتى قدموها في صورة أفروديت الأثينية أو (أفروديت بانديموس) أي ربة الزواج والتي روى أفلاطون عنها ظلماً أنها ربّة الحب السوقي(60) .

أسماء وصفات أفروديت:

1- إلهة الحرب (أريّا Areia) نسبةً إلى عشيقها أريس إله الحرب .

2- المحاربة (ستراتيا Strateia) وخصوصاً في قبرص وكيثيرا وإسبارطة .

3-إلهة البحر (بونتيا Pontia) أو (بيلاجيا) نسبة إلى البحر الذي خرجت من زبده .

4- إلهة الملاحة (يوبلويا Euploia) بعد مجيئها إلى قبرص واليونان .

5- السوداء (ميلينس Melainia) كألهة لباطن الأرض .

6- حفارة القبور أو الجالسة على القبور (Epitymbia) .

7- السماوية (أورانيا Ourania) لأنها ابنة أورانوس إله السماء .

8- إلهة العاهرات (Potneia) بسبب كاهناتها وتابعاتها البشريات في المعابد .

9- إلهة الزهور (أنثيا Antheia) .

10- ذات البساتين (Enkepois) .

11- إلهة الشعب كله (بانديموس pandemos) : أي بجميع فئاته وطبقاته .

12- البازغة من الأمواج (Anadyomene) .

13- القبرصية Cypria .

14- الإلهة الحنون Eleemon .

15- الإلهة الذهبية Chryse .

أساطيرها:

1- **أسطورة ولادتها :** لإفروديت أسطورتان الأولى ترجعها إلى أورانوس ، حيث يقطع كرونوس عضوه التناسلي ويقذف به إلى أعماق البحر التي تولد منها أفروديت البحرية التي يعتقد أنها إلهة المطر في هذه الأسطورة . أما أسطورتها الأخرى فتنسب ولادتها من ديوني (إلهة ديونيا القديمة) وزيوس . ولكن الأسطورة الأولى هي التي طغت عليها فبعد أن ولدت من البحر في جزيرة كيثيرا حملتها الخادمات وحوريات الماء إلى جزيرة قبرص ثم ذهبت مع الهواري والخاريتس إلى الأولمب ورحب بها آلهة الأولمب وأقاموا لها عرشاً وتقدم لها آلهة الأولمب فرفضت الزواج منهم جميعاً فغضب عليها زوس وقرر أن يزوجها من إله الحدادة هيفايستوس وهو الأقبح بينهم عقاباً لها على سلوكها المتغطرس هذا وتزوجته .

2- **أساطير خياناتها :**

أ- مع أريس : وقد شرحناه في أساطير أريس . وقد أنجبت من أريس كل من (هارمونيا ، ايروس ، انتيروس ، دايموس ، فوبوس) .

ب- مع هرمس : وقد شرحناه في أساطير هرمس وقد أنجبت منه هيرمافروديتوس الذي التحم بـ(سالماكيس) ليظهر من ذلك هيرمافروديت .

ج- مع البشر وهم :

1- **أدونيس:** والذي تصفه الأساطير بأنه ابن مورا التي ضاجعت والدها (سينراس) ملك قبرص بعد أن دبرت هي ومربيتها خديعة له في الظلام ، فلما عرف والدها فرت ودعت من الآلهة لكي تتحول إلى شجر المرّ (التي سميت على اسمها) فتحولت ولكنها ظلت حاملاً ثم أنجبت الشجرة فتىً مذهلاً في جماله هو (أدونيس) هامت به أفروديت ووضعته في صندوق وأودعته عند (برسفوني) لكي تربيه في العالم الأسفل ولما كبر أبقته برسفوني عندها فاحتكمتا إلى (زوس) الذي قضى بأن يقضي أدونيس ثلث العالم مع إحداهن والآخر مع الأخرى والثلث الأخير مع من يشاء من الإلهتين .



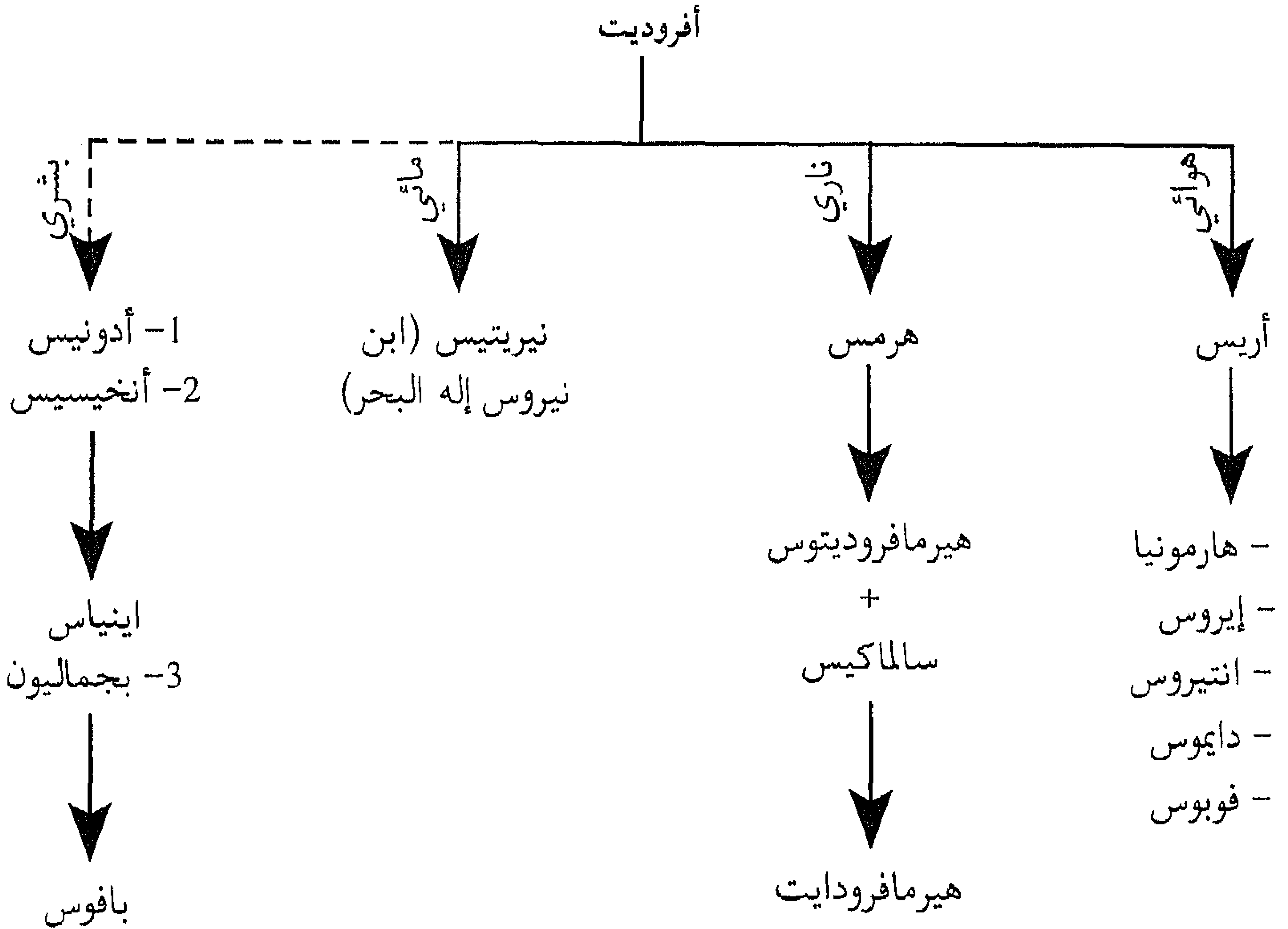


شكل (120)

أفروديت الملقبة بـ (فينوس ميلو) حوالى 100ق.م

متحف اللوفر

لكن رواية أخرى تقول إن أفروديت لمحت الفتى أدونيس فهامت بحبه وأهملت حياتها كإلهة وانصرفت له وتركت الأولمب من أجله تقضي وقتها معه وكانت تحذره من غضب الآلهة وروت له قصة (أتلانتا وهيبومينس) اللذين مسختهما أفروديت إلى أسد ولبوة لأن هيبومنيس لم يشكرها على زواجه من أتلانتا . وحين تركت أفرديتً أدونيس في الغابة هجم عليه خنزير بري وضربه في فخذه فنزف حتى الموت وسمعت أفروديت التي كان تطير ، على عربته التي تجرها أوزتان ، وهي متوجهة إلى قبرص سمعت صرخته فعادت إليه ووجدته يلفظ أنفاسه الأخيرة وصبّت على دمه رحيق زهرة عطرة بيضاء تحولت إلى حمراء مع دمه وانتشرت حوله وهن زهور (شقائق النعمان) الواهية الساق والقصيرة العمر . وطلبت أفردويت من زوس أن تلتحق بحبيبها أدونيس في العالم الأسفل لكن زوس لم يرضَ أن تغيب أفردويت عن الأولمب ، ولم يقبل هاديس إعادة أدونيس من العالم الأسفل فوصلا إلى حلّ وسط وهو أن يقضي أدونيس نصف يومه فوق الأرض مع أفردويت ونصفه الآخر بعيداً عنها في العالم الأسفل . وكانت أعياد الأدونيا تقام خصيصاً في اليونان لمثل هذه المناسبة . ومعروف أن هذه الأسطورة وهذه الأعياد هي في الأساس كنعانية الأصل وأن الفينيقيين قدّسوا أدونيس وحاكوا أسطورته هذه مع عشتروت(61) .





شكل (121)

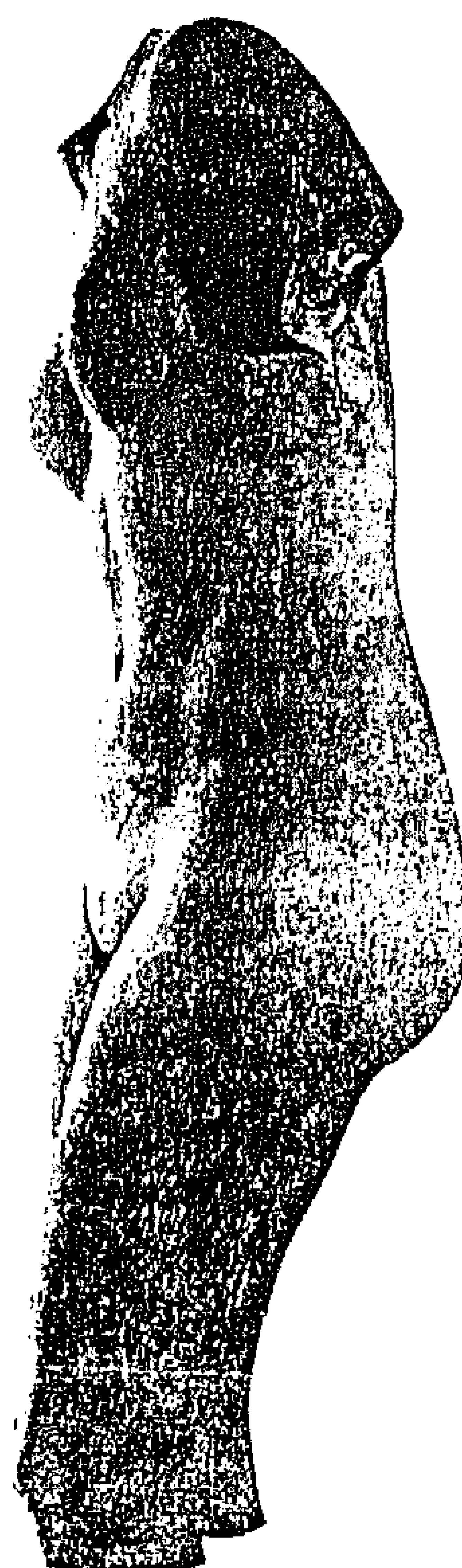
رأس أفروديت



شكل (122)

أفروديت وهرمس، نحت طيني بارز من لوكري

(متحف تورنتو)



شكل (123)

أفروديت كنودوس، نسخة رومانية من أصل إغريقي

لبراكستيل (منتصف القرن الرابع ق.م) (باريس/اللوفر)

2- **أينياس** : أحبت أينياس شاباً آخر هو أنخيسيس ملك الدردانيين ، وذات يوم كان يرعى ماشيته فوق جبل (إدّا) فهبطت عليه وضاجعته وأنجبت منه (أينياس) لكنها حرّمت عليه أن يكشف سرّ حبها له وإنجابها منه ، لكن أنخيسيس ثمل وتفاخر بذلك فأرسل زوس عليه صاعقته وقتله . كان أينياس بطلاً حكيماً رصد له الشاعر الروماني فرجيل ملحمته (الإزيادة) ومتتبعاً سيرته ، وقد أسندت له قيادة الطرواديين بعد مصرع هكتور وخرج بعد سقوط طروادة حاملاً والده الشيخ وولده ووصلوا إلى صقلية فمات أبوه هناك ثم مالت الريح بسفينته إلى قرطاج فرحبت به (ديدو) ملكة قرطاج (التي ربما كانت هي إليسا مؤسسة قرطاج) وأحبته وأكرمته لكنه استجاب لنداء أفروديت أمه ورحل إلى صقلية ثم كوماي ليؤسس هناك سلالة ملكية ستؤسس روما وتزوج من لافينا ابنة لاتينوس وصار من سلالته رومولوس وروموس اللذان أسسا روما بعد أجيال .

3- **بجماليون** : كان ملك قبرص بجماليون قد اقتنى تمثالاً عاجياً لأفروديت تظهر فيه الإلهة خارجة من البحر عارية ، وقد افتتن بجماليون بهذا التمثال وكان يحمله معه إلى الفراش عند النوم (في رواية أخرى ربما كان هو الذي صنعه) فاستجابت له ودبت الحياة في تمثال أفروديت فتزوج الملك المرأة التمثال أفروديت وأنجب منها (بافوس) الذي أسس مدينة على اسمه في قبرص وبنى لأفروديت معبداً يعدّ من أقدم معابدها في العالم الهيليني . وربما طابق بافوس هذا شخصيته سيرانيس والد (مورا) التي أنجبت منه أدونيس الذي هامت به أفروديت . وميرا هذه هي (سميرنا Symyrna) وباسمها سميت مدينة أزمير التركية .

4- مع **نيريتيس** : وهو ابن نيريوس الوحيد ، إله البحر القديم وقد قضت معه أفروديت في البحر وقتاً طويلاً ثم لمّا آن الآوان لأن تلتحق بآلهة الأولمب طلبت منه أن يرافقها لكن نيريتيس رفض ذلك وأحب البقاء مع والده وشقيقاته الخمسين ، فعرضت عليه أفرودويت جناحين ليطير معها فرضيَ وعند ذاك مسخته إلى صدفة صغيرة من أصداف البحر ، وأخذت معها بدلاً منه إيروس إله الحب الصغير وأعطته الجناحين فطار بهما معها .

5- **الإيروتيس** (المحبّون) : يترأس إيروس (ابن أفروديت) مجموعة من الآلهة يطلق عليهم الريروتيس أي المحبون أو العاشقون ويتكونون من :

1- إيروس (كيوبيد ، أمور) إله الحب .

2- انيتروس : إله الحب المتبادل .

3- بوثوس : إله الشوق .

4- هميروس : إله الشهوة .

5- بايثو : إلهة الإقناع .

6- ربات الفنون التسع : (الميوزيات) .

7- ربات الحسن الثلاث (الخاريتيات) .

وهم يشكلون جوقة الحب والغرام واللذة وتسود حياتهم الأفراح والرقص والحياة الحسيّة وعددهم (17) إلهاً ينسقون فيما بينهم حول حالات الحب .

إيروس : هو ابن أفروديت من آريس إله الحرب عشيقها الذي كانت تعاشره بعيداً عن عيون الآلهة وزوجها هيفايستوس . ويسميه الرومان (كيوبيد) أو (أمور) . وهو إله الحب .

ويثير إيروس في ظهوره في المثولوجيا الإغريقية إشكاليةً تشبه إشكالية أمه أفروديت ، فهو قديم جداً يظهر في بداية خلق الكون حيث يربط نصفي كرة الكون العليا (المكونة من الضوء والنور وهما هميرا وايثير) والسفلى (المكونة من سطح الأرض وباطنها وهما جيا وتارتاروس) ، بل إنه يربط بين كل إلهين بدئيين وكأنه يحمل الذكورة والأنوثة معاً .

لكن ايروس هذا يظهر لاحقاً كإله صغير يربط العاشقين من الآلهة والبشر برباط الحب ويرشقهم بسهام الحب ، وهو يمتلك أجنحة ويظهر أشبه بالطفل العابث ، وقد تصوره الإغريق بإنه أعمى يضرب سهامه بطيش دون وعي أو إدراك (وهو صفة الحب : الحب أعمى) . وأسطورته الرئيسية مع (بسيخي) أو (سايكي) وهي النفس ، فقد أرسلته أفروديت إليها ليوقعها في حب شاب وضيع لأنها كانت تغار من جمالها ، لكن جمال بسيخي سحر إيروس فأصابه خطأ بسهم من سهامه ووقع في غرامها . وأمر زيفيروس (النسيم) أن يحملها إلى قصر بعيد عن العيون وكان يعاشرها محرماً عليها النظر إليه فسخرت منها أخواتها فنظرت إليه خلسةً وهو نائم مقربة المصباح إلى وجهه فسقطت قطرة زيت حارة من المصباح على كتف إيروس فاستيقظ وهجرها ، فكادت تهلك لفراقه ، فرقّ لها قلب الإلهة كيريس التي أوصتها باستغفار أفروديت فاستغفرتها ولكن أفروديت اشترطت عليها أن تقوم بثلاثة أعمال لضمان عودة إيروس وهي : فصل كوم كبير من الحبوب المختلطة عن بعضها كل كوم بحسب نوعه ، ثم جمع أصواف قطن الغنم التي ترعى عبر

البحار ، ثم الذهاب إلى العالم الأسفل والحصول على الصندوق الذي يحتوي على سرّ جمال برسفوني . ولم تستطع بسيخي لكل هذا فرقّ لها قلب إيروس وساعدها في المهمات الثلاث لكنها عندما حصلت على صندوق جمال برسفوني فتحته فخرج النعاس من الصندوق فنعست وكادت تنام لكن إيروس أسرع وأغلق الصندوق . وقبل إيروس توبتها وطلب من زوس وأفروديت غفرانهما فوافقا فالتقت سيخي إيروس مرة أخرى في علاقة زواج أبدية وأنجبا (فولوبتاس) أي (الشهوة الحسيّة) وهكذا عانق الحب النفس إلى الأبد تربطهما لذة الحواس .

كانت (بسيخي ، سايكي) تصّور في هيئات عديدة منها (سيرينه) أو (ديك) أو (فراشة) أو (عذراء بأجنحة فراشة) .

هيميني:

وهو مساعدٌ آخر لأفروديت لا ينتمي إلى مجموعة العاشقين التي ذكرناها وهو الذي "يحلق بجناحيه الناصعي البياض فيقدم حفلات الأعراس وتزهو عالياً نيران مشاعل الزواج . إليه تتجه حلقات العذارى في الأعراس طالبات منه أن يحقق لهن الزواج ويبارك سعادة العروسين في الحياة"(62) .

كان إيروس يهاجم من يريد بقوة وقسوة ويصوره إناء خزفي بأنه يصرع العاشق بالبلطة أو يلهبه بالسوط ، وهو يمشي فوق الزهور التي يصنع منها إكليله الذي يعصب به جبهته وتلخص (سافو) جوهره وتسميه (الحلو المر) . وكان ايروس دائماً هو إله الحب : حب الجمال سواء في المرأة أو



شكل (124)

أيروس يقبّل بسيخي (سايكي) نحت روماني
متحف الكابتولينوس.

المبحث الرابع

الأنثروبوغونيا Anthropogony

(أساطير خلق الإنسان)

أولاً: أسطورة العصور الأربعة:

يقسمُ تاريخ الإنسان في الأساطير الإغريقية إلى أربعة عصور، ظهر في كل عصر نوعٌ أو جيل من البشر يختلف عن الآخر وكان يبدأ كلُّ عصر بزوجين مختلفين من البشر، وعصور الإنسان هذه بحسب الإغريق هي (العصر الذهبي، العصر الفضي، العصر النحاسي، العصر الحديدي).

وقبل العصر الذهبي بدأ خلق الإنسان الذي يبدو في المثولوجيا الإغريقية وكأنه منحدر من الآلهة في رواية أخرى من الطين والماء، وفي كلتا الحالتين فإن الإنسان يشبه الآلهة في كل شيء إلاّ في خلودها.

ولنبدأ أولاً بخلق الإنسان بحسب الرواية الأولى من الآلهة.

لم تكن بداية خلق الإنسان سعيدةً أو مريحةً على ما يبدو اسم عصرها بل كانت شاقة ومليئة بالصعاب والتحديات.

عرفنا أن الجبابرة التيتان آلهة الهواء المنتصرين هم الذين سادوا الكون، ويبدو أن هناك فرعين أساسين منهما شكلا فيما بعد الآلهة والإنسان، فمن كرونوس (الهواء) ظهر زوس وهو كبير الآلهة فيما بعد ومن يابت (الترابي) ستظهر سلالة الإنسان حيث تزوج يابت (أو جابت أو يابتوس) من كليمينيه إحدى الأوقيانيدات، ولنلاحظ اتحاد الماء والتراب وأنجبا أربعة أولاد كتب عليهم العذاب والويل من قبل زوس وهم:

1- أطلس الذي حمل الكون على كتفيه.

2- مينويتيوس الذي سجن في مكان مظلم بعيد.

3- برومثيوس الذي سينهش النسر كبده مقيداً لأنه سرق نار الآلهة. معنى اسمه (الفكر المتقدم).

4- ابيمثيوس الذي له علاقة بنسل الإنسان الرجل الذي ستسلط الآلهة عليه باندروا (حاملة كل الشرور). ومعنى اسم أبيمثيوس (الفكر المختلف).

ويبدو أن إبيمثيوس هو الرجل الأول أو (آدم الإغريقي) الذي خلق له زوس وآلهة الأولمب المرأة الأولى أو (حواء الإغريقية) والتي اسمها باندورا لكن هذه الرواية ضعيفة .

الرواية أو الأسطورة الأكثر شيوعاً هي أن الآلهة بعد أن نظمت الكون ودبرت أمور الخلائق والحيوانات ظهرت الحاجة إلى خلق كائن أسمى من الحيوان يشبه الآلهة في شكله .

تولى بروميثيوس هذه المهمة وأخذ من تراب الأرض وعجنه بالماء وصنع الإنسان على صورة الآلهة واعطاه ، بعكس الحيوانات ، قامة منتصبة . وكان يساعده في هذه المهمة الإله إبيميثيوس (معنى اسمه الفكر المختلف) وكانت الحيوانات قد خلقت بفعل منحها مختلف الصفات والأعضاء الخاصة بها فلما جاء دور الإنسان فكر إبيمثيوس (الذي يمنح هذه الموارد والصفات بعد أن نفدت) أن يستعين بأخيه خالق الإنسان بروميثيوس ليمنحه شيئاً مميزاً ، فقام بروميثيوس ، بمساعدة أثينا ، بالصعود ليميزه عن جميع الحيوانات ويستطيع بها أن يصنع أسلحةً يُخضع بها الحيوانات إلى سلطانه ، فكانت (النار السماوية) هي هدية بروميثيوس للإنسان . ولذلك عاقب زوس بروميثيوس .



شكل (125)

خلق الإنسان بحضور الهة الأولمب (بوزيدون، هرمس، هيرا، زوس، أبولو) بروميثيوس يصنع جسد الإنسان الأول (متحف نابولي)

لكن هناك تفصيلاً آخر حول هذا العقاب يقول إن بروميثيوس اقتسم ثوراً كان أضحية لزوس بطريقة أغضبت زوس ، فقد قسّمه إلى قسمين الأول من جلده ولحمه وأحشائه والثاني من عظامه دون لحم مغلفة بدهنة بيضاء ، فاختار زوس الدهنة البيضاء وفوجىء بالعظام وحدها بينما ذهبت الحصة الأخرى إلى البشر فقرر زوس معاقبة بروميثيوس والبشر وذلك بحرمانهم من النار فما كان من بروميثيوس إلاّ الصعود إلى السماء واقتباس قبس النار من عجلة الشمس وتقديمه للإنسان .

قرر زوس معاقبة بروميثيوس والإنسان ، أما بروميثيوس فقد قيّده على جبل القوقاز بقيود من الفولاذ وجاء بنسر أشيرنا ليأكل كبده الذي كان يتكون من جديد ، واستمر العذاب طويلاً حتى حرر هرقل بروميثيوس من عذابه حين كان يبحث عن تفاحات الهسبريد ، لكن زوس كان قد أقسم بنهر الستيكس الجحيمي وهكذا حمل بروميثيوس خاتماً من الفولاذ ترصعه حجرة من الجبل (ترميزاً للقيد والجبل) ليبقى قسم زوس قائماً .



شكل (126)

هرقل يقتل بسهمه النسر الذي يأكل كبد بروميثيوس إلى اليسار (أثينا وهيفايستوس) إلى اليمين (ديمتر وبوزيدون) (رسم على مزهرية)



شكل (127)

باندورا وابيمثيوس

وقرر أن يعاقب زوس الإنسان من خلال ابيمثيوس ، فقام زوس في الأولمب بصنع المرأة فقد صاغها هيفايستوس ومنحتها أثينا الحكمة وأفروديت الجمال وهرمس الكذب ورأس القوة وغيرهم وسميت باندورا (أي التي تملك جميع المواهب) وهكذا قدمها زوس إلى ابيميثوس الذي نسي نصيحة شقيقه بأن لا يقبل أي هدية من زوس . وهبط بها إلى الأرض فوجدت باندورا جرةً أو صندوقاً حملها فضولها على فتحها فخرجت منها الشرور وتفرقت بين البشر فخافت باندورا وأعادت الغطاء إلى الجرّة فلم يبق في قاعها إلاّ الأمل الذي يظل هو السبيل لدحر الشرور كلها . لكن رواية أخرى تقول إن هذه الجرة كانت تحتوي على الفضائل التي هربت وانتشرت بين الناس وتبددت ولم يبق إلاّ الأمل في قاع الجرّة .

وفي الحالين فإن باندورا هذه لا نعرف عنها شيئاً . . هل تزوجت الإنسان الأول (الذي نجهل اسمه) . . أم إنها جلبت له الشرور أو الفضائل؟ ولا تسعفنا المثولوجيا الإغريقية في الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها وقد أنجبت بندورا من ابيمثيوس ابنة اسمها (بيرا) ستتزوج ابن برومثيوس (دوكاليون) . وتحيلنا أسطورة خلق الإنسان السابقة إلى استنتاج مؤداه أن الرجل تم خلقه على يد برومثيوس وابيمثيوس بينما المرأة قد خلقت من قبل آلهة الأولمب الذين هم أرفع درجةً من سابقيهم ثم إن الرجل منح النار بينما المرأة امتلكت الشرور ونشرتها بين البشر . وتعكس هذه الأسطورة تصور الإغريق عن المرأة والرجل وخصال كلٍّ منهما .

1. العصر الذهبي:

هو أول عصور البشرية حيث بدأ الآلهة بتعليم البشر ومعهم بعض الجبابرة (التيتان) وغيرهم وهؤلاء من نسميهم بالحكماء القدماء الذين قدّموا للإنسان نواميس الحضارة ونسميهم في السومرية (أبكالو) فإذا كان برومثيوس قد قدّم النار له فإن ديمتر أعطته الزراعة وأثينا شجرة الزيتون والأشغال اليدوية النسائية وديونسيوس الخمر وهرمس المقاييس والأعداد والأوزان والكتابة وأبولّو الموسيقى والشعر .

أما أنصاف الآلهة وربما الجبابرة الآخرون فهم :

بيلاسج وليكاون وكريتبوليم الذي علّم الناس استثمار الأرض ، والأثيني أرخثيون مخترع التنقل على العجلات ومباريات الخيل وبرومثيوس الذي يعتبر أكثر الجبابرة فضلاً على الإنسان فهو بالإضافة إلى النار قدّم للبشرية المعارف والعلوم وعلمهم تربية الماشية واستثمار الأرض وبناء المراكب والملاحة البحرية ومعالجة المعادن والحساب والكتابة والطب والعلاج[64] .

وكان الإنسان سعيداً بقربه من الآلهة ولم تكن هناك قوانين أو شرائع تلزم الإنسان بما يفعله بل كان ضميره هو الأساس ، وكانت أعمار الناس طويلة فإذا جاءهم الموت كان أشبه بالحلم الرقيق . ولم يكن إله الزمان الأبدي . وانتهى هذا الزمان أو العصر بعد أن قاد زوس ثورة عارمة على أبيه وانفرد هو بحكم العالم .

2. العصر الفضي:

خلق زوس البشر من جديد بعد أن تحطم العالم القديم ومن معه من البشر ، يبدأ العصر الفضي من ثورة زوس ونفي كرونوس إلى ظلام التارتاروس وبدء اضطراب موازين العالم والقيم فقد انحسرت السعادة نسبياً وقصر الربيع واضطرب الخريف "ولم يكن أبناء هذا العهد بالأتقياء فقد استعلوا على الآلهة الخالدين وكفّوا عن إكرامهم بتقديم القرابين فوق المذابح فاستأصل زوس العظيم شأفتهم عن الأرض إذ غضب عليهم لأنهم عصوا آلهة الأولمب المشرق وحشرهم في ظلمات العالم السفلي حيث يعيشون بعيدين عن المسرات والأحزان . والناس يجلّونهم أيما إجلال"[65] .

وانتقل الإنسان من عيشه الحر في الطبيعة والكهوف إلى المنازل واضطر الإنسان لتعلم الزراعة وبذر الحبوب والحصاد واستعمال المحراث وغيرها .

3. العصر النحاسي:

بعد كارثة النفي إلى العالم الأسفل التي تعرض لها البشر إلى الموت خلق زوس العصر النحاسي (الثالث) ولا شك أن هناك أنثروبوغونيا جديدة . . فيها زوس الإنسان من (سنان رمح) ولذلك ظهروا أقوياء أشداء يحبون الحروب والفواجع .

كان بشر العصر النحاسي خشنين وغير متحضرين فلم يعرفوا الزراعة ولم يتذوقوا ثمار الحقول والبساتين وكانوا طويلاً يستعملون معدن النحاس لصناعة الأسلحة والأدوات وبناء البيوت ، ودبّت الخلافات بينهم حتى أبادوا بعضهم وساد الظلم والقهر الأرض واستبد الإنسان النحاسي وطغى . أثار (ليكاونوس) ملك ليكوسورا في أركاديا غضب الإله زوس في نهاية هذا العصر ، فقد نزل زوس من الأولمب متنكراً بهيئة رجل لكنه ترك علامةً دالةً عليه فهب أهل ليكوسورا لتقديم آيات الإجلال له إلاّ الملك ليكاونوس فقد رفض قدوم زوس وتكريمه وسخر منه حيث قدّم له في قصره وليمةً هي عبارة عن لحم أسير من البشر ، فلما عرف زوس بذلك زمجر وأرعد وضرب ليكاونوس بصاعقةٍ مسخته إلى ذئبٍ هائج . واستمر الناس بعدم احترامهم للآلهة فقرر زوس أن يبيدهم .

أسطورة الطوفان الإغريقية:

كان زوس قد قرر فناء البشر من طريق الطوفان فقد حشّد الغيوم وأطلق عليها ريح الجنوب الرطبة فهطلت الأمطار دون انقطاع وازدادت مياه البحار والأنهار وفاضت فأغرقت المدن ووصلت إلى أعالي الأبراج العالية فغرق الناس وماتوا .

ولم تبق إلاّ قمة جبل برناس ذي الرأسين ، ويبدو أن هناك إلهين (تصفهما الأساطير على أنهما من البشر) هما ديوكاليون ابن بروميثيوس وزوجته بيرا ، فقد أوحى بروميثيوس إلى ولده ديوكاليون ليصنع صندوقاً كبيراً من الخشب ويصنع فيه طعاماً وشراباً كثيراً ثم يدخل فيه هو وزوجته فيُنقذ من الطوفان . وفعل ديوكاليون ذلك وطفا الصندوق فوق أمواج المياه التي غمرت الأرض كلها مدة تسعة أيام ثم اندفع الصندوق نحو برناس ذي الرأسين فخرج ديوكاليون وزوجته من الصندوق إلى قمة الجبل وقدما قرباناً لزوس ، فارتاح زوس لذلك وأوقف الطوفان وانحسرت المياه عن اليابسة وانكشفت الأرض خالية من كلِّ حيٍّ .

أرسل زوس ولده هرمس إلى ديوكالين لينفّذ له رغبةً جزاء قربانه ورضاه عنه فطلب ديوكاليون أن تعمّر الأرض بالبشر وتعود ثانيةً لسالف عهدها ، ويثبت لنا هذا أن ديوكاليون وبيرا ليسا من البشر بل هما إلهان راعيان للبشر مثل والد ديوكاليون بروميثيوس .

استجاب زوس لرغبة ديوكاليون وزوجته فأمرهما أن يجمعا أحجاراً كثيرة وأن يرمياها من خلف أكتافهما دون أن يلتفتا إليها . فرمى ديوكاليون أحجاره وما كادت تمسّ الأرض حتى تحولت إلى رجالٍ أما أحجار بيرا فقد تحولت إلى نساءٍ وهكذا ظهر بشرٌ جدد على وجه الأرض من الحجارة وبدأ بذلك العصر الحديدي .

إن هذه الأسطورة تثبت لنا أن نسل البشر بعد الطوفان لم يأتِ من ديوكاليون وبيرا بل أتى من الحجارة التي رمياها خلفهما وهذا يؤكد أن ديوكاليون وبيرا هما من الآلهة وأنهما أعادا الجنس البشري الموجود من طريق مشاركتهما لمصير البشر في الطوفان ومن طريق قربانهما وأحجارهما . وهذا يخالف أساطير سومر وبابل التي هي أصل أساطير الطوفان في العالم القديم رغم وجود بعض أوجه التشابه البسيطة .

4. العصر الحديدي:

العهد الرابع والأخير (الذي نحنُ فيه) وهو عصر حزينٌ للإنسان فقد غرق فيه الإنسان في العمل والجهد الشاق وحلّت به المصائب والأحزان المرسلة من الآلهة أكثر من الأفراح والخيرات ،

وانسحبت فيه بعض الآلهة من الأرض نحو مقراتها في جبل الأولمب مثل إلهات العدالة والضمير فتخبط الناس في الظلم والشرور والمحن والرزايا وزال احترام الأبناء للآباء وزال الوفاء بين الأصدقاء والأشقاء والأزواج ومال الإنسان للغش والجشع .

أبطال الإغريق:

الحقيقة أننا في الطريق إلى تناول عصور البطولة الإغريقية في العصرين البرونزي والحديدي فهناك عدة أجيال من أبطال الإغريق تناقشها المراجع المختصّة باستفاضة ، لكننا ندرك أيضاً أن هذا يقع في إطار ملاحم وقصص الإغريق أكثر من وقوعه في الأساطير والمثولوجيا . ورغم تداخل الأساطير والملاحم في معظمها فإننا نؤثر إفراد كتاب خاص بها لأن سرعة عرضها ستفسد الكثير من حيوية هذه الملاحم والقصص ومنها (ملحمة الإلياذة ، ملحمة الأوديسة ، سفينة الأرجوس ، المسرحيات الإغريقية ، قصص الأبطال . .إلخ) كل هذه المحطات مراجع لأبطال الإغريق الذين يشكلون امتداداً لآلهة الإغريق خصوصاً أن الحاجز بين الآلهة والأبطال رقيق جداً وأن أغلب هؤلاء الأبطال يتحدرُ من أصل إلهي .

ثانياً: أسطورة أدوار العالم:

لم يّمر البشر وحدهم بأربعة عصور كان كلّ عصر بمثابة تجديد الخلق رغم أن صفاته كانت في انحدار متواصل . فقد مرّ الكون والآلهة والبشر في عصور متسلوقة ، وقد رسمت لنا المثولوجيا عند أغلب الأمم أدوار العالم الأربعة التي اعطتنا ما يشبه التاريخ المثولوجي الكوني للعالم بما فيه من البشر والأشياء والآلهة .

وسنحاول جمع ما يدل على هذه الأدوار التي سنختار لها أسماء الفصول لأن الفصول تمثل دورة متكاملة متكررة في تاريخ الكون . وسنركز على الأساطير الإغريقية ونعود إلى مقارنتها بعصور الإنسان التي أتينا عليها .

أساطير الربيع:

هي أساطير خليقة الكون والآلهة والإنسان ، أي إنها أساطير التكوين (gensis) التي ذكرناها تفصيلياً .

وتسود أساطير الربيع ظهور العنصر الأنثوي في الكون والآلهة والإنسان وطغيانه على العنصر الذكري . ففي الآلهة تظهر الإلهة الأم (جيا) ثم (ريا) ثم (هيرا) وآلهات الأمومة والأرض وهنّ

سبب ربيع العالم تظهر في البشر (بندورا) دون غيرها صانعة الجنس البشري وهدية زوس إلى الإنسان .

ويمكن ضمّ التكوين الأورفي لهذه المجموعة حيث يخرج العالم من بيضةٍ .

وتشمل أساطير الربيع بداية ظهور البطل الإلهي والبشري ، فقد ظهر كرونوس ثم زوسٍ في الآلهة وظهر هرقل بصفاته البشرية الإلهية وقام بتلك الأعمال العظيمة وأسس للإنسان جذراً قوياً في البطولة وتسفيه الحاكم الغبي وإنقاذ الحضارة من جوره ، ثم تأتي المرحلة الأخرى من البطولة وهي مرحلة التسلل وسرقة نواميس الحضارة من الآلهة وإعطائها للإنسان مثلما فعل ذلك برومثيوس الذي سرق النار السماوية التي كانت حكراً على الآلهة في جبل الأولمب ، وبهذه الطريقة أو بطرائق أخرى قام آلهة آخرون بوضع النواميس والمنجزات في يد الإنسان .

أساطير الصيف:

ترمز الشمس للبطل الذكر ولذلك يصعد مقام زوس معبراً عن الذكر الهوائي ثم يسيطر على الطبيعة والشمس ويكمل دورته في أبولو ابنه الذي ظهر وكأنه إله الشمس والضوء وإله الحضارة .

وتتحول غريزة هتك الأنوثة ونشدان البطل الإلهي والبشري للاتصال بأكبر عدد ممكن من النساء ظاهرة بيّنة في هذه المرحلة الصيفية من حياة الكون ويتهمش تدريجاً دور الإلهة الأم ويجلجل البطل الذكري ويتزوج من الإلهة الأم ويهملها مثلما حصل مع زوس وديوني وهيرا . .

ينظر إلى الإلهات الأمهات ، في مختلف أنحاء العالم ، نظرة يكتنفها الالتباس أو التناقض : فهنّ معاً واهبات للحياة وسالبات لها ، وتجسيدات للأرض ، وخالقات للحيوانات والنباتات وإلهات الحب والزواج والأمومة وهن يظهرن مع بعض هذه الصفات ، أو كلها ، تحت أسماء عدّة : كالي أفروديت وديمتر وأرتميس (اليونان) ، سيبيسلا وفينوس (روما) إيزيس (مصر) ، ما (الاناضول) فريا (اسكندنافيا) وتراوح طقوسهن بين المحتشمة والعربيدية المتهتكة(66) .

والحقيقة أن صعود البطل الذكر يبدأ من طبيعته الهوائية ، في الغالب ، لكن هذه الطبيعة لا تكتمل إلاّ بانتصاره الشمسي وأخذه صفات الشمس إضافة إلى الصفات والطقسية الهوائية . ويتضح هذا في أفضل صورته عند زوس لكنه يصل إلى الذروة في أبولّو الذي يمثل الهواء والشمس (الضوء) في أفضل صورهما .

ومع الآلهة الأبطال يصعد البشر الأبطال ويرتبطون بالشمس أيضاً فهذا هو بيرسيوس وهذا هرقل وهؤلاء أبطال الإلياذة وهذا هو أوديسيوس (عوليس) بطل الأوديسّة وتظهر الملاحم الكبرى وقصص الأبطال .

أساطير الخريف:

تمتاز أساطير الخريف بموت الإله أو البطل . ونزوله المؤقت أو الدائمي إلى العالم الأسفل وعودته منه أحياناً ، وتظهر الإلهة الأنثى الأم بصورتها المدمّرة والقاسية بعد أن جمعت الأمومة والخصب من الربيع والعذرية والقسوة من الصيف وتتعرض الأرض للموت والخصب للتذبذب والكائنات لنوع من الذبول والأفول .

ولعل أفضل الأساطير المعبرة عن أساطير الخريف الإغريقية هي أسطورة ديمتر وبحثها عن ابنتها كوري (برسفوني) وهبوط ديمتر من الأولمب إلى الأرض وهبوط كوري إلى العالم الأسفل وزواجها من هاديس وجعل ثلث السنة ينوء بالقحط بسبب نزول الإلهة إلى هناك .

ولا شك في أن موت ديونسيوس وأرفيوس ونزولهما إلى العالم الأسفل يمثل أيضاً أساطير الخريف في العقائد السريّة . ومن أساطير الخريف هذه نشأت فكرة تطهير النفس وتخلصها من الجسد المدنس ووجود شفيع لها في العالم الأسفل هو الإله المقتول .

أما الجانب التدميري للإلهة الأم فيظهر في الكثير من الأساطير منها أسطورة أرتميس واكيتون الذي تسلل إلى كهفها ووقع نظره على جسدها فحولته إلى طريدة ثم مزقته كلابها .وهكذا ظهرت أرتميس بصفتها (الأم/العذراء) أو (الأنثى/الذكر) تمثل (الرغبة /القسوة) وتبدو مثل امرأة مسترجلة وتحول رغبة رجل إلى سبب لموته فتحوله إلى أيل ممزق يكون رمزاً لطقس التضحية من أجل تأمين الحصار القادم .

في أساطير الخريف يظهر الموت خاطفاً وليس أبدياً ولذلك تظهر أساطير تفسير الدورات القصيرة مثل شروق الشمس وغروبها والغياب القصير للقمر في نهاية الشهر ودورات الفصول . . . إلخ .

ليس عجباً أن يكون الموت ، هو سرّ الحياة النهائي ، موضوعاً تعالجه جميع الأساطير . فهي كلها تنظر إليه دائماً كدخيل لم يكن موجوداً في البدء ، حين كان الناس يجددون حياتهم مرةً بعد مرة . كما تتجدد جلود الأفاعي وأوجه القمر . كذلك يقع الموت فيها إما خطأً وإما اقتصاصاً وإما نتيجةً لاتفاقٍ بين فريقين(67) .

أما البشر فيظهر الغضب الإلهي عليهم صاعقاً ولذلك يمارسون الموت هم أيضاً ولكنه ليس موتاً أبدياً فتنزلُ عليهم لعنة الطوفان وتوشك أن تبيدهم لكن الأخيار الحكماء هم الذين ينقذون وبهم يُنقذ الجنس البشري . مثلما حصل مع ديوكاليون وبيرا وظهور نسل جديد من البشر من الأحجار .

الأبطال إذن يتحولون إلى حكماء فتظهر بطولة العقل لا بطولة الجسد وتدفع بطولة العقل إلى ظهور الفلسفة والفلاسفة وإلى تنامي هاجس الغنوص وعقائد الخلاص .

أساطير الشتاء:

هي أساطير الموت النهائي ، وربما توضع أسطورة الطوفان في هذا العصر ، ولكن عالم ما بعد الموت هو أساس هذه الأساطير ولذلك يظهر علم الاسكاتولوجيا مناسباً لوصف أساطير الشتاء . والاسكاتولوجيا هو علم الموت وما بعده ودورات الفناء والنهاية .

وتشكل حتمية الموت وصفاً صحيحاً لجوهر هذه الأساطير ولعل أسطورة أورفيوس ونزوله إلى العالم الأسفل وبحثه عن حبيبته يوريديكي ومحاولة استعادتها من عالم الموت دون جدوى ، هذه الأسطورة تمثل هذه الفترة ولكن وصف عالم الموت وأفراده ينفع كثيراً في تصور أساطير الشتاء ويصطدم الآلهة بالقوانين الصارمة لعالم الموت ، وكذلك يصطدم البشر ، فرغم محاولات الإنسان حصوله على الخلود أو الخلاص من عالم الموت فإن ذلك لا يتحقق إيجابياً بل رمزياً حيث تكون الرموز هي ما ينتج من هذه المحاولات أما الموت فيبقى حتمياً .

وهكذا يتساقط العالم والآلهة والإنسان في عالم الموت ثم تتخلص الآلهة إما بشروط تمسّ عصمتها وإما بثلمٍ لا يليق بها . أما العالم فيتجدد ويتنشط بعد الموت وتكون النهاية مصير الإنسان الحتمي .

ولهذا السبب تنشأ طقوس التفكير والتطهير في محاولة لتفادي نتائج الموت قبل حلولها . . مثلما تستعاد أساطير الخليقة في احتفالات شعائرية مفرحة .

ولا شك في أن هناك تناغماً بين أدوار الإنسان وأدوار العالم لاحظناه من خلال شرحنا الموجز لها عبر مثولوجيا الأدوار هذه ، والتي تشكل الإطار المنظم لأساطير الآلهة وملاحم وقصص البشر على السواء .

*** انظر المخطط (17) : "شجرة أنساب الألهة الإغريقية" في نهاية الكتاب .**

هوامش ومراجع الفصل الثالث

(1) برهييه ، أميل : تاريخ الفلسفة .. الفلسفة اليونانية ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1982 ، ص 65 .

(2) الماجدي ، خزعل : المعتقدات الكنعانية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 2001، ص 115 .

(3) عكاشة ، ثروت : الإغريق بين الأسطورة والإبداع ، ص2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 ، ص 192 - 193 .

(4) الماجدي ، خزعل : مرجع سابق ، ص 97 .

(5) عكاشة ، ثروت : مرجع سابق ، ص 34 .

(6) برنال ، مارتن : أثينة السوداء (الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية) ، الجزء الأول : تلفيق بلاد الإغريق (1785 - 1985) ، تحرير ومراجعة وتقديم د . أحمد عثمان ، ترجمة مجموعة من المترجمين ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، 1997 ، ص 149 .

(7) New Larousse Encyclopedia of mytholgy, Translated to English Language by Richard Aldington and Delano Ames, 14th Impression, Hamlyn. Publishing group limited, New York 1979, P. 150.

(8) علي ، عبد اللطيف أحمد : التاريخ اليوناني (العصر الهيلادي) ج 1-2 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،1971 ، (الهامش) ص 391 .

(9) غريمال ، بيار : الميثولوجيا اليونانية ، سلسلة (زدني علما) ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات ، بيروت-باريس ، 1982 ، ص 27 .

(10) حاتم ، عماد : أساطيراليونان ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1988 ، ص 215 .

(11) الماجدي ، خزعل : المعتقدات الأمورية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمّان ، 2002 ، ص 39 - 40 .

(12) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 216 .

(13) المرجع نفسه ، ص 222 .

(14) المرجع نفسه ، ص 218 .

(15) المرجع نفسه ، ص 221 .

(16) المرجع نفسه ، ص 222 .

(17) حاتم ، عماد : مرجع سابق ، ص 72 .

(18) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 239 .

(19) عكاشة ، ثروت : مرجع سابق ، ص 72 .

(20) المرجع نفسه ، ص 57 .

(21) الماجدي ، خزعل : المعتقدات الكنعانية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمّان ، 2001 ، ص 96 .

(22) بازامه ، محمد مصطفى : قورينة وبرقة (نشأة المدينتين في التاريخ) ، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، 1973 ، ص 234 .

(23) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 246 .

(24) المرجع نفسه ، ص 253 .

(25) المرجع نفسه ، ص 233 .

(26) المرجع نفسه ، ص 261 - 162 .

(27) المرجع نفسه ، ص 261 .

(28) المرجع نفسه ، ص 293 .

(29) المرجع نفسه ، ص 295 .

(30) Flaceliere R, et al: A Dictionary of Ancient Greek Civilization, University Paperbacks, Methuen and Co lTD London 1970. P.249.

(31) الماجدي ، خزعل : المعتقدات الكنعانية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمّان ، 2001 ، ص 152 .

(32) عكاشه ، ثروت : مرجع سابق ، ص 90 .

(33) المرجع نفسه ، ص 88 - 90 .

(34) بازامه ، مصطفى : مرجع سابق ، ص 115 .

(35) عكاشة ، ثروت : مرجع سابق ، ص 87 .

(36) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 87 .

(37) المرجع نفسه ، ص 380 .

(38) عكاشه ، ثروت : مرجع سابق ، ص 57 .

(39) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 274 .

(40) المرجع نفسه ، ص 263 .

(41) المرجع نفسه ، ص 625 .

(42) انظر الماجدي ، خزعل : مرجع سابق ، ص 94 - 95 .

(43) حاتم ، عماد : مرجع سابق ، ص 113 .

(44) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 402 - 403 .

(45) عكاشة ، ثروت : مرجع سابق ، ص 65 .

(46) المرجع نفسه ، ص 65 - 66 .

(47) عكاشة ، ثروت : مرجع سابق ، ص 115 .

(48) غريمال ، بيار : مرجع سابق ، ص 55 .

(49) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، (الهامش) ص 138 .

(50) غلاب ، مصطفى : نيتشه ، ص 15 - 16 .

(51) علي ، عبد اللطيف أحمد ، المرجع السابق ، (الهامش) ص 340 .

(52) اعتمدنا في سرد أساطير هرقل الأولى والكبرى والمتأخرة على عدة مراجع كان أهمها : حاتم ، عماد : مرجع سابق ، ص221 - 2745 . و New Larousee Eneyclopedia of Mythology p: 169 - 179 .

(53) الماجدي ، خزعل : مرجع سابق ، ص 155 - 156 .

(54) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 267 .

(55) المرجع نفسه ، ص 271 .

(56) غريمال ، بيار : مرجع سابق ، ص 48 .

(57) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 274 .

(58) عكاشة ، ثروت : مرجع سابق ، ص 98 .

(59) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 399 - 400 .

(60) عكاشة ، ثروت : مرجع سابق ، ص 181 .

(61) الماجدي ، خزعل : مرجع سابق ، ص 159 - 169 .

(62) حاتم ، عماد : مرجع سابق ، ص 111 .

(63) علي ، عبد اللطيف أحمد : مرجع سابق ، ص 285 - 286 .

(64) توكاريف ، سيرغي . أ : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ترجمة د . أحمد . م . فاضل ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1998 ، ص 425 .

(65) حاتم ، عماد : مرجع سابق ، ص 150 .

(66) النيهوم ، الصادق : بهجة المعرفة . المجموعة الثانية (الإنسان والمجتمع) ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1979 ، ص 91 - 92 .

(67) المرجع نفسه ، ص 97 .

الفصل الرابع

الطقوس الإغريقية

(دراسة في الطقوس والشعائر الدينية عند الإغريق)



تمثال عاجي في وضعية صلاة
(متحف ساموس)

تمهيد

إن تهميش دور الكهنة في المدن الإغريقية أدى إلى ضعف أهمية الطقوس والشعائر في الحياة الدينية الإغريقية . وكانت الطقوس الجماعية الكبرى ، رغم جذورها الشعائرية ، تجنح إلى الطابع الدنيوي ولذلك كان التهتك والتمثيل والاستعراض البهرجي أهم مظاهرها .

أما على صعيد الطقوس الروتينية المعروفة كالصلاة والصوم والتراتيل .... إلخ فقد كانت تؤدى بحرص نسبي من قبل المتعبدين دون إيقاع منتظم .

كانت تلاحق الفرد الإغريقي ظاهرة الخوف العام من الدنس ويتبعه من نشدان التطهير الشعائري (Katharsis) بل إن هذه الظاهرة تنامت بشكل كبير قبيل العصر الكلاسيكي وأصبح الدنس معدياً يشبه الأمراض "ومن هنا تولد الشعور بالفزع منه ، إذ كيف كان يتسنى لأي شخص التأكد من أنه لم يصب بالدنس نتيجة لاتصال عارض أو لم يرثه من وزر ارتكبه أحد أسلافه البعيدين؟ ومثل هذا الفزع أو القلق كان أشدّ إيلاماً من سواه نظراً لغموضه إذ كان من المستحيل إرجاعه إلى سبب يمكن إدراكه وبالتالي معالجته" (علي : 351) وهذا ما يفسر شيوع طقوس التطهير أكثر من غيرها وقد كان كهنة التطهير في المراكز الدينية أو المعابد أكثر فاعلية من غيرهم من الكهنة .

وكانت هناك أيضاً طقوس طرد الأرواح الشريرة ، فقد أرجع الإغريق حماقة الإنسان وطيشه وارتكابه للمعاصي والأفعال الشائنة إلى أرواح شريرة تتلبسه وتفقده صوابه ، وفي بعض الأحيان كانوا يرجعونها إلى إله معين أو مجهول مثل زوس أو ربات الغضب واللعنة الإيرينيات أو إلى القدر وربته (موريا) .

كان للأرواح ، في المعتقدات الشعبية بصفة خاصة ، دور كبير متميز عن دور القوى الإلهية ، وكانت بعض هذه الأرواح طيبة وبعضها شريرة وأرجعوا الكثير من الأمراض إليها وارتبطت طقوس طرد الأرواح بالسحر خصوصاً في صورتها الشعبية ، وكان طرد الأرواح يتم من قبل كاهن معزِّم في أغلب الأحوال .

ولعل أكثر الطقوس شهرةً في الإغريق هي طقوس العرافة أي التنبؤ بالغيب وكانت دلفي أشهر مدن الإغريق الخاصة بذلك بسبب معبد أبولّون إله النبوءات الأعظم عند الإغريق . وقد حصل بعض المتنبئين على مرتبة تفوق كلّ أنواع الكهانة وكانوا بذلك أقرب إلى الأنبياء في المجتمعات الشرقية القديمة .

لقد خبا بريق زوس الأولمبي أمام العتمة الباطنية للإله ديونسيوس لأن هذا الأخير استطاع أن يجعل متعبديه يتحدّوا به أما زوس فلم يستطع ذلك ، وكان ديونسيوس يطيح بأبولون لكن أبولون كان قد مهد لعبّاده فكرة الاتحاد به أو حلوله هو فيهم ، فلم يكن مفرٌ من اتحاد أبولون وديونسيوس في عبادة واحدة في دلفي وخصوصاً عند النحلة الأورخية .

كان أبولّون قادراً ، بما أوتي من علم إلهي ، على أن ينبِئ بما ينبئ فعله عندما يظهر القلق والخوف على الإنسان فقد كان أعظم إله واق من السوء . وقد آمن به الإغريق وبنبوءته لا لأنهم كانوا قوماً سذجاً بلهاء مستسلمين للخزعبلات بل لأنهم لم يكن في وسعهم الاستغناء عن هذه النبوءة . وعندما تضاءل شأن نبوءة دلفي - على نحو ما حدث في العصر الهيلّنستي - لم يكن السبب الرئيسي أن الناس قد أصبحوا أكثر تشككاً عن ذي قبل ، كما ظن شيشرون ، بل لأن طقوساً أخرى لتحقيق الاطمئنان الروحي قد أصبحت ميسورةً[1] .

ومن أهم الكهنة المتنبئين المرتبطين بأبولون الشخصيات الآتية :-

1- أباريس : كان يطوف وفي يده السهم الذهبي لأبولو (شعاره) وكان يبشر بعبادته .

2- هرموتيوس : الذي كانت روحه تغيب عن جسده لسنوات طويلة .

3- أبيمنيديس : الذي كانت تحلّ فيه روح الإله أبولو .

4- بيثاجوراس (فيثاغورس) : الذي كان نبي الإله أبولو والقائل بمذهب تناسخ الأرواح . . . .إلخ . وغيرهم .

ولعل أكثر الطقوس انتشاراً هي الأعياد . . . وخصوصاً أعياد الآلهة فقد كانت شعائر جماعية تختلط فيها العقائد والأساطير على شكل تطبيقات علمية تمارسها جماعات تؤمن بها ومنها :

الأعياد الأولمبية (أعياد زوس):

سميت هذه الأعياد نسبة إلى بلدة أولمبيا Olympia الواقعة على الضفة الشمالية لنهر ألفيوس بإقليم إيليس غرب البلوبونيز . بدأت عام 776 لتمجيد الإله زوس الأولمبي واستمرت كلّ أربع سنوات في منتصف الصيف لمدة خمسة أيام .

تبدأ الأعياد الأولمبية بالمواكب الدينية وتقديم القرابين لزوس ، ثم تبدأ المباريات الرياضية التي شملت أولاً سباق المسافات القصيرة ثم أدخلت المسافات الطويلة ثم ادخلت مباريات الألعاب الخمس (القفز الطويل ، رمي القرص ، رمي الرمح ، الجري ، المصارعة) ثم أدخلت مباريات سباق العجلات . كذلك كانت هناك مباريات سبق بين الصبية فقط ، وبين الرجال وحدهم ومباريات أخرى كان على الفرسان أن يقفزوا فيها من على صهوات جيادهم ويجرون بجوارها وهم ممسكون بألجمتها . هذا فضلاً عن مسابقات بين المنادين ونافخي الأبواق(1) .

كانت الأعياد الأولمبية أهم الأعياد الإغريقية قاطبةً ، فبها كانت تؤرخ الأحداث وكان انعقادها مناسبةً لاحتشاد الشعراء والخطباء لكي يعرضوا إنتاجهم الشعري والفكري ويتناقشوا في الأمور العامة ، وكانت مناسبة لعقد صفقات التجارة .

وكان مكان انعقادها في (إلتس) دليلاً على قداستها ، فهي أقدس مكان في أولمبيا ، فقد كان فيها معبد زوس الأولمبي وغابته ، وكان في المعبد تمثال زوس الضخم الذي نحته فيدياس وكساه بالذهب والعاج في عصر برقليس .

واستمرت الدورات الأولمبية لما يقرب الألف سنة حتى ألغيت في عام 394م في عهد الامبراطور ثيودسيوس الأول (الأكبر) الذي جعل المسيحية الديانة الرسمية في كل أصقاع الدولة الرومانية وحرّم غيرها ، وبذلك فقدت الأعياد الأولمبية مبررها الديني وانتهت واندثرت معها أولمبيا .

أعياد الإله أبولّون:

الهياكنثيا Hyacinthia :

سمي هذا العيد بهذا الاسم نسبةً إلى عشيق أبولّون (هيكانثيوس) الذي قلته أبولون من طريق الخطأ عندما رماه بقرص أثناء اللعب .

لكنّ الحقيقة هي أن هيكانثيوس هو اسم قديم لإله قديم بالأسم نفسه كان يعبد في اليونان قبل مجيء الإغريق ، وكان أصله من الأناضول ومنطقة البحر الإيجي ، وقد عثر على تمثال له بشكل رجل ذي لحيةٍ وهناك إشارات على أن هذا الإله القتيل يشبه آلهة

الشرق القديمة المرتبطة بالزراعة مثل تموز أو أدونيس ، وما وجود أسطورة هذا الإله إلاّ الدليل على أن أبولّون انتحل هذا الإله لنفسه فأصبح إلهاً زراعياً ، ونرى أن هذا دليل آخر على أن أصل أبولّون كان من بعل الذي له صفات زراعية دورية هو الآخر والذي يقتله الموت والقحط كل سبع سنوات في الأساطير الكنعانية ، وكان هذا العيد يقام في مدينة اميكلاي قرب إسبارطة في إقليم لاكونيا وكانت طقوسه تجمع بين طقوس أبولون وهيكانثيوس .

البيثيا Pythia:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى اسم قديم لمعبد أبولون في دلفي بناءً على أسطورته مع التنين بيثون الذي صرعه أبولون . وكان هذا المعبد أشهر وأقدم معابد النبوءة في اليونان . وقد بدأت الأعياد البيثية عام 582 ق .م ثم استمرت كل ثلاث سنوات وكان يشرف عليها المجلس الامفكتيوتي .

وكانت هذه الأعياد مقتصرة على العزف على الآلات الموسيقية والغناء والتمثيل وإلقاء الشعر والنثر ، ثم اضيفت له مباريات رياضية على غرار مباريات الدورة الأولمبية . وكان الاستاد يوم (ملعب الجري) يوجد على مقربة من جبل برناسوس ، وفي سهل كريسيا أنشئت حلبة لسباق الخيل ، وكانت جوائز الفائزين عبارة عن إكليل من ورق الغار الذي يرمز لأ بولون(3) .

أعياد الإله ديونسيوس:

تنامت عبادة ديونسيوس قبيل العصر الكلاسيكي حتى صار يحتفل بأعياده في القرن السادس قبل الميلاد وكان هناك عيدان له الأول كبير والآخر صغير .

الديونيسيا الكبير:

كان يقام في الربيع ، في أثينا ، وقد بدأ بتنظيم هذا العيد الكبير في عهد الطاغية بيزستراتوس حوالى 514 ق .م وكان هذا المهرجان يستمر لأربعة أيام حيث يتنافس فيه ثلاثة شعراء يقدّم كلٌ منهم ثلاث تراجيديات ودراما ساتيرية واحدة ويخصص لكل شاعر يوم مستقل ، وفي اليوم الرابع تعرض ثلاثة أعمال كوميدية أو أكثر لشعراء ثلاثة آخرين .

وهذا يعني أن الأنواع الثلاثة للدراما كانت تقدم (التراجيديا والكوميديا والساتيرا) ولكن التراجيديا كانت هي الغالبة ، فقد كان أفراد جوقات المغنين يلبسون جلود الماعز ويقدمون أناشيد (ديثرامب) خاصة ، يبدأ المغني بها وترددها الجوقة بمرافقة الرقص والغناء .

كانت الاحتفالات تمثل قصة ديونسيوس نفسه فشجر الكرم يبدو يابساً فاقداً للحياة في الشتاء وما إن يحلّ الربيع حتى تعود إليه الحياة وتتفتح براعمه وتخضّر أغصانه وفي الصيف (حيث يقام الديونسيا الصغير) تظهر الثمار ومع اقتراب الخريف تجمع وتعصر ، وكانت هذه الدورة تمثل ولادة ونضج وموت ديونسيوس فكانت أعمال الدراما تجسدها في البداية ثم جسّدت مجمل الصراع بين الإنسان وقوى الحياة والآلهة .

تعود كلمة دراما إلى الفعل اليوناني (Draw) بمعنى (يفعل) أو (يلعب) ، أما التراجيديا فمشتقة من كلمتين يونانيتين هما (Tragos) بمعنى العنز و Oidia بمعنى أغنية أي الأغنية العنزية حيث كانت أعضاء الكورس يلبسون جلود ورؤوس الماعز ويرددون الأغاني الحزينة .

أما الكوميديا فمشتقة إما من كلمة (Komy) بمعنى الفلاح أو القروي الذي يظهر ساذجاً في المدن أو من كلمة (Komots) بمعنى المهرجين الذين يظهرون في المهرجان بحركات مضحكة ويغنون ويرقصون ويطغى على أغانيهم الفرح والسخرية .

أما الساتيرا فمشتقة من الساتير وهو مرافق ديونسيوس الذي يظهر بنصف رجل ونصف ماعز ، وهي مزيج من الكوميديا والتراجيديا .

إن التراجيديا وهي الأغاني الجادة كانت قد نشأت من أشعار الديثرامب (Dithyram-bos) التي تعني أغنية ديونسيوس وكانت قد ظهرت على يد آريون في كورنثه أولاً حوالى عام 600 ق .م ثم انتقلت إلى أثينة قبيل القرن الخامس قبل الميلاد في الاحتفالات المتصلة بأعياد ديونسيوس "وإن كانت الأغاني لم تعد بالضرورة تدور حول هذا الإله بشكل مباشر ، وفي أثينة شهدت هذه الاستعراضات تطوراً نحو النضوج فلم تعد قاصرة على سرد الأحداث في نمط واحد ، وإنما أصبحت تتكون من مقاطع (Strophal) تصور كلٌّ منها موقفاً ومقاطع مقابلة (Antistrophal) تصور مواقف تعرض الجانب الآخر من الفكرة أو الموضوع وهكذا وصلت هذه الاستعراضات إلى قمة نضوجها كلون من ألوان الفنّ الغنائي ، وكانت بذلك مقدمة لظهور مسرحية المأساة اليونانية فيما بعد[4] .

لقد انبثق فن المسرح على يد شخص اسمه تسبيس (Thespis) الأثيني أواسط القرن السادس قبل الميلاد حين طوّر عروض الديثرامب من طريق إضافة التجسيد ، فقد كان المنشدون يسردون الأحداث ، أما هو فقد كان يوقف سرد الأحداث ويجعل أحد المنشدين يقوم بدور هذه الشخصية أو تلك حين ترد في الإنشاد ثم ظهر أسخيلوس وسفوكلس وأرستوفانس وغيرهم . وقد أطلق اليونان على من يمثل هذه الشخصية أو يقوم بدورها اسم هيبوكريتيس (Hypokrites) ومعناها (المجيب) أو (المفسر) أو (الشخص) الذي يدّعي دور شخص آخر ، وكان دور الممثل ينحصر في الإجابة عن بعض أسئلة يلقيها الكورس أو رئيس الكورس بحيث تكون هذه الإجابة نوعاً من التفسير أو التوضيح(5) .

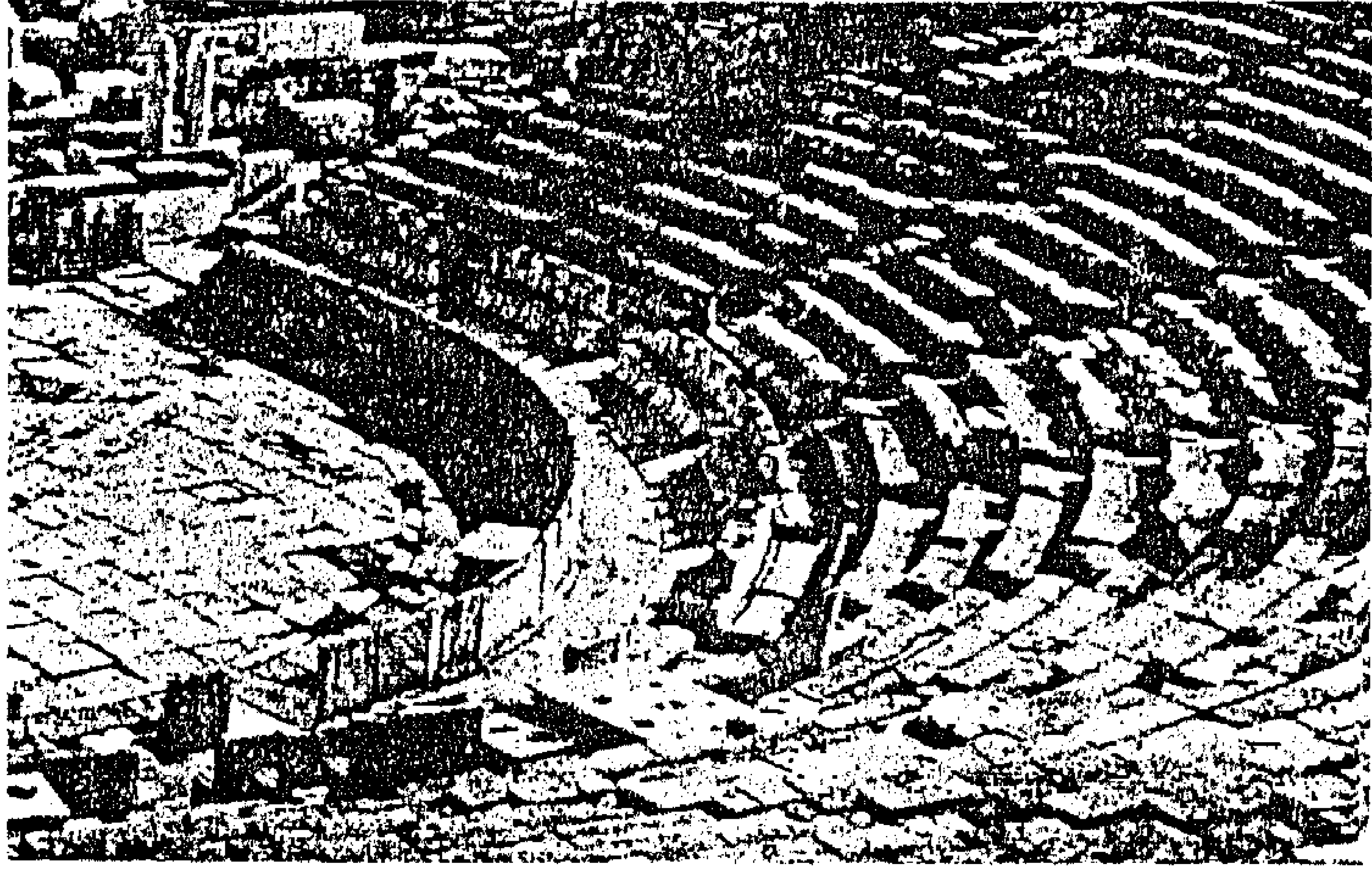
الديونيسيا الصغير:

كان يقام في الصيف وكان يغلب عليه الهرج والمرج والضحك واستعراضات الكوموس حيث تنشد الأغاني الفكاهية التي يقدمها المغني بمرافقة الرقصات ومنها جاءت كلمة كوميديا التي تعني أغنية الجمهور المرح ، ويتذكر المشتركون فيه في ملابس تعطيهم شكل الحيوانات أو الطيور وربما الضفادع ، ويبدو أنها كانت تنتهي بوليمة ، وموضوع الكوميديا قصة بسيطة على لسان الحيوانات وكان دور الكورس هو الإثارة والضحك وليس التهدئة كما في التراجيديا .



شكل (128)

موكب ديونيسيوس تمثل ساتير يعزف على الأولوس ومايناديس



شكل (129) مسرح ديونسيوس في أثينا



شكل (130)

تمثال مزدوج لرأسين لسوفوكلس وأرستوفانس في مستهل القرن الرابع ق.م

عيد أثينا الأكبر (البانثناي Panathenea):

كان هذا العيد يحتفل به في أثينا سنوياً في آب ، ثم أصبح يحتفل به كل أربع سنوات مع عصر بيزيستراتوس في سنة 566 ق .م ، وكان يستمر لمدة أربعة أيام ويجمع بين الطقوس الدينية والألعاب الرياضية ، ثم أصبح يستغرق ستة أيام تجري فيها الاحتفالات والطقوس كما يلي :-

اليوم الأول : مخصص للمباريات الموسيقية والأدبية في معبد أثينا وفي الأوديوم ثم تلاوة وإنشاد مقاطع من إلياذة هو هيروس وهو نظام أنشأه بيريستراتوس .

اليومان الثاني والثالث : يجتمع المحتفلون عند معبد (البارثنون) ويستذكرون صراع أثينا مع العمالقة ثم تبدأ الألعاب الرياضية ويجري سباق التتابع بالمشاعل في الليلة الثالثة حيث تتنافس فيه الفرق المشاركة بمرة الشعل من يد إلى الأبد وينتهي السباق عند كهف الإله بان خارج أسوار مدينة أثينا وقد كانت هناك جوائز للفائزين عبارة عن جرار من زيت الزيتون المزينة برسوم لرياضة الركض والألعاب .

اليوم الرابع : مخصص لسباق العجلات واستعراضات الفروسية في الهبودروم قرب بيرايوس ، وكان هناك سباق الزوارق الحربية المستطيلة .

اليوم السادس : كانت الأيام السابقة استهلالاً للقربان المهرجاني العظيم الذي يقام في اليوم السادس ، حيث يكون الكيراميكوس مركزاً للاستعدادات القائمة على قدم وساق منذ أن يتنفس الصبح ، فترى الماشية البيضاء والأغنام ذات الفراء الفضية التي أرسلتها المستعمرات أضاحي للربة وهم يسوقونها صفوفاً . أما شباب أثينا الأكثر ثراءً ، فكانوا يسوسون خيولهم الصغيرة القوية ، ويتدثرون بمعاطف الركوب القصيرة ، وخوذاتهم ذات الرياش ، ودروع أرجلهم المعدنية اللامعة(6) .

وفي هذا اليوم يتم العرض المسرحي (في العصر الكلاسيكي) حيث يتقدم سفراء الدول ويأخذون أماكنهم ثم القضاة العشرة الذين سيعينون مكافأة لأحسن مجموعة من المسرحيات ، ثم يظهر كاهن ديونسيوس ثم يسود صوت ناي ثم تبدأ المسرحيات .

ويختتم العيد بالذهاب إلى معبد (أرخثيون) لإهداء الإلهة تماثيل الخشب وذبح القرابين لها .

الإيروتيديا (Erotidia) عيد إيروس:

وهو عيد الحب عند الإغريق لأنه يحتفي بإله الحب (إيروس) فقد كان إيروس محط جذب الشباب والشابات على حد سواء ولذلك تظهر تماثيله في النوادي الثقافية والرياضية (الجمنازيوم) .

في طيبة كانت طقوس هذا العيد مرتبطة بـ (الكتيبة المقدسة) المؤلفة من 300 شاب تطوعوا على أساس الحب بينهم حيث يعمل كل شابين متحابين على إنماء الحب بينهما والقتال سوياً ولقاء الموت في الميدان ، وهذا يعني أن ممارسة هذا العيد كانت مثنية في طيبة .

أما في أثينا فكان عيده في شهر مينيجيون (آذار/نيسان) حيث تنتظم فيه مواكب من الإيروتيس (العاشقين) .

وفي مدينة ثيسبياي (جنوب بويوتيا قرب جبل هليكون) كان هذا العيد يقام قرب معبد إيروس الذي يحتوي على تمثال رمزي له لا بصورة إنسان أو حيوان ، وتشبه أعياد الحب عند الإغريق عيد الفلنتاين في عصرنا .

أعياد الإله بوزيدون:

وتسمى الأعياد الاسثمية نسبة إلى بلدة اسثموس Isthmus أي (البرزخ) جوار كورنثا ، وكانت إضافة إلى كونها أعياداً دينية تمجيداً لبوزيدون تتضمن ألعاباً رياضية ، وتقام كل سنتين مرة واحدة .

كانت كورنثا ، مدينة بوزيدون ، ضاجة بأماكن اللهو والتسلية والألعاب وكانت جائزة الفائزين إكليلاً من الكرفس البري . وقد خلد الشاعر بنداروس هذه الألعاب وأبطالها في قصائده الاحتفالية .

عيد هيرا:

عيد أثيني يسمى (جاميليون) أي شهر الزواج ويجري تقريباً في كانون الثاني وتجري فيه أعياد الزواج المقدس على اعتبار أن هيرا هي إله الزواج وراعية النساء وحياتهن الجنسية وولادتهن .

أعياد ديمتر:

الطقوس السرية في إليوسيس :

وهو طقوس النحلة الإليوسيسية السرية التي كانت تؤمن بالخلاص على يد ديمتر بعد الموت ، وقد شرحنا هذه الطقوس وعقيدة الخلاص الخاصة بها في الفصل الثاني .

عيد جالبة الكنوز (الثيسموفوريا Thesmophoria):

وهي من أعياد ديمتر الخاصة بالنساء فقط والتي تقام في شهر بيانوبسيون (تشرين الثاني) لثلاثة أيام (11 - 13) وكان تشتمل على طائفة من الطقوس معظمها سحري وتقوم به النساء من جل خصب الأرض .

طقوس الموت:

تأثر الإغريق بالكَريتيين والمصريين في بعض جوانب طقوس الموت ، فقد دفنوا الميت مثل هؤلاء في توابيت من الصلصال أو في جرار ضخمة وكانوا يضعون معه القليل من الطعام والأدوات والدمى والأشياء الثمينة ، ولكنهم من ناحية أخرى اعتقدوا وطبقوا حرق جثث الموتى لاعتقادهم بأن الدخان يحمل أوراح الموتى الخفيفة إلى الأعالي وينقلها إلى السماء .

وكانوا يخافون من أرواح الموتى ويرون أنها قادرة على إيذاء أو إسعاد الناس ، ولذلك كانوا يقيمون الطقوس المختلفة إرضاءً لها واتقاءً لشرها .

هوامش ومراجع الفصل الرابع

(1) علي ، عبد اللطيف أحمد : التاريخ اليوناني (العصر الهيلاّدي) ، ج 1-2 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1971 ، ص 365 .

(2) المرجع نفسه ، ص 113 .

(3) المرجع نفسه ، ص 118 .

(4) يحيى ، لطفي عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د .ت ، ص 192 .

(5) المرجع نفسه ، ص 194 .

(6) ريت ، ف .أ : "الحياة الإغريقية في أوجها" ، كتاب "تاريخ العالم" للسير جون . أ . هامرتون . المجلد الثاني ، الفصل 41 ، ترجمة إدارة الترجمة في وزارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د .ت ، ص 606 .

الفصل الخامس

الشرائع والأخلاق

(دراسة في المكونات الثانوية للدين الإغريقي)



ثيمس إله العدالة

تمهيد

كانت الشرائع والأخلاق محكومةً بنظرة الدين إليها والنابعة من مرجع إلهي مقدس يفرض سطوته المطلقة على الجميع "ويبدو أن القوانين كانت في نظر اليونان الأقدمين عادات مقدسة ارتضتها الآلهة وأوحت بها ، وكانت لفظة ثيمس (Themis) في لغتهم تطلق على هذه العادات وعلى الآلهة التي تتمثل في نظام العالم الأخلاقي وائتلافه (كما يتمثل التاو أو التين الصيني ، وفي رينا الهندية) . وكان القانون عندهم جزءاً من الدين . وشاهد ذلك أن أقدم قوانين الملكية عند اليونان كانت ممتزجة بالطقوس الدينية وبقوانين المعابد"(1) .

والحقيقة أن هناك شبهاً بين اسم القوانين في الإغريقية وبين اسمها في الحضارات المتوسطية الأخرى ، فمعنى ثيمس هو (ما يوضع أو يقرر) وهي مشتقة من Ti - themi أي أضع . ولكننا نرى أن (ثيم) أو (تيم) الذي هو أصل اسم إلهة العدالة مشتق من اسم الإلهة الأم الكبرى (تيامت) عند البابليين وكانت الـ (مي) السومرية هي الشرائع والنواميس الإلهية ، وكذلك (ماعت) إلهة العدالة المصرية المشتقة من الأصل نفسه وقد ناقشنا ذلك مفصلاً في كتابنا عن الدين المصري .

وقد مرت الشرائع الإغريقية بثلاث مراحل أساسية : الأولى مراسيم شيوخ القبائل أو الملوك التي انتقلت من مرحلة التطبيق بالقوة إلى تعاقد بين الحاكم والمحكوم ، والثانية في مرحلة تاريخ التشريع اليوناني وهي جمع العادات المقدسة وتنسيقها على مشترعين (The-somothetai) مثل زولولسوس وكروندداس ودراكون وصولون وهكذا تحولت العادات المقدسة من (Thesmoi) ثيسموي إلى قوانين من وضع الإنسان نوموي (Nomoi) حيث تحرر القانون من سيطرة الدين وازدادت مع الأيام صبغته الدنيوية وأصبحت نية الفاعل ذات شأن كبير في الحكم على فعله وحلّت التبعية الفردية محل الالتزامات العائلية واستبدل بالانتقام الفردي العقاب القانوني على يد الدولة (ديورانت ، ص : 28) المرحلة الثالثة هي تطور التشريع اليوناني من خلال نمو الشرائع المطرد وتجمعها وقد وصلت هذه المرحلة إلى ذروتها في عصر بركليس .

المبحث الأول

الشرائع

كان الإغريق في العصر البرونزي يستلهمون شرائعهم من الآلهة وكانوا يرون في توازن الكون وسيطرة الآلهة عليه مقياساً للعدالة الإلهية التي يجب أن تسود بين البشر أيضاً، ونرجّح أن الإله زوس كان منبع هذه الشرائع لأنه أب الآلهة والبشر فهو يضبط سلوك الآلهة في الأولمب وسلوك البشر على الأرض .

وإذا كانت الإلهة (ثيمس) ربّة العدالة قد احتلت موقعها الحقيقي في الارتباط بزوس فهذا أمر طبيعي يدل على ارتباط العدالة بجوهر الألوهية . وقد أنجبت منه (المورِيات) (ربّات القدر) المسيطرات على العمر والحياة والموت و(الهوريات) (ربّات الفصول) ومنهن إلهة الحكم العادل (يونوميا) وإلهة السلام (إيريني) وإلهة الحق (ديكي) .

واستمر ذلك في العصر الحديدي وظهرت أنظمة سياسية متعددة جعلت الإنسان يسعى لتوليد شرائع وضعية تكون فيها المرجعية الأسطورية بسيطة وتنظم من خلالها علاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة الإنسان بالإنسان . وظهرت في العصرين الآرخي (العتيق) والكلاسيكي أنظمة تشريعية مختلفة بحسب دول المدن الإغريقية وطبيعتها ولكن نظامين تشريعيين أساسيين هما اللذين سادا في بلاد الإغريق أكثر من غيرهما وهما الشرائع الأثينية والشرائع الاسبارطية ومثّلا نمطين مختلفين بل متصارعين من القوانين .

أولاً: الشرائع الأثينية:

بعد أن تأسست مدينة أثينا حوالى عام 1000 ق .م حلّ فيها النظام الملكي الذي جمع السلطتين الكهنوتية والسياسية في يده وبعد ظهور النظام الارستقراطي وصعود النبلاء وملاّك الأرض بدأ الملك يفقد سلطاته الواحدة تلو الأخرى "ابتداء من عنصر الوراثة ، مروراً بالسلطة العسكرية التي تولاها البوليمارخوس وهو أحد أفراد الطبقة الارستقراطية إلى السلطة التنفيذية التي تولاها (الأرخون) حتى السلطة القضائية التي تولتها هيئة (التنموثيتاي) المكونة من ستة موظفين قضائيين ، وأخيراً السلطة الدينية التي تولاها الأرخون والذي كان يختار أيضاً من الارستقراطيين"[(2)] .

وكان المشترعون الستة من الأراخنة العارفين بالشرائع والقضاء ولذلك أصبحت أمور القضاء بأيديهم تماماً .

دراكون Dracom (حوالى 621 ق.م):

حين ازداد تسلط الطبقة الارستقراطية في أثينا انحرفَ القضاء لصالحها وسقطت الطبقات الفقيرة تحت وطأتها فقررت الطبقة الحاكمة القيام باصلاحات وبتدوين هذه الاصلاحات والقوانين القديمة ليتمّ تطبيقها بوضوح ، وعُهد إلى مشرع اسمه دراكون القيام بذلك وكانت شرائعه تتسم بالقسوة والمحدودية لكنها كانت قفزة نوعية في مجال التشريع الإغريقي «فمن جهة أصبحت الجرائم تعالج على أساس أنها تشكل اعتداء على المجتمع ذاته وليس مجرد إغضاب الآلهة ، وهكذا يبرز دور القانون كأداة للتعامل داخل المجتمع الأثيني لأول مرة . ومن جهة أخرى فإن إصدار هذه القوانين كانت في صالح الطبقات المحكومة من حيث أن هذه الطبقات بدأت تعرف مواقع أقدامها وأن العلاقة بينها وبين الدولة ، من الآن فصاعداً ، لا بد من أن تحكمها وتضبطها قوانين تبين الحقوق وتوضح الحدود»[3] .

كانت قوانين دراكون ذات حدين فهي بالقدر الذي ضبطت فيه التشريعات الاجتماعية من جهة إلاّ أن قسوتها من جهة أخرى أضعفت طبقة العامة ووضعت أفرادها تحت طائلة الديون وانتزعت من الميسورين منهم أملاكهم ليسددوا بها الديون وأدى ذلك إلى ظهور طبقة جديدة من التجار بين طبقة العامة والطبقة الارستقراطية .

صولون Solon (640 - 559) ق.م:

هو أول مصلح اجتماعي وسياسي كبير وهو أحد الحكماء السبعة في الإغريق (ومنهم طاليس أول فلاسفة الإغريق) . وقد ظهر معه مصلحون آخرون في بلاد اليونان تزامنوا مع وقت ظهوره مثل المشرع (فيلولاوس) الكورنثي الذي وضع دستور طيبة و(ديموناكس) الذي وضع دستور قورينا (في ليبيا) . بدأ إصلاحاته بإجراء اسمه (نفض الأعباء) فقد علّق جميع الديون والرهون التي كان ضمانها المدين أو الأرض "وبهذا تحرر الفلاحون الذين كانوا قد أصبحوا عبيداً ، كما أزيلت أعمدة الرهون المشؤومة من أراضي أصحابها وزالت معها ديونهم ، وأصبح في استطاعة الدين فضلوا الفرار والنفي على العبودية أن يعودوا إلى أوطانهم ، وانتهت الأحوال القديمة الغاشمة إلى غير رجعة إذ تقرر عدم شرعية إقراض المال بضمان شخص المدين . وكذلك حدد صولون مساحة الأرض التي يمكن أن يملكها شخص واحد حتى يوقف اتساع ونمو الضياع الضخمة"[4] .

تركزت الاصلاحات الدستورية لصولون في مجموعة من الحقول هي السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ففي مجال التشريعات السياسية استخدم صولون فكرة تدرج

الثروة لتحديد درجة الحقوق والواجبات السياسية لكل فرد ، أي إنه حدد الطبقة وربطها بالسياسة . وكان المجتمع الأثيني ينقسم إلى أربع طبقات بحسب دخل كل فرد في السنة مقدراً بمعايير من الحبوب أو النبيذ أو الزيت فقد أتاح لأفراد الطبقة الأولى والثانية (من 500 إلى 300 معيار) أن يكونوا فرساناً يخدمون في العسكرية ، أما أفراد الطبقة الثالثة (200 معيار) فلهم الحق أن يكونوا في فرق المشاة الثقيلة . أما أفراد الطبقة الرابعة (أقل من 100 معيار) فلهم الحق في الدخول إلى الفرق الخفيفة التسليح أو الخدمة في الأساطيل البحرية ، وبفضل هذا التشريع الذي لم يربط بين الدخل السنوي وبين الأرض أصبح بإمكان الطبقة التجارية الصاعدة أن تشترك في المناصب التنفيذية للدولة في الجهاز الإداري لها إلى جانب أفراد الطبقة الأرستقراطية .

وفي مجال الإصلاحات الديمقراطية فتح المجلس الشعبي (الاكليسيا) أمام أقل المواطنين شأناً وهم العمال وأصبح لهم صوت في انتخاب الحكام .

ولكن أروع ما قام به صولون في هذا السبيل هو المحكمة الشعبية أو ما تسمى الهيليايا (Hiliaea) حجر الزاوية في الديمقراطية الأثينية والتي تتكون من جميع المواطنين فوق سن الثلاثين بمن فيهم العمال ، ولما كانت هيئة القضاة ، تعين بالقرعة ، كان يمكن لأشد المواطنين فقراً أن يكون قاضياً من بينهم . وكان يمكن أن يقدم أي حاكم عند انتهاء مدة منصبه للمحاكمة أمام الشعب في هذه المحكمة . وهكذا قلدت هذه المحكمة الشعب سلطة الإشراف على السلطة التنفيذية وإرادتها[5] .

كذلك أسس مجلس البروبولدس وهو (مجلس الأربعمائة عضو) حيث يختار 100 عضو من كل قبيلة من قبائل أثينا الأربع الكبرى ، وانتزع من مجلس الشيوخ سلطاته الإدارية والتشريعية وجعله حارساً للدستور والقوانين واستخدم صولون القرعة والانتخاب معاً في تعيين موظفي الدولة .

أما في مجال إصلاحاته الاقتصادية فقد سنّ نظاماً جديداً لسك نقود أثينا ومنع تصدير المنتجات الزراعية ما عدا الزيتون وأنهى فوضى نظام الموازين والمكاييل ومنح حق المواطنة للصنّاع الأجانب وفرض على كل أب تعليم ولده حرفةً من الحرف وإلاّ فإن الابن يصبح غير ملزم بإعالة أبيه في الكبر .

أما إصلاحاته الاجتماعية فقد ألغى صولون قوانين دراكون الصارمة باستثناء القوانين الخاصة بجريمة القتل وأصدر قوانين خاصة بالآداب والسلوك ومحاربة الكسل وأصدر قوانين شؤون الأسرة والزواج والوراثة . . . . إلخ .

لكن تشريعات صولون بدت وكأنها جرعة مورفين لمشاكل المجتمع الأثيني إذ سرعان ما عادت المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبدا كما لو أنه لم يعالج الأسباب بل عالج النتائج فقد كان الأرستقراطيون "يتحسرون على امتيازاتهم المفقودة ، والفقراء الذين عانوا من انعدام المساواة . . .فبالرغم من أن طبقة التجار خرجت من هذه التشريعات بكسبٍ محسوس هو ربط الحقوق السياسية بالثروة ، فإن الأرستقراطيين لم يكونوا على استعداد للتنازل عن امتيازاتهم التقليدية بحكم المولد بسهولة بالإضافة إلى سيطرتهم على الهيكل الإداري للمجتمع الأثيني والقائم على التقسيم القبلي الذي لم تمسّه تشريعات صولون"[(6)] .

وهكذا زادت تشريعات صولون من الهوة بين الفقراء والأغنياء وصعدت بينهما طبقة التجار الفتية التي استفادت من التشريعات الاقتصادية "أما عن العامة فقد خرجوا من تشريعات صولون بحقوق اسمية لم يتمكنوا من ممارستها في وقت كان كل فرد منهم مشغولاً بالبحث عن لقمة العيش . هذا الوضع أدى إلى استمرار الصراع بين الطبقتين اللتين انضمت إليهما في صراعهما طبقة العامة ، والتي بدأت تشعر بكيانها ووزنها في المجتمع بعد الحركة التجارية التي شملت البلاد وما تطلبته من أيدٍ عاملةٍ لم تتوافر لها إلاّ بين أفراد هذه الطبقة ، مما أذكى لديهم الشعور بأهميتهم"[(7)] .

بيزيستراتوس Peisistratos (600 - 527) ق.م

ابتعدت الشرائع الإغريقية عن مرجعيتها الإلهية وأصبحت أكثر وضعيةً فقد نظرت بجدية إلى المشكلات الاجتماعية وقواها وحاولت استنباط الشرائع منها ، وقد شكل بيزيستراتوس الحلقة الأهم بعد صولون فقد استطاع أن يساهم في انهيار النظام الارستقراطي الذي جمّد التشريعات وفتح الآفاق لتشريعات جديدة رغم أنه حكم بشكل مطلق . لقد ظهرت في أثينا ثلاثة أحزاب سياسية/اقتصادية/قبلية هي حزب السهل حيث

الأقلية الارستقراطية وحزب الساحل حيث الطبقة الوسطى من التجار والصّناع والمزارعين الذي كان متمسكاً باصلاحات صولون وحزب الجبل حيث الفقراء الذي يتزعمه بيزستراتوس الذي كان ينادي بوضع جديد .

لقد جعلت الحياة السياسية لبيزيستراتوس من الانتخاب والنفي ثم العودة إلى أثينا بطلاً شعبياً استطاع في النهاية أن يتغلب على حزبي السهل والساحل والتفّ حوله مناصروه . ويمكن اعتبار حكم بيزيستراتوس بـ (الحكم المطلق الدستوري) فقد مهد للديمقراطية رغم أنه حكم بشكل مطلق .

أضعف بيزيستراتوس بتشريعاته الأسر الأرستقراطية فقد غادروا البلاد وفقدت الهيئات الارستقراطية (الأراخنة ، الأريوباجوس) نفوذها تماماً وبدأت تشهد نهايتها مما مهد السبيل إلى قيام التنظيمات الديمقراطية .

وبدأت أثينا تتخلص تدريجاً من فوضى المنازعات الحزبية وضمرت الأحزاب السياسية القديمة وأعاد تمليك الأراضي للفقراء "ولما كان بيزيستراتوس قد احتفظ بالأشكال الحرة في الدستور ، فقد هيأ ذلك للكتل الشعبية في مجلس الشعب وفي دور القضاء تدويباً على القيام بالأعمال العامة وأصبحوا بذلك لائقين لاستقبال الديمقراطية التي أعقبت الحكم المطلق كما سنرى"[8] .

كليستنيس Cleisthenes (502) ق.م:

انتهى حكم بيزيستراتوس وأولاده بقتل أحد أولاده وطرد الآخر وعادت الأوضاع الدستورية لأثينا ، وبرز شخص يدعى (كليستنيس) كان يرأس الجهاز التنفيذي حيث قدم دستوراً صقل فيه دستور صولون دون أن يعود للحكم الفردي (حكم بيزيستراتوس وأولاده من بعده) ولعلّ عبقرية كليستنيس تكمن في أنه وزّع الأحزاب القبلية السياسية الثلاثة في أثينا بطريقة جعلها تتشتت في عشر قبائل غير فاعلة من الناحية العملية ، وهكذا لم تعد أثينا مقسمة على أساس صلة الدم بل على أساس وحدات إدارية يكون فيها ذكر القبائل شكلياً . . . وهكذا تحولت دولة مدينة أثينا إلى مدينة حقيقية ذابت فيها نهائياً التجمعات القبلية القديمة .

أما مجلس القبائل الذي عدده أربعمائة عضو على عهد صولون فقد قام كليستنيس بإعادة النظر فيه ليصبح عدده خمسمائة عضو بحيث يمثل خمسون عضواً كل قبيلة من القبائل العشر الجديدة ، وأصبح ، مع الوقت ، يمثل المجتمع ككل وليس ممثلاً للروابط الأسرية القديمة ، وكانت السلطة التشريعية للمجلس تتمثل في تحضير وتنظيم الاقتراحات ومشروعات القوانين ثم تقديمها إلى الجمعية الشعبية لتناقشها ثم تصدر القوانين على أساسها .

ثم أصبح لمجلس القبائل (الشورى) صلاحيات إدارية حيث كان يدير الشؤون العامة للمدينة بمعاونة الجهاز التنفيذي ، وسرعان ما أصبح يقوم بأغلب الجوانب التنفيذية والمالية والإنفاق وجمع الضرائب . . . إلخ .

لقد كان مجلس الشيوخ الذي يسمى (الأورياباجوس) هو الذي يحمي الدستور والدولة من خطر قيام الحكم الفردي ، أما في عصر الديمقراطية الذي وضع أسسها كليستنيس فقد تولى مجلس الشعب عملية النفي أو الإبعاد (أوستراكيزم Ostracism) وبموجب هذا القانون "أصبح الأيثنيون يستطيعون ، خلال دورات محددّة من دورات مجلس الشعب أن يصوّتوا على نفي أي زعيم سياسي يرغبون في نفيه لسبب أو لآخر . وقد كان الشرط الوحيد في هذا الصدد أن يدلي ستة آلاف شخص من المواطنين المتجمعين على الأقل بأصواتهم حتى يصبح النظر في مسألة النفي قانونياً ، والشخص الذي تسجل أغلبية الأصوات بالموافقة على نفيه يسري عليه قرار النفي ويكون هذا لمدة عشر سنوات"(9) .

وبسنّ قانون النفي استكملت الديمقراطية الأثينية أركانها إذ وقف هذا القانون بوجه أي انتكاسةً تصيب نظام الحكم الأثيني خوفاً من العودة إلى الحكم الفردي . . وهكذا تدربت أثينا على الديمقراطية تدريجاً حتى أنها عندما واجهت الغزو الفارسي أكثر من غيرها من مدن الإغريق استطاعت أن تهزم هذا الغزو ، وبذلك استطاعت الديمقراطية أن تجعل مدينة اغريقية واحدة هي أثينا أن تنتصر على امبراطورية مستبدة غاشمة هي فارس وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد .

بركليس (460 - 430) ق.م (الديمقراطية في عصره):

بلغ تطور الشرائع الأثينية أقصى مراحلة في العصر الذهبي لبركليس ، وكانت التشريعات الجديدة تتناقض مع القديمة فتقوم لجنة من مقرري القوانين Nomethetai لتقرر

أي القوانين يجب الابقاء عليها وأيها يجب إلغاؤها . ويعين في هذه الحال محامون ليدافعوا عن القوانين القديمة ضد من يقترحون إلغاءها وقد نقشت شرائع أثينة بإشراف أولئك المقررين على ألواح من الحجارة في (باب الملك) بعد أن صيغت في عبارات بسيطة سهلة الفهم . وبهذه الطريقة لم يكن يسمح لأي حاكم أن يفصل في مسألةٍ بالاستناد إلى قانون غير مكتوب[10] .

كانت جريمة القتل في أثينا أمراً نادراً لأنه يعد خطيئة دينية وجريمة قانونية وكان الخوف من الانتقام يظلّ قائماً إذا عجز القانون عن الاقتصاص من القاتل ، وقد بقي القصاص المباشر حتى القرن الخامس قبل الميلاد مباحاً في أحوال خاصة ومن ذلك أن الرجل إذا وجد أمه أو زوجته أو مخطوبته أو أخته أو ابنته ترتكب الفحشاء كان من حقه أن يقتل من يرتكبها معها من الرجال على الفور [11] .

أما قوانين الملكية فكانت صارمة جداً حيث التعاقد واجب التنفيذ ، وكان انتقال الملك بالوراثة ينتقل إلى الأبناء الذكور . وكان التشريع اليوناني أساس التشريع الروماني الذي أصبح أساس التشريع الغربي .

أما أهم نقاط إصلاح القضاء في أثينا في عصر بركليس فهي نقل الحقوق القضائية من الأرخون والأديوبجوس إلى المحاكم الشعبية التي تسمى الهليايا أو الهيلية (نسبة إلى هيلوس إله الشمس حيث تعقد في الهواء الطلق) . وكانت كل هيلية تتكون من ستة آلاف شخص يختارون بالقرعة من سجل المواطنين .

وظهر في المجتمع الأثيني طائفة من (النمامين) وهم أشبه بـ (المحتسبة) في المجتمع الإسلامي وكان عملهم هو مراقبة الناس واتهامهم حتى تطورت مهنتهم وأصبحت فناً من فنون اغتصاب أموال الناس لكف الأذى عنهم . أما العقوبات فكانت كثيرة منها الضرب والغرامة والحرمان من الحقوق السياسية والكي بالنار ومصادرة الأموال والنفي والإعدام ، وقلّما كان المذنبون يعاقبون بالسجن ، وكان من المبادئ المقررة في القانون اليوناني أن يعاقب العبد في جسمه ، وأن يعاقب الحر في ماله . ونرى في رسم على إحدى المزهريات عبداً معلقاً من ذراعيه وساقيه يضرب بالسياط ضرباً خالياً من الرحمة[12] .

كان الإنجاز الكبير للتشريع الأثيني هو فصل القانون عن الدين والاتجاه به نحو الجوانب العملية للمجتمع ولكنها مع ذلك "لم تبلغ ما كنّا نتوقعه لها من الاستنارة وهي لا تسمو

كثيراً عن شرائع حمورابي ، وعيبها الأساسي أنها تقصر الحقوق القانونية على الأحرار الذين لا يكادون يجاوزون سُبع السكان ، وحتى النساء والأطفال كانوا خارجين عن نطاق المواطنين أصحاب الحقوق(13) .

ثانياً: الشرائع الإسبارطية:

الإسبارطيون هم الدوريون الذين غزوا شبه جزيرة البلوبونيز واستقروا في منطقة لاكونية ولم يندمجوا مع السكان الأصليين وحافظوا على تماسكهم كطبقة حاكمة تسيطر على المقيمين في منطقة لاكونية من طريق التسلط الذي حافظ لهم على كل الحقوق السياسية ، وأطلقوا اسم البريكوي Perioekoi على المحيطين بهم والذين كانوا أحراراً ولكنهم لا يتمتعون بحقوق سياسية أما الذين استولوا على أراضيهم من منطقة مسينيا فقد أسموهم بالعبيد Helotai .

كان نظام التربية الإسبارطي صارماً ويعمل على تنشئة الأطفال تنشئة عسكرية سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً ، فالأصحاء منهم يوضعون في رعاية أمهاتهم أو مربيات من قبل الدولة ، أما الضعفاء المشوهون فقد كانت الدولة تأمر بتركهم في العراء حتى يموتوا أو يلتقطهم أحد العبيد ، ثم يدخل الطفل تدريبات عسكرية وثقافية ويتعودون الاعتماد على أنفسهم وكانت الدولة تشجعهم على السرقة ، وخصوصاً الطعام ، فإذا ضبط أحدهم كان يعاقب بالضرب لا لأنه ارتكب جريمة السرقة ولكن لأنه لم يستطع أن يتفادى القبض عليه ملتبساً بهذه الجريمة .

فإذا بلغ الاسبارطي سنّ الرشد فإنه يبدأ في مزاولة حياة عسكرية كجندي في الجيش الوطني ولا يعيش مع أسرته بل في وحدات الجيش ، وتمنح الدولة هذا الجندي مع أسرته مساحة كبيرة من الأرض الزراعية وعائلة أو أكثر من العبيد لفلاحتها والعمل فيها ، ولم يكن مسموحاً له أن يعمل في الأرض الزراعية مطلقاً .

هكذا شبّ المجتمع الاسبارطي على القوة والعنف ، وكان نظامه العسكري هو النظام الصارم الذي يضبط المجتمع . ويعتقد أن مشرّعاً اسبارطياً هو ليكورجوس (Lykourgos) هو الذي سنّ هذا النظام التربوي الصارم ويعتقد أنه كان وصيًا على أحد الملوك الاسبارطيين أو أنه كان إلهاً . يحتوي دستور اسبارطة الذي وضعه ليكورجوس على أربعة عناصر هي (الملكية ، مجلس الشيوخ ، مجلس الشعب ، الأفاورة أو المشرفون) .

يقف على رأس الهيكل السياسي الملكان حيث كانا يمثلان أكبر قبيلتين اسبارطيتين وكانت سلطتهما القضائية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوظائفهما الدينية وكانت أهم نواحي هذه السلطة تخص الإرث والزواج والتبني للحفاظ على بقاء الأسرة الاسبارطية وكانا يقومان بمهمة القضاء بما يخص الطرق العامة ومنها تحدد حدود الملكية بأحجار الحدود المقدسة .

أما مجلس الشيوخ (الجيروسيا) فكان يتكون من28 عضواً إضافة الى الملكين ، وكان المجلس من الناحية القضائية هو المحكمة العليا الخاصة بالقضايا الجنائية أما مجلس الشعب (الأبلا) فكان يتكون من المواطنين الكاملي الأهلية فوق الثلاثين من العمر ، وكان يرأس هذا المجلس الأفاورة وهم المشرفون الذين يدعونه للاجتماع مرة كل شهر ، وكانت قرارات المجلس الشعبي محصورة في مسائل الحرب والسلام والسياسة الخارجية والخلاف على تولي العرش وانتخاب أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس المشرفين .

وكان المشرفون الخمسة مسؤولين عن القضاء المدني بالدرجة الأساس وكانوا يشتركون في القضاء الجنائي ، ويمثلون أمن الدولة وقد توسعت صلاحياتهم . كان الاسبارطيون ينظرون إلى الحكم الفردي المطلق على أنه نقطة ضعف يستطيع أن ينفذ منها أيّ دخيل من طريق التأثير على شخص الحاكم ، ويرون أن الحكم الطبقي بطبيعته يؤدي إلى الحزازات الطبقية ومن ثم إلى تفكك الجماعة ، وأن الحكم الشعبي المطلق الذي يعطي الناس الحرية الكاملة يمكن النفاذ منه عن طريق استغلال الخلاف في الرأي لتصديع المجتمع[14] .

وهكذا اختار الاسبارطيون نظاماً آخر على رأسه ملكان يراقب أحدهما الآخر وليس لديهما سلطة مطلقة ومجلس طبقي أرستقراطي هو مجلس الشيوخ ومجلس شعبي هو الذي يبتّ في الأمور ومشرفون يراقبون الأخطاء . ومهما يكن من أمر النظام الاسبارطي إلاّ أنه ركّز على القوة والروح العسكرية واستطاع أن ينجز بعض الإنجازات في هذا الاتجاه لكنه لم يكن نظاماً حضارياً بل ونراه يتهاوى أمام غزوات الفرس ويهادنهم أحياناً رغم جموحه العسكري . . . ولذلك نرى أن الطريق الاسبارطي في التشريع هو درسٌ في سوء فهم الحضارة وهو طريق إلى انحدارها وهو ما حصل .

المبحث الثاني

الأخلاق

يقول ول ديوارنت أن البرابرة (بحسب تسمية الإغريق والمقصود بهم كل من هو ليس بإغريقي) الذين هذّبهم الدهر في مصر وفارس وبابل أرقى من اليونان كثيراً من الناحية الأخلاقية ويضيف بأن الأثنيين لم يكونوا مثلاً طيباً في حسن الخلق ، فإنهم قلما يشعرون بوخز الضمير أو يفكرون في أن يحبوا جيرانهم كما يحبون أنفسهم ، وفي الخطب العامة نرى السباب الشخصي هو روح البلاغة(15) .

كان غشّ البضاعة والميزان سائداً وكانت حياة الساسة فاسدةً وكانت الرشوة سائدة "وإذا وجد فيهم رجل شريف مثل أرستيدز عُدّ من خوارق الطبيعة يكاد يبلغ حدّ البشاعة ، وحتى ديوجين نفسه بمصباحه الذي يسير به في النهار يعجز عن أن يعثر على رجل آخر شريف . ويقول توكليدز إن الرجال كانوا أكثر حرصاً على أن يوصفوا بالحذق من أن يوصفوا بالأمانة ، ويظنون أن الأمانة هي السذاجة . وكان من أيسر الأمور أن تجد اليونان يخونون وطنهم وفي ذلك يقول بوزنياس : لم يكن ينقص بلاد اليونان في أي وقت من الأوقات رجال مصابون بهذا الداء داء الخيانة"(16) .

وإذا عدنا إلى أساطيرهم وديانتهم وجدنا أن تدني الأخلاق والفساد والحيلة والكذب والغيرة والقتل تنتشر بين آلهتهم حتى أن زوس كبير الآلهة والإله القومي لهم هو رمز المخاتلة والطيش والنزوات والخيانة وأساطيره تحفل بالكثير من هذه القيم الأخلاقية المتدنية ، ولا يختلف عنه بقية الآلهة إلاّ فيما ندر إذ نرى كل هذه القيم متفشية في أساطيرهم وقصصهم .

وكان الإغريق يمتازون بالغدر والقسوة والبشاعة من أعدائهم من غير الإغريق (البرابرة) أو مع الإغريق الآخرين من المدن الأخرى : "ولم يكن للعادة والدين إلاّ أثر قليل في كبح جماح المنتصرين في الحرب . لقد كانت من الأمور المألوفة ، حتى في الحروب الأهلية ، أن تنهب المدن المفتوحة ، وأن يقتل جميع الجرحى ، وأن يذبح جميع أسرى الحرب أو من يقبض عليهم من غير المحاربين ، أو أن يتخذوا عبيداً إذا لم يفتدوا ، وأن تحرق البيوت ، وأشجار الفاكهة والمحصولات الزراعية وأن تباد الحيوانات وتتلف البذور لكيلا تزرع في المستقبل"(17) .

كانت فكرة العدالة السماوية بعيدةً عن التطبيق رغم أنها حاولت أن تهيئ للإغريق جزءاً كفيلاً بتنظيم قواعد السلوك الخلقي الجديدة في مدنهم الناشئة ، لكن من سوء الحظ أن هذه الفكرة ارتبطت بفكرة الترابط الأسري البدائية التي تحول دون ظهور مبادئ جديدة في الأخلاق والقانون[18] .

ونرى أن الأخلاق الإغريقية العملية انطلق من هاجس براغماتي نفعي يرى في الحياة سلسلة من المنافع ولا سبيل إلى وضع أسس أو مبادئ يُجبر بعضها الإنسان على التخلي عن منافعه .

والحق أن الأثيني لم يكن يفكر في الأخلاق كما نفكر فيها نحن الآن ، فهو لا يأمل أن يكون له ما للصالحين من أفراد الطبقة الوسطى من ضمير ، أو ما للإشراف من شعور بالشرف ، بل يرى أن أحسن الحياة هي الحياة الكاملة ، المليئة بالصحة والقوة والجمال والانفعال والثراء والمغامرة والتفكير ، والفضيلة عنده هي الرجولة Arete أو الحربية كما كان معنى اللفظ في بادئ الأمر والتفوق (Ares أي المريخ)[19] .

إن نظرة الإغريق للعبيد مثلاً كانت نظرة سيئة جداً فاعتبروا الأمر طبيعياً وأن الأقدار دفعت لهم بهؤلاء العبيد ، ولم يعتبر اليونانيون امتلاك عبد واستغلاله جرماً أخلاقياً .

كذلك لم تنل المرأة في المجتمع الإغريقي أبسط حقوقها ولم تتمتع بمكانة جيدة وكان البيت مكانها ووظيفتها الأساسية ، وفي جملة قصيرة يحدد ديموسثينيس أحد أشهر خطباء اليونان موقف الإغريق من المرأة والزواج فهم «يحتفظون بالخليلات من أجل اللذة ، والمحظيات (الرفيقات) من أجل الصحة اليومية لأجسامهم ، أما الزوجات فهنّ يحملن أبناءَهم الشرعيين ويكنّ حراساً مخلصين لمنازلهم[20] .

أما الأخلاق النظرية التي ظهرت في كتابات الفلاسفة والمفكرين الإغريق فقد أسس لها سقراط ، فقد نقل الفلسفة من مشكلات الفكر إلى مشكلات السلوك الإنساني فهو الذي أسس لعلم الأخلاق الإغريقي وقد سبقه السفسطائيون إلى القول بمبادئ لا أخلاقية مثل ترك العنان للرغبات والميول واشباعها ، فقام سقراط بتحليل الألفاظ وتحليل معانيها وفصل بين العقل والحسّ "ونفر من القول باللذة غاية لأفعالنا ، وطالب بالسعادة التي تقوم عنده في سيطرة العقل على دوافع الشهوة ونوازع الهوى ، وردّ الإنسان إلى حياة الاعتدال ، ومتى عرف الإنسان ماهيته وإدراك خيره ، أتاه لا محالة ، لأن الفضيلة وليدة المعرفة ، فمتى

عرفت الخير حرصت على فعله ، ومتى أدركت الشرّ توخيت أن تتجنبه ، ولا يأتي الشر إلاّ من جهله ، وهكذا بدت العلاقة وثيقة بين الفضيلة والمعرفة ، وهي علاقة ميّزت سقراط وأفلاطون وكادت تشيع في الفكر اليوناني كله"[21] .

ربطت الأخلاق نفسها إذن بالمعرفة ، لا بالواقع ، لأنها كانت تجد الواقع منافياً لها كما عرفنا من الأخلاق العملية عند الإغريق ، وبذلك نمت طبقتان من الأخلاق ، الأولى نظرية تنزعُ إلى الفضيلة والمعرفة والثانية عملية تنزعُ إلى اللذة والجهل ، وبدا التناقضُ صارخاً بينهما منذ العصر الكلاسيكي .

وترتب على توحيد سقراط بين الفضيلة والمعرفة أن أصبحت الفضيلة ممكنة التعلم شأنها شأن المعرفة ، وإن لم يكن تعلمها ميسوراً سهلاً كما هي الحال في الحساب مثلاً ، لأنها تستند إلى الوراثة والبيئة ونحوها من عوامل ، ومع هذا وقع سقراط في تناقض حين اعتبر الفضيلة والرذيلة لا إراديتين ، بمعنى أن من عرف الخير أتاه على غير إرادة منه ، ومن أدرك الشرّ تفاداه لأن ارتكابه لا يكون إلاّ عن جهل[22] .

وهكذا نرى أن السفسطائيين هم أول من طرح النزعة الإنسانية كمشكلة كبرى ثم تبع ذلك طرحهم لمشكلة الأخلاق وكانوا عمليين أكثر من سقراط ، بل إنهم مثّلوا حقيقة الأخلاق الإغريقية في الواقع ، بينما مثّل سقراط الأخلاق النظرية ونزع نحو المثال الذي لم يكن متحققاً في الواقع .

كان سقراط ينادي من جهة بالفضيلة وضبط النفس عن الشهوات وينادي من جهة أخرى بالسعادة (Hudaemonism) التي تدعو إلى الاعتدال ، لكنه لمّا توفي ظهر السقراطيون الصغار فشطروا مذهبه الأخلاقي إلى شطرين متناقضين : الأول نادى به أنتستنيز (مؤسس المدرسة الكلبية) الذي اعتقد بالفضيلة والقدرة على ضبط النفس والسيطرة على الشهوات ثم جاء تلميذه ديوجين والثاني نادى به أرستبوس (مؤسس المدرسة القورينائية) الذي أخذ بمبدأ السعادة ونادى بمبدأ اللذة الحسيّة .

أما أفلاطون فقد طوّر مفاهيم سقراط الأخلاقية ورأى أن الحياة السعيدة هي الحياة التي تجمع بين العقل واللذة بنسبة معينة وبحيث يكون العقل هو العنصر الذي تكون له الغلبة . بل إننا لا نجد في محاورة (فيلابوس) المتأخرة تلك النظرة المتزمتة التي نجدها في محاورة (فيدون) المبكرة والتي كانت تصف الخير بأنه إنما يكون في الخلاص من الجسد واستئصال

الشهوات والقضاء على الحياة الحسيّة ، بل كما (في الجمهورية) حيث الخير هو تنظيم العلاقة بين قوى النفس المختلفة في حياة متوازنة تنتقي من اللذات أفضلها[23] .

ولأن الإنسان يحتاج إلى الذكاء والمعرفة فقد ربط أفلاطون بين الفضيلة والمعرفة وهو ما اتفق مع سقراط واختلف مع السفسطائيين حيث رأى أن الفضيلة الفلسفية التي تقوم على الروية والتفكير وعلى فهم المبدأ الذي ينبثق منه السلوك . وأما عمل الحق دون فهم لقيمته أو إدراك لمعناه ، بل بدافع من التقليد أو بحكم العرف والعادة طلباً للزلفى والسلطانً ، وكل أولئك ليس من الفضيلة فّي شيء أو قل هو الفضيلة العامية التي ليس لها من الفضيلة إلاّ اسمها ولا من شعائرها إلاّ رسمها[24] .

وكانت مثل أفلاطون قد فرضت على أفلاطون أن تكون الأخلاق والفضيلة مشمولة بالمثل وتجريداتها العليا "وأن جميع الموجودات تحقق (مثالها) بالقياس إلى أنها تحقق غايتها أو خيرها الذي هُيئت له ، ولكن هذه الغاية لا تكون خيراً حقيقياً إلاّ بمقدار اتصالها بغاية المجموعة القصوى أو خيره الأسمى ، فالإنسان كصورة مصغرة عن الكون لا يسعه أن يصيب خيراً أو يكون له وجود إلاّ متى كان مستمداً من خير العالم ووجوده"[25] .

ومثلما قسّم أفلاطون النفس إلى ثلاثة أنواع (الناطقة ، الغضبية ، الغاذية) فإنه أوجد لكلٍّ منها فضيلةً هي (الحكمة ، الشجاعة ، العفّة) بحسب الترتيب ويضيف لها التقوى والعدالة وأداء واجب الإنسان نحو والديه وآلهته . ويمكن تعريف العدالة بأنها تعاون الأجزاء في الكل ، أو العناصر في الأخلاق ، أو الأهلين في الدولة بحيث يقوم كلّ جزءٍ بواجبه اللائق به على الوجه الأكمل"[26] .

وينزع أفلاطون إلى أقصى مراميه عندما يرى أن السعادة معنى ينبع من الداخل وأن الغنى هو غنى النفس البريئة من الشر ، المتطلعة إلى الخير ، المتثقفة بالعلوم والمعارف ، المتشوقة إلى الجمال المطلق ، والحب هو طلب الجمال وله درجات ثلاث : أولاها حب الجمال الجسمي وهو غير جدير بالفيلسوف ، وثانيهما حب الجمال الروحي والمعنوي وهو حبٌّ شريف ، لكن أسمى أنواع الحب (ثالثها) هو حب الجمال المطلق ، الجمال الخالد ، مصدر كلّ جمال وبهاءٍ وهو ما سُمّي بـ(الحب الأفلاطوني) الحب الذي يثير في النفس ذكريات المثل والفردوس المفقودة ويشيع فيها الطمأنينة والأمن واليقين .

أما أرسطو فقد رأى الأخلاق أقرب إلى الواقع وكانت فلسفته تتلخص في محاربة اللذة واعتناق السعادة . ولكنه لم يجعل من اللذة شراً وإلاّ لكان الألمُ خيراً ويقول "إن من العبث أن يقال عن إنسان أنه سعيد وهو معذب! ويرفض أرسطو القول بأن اللذة حسيّة دواماً ، فإنها تختلف نوعاً ومنها ما يكون شراً ومنها ما يكون خيراً ، ولكنها لا تكون أبداً خيراً أقصى ، ولكلٍّ حيوان لذته ، واللذة التي تلائم طبيعة الإنسان تقترنُ بالعقل الذي يميزه من سائر الكائنات"(27) .

وينتقل أرسطو من محدودية اللذة إلى لا نهائية السعادة ويرى أنها الخير الأعظم والناس جميعاً يقرنون السعادة بالحياة الطيبة والعمل الطيب . وقد كان هذا الرأي شائعاً عند اليونانيين على عصر أرسطو إذ كانوا يرون أن كل فعل يقوم به الفرد إنما يستهدف من ورائه تحقيق السعادة لنفسه ، وليس تحقيقاً لمطالب الآلهة أو لأي مبدأ غيبي آخر ، إذ إن اليوناني كان يعتقد أن الحياة على سطح الأرض أفضل وأكمل من الحياة في عالم آخر ، ولهذا فقد جهد على أن يحقق السعادة الكاملة لنفسه في هذا العالم فحسب(28) .

أما الفضيلة فتكون حيث تؤدي قوى الإنسان وظيفتها ، والإنسان شهوة وعقل ، ومن هنا تشعبت الفضائل إلى صنفين : فضائل خلقية وأخرى عقلية ، وتجيء أولاهما بالتربية والتعود وتنشأ الثاني من طريق التعلم ورأى أرسطو أن الفضائل وسائل لغاية هي السعادة(29) .

ويضع أرسطو هيكلاً للنظام الأخلاقي الإغريقي حيث يقسمه إلى ثلاث مراتب هي : حياة اللذة ، حياة التشريف السياسي ، حياة التأمل أو الحكمة . ويرى أن حياة اللذة تناسب العبيد والبهائم والسوقة وهم يطابقون بين اللذة والخير الأقصى ، أي السعادة ، أما حياة التشريف السياسي فهي غاية الحياة السياسية ومكان عليّة القوم ، أما حياة الحكمة والتأمل فهي حياة النخبة العارفة .

ويرى أرسطو أن التأمل أسمى فعل للنفس الناطقة لا يستهدف غايةً غير ذاته ولذلك ترجع إليه السعادة التامة للإنسان لأن التأمل يتضمن عنصراً إلهياً هو حياة العقل الإلهي وفعله الدائم فيجب ألا نفكر في الأشياء الفانية تشبهاً بالعقل الإلهي فنتيح الخلود لأنفسنا بأن نوجه كل عرق ينبضُ فينا لكي نحيا وفقاً للعقل ، لأن الحياة بحسب العقل هي أفضل حياة بالنسبة إلى الإنسان وأكثرها لذةً ، بل هي الحياة الأكثر سعادة(30) .

ويقسّم أرسطو الفضائل إلى نوعين أساسيين إما خلقية وإما عقلية ، والخلقية هي فضائل فطرية وتربوية مثل الشجاعة ، العفة ، الثروة ، الشرف ، الغضب ، والعقلية المكتسبة بالتعليم منها عملية في مجال الميول والشهوات المستقيمة ومنها نظرية مثل التأمل وهي حياة العقل المفارق للبدن أي حياة الآلهة ، والعلم وجودة التروي والتفكير الجيد والفهم الجيد ثم جودة الحكم .

لقد كان أرسطو ثابت النظر حين رفض اللذة من ناحية ، احتراماً لإنسانيته ، ونفوره من الزهاد الذين تطلعوا إلى أمانة الجانب الحسيّ في طبائعهم تقديراً منه لسلامة النفس البشرية ، وقد فطن أرسطو منذ ثلاثة وعشرين قرناً إلى ما كشفه علم النفس الحديث بشأن (تكامل) النفسي الإنسانية ، فقد تفضي مجاهدة النفس لاستئصال الميول والرغبات إلى اضطرابات عصبية أو انحرافات نفسية توقع بالفرد أبلغ الضرر[31] .

هوامش ومراجع الفصل الخامس

(1) ديورانت ، ول وايريل : قصة الحضارة ، ج7 ، حياة اليونان ، ترجمة محمد بدران ، دار الجيل ، بيروت ، تونس/د .ت ، ص 27 .

(2) الشيخ ، حسين : اليونان ، دار المعرفة الجامعة ، الاسكندرية ، 2000 ، ص 153 .

(3) يحيى ، لطفي عبد الوهاب : اليونان . . مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعة ، الاسكندرية ، د .ت ، ص 124 .

(4) الأثرم ، رجب عبد الحميد ، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1996 ، ص 133 .

(5) المرجع نفسه ، ص 134 - 135 .

(6) الشيخ ، حسين ، مرجع سابق ، ص 155 .

(7) المرجع نفسه .

(8) الأثرم ، رجب عبد الحميد : مرجع سابق ، ص 144 .

(9) يحيى ، لطفي عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 135 .

(10) ديورانت ، ول وايريل : مرجع سابق ، ص 28 .

(11) المرجع نفسه ، ص 38 - 39 .

(12) المرجع نفسه ، ص 33 .

(13) المرجع نفسه ، ص 34 .

(14) يحيى ، لطفي عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 147 - 148 .

(15) ديورانت ، ول وايريل : مرجع سابق ، ص 93 .

(16) المرجع نفسه ، ص 95 .

(17) المرجع نفسه ، ص 96 .

(18) الطويل ، توفيق : فلسفة الأخلاق . . نشأتها وتطورها ، ط4 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1985 ، ص 348 - 349 .

(19) ديورانت ، ول وايريل : مرجع سابق ، ص 101 .

(20) الشيخ ، حسين : مرجع سابق ، ص 170 .

(21) الطويل ، توفيق : مرجع سابق ، ص 51 .

(22) المرجع نفسه ، ص 56 .

(23) مرحبا ، محمد عبد الرحمن : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، منشورات عويدات ومنشورات بحر المتوسط ، ط2 ، بيروت - باريس .

(24) المرجع نفسه .

(25) الطويل ، توفيق : مرجع سابق ، ص 75 .

(26) ديورانت ، ول وايريل : مرجع سابق ، ص 481 .

(27) الطويل ، توفيق : مرجع سابق ، ص 86 .

(28) أبوريّان ، محمد علي وحربي عباس عطيتو : دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 1999 ، ص 172 .

(29) الطويل ، توفيق : مرجع سابق ، ص 90 , 91 .

(30) أبوريان ، محمد علي وحربي عباس عطيتو : مرجع سابق ، ص 176 .

(31) الطويل ، توفيق : مرجع سابق ، ص 91 .

المراجع

أ- المراجع العربية:

1- الأثرم ، محمد رجب : دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1996 .

2- أفلاطون : "محاورة فيدون" عن "كتاب محاورات أفلاطون" ، ترجمة زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1966 .

3- إيمار ، أندريه وجانين أبواويه : الشرق واليونان القديمة ، بإشراف موريس كروزويه ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، ترجمة فريد . م . داغر وفؤاد . ج . أبو ريحان ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، 1981 .

4- باترسون ، و . رومين : "دراسة للاسكندر بوصفه بطلاً من أبطال العالم" ، عن كتاب "تاريخ العالم" للسير جون . أ . هامرتون ، المجلد الثالث ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة بمصر ، القاهرة ، د .ت .

5- بازامه ، محمد مصطفى : قورينة وبرقة (نشأة المدينتين في التاريخ) ، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، 1973 .

6- أثينة السوداء (الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية) ، الجزء الأول : تلفيق بلاد الإغريق (1785 - 1985) . تحرير ومراجعة وتقديم د . أحمد عثمان ، ترجمة مجموعة من المترجمين ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، 1997 .

7- برهييه ، أميل : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1982 .

8- بلفنش : عصر الأساطير ، سلسلة الألف كتاب رقم 564 ، ترجمة رشدي السيسي ، مراجعة د . صقر خفاجة ، منشورات النهضة العربية ، القاهرة ، 1966 .

9- البهنسي ، عفيف : موسوعة تاريخ الفن والعمارة ، المجلد الأول (الفنون القديمة) ، دار الرائد العربي ودار الرائد اللبناني ، بيروت ، 1982 .

10- توكاريف ، سيرغي أ : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ترجمة د . أحمد م . فاضل ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1998 .

11- جاردنر ، سير ألن : مصر الفراعنة ، ترجمة د . نجيب ميخائيل إبراهيم ود . عبد المنعم أبو بكر ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987 .

12- جيمسون ، مايكل . هـ : "أساطير اليونان القديمة" من كتاب "أساطير العالم القديم" ، نشر وتقديم د . صموئيل نوح كريمر ، ترجمة د . أحمد عبد الحميد يوسف ، مراجعة د . عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974 .

13- حاتم ، عماد : أساطير اليونان ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1988 .

14- ديورانت ، ول وايريل : قصة الحضارة ، ج7 (حياة اليونان) ، ترجمة محمد بدران ، دار الجيل ، بيروت - تونس ، د .ت .

15- ريت : "الحياة الإغريقية في "أوجها" ، كتاب "تاريخ العالم" للسير جون . أ . هامرتون . المجلد الثاني ، الفصل 41 ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د .ت .

16- أبوريّان ، محمد علي : دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى ، وحربي عباس عطيتو ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة 1999 .

17- ريختر ، جيزيلا : مقدمة في الفن الإغريقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982 .

18- سنجر ، تشارلز : "الإغريق والكشف العلمي" الفصل 48 من كتاب "تاريخ العالم" للسير جون . أ . هامرتون ، المجلد الثالث ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ب .ت .

19- الشيخ ، حسين : اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2000 .

20- الطويل ، توفيق : فلسفة الأخلاق . . نشأتها وتطورها ، ط4 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1985 .

21- عبد الغني ، محمد السيد محمد : بعض ملامح الفكر اليوناني القديم ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1999 .

22- عكاشة ، ثروت : الفن الإغريقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982 .

23- عكاشة ، ثروت : الإغريق بين الأسطورة والإبداع ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 .

24- علي ، عبد اللطيف أحمد : التاريخ اليوناني (العصر الهللادي) ج 1 - 2 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1971 .

25- غالب ، مصطفى : نيتشه ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1983 .

26- غزال ، أحمد حسن : "تطور الفن الإغريقي في العصر الهيلادي والتأثيرات المصرية" مجلة عالم الفكر ، المجلد 12 ، العدد 3 ، وزارة الإعلام في الكويت ، أكتوبر . نوفمبر . ديسمبر 1981 .

27- غريمال ، بيار : الميتولوجيا اليونانية ، سلسلة (زدني علماً) ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، 1982 .

28-غريمال ، بيار وجماعته : موسوعة تاريخ أوربا العام ، الجزء الأول (أوربا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر) ، ترجمة أنطوان أ . الهاشم ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، 1995 .

29- فارنل ، لويس . ر : "ديانة اليونانيين" الفصل 44 من المجلد 2 من كتاب تاريخ العالم للسير جون . أ . هامرتون ، ترجمة وزارة المعارف المصرية ، القاهرة ، د .ت .

30- كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة اليونانية ، طبعة جديدة ، دار القلم ، بيروت ، د .ت .

31- الماجدي ، خزعل : المعتقدات الكنعانية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمّان ، 2001 .

32- الماجدي ، خزعل : موسوعة الفلك عبر التاريخ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمّان ، 2001 .

33- الماجدي ، خزعل : المعتقدات الأمورية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمّان ، 2002 .

34- مرحبا ، محمد عبد الرحمن : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، منشورات عويدات ومنشورات بحر المتوسط ، ط2 ، بيروت - باريس ، 1983 .

35- مكاوي ، فوزي : الشرق الأدنى في العصر الهيلنستي والروماني ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 1999 .

36- ميرز ، ج . ل : "المينويون والميسينيون بلوغ الحضارة في أوربا" ، فصل من كتاب "تاريخ العالم" للسير جون . أ . هامرتن ، المجلد الثاني ، ترجمة وزارة المعارف المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ب .ت .

37- النيهوم ، الصادق : بهجة المعرفة . المجموعة الثانية (الإنسان والمجتمع) ، مراجعة الدكتور شاكر مصطفى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1979 .

38- النيهوم ، الصادق : بهجة المعرفة ، المجموعة الثانية (مسيرة الحضارة) المجلد الأول "الحضارة المينوية" و"اليونان الكلاسيكية" ، مراجعة الدكتور شاكر مصطفى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1982 .

39- هاليداي ، و .ر : "الفتح الدوري والهجرات الأيونية" . من كتاب تاريخ العالم للسير جون . أ . هامرتون . المجلد الثاني ، الفصل 32 ، ترجمة إدارة الترجمة في وزارة المعارف العمومية ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ب .ت .

40- ويس ، أ . ج . ب : "طروادة .. منزلتها في الأدب والتاريخ ، الفصل 29 من كتاب "تاريخ العالم" للسير جون . أ . هامرتن ، المجلد 2 ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د .ت .

41- ياسبرس ، كارل : فلاسفة إنسانيون ، ترجمة عادل العوّا ، ط3 ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، 1988 .

42- يحيى ، لطفي عبد الوهاب : اليونان .. مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية . د .ت .

ب- المراجع الأجنبية:

1- : New Larousse Encyclopedia of Mythology Translated to English Languge by Richard Aldington and Delano Ames, 4th impression, Hamlyn Publishing group limited, New York, 1979.

2- Flaceliere R, et al: A Dictionary of Ancient Greek Civilization, University paper backs, Methuen and Co LTD, London, 1970.

3- Silverbery, Robert: The morning of Mankind, New York, 1967.

فهرس المخططات

فهرس الخرائط

فهرس الأشكال والصور

فهرس المحتويات

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

(دراسة في التاريخ السياسي والحضاري لبلاد الإغريق)

الفصل الثاني

اللاهوت والمعتقدات الإغريقية

الفصل الثالث
المثولوجيا الإغريقية
(دراسة في الآلهة والأساطير اليونانية)

الفصل الرابع

الطقوس الإغريقية

(دراسة في الطقوس والشعائر الدينية عند الإغريق)

الفصل الخامس
الشرائع والأخلاق
(دراسة في المكونات الثانوية للدين الإغريقي)

الفهارس

الأعمال الفكرية والإبداعية للمؤلف

في علم الأديان:

سلسلة (التراث الروحي للإنسان) التي تصدر تباعاً عن دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمّان . وقد أصدر المؤلف منها :

1- أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ، 1997 .

2- الدين السومري ، 1998 .

3- الدين المصري ، 1999 .

4- المعتقدات الآرامية ، 2000 .

5- المعتقدات الكنعانية ، 2001 .

6- المعتقدات الأمورية ، 2002 .

7- الدين الإغريقي ، 2003 .

في المثولوجيا والتاريخ القديم:

1- سفر سومر ، دار عشتار ، بغداد ، 1990 .

2- حكايات سومرية ، وزارة الإعلام ، بغداد ، 1995 .

3- جذور الديانة المندائية ، مكتبة المنصور ، بغداد ، 1997 .

4- مثولوجيا الأردن القديم ، وزارة السياحة والآثار ، عمّان ، 1997 .

5- بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين) ، الدار الأهلية ، عمّان ، 1998 .

6- متون سومر ، الدار الأهلية ، عمّان ، 1998 .

7- إنجيل سومر ، الدار الأهلية ، عمّان ، 1998 .

8- إنجيل بابل ، الدار الأهلية ، عمّان ، 1998 .

9- الآلهة الكنعانية ، دار أزمنة ، عمّان ، 1998 .

10- موسوعة الفلك عبر التاريخ ، دار أسامة ، عمّان ، 2001 .

11- أدب الكَالا . . أدب النار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2002 .

12- كنوز ليبيا القديمة ، دار زهران ، عمّان ، 2002 .

13- مثولوجيا الخلود ، الدار الأهلية ، عمّان ، 2002 .

في الشعر:

أ- المجموعات الشعرية :

1- يقظة دلمون ، وزارة الإعلام ، بغداد ، 1980 .

2- أناشيد اسرافيل ، وزارة الإعلام ، بغداد ، 1984 .

3- خزائيل ، وزارة الإعلام ، بغداد ، 1989 .

4- عكازة رامبو ، دار الأمد ، بغداد ، 1993 .

5- فيزياء مضادة ، مكتبة المنصور ، بغداد ، 1997 .

ب- الأعمال الشعرية :

المجلد الأول ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2001 .

ويحتوي على المجموعات الشعرية الآتية :

1- أطلس شرقي .

2- فيزياء مضادة .

3- قصائد الصورة .

4- أناهيت .

5- اسمعي رمادي . . اسمعي موسيقا الذهب .

6- مخطوطات غجرية .

في المسرح (المسرحيات المعروضة):

1- عزلة في الكريستال ، 1990 .

2- حفلة الماس ، 1991 .

3- هاملت بلا هاملت ، 1992 .

4- الغراب ، 1992 .

5- مسرحيات قصيرة جداً ، 1993 .

6- تموز في الأعالي ، 1993

7- قيامة شهرزاد ، 1994 .

8- نزول عشتار إلى ملجأ العامرية ، 1994 .

9- أكيتو (الليالي البابلية) ، 1995 .

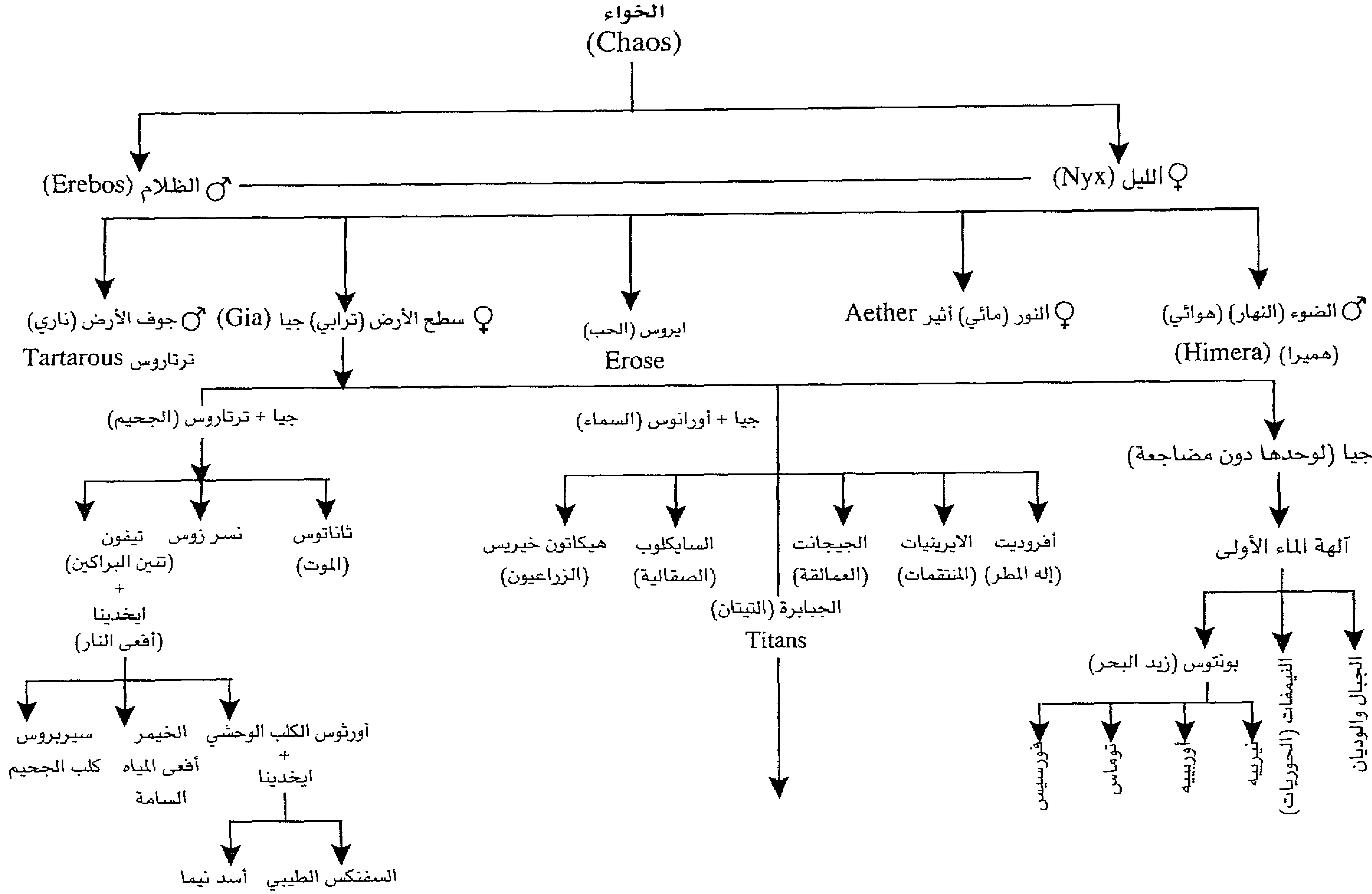
10- مفتاح بغداد ، 1996 .

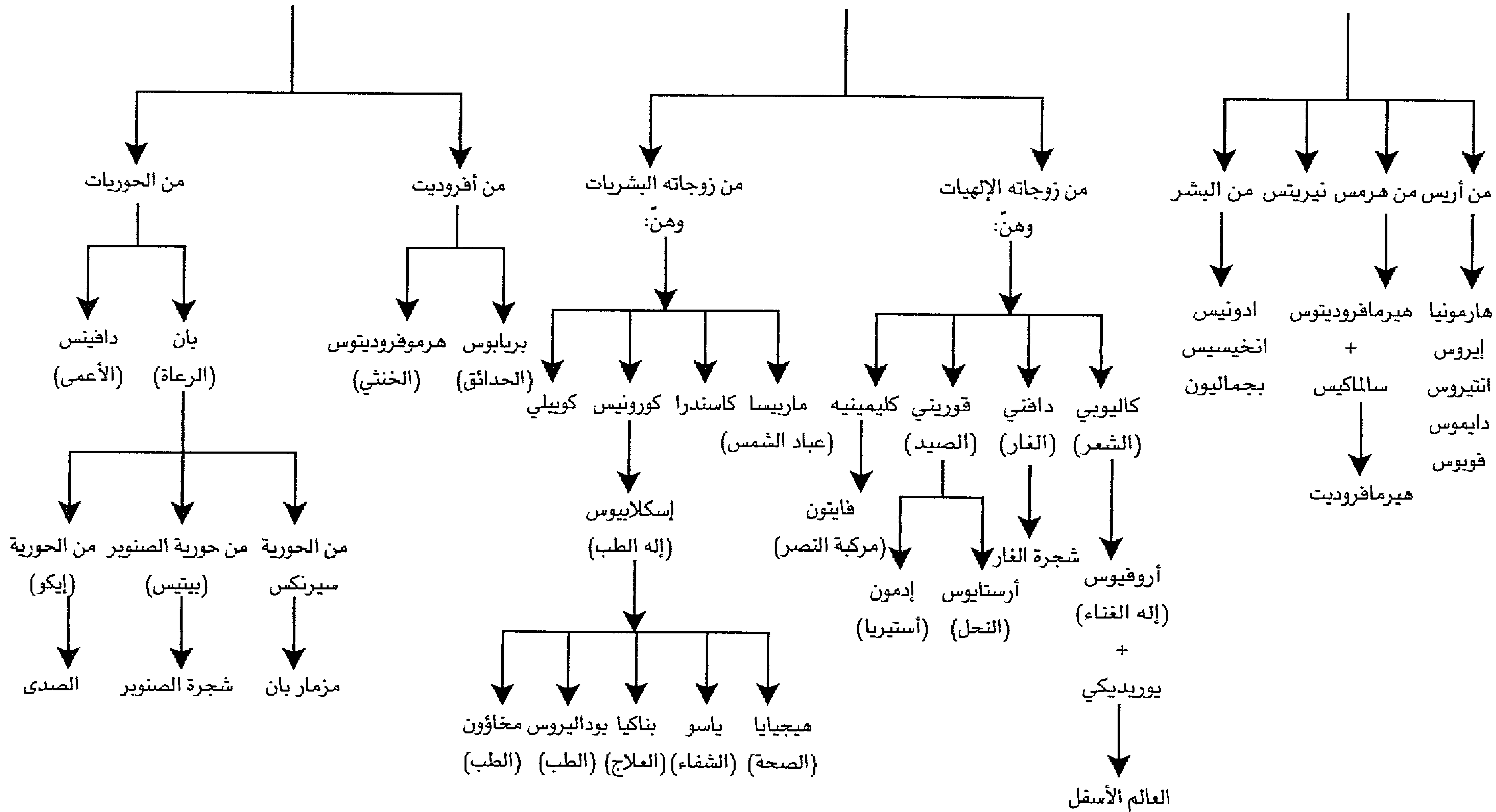
11- أنيما ، 1997 .

12- سيدرا ، 1999 .

مخطط (17) شجرة أنساب الآلهة الإغريقية

وضع وتصميم: د. خزعل الماجدي




من أريس
من هرمس
نيريتس
من البشر
هارمونيا
إيروس
انتيروس
دايموس
فوبوس
هيرمافروديتوس
+
سالماكيس
هيرمافروديت
ادونيس
انخيسيس
بجماليون
من زوجاته الإلهيات
وهنّ:
كاليوبي
(الشعر)
أروفيوس
(إله الغناء)
+
يوريديكي
العالم الأسفل
دافني
(الغار)
شجرة الغار
قوريني
(الصيد)
أرستايوس
(النحل)
إدمون
(أستيريا)
كليمينيه
فايتون
(مركبة النصر)
من زوجاته البشريات
وهنّ:
ماريسا
(عباد الشمس)
كاسندرا
كورونيس
إسكلابيوس
(إله الطب)
هيجيايا
(الصحة)
ياسو
(الشفاء)
بناكيا
(العلاج)
بوداليروس
(الطب)
مخاؤون
(الطب)
كويبلي
من أفروديت
بريابوس
(الحدائق)
هرموفروديتوس
(الخنثي)
من الحوريات
بان
(الرعاة)
من الحورية
سيرنكس
مزمار بان
من حورية الصنوبر
(بيتيس)
شجرة الصنوبر
من الحورية
(إيكو)
الصدى
دافينس
(الأعمى)

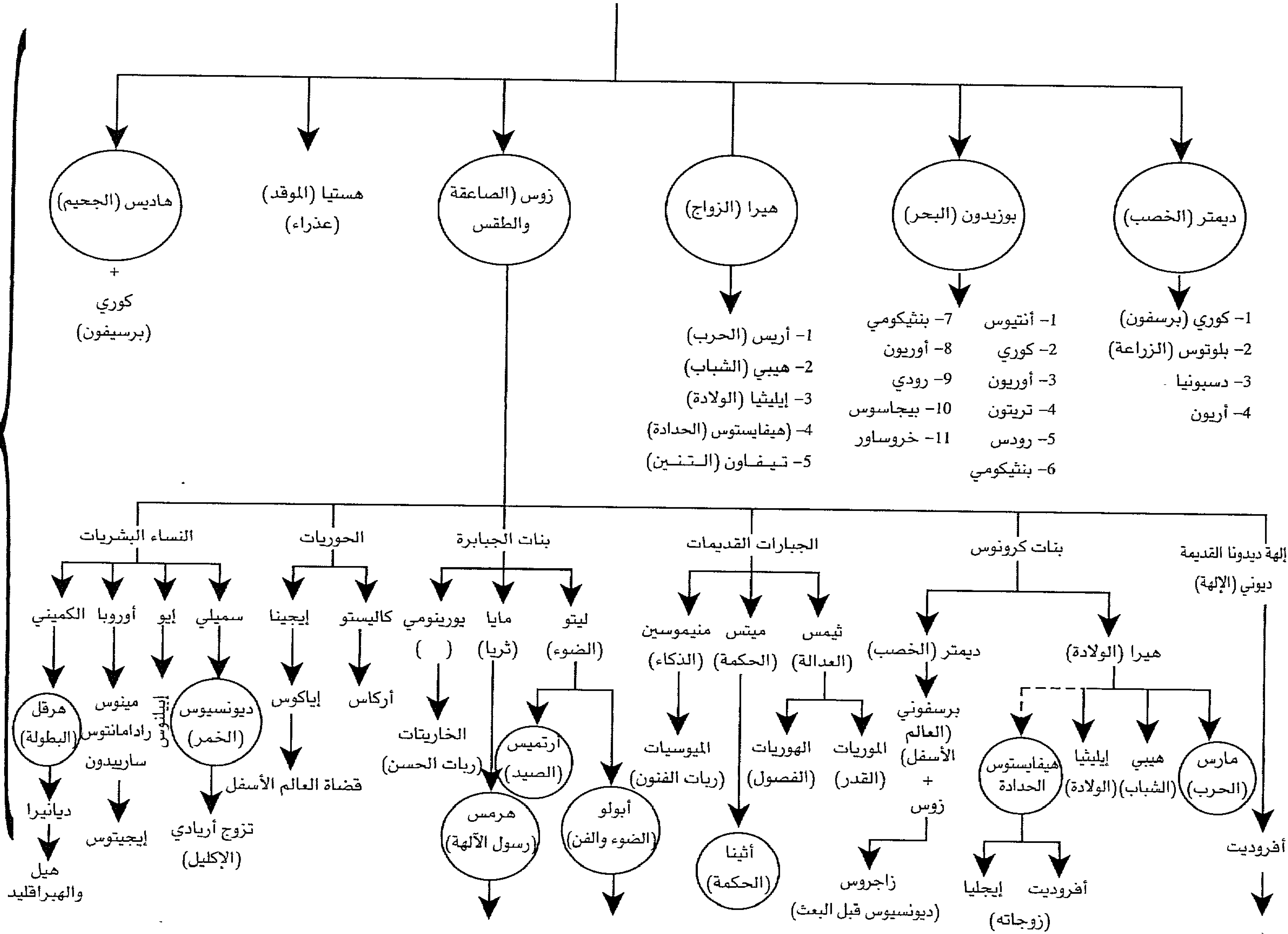
آلهـــة الـــكـــون

- مينموسين + زوس
- تيمس + زوس
- أوقيانوس + ثيتس
  - 3000 ولد هم الأنهار
  - 1- ميتس (الحكمة)
  - 2- تايكي (الحظ)
  - 3- ستايكس (النهر الأسفل) يتزوج بالاس وينجب نايكي(النصر)
  - 3000 بنت هنّ الحوريات
- كريوس + أوريبيه
- يابت + كليمينيه
  - أبيميثوس (الإله الرجل) + باندورا (الإلهة المرأة)
    - بيرا
  - بروميثيوس (حامل النار)
    - دوكاليون
  - مينويتيوس
  - أطلس + ؟
    - الثريا والقلاص
- هيبريون + ثيا
  - هيلوس (الشمس)
  - سيلين (القمر)
  - أيوس (الفجر) + استريا
    - جميع النجوم
    - الرياح الأربعة
- كويوس + فويبيه
  - ليتو
  - أستريا

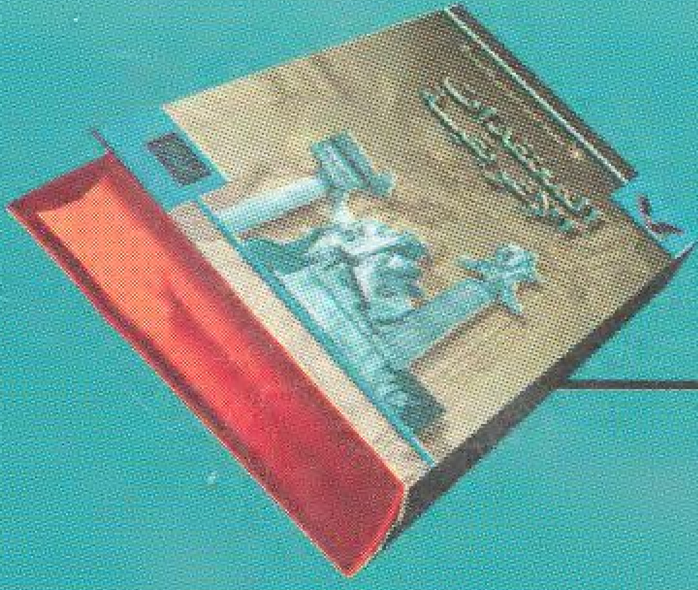
كرونوس (إله الهواء والزمان)

- من جيا (الأرض)
  - آلهة الظلام
    - 1- تانات (الموت)
    - 2- إيريدا
    - 3- أباتا (الخداع)
    - 4- كيرا (الدمار)
    - 5- هيبنوس (نوم الكوابيس)
    - 6- تيميسيدا (الانتقام)
- من ريّا (سطح الأرض)
- من فليرا (بنت أوقيانوس)
  - خيرون (الفليري) قنطور

آلهة الأولمب (في دوائر)



المعتقدات الإغريقية



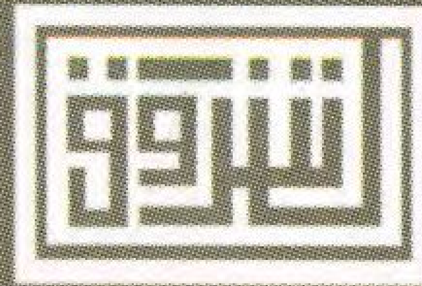
هذا الكتاب

الكتب التي تبحث في معتقدات الإغريق كثيرة، لكن هذا الكتاب يقدِّم لنا المكونات الرئيسية لها وفق رؤية جديدة، فالمعتقدات الإغريقية العامة (من أنواع عبادة الآلهة إلى المؤسسة الدينية إلى طبيعة الآلهة إلى الكون إلى العبادات المتنوعة) تلتحمُ مع المعتقدات الإغريقية الخاصة (السرّية) .. ثم العقائد الدينية الفلسفية وعقائد ما بعد الموت.

أما الأساطير فتتسلسل منذ خلق الكون والآلهة القديمة لتنظم في شجرة أنساب كبرى (لعلها الأكبر في ديانات العالم القديم) وتتناول آلهة ما قبل الأولمب والأولمب وما بعده وفق إيقاع العناصر الأربعة التي يرى المؤلف أنها تنظِّم هذه الشجرة وتفسِّرها.

ثم يأتي دور الطقوس الدورية والأعياد الإغريقية، ثم الأخلاق والشرائع حيث المكونات الثانوية للدين الإغريقي.

هذا الكتاب هو بانوراما هذه المعتقدات بكل مكوناتها وتفاصيلها وهو الأكثر شمولاً وتنوعاً في حقله هذا، إنه حاجة ماسة من حاجات معرفتنا الروحية بماضي الإنسان الديني في أول تجلياته الغربية .. عند الإغريق.



دار الشروق للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : عمان / الأردن - تلفون 4618190-4618191 - 4624321

فاكس 4610065 - ص . ب 926463 - عمان 11118 الأردن

فرع الجامعة الأردنية - تلفون : 5358352

E-mail: shorokjo@nol.com.jo

www.shorok.com

وكلاؤنا في فلسطين

دار الشروق للنشر والتوزيع - رام الله - المنارة - تلفاكس 02/2961614

دار الشروق للنشر والتوزيع - غزة - الرمال الجنوبي - تلفون : 08/2847003



